آثار الشيخ المناضل محمود بوزوزو

نصوص جمعها عباس عروة

CORDOBA PEACE INSTITUTE
GENEVA
معهد قرطبة للسلام

آثار الشيخ المناضل محمود بوزوزو

نصوص جمعها عباس عروة

آثار الشيخ المناضل محمود بوزوزو
نصوص جمعها عباس عروة
© 2020 معهد قرطبة للسلام بجنيف
Cordoba Peace Institute – Geneva
www.cpi-geneva.org
ردمك: ISBN 2-940130-31-0

الغلاف من تصميم أمين لخضر

المحتويات

نشيد "أرض الجزائر"، 9

مقدّمة، 11

كلمة تأبين الشيخ محمود بوزوزو، 13

Oraison funèbre de Cheikh Mahmoud Bouzouzou، 17

الجزء الأوّل: سيرة ذاتية موجزة، 21

1— أتمم دراستك وبعد ذلك كن مسلمًا، 23
2— De deux prisons à la liberté، 27
3— من سجنين إلى الحرية، 39

الجزء الثاني: مساهمات مختارة، 49

الفصل الأوّل: مساهمات في إطار الكشافة الإسلامية الجزائرية، 51

1— A nos jeunes filles، 53
2— El Irchâd، 57
3— Nos principes، 67
4— Le dernier Messager، 75

الفصل الثاني: مساهمات في مجال الدعوة، 111

1— ما يقال عن الإسلام وموقف المسلمين من الناقدين، 113
2— Effort et Grâce dans l'Islam، 133
3— Paix au Liban، 137
4— Entre musulmans et chrétiens nous sommes d'accord sur l'essentiel: la nécessité de l'adoration، 139
5— L'Islam, modèle d'une société saine et tolérante، 143
6— Islam et Occident، 151
7— Le mois sacré du jeûne nous quitte، 155
8— مشكلات المسلمين في مجتمع الاغتراب، 157
9— Le chaos primordial et l'ordre divin، 171
10— حوار مع مجلة الوفاق، 173
11— Ayons la sagesse de concilier les valeurs sacrées، 179
12— Le Ramadan. Le Coran et les Conventions de Genève، 183
13— La Mosquée، 185

الجزء الثالث: الشيخ بوزوزو في الإعلام والأبحاث، 189

1— لقاء مع الشيخ محمود بوزوزو، 191
2— L'Imam Bouzouzou conseille et instruit، 193
3— أقدم إمام بسويسرا: العلم سلاح المسلمين، 195
4— محمود بوزوزو، داعية الانفتاح والتسامح، 199
5— La France et ses musulmans، 203
6— الحرية هي أساس التمكين..، 205
7— العلامة الدكتور محمود بوزوزو، 207
8— L'Imam qui avait séduit les Suisses، 209
9— صورة عن مساندة الجزائر للثورة المصرية جريدة المنار نموذجًا، 215
10— العلامة محمود بوزوزو يعود إلى الذاكرة التاريخية في ملتقى وطني ببجاية، 221
11— Hommage de Béjaïa à un homme de foi et de science، 223

12— Cheikh Mahmoud Bouzouzou : un maître, un imam, un combattant, un savant... un monument، 225
13— تغيير الذات وتحويل الغير عند مالك بن نبي ومحمود بوزوزو، 235
14— محمود بوزوزو، 239
15— محمود بوزوزو مسار نضال وقلم، 243
16— Le savant algérien Cheikh Mahmoud Bouzouzou، 245
17— العلامة محمود بوزوزو، الزعيم الروحي لحرب التحرير، 251
18— أفكار محمود بوزوزو في التحرّر الوطني، 257
19— فراد يغوص في الموروث الثقافي الجزائري، 259

الجزء الرابع: عرض لصور مختارة، 261

الجزء الخامس: المقالات التي نُشرت في جريدة المنار، 295

السنة الأولى

1— المنار وأهدافه، 297
2— الإنتاج الفكري ونظام الحكم، 303
3— جبهة قومية واحدة في المغرب الأقصى، 313
4— ذكرى وعبرة، 317
5— عيد الثورة على الظلم، 321
6— هل من جديد؟ أيها الوالي الجديد، 325
7— متى يُنتخب البرلمان الجزائري؟، 331
8— خطوة كبيرة في سبيل تحقيق الاتحاد القومي، 335
9— مرحبًا بالفجر الصادق، 337
10— الجبهة الجزائرية حجة على أنّ الاستعمار عدوّ الديمقراطية: أين أنصار الديمقراطية؟، 339
11— سلاح مفلول، 343
12— بريطانيا ومصر، 345
13— العرب والاستعمار في هيأة الأمم، 347

14— صيحة الكاشاني، 349
15— متى يفصل الحكم الاستعماري عن الجزائر؟، 351
16— قضية المغرب واحدة وكفاحه واحد!، 357
17— من وحي استقلال ليبيا: إننا بك لاحقون!، 363
18— يوم تونس، 367
19— هل يتحقق توحيد الكفاح المغربي؟، 371
20— يومان!، 373
21— الاعتبارات الإستراتيجية والاعتبارات الإنسانية، 377
22— "المنار" تنهي سنتها الأولى، 381

السنة الثانية

23— "المنار" على أعتاب السنة الثانية، 385
24— إن المغالطة لا تحل الأزمات، 389
25— 8 ماي، 391
26— القمع لا يفل إرادة الحياة، 395
27— على الباغي تدور الدوائر، 973
28— هل تُعرض القضية الجزائرية على هيأة الأمم المتحدة؟، 401
29— الذكرى الأليمة، 405
30— عرس في مأتم!، 409
31— الفتنة الاستعمارية محنة عابرة، لنوحد صفوفنا ولننظم كفاحنا، 413
32— حاجتنا إلى جبهة تحريرية، 417
33— الذكرى السابعة لميثاق الأمم المتحدة: يوم الأمم المتحدة، 421
34— قمع فظيع... وغضبة مقدسة، 425
35— إلى الكمال أيها المسلمون!، 427
36— حوادث تونس ومراكش: المؤامرات الدامية لا تحل المشاكل، 431
37— الخسران المبين، 435
38—الانبعاث الإسلامي في الجزائر محل اتهام وهدف للسهام، 439
39— سيف دامكلس، 443
40— هذا الاستفتاء، 447

41— الذكرى الأولى لتأسيس جبهة الاتحاد والعمل المغربية، 449
42— نريد حلولًا إيجابية لبناء وحدة دائمة، 453
43— إنها دعوة للحق، 455
44— "المنار" تستمر في أداء رسالتها، 457

السنة الثالثة

45— الإستفتاء والانتخابات، 461
46— الصالح العام فوق كل اعتبار، 463
47— بعد الانتخابات، 467
48— 8 ماي 1945 – 8 ماي 1953، 471
49— نهاية الاستفتاء، 473
50— تجاهل الواقع لا ينفي وجود الواقع، 475
51— متى تصحيح هذا الغلط التاريخي؟، 479
52— مأساة الحرية في "بلاد الحرية"، 483
53— الحقد العقيم، 485
54— أزمة المنار، 489
55— ذكرى المولد النبوي: الثورة المتجددة، 491
56— حول زيارة وزير الداخلية الفرنسي للجزائر: القضية قضية علاقة بين أمتين، 495
57— ذكرى استسلام الأمير عبد القادر: معنى جهاد وعبرة استسلام، 499

ملحق: محمود بوزوزو مسار نضال وقلم، 503

أرض الجزائر

محمود بوزوزو

أأرضَ الجزائر يا أمَّنا علوُّك للمجد كل المُنى
فحبّك يلهج في دمِنا أحقُّ بأرواحنا أمُّنا
نعاهدُ على دفعِ كلِّ بَلا عن الأمّ بالمُهَج الغالية

حياة الشعوب بشُبّانها ونحن لشعبنا شُبّانه
لنا همّةٌ سوف نعلو بها إلى أن يعمّ الورى شأنه
ويجني العُلا من أراد العُلا كذا قضت الهمّة العالية

فعُقْبَةُ في المجد كمْ ضربا مثال الوفا، والفدا، والإبا
وطارق نحو العُلا وثبا بإجدادنا أسدًا أغلبا
وفي عروقنا دم أجدادِنا يهيب بهمّتنا العالية

هُمُ زيّنوا الذكر بالشرف وزانوا جبينهم بالذهب
ونحن نُشيد ولا نكتفي بكان جُدودي، وكان أبي
لنا همّة سوف نعلو بها كذا قضت الهمّة العالية

المصدر: أناشيد وطنية، من إعداد المتحف الوطني للمجاهد، وزارة المجاهدين، الجزائر 2002.

أرض الجزائر

تأليف محمود بوزوزو
تلحين عبد الرحمن عزيز
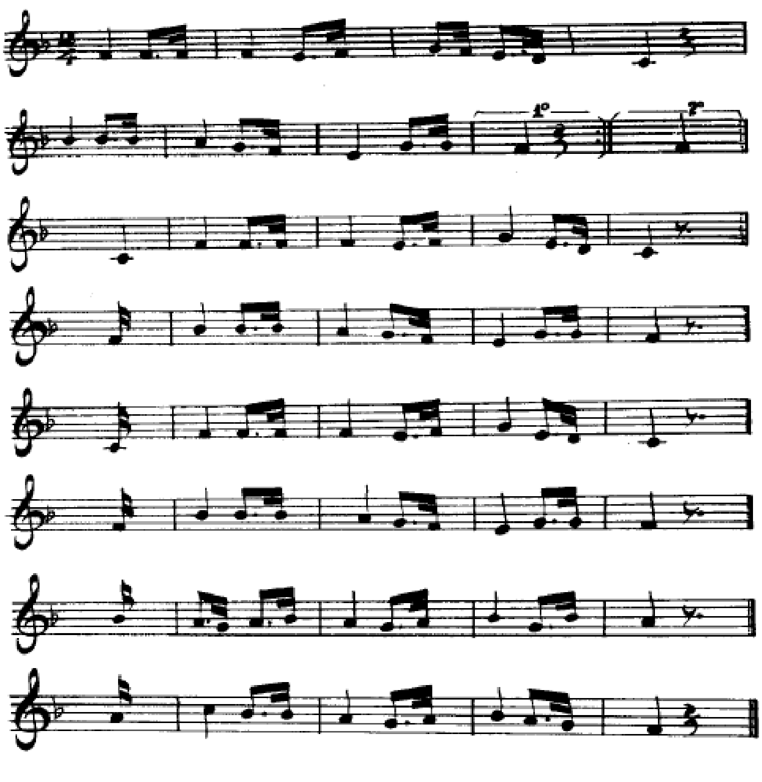
مقدّمة

بدأ تجميع الوثائق التي يتضمنها هذا الكتاب أشهرًا قليلة بعد رحيل الشيخ محمود بوزوزو رحمه الله في 27 سبتمبر 2007، غير أن العديد من الانشغالات حالت دون إتمام العمل في الأجل الذي كان محدّدًا له. وتتالت السنون إلى أن يسّر الله الحصول على الكثير مما كان ناقصًا من مساهمات، ما عدا مقالات الشيخ في جريدة البصائر التي نُشرت في منتصف أربعينيات القرن الماضي، وأرجو أن تسمح الظروف بالحصول عليها مستقبلًا لإضافتها لهذا الكتاب في نسخته القادمة بحول الله.

كان الشيخ محمود بوزوزو عضوًا في مجلس معهد قرطبة للسلام بجنيف (مؤسسة قرطبة بجنيف سابقًا) منذ تأسيسه في 2002، وقد تكرّم بتسجيل المؤسسة في بيته الطاهر الواقع بـ 23 chemin Moïse-Duboule في مدينة جنيف، إلى حين أصبح للمؤسسة مكتب في 2004. كما تبرّع رحمه الله للمعهد بجزء معتبر من مكتبته التي أمضى أربعة عقود في تكوينها، وهي مكتبة غنية تضم آلاف المصنفات في مختلف المعارف والفنون وبمختلف اللغات، أهدى جزءًا آخر منها إلى مكتبة جنيف الجامعية.

التقيتُ بالشيخ بوزوزو لأوّل مرة نهاية سنة 1987 حين قدمتُ إلى سويسرا لمواصلة الدراسة في مدينة لوزان. وأذكر أنني في 1991 عند عودتي من زيارة إلى الجزائر، جئته بنسخة من كتاب[1] عن فوج الأمير خالد للكشافة الإسلامية الجزائرية بحيّ بيلكور في الجزائر العاصمة، كلّفني قريبي السيد علي عروة رحمه الله، الذي شارك في تأليفه والذي كان في صباه عضوًا في الكشافة الإسلامية الجزائرية، بإيصال نسخة منه إلى المرشد العام الشيخ محمود بوزوزو. ذهبتُ لزيارته في مكتبه الواقع في وسط مدينة جنيف (rue Royaume 9) فاستقبلني كالمعتاد بحفاوة. وشعرتُ وأنا أنظر إليه وهو يتصفّح الكتاب

[1] *Le Groupe Emir Khaled de Belcourt : un maillon des scouts musulmans algériens (1946-1962)*, par Mohamed Tayeb Illoul et Ali Aroua, Editions Dahlab, Alger 1991.

مدى سعادته بهذا العمل التأريخي وبأنه أثار لديه ذكريات بعيدة من نضاله في المجال الكشفي، فكان يذكر لي بدقة تفاصيل عن فوج الأمير خالد وعن الشباب الذين التحقوا به. ولم ينقطع تواصلي بالشيخ طيلة العقدين الأخيرين من حياته كنتُ أزوره كلما سنحت الفرصة، استفيد في كل لقاء من الحديث معه في شتى الميادين وفي تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية على وجه الخصوص، إلى أن وافته المنية.

ينقسم هذا الكتاب الذي حرصتُ على أن يصدر قبل الذكرى الثالثة عشرة لوفاة الشيخ، إلى خمسة أجزاء تحتوي على مساهمات باللغتين العربية والفرنسية. يضمّ الجزء الأوّل نصّين كتبهما الشيخ في 1958 و 1982 يمكن اعتبارهما سيرة ذاتية موجزة. ويضم الجزء الثاني أعمالًا نشرها الشيخ في إطار الكشافة الإسلامية الجزائرية، ومساهمات في مجال الدعوة. أمّا الجزء الثالث فيعرض عددًا من المقالات صدرت في الإعلام العربي والسويسري وعددًا من الأبحاث بخصوص الشيخ. ويقدّم الجزء الرابع عرضًا لمجموعة من الصور المختارة تغطي مراحل مختلفة من حياة الشيخ. وأخيرًا في الجزء الخامس إعادةٌ لنشر 57 مقالًا صدرت في جريدة "المنار" في بداية خمسينيات القرن الماضي.

رجائي أن يساهم هذا الجهد المتواضع في التعريف أكثر بشخصية وطنية تركت بصماتها في تاريخ المقاومة الوطنية الجزائرية. كما أتمنى أن تفيد هذه النصوص شبابنا في الجامعات الجزائرية المهتمين بتاريخ الحركة الوطنية لدراسة مسار علم من أعلامها. ولا يفوتني أن أشكر كل من ساعد على تجميع الوثائق، وأخص بالذكر السيد عبد الحميد بوزوزو نجل الشيخ، وعلى رقن النصوص ومراجعتها خاصة السيد أحمد أولمان، كما أعتذر عن الأخطاء التي قد تكون تسلّلت إلى النصوص التي أعيد رقنها رغم مراجعتها مرات عديدة، وأرجو من القراء الكرام أن ينبهوني إليها وإلى أيّ مساهمة تخص الموضوع لم اطّلع عليها، لتُضاف إلى الكتاب، ولهم مني جزيل الشكر مسبقًا. والله من وراء القصد.

عباس عروة
جنيف، 21 أوت 2020

كلمة تأبين الشيخ محمود بوزوزو

كلمة عباس عروة، مدير معهد قرطبة للسلام بجنيف (مؤسسة قرطبة بجنيف سابقًا)، بمناسبة الصلاة على المرحوم الشيخ محمود بوزوزو التي أقيمت بمسجد المؤسسة الثقافية الإسلامية بجنيف، يوم الجمعة 16 رمضان 1428 الموافق لـ 28 سبتمبر 2007.

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

الله أكبر، لا إله إلا الله، إنا لله وإنا إليه راجعون.

إننا في هذا المقام الجلل نودّع أبًا وأخًا عزيزًا، معلمًا ومرشدًا غادرنا في يوم مبارك من شهر كريم. إننا نودع الشيخ محمود بوزوزو الذي رحل إلى جوار ربه في منتصف رمضان، شهر الرحمة والغفران والعتق من النيران.

شيخنا العزيز،

لقد رأيت النور في اليوم العاشر من جمادى الأولى لعام 1336 للهجرة الموافق لـ 22 فبراير 1918، في مدينة العلم بجاية التي كنت دومًا تفخر بها وتحنّ إليها، والتي اخترت أن توارى الثرى في أحضانها.

ثم ترعرعت شابا بقسنطينة – مدينة علم أخرى – برعاية الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله وبرفقة إخوانه من جمعية العلماء. وبعد تحصيلك العلمي، تفرّغتَ للتعليم في جزائر عمل الاحتلال على تجهيلها، وساهمتَ في تأسيس المساجد والمدارس الحرة لتعليم اللغة العربية وكانت محاربَة آنذاك.

كنتَ من رواد الحركة الكشفية الإسلامية في الجزائر في منتصف الأربعينيات. وبصفتك مرشدًا عامًا ساهمتَ في تربية جيل كامل شارك بعضهم في اندلاع الثورة الجزائرية والتحق معظمهم بها واستشهد منهم الكثير.

كنتَ من رواد الصحافة الجزائرية الملتزمة من خلال مقالاتك في جريدة "البصائر" وجريدة "المنار" التي كنت تُشرف عليها والتي كانت في بداية الخمسينيات منبرًا قويًا في التصدي للاحتلال الفرنسي وفضح جرائمه، خاصة مجازر مايو 1945. مجلة "المنار" التي كانت أداة فاعلة في تكوين الوعي الوطني.

شيخنا الموقّر،

كنت فعلًا من رواد الحركة الوطنية في الجزائر، الداعين إلى وحدة صفوفها. اعتبرك المستعمر الفرنسي من الآباء الروحيين لحرب التحرير الوطني، وصنّفك آنذاك – كما هو حال كل مقاوم للاحتلال – من المحرضين على التخريب والإرهاب.

وقد كلفتكَ مواقفك الوطنية الكثير من الأذى: السجن والتعذيب ثم النفي في منتصف الخمسينيات. فهاجرت إلى المغرب الأقصى، ثم إلى أوروبا حيث أقمت في عدة مدن حتى استقر بك الأمر في مدينة جينيف.

وفي جنيف نذرتَ نفسك لخدمة الجالية الإسلامية ولتعليم اللغة العربية والتعريف بالإسلام دينا وحضارة.

كنتَ من مؤسسي المركز الإسلامي عام 1961 وساهمت في تأسيس المؤسسة الثقافية الإسلامية عام 1975، وعملتَ بها إمامًا وخطيبًا. كما كنتَ عضوًا في مجلس أمناء مؤسسة قرطبة التي احتضنتَ أوّل مقر لها في بيتك الكريم عام 2002.

عملتَ أستاذًا للغة العربية عقدين من الزمن في مدرسة الترجمة بجنيف ولدى الأمم المتحدة.

كنتَ تولي الشباب عناية خاصة، فكان مكتبك وبيتك مفتوحَين لهم، تصغي إليهم وتفيدهم

بالنصح وتحرص على توعيتهم.

شيخنا الفاضل،

كنتَ وسطيًا، حكيمًا في معاملاتك، وكان خلقك أحسن تعريف بديننا الحنيف.

نشهد أنك تميزت بالثقافة الواسعة والانفتاح على الغير. وخير دليل على ذلك مكتبتك التي تضم الآلاف من المجلدات بمختلف اللغات وفي شتى المجالات من علوم الدين والآداب والفنون والتاريخ والفلسفة والقانون وعلوم السياسة والاقتصاد والاجتماع.

إنّ ما أذكره عنك على وجه الخصوص هو الأهمية التي كنتَ توليها لقيمَتي العلم والعمل: العلم النافع المقترن بالعمل الصالح، وكذا حبك للكتاب.

رحمكَ الله شيخنا الجليل وأكرم مثواك وأسكنك الجنة مع الأبرار وأنعم عليك بصحبة سيد الأخيار، المصطفى صلى الله عليه وسلم، ورزق أسرتك وتلامذتك وكل محبّيك جميل الصبر والسلوان.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

Oraison funèbre de Cheikh Mahmoud Bouzouzou

Intervention d'Abbas Aroua, directeur du Cordoba Peace Institute – Geneva (anciennement Fondation Cordoue de Genève), à l'occasion de la prière pour le défunt cheikh Mahmoud Bouzouzou, à la mosquée de la Fondation culturelle islamique à Genève, le Vendredi 28 septembre 2007.

Au nom de Dieu, le Tout Miséricordieux, le Très Miséricordieux.

Louange à Dieu, et Paix et Salut sur Son Prophète.

Certes nous sommes à Dieu, et c'est à Lui que nous retournerons.

Nous sommes rassemblés aujourd'hui pour dire adieu à un père et un frère qui nous est cher. Un instructeur et un guide, qui nous quitte un jour béni d'un mois noble. Nous saluons Cheikh Mahmoud Bouzouzou qui a rendu l'âme au milieu du mois du Ramadhan, mois de miséricorde et de pardon.

Cher Cheikh vénéré,

Tu es né le 10 Joumada 1er, 1336 H (22 février 1918) à Bejaïa, cette ville de science dont tu étais fier et n'as cessé d'avoir la nostalgie. Tu as choisi d'être inhumé en son sein.

Tu as passé une partie de ta jeunesse à Constantine – une autre ville de science – sous l'œil attentif de cheikh Abdelhamid Benbadis et en compagnie de ses frères de l'Association des Oulémas algériens. Après avoir terminé tes études, tu t'es consacré à l'enseignement dans une Algérie que l'occupant voulait noyer dans l'ignorance. Tu as contribué à la fondation de mosquées et d'écoles privées pour enseigner l'arabe, langue combattue à l'époque.

Tu étais l'un des pionniers du Mouvement des scouts musulmans algériens au milieu des années 1940. En tant que Guide Général tu as contribué à la formation de toute une génération de militants de la cause nationale, dont certains ont été les initiateurs de la Révolution algérienne, et dont la plupart l'ont rejointe, beaucoup d'entre eux y ont d'ailleurs trouvé le martyre.

Tu étais l'un des pionniers du journalisme algérien engagé, à travers tes écrits dans « al-Bassaïr » et « al-Manar ». Cette dernière publication que tu dirigeais était au début des années 1950 une tribune remarquable dans la lutte contre l'occupation française et le dévoilement de ses crimes, notamment les massacres de mai 1945. « al-Manar » était un outil efficace de conscientisation politique.

Cher Cheikh vénéré,

Tu étais incontestablement l'un des pionniers du Mouvement national algérien, appelant à l'unification de ses diverses composantes. Les autorités coloniales te considéraient d'ailleurs comme l'un des pères spirituels de la Guerre de libération nationale et te classaient – c'est le cas de tout résistant à l'occupation – comme « un dangereux élément subversif ».

Tes positions nationalistes t'ont valu beaucoup d'ennuis : la prison et la torture, puis l'expatriation. Tu t'es exilé d'abord au Maroc, ensuite en Europe où tu t'es rendu dans plusieurs villes avant de t'établir à Genève.

A Genève tu t'es dédié au service de la communauté musulmane, à l'enseignement de la langue arabe et à la présentation de la religion et la civilisation islamiques.

Tu as été l'un des fondateurs du Centre islamique en 1961 et tu as contribué à la constitution de la Fondation culturelle islamique en 1975. Tu as occupé dans ces deux institutions la fonction d'imam. Tu as aussi été membre du Conseil de la Fondation Cordoue dont tu as bien voulu héberger son premier siège chez toi.

Tu as été professeur de langue arabe pendant une vingtaine d'années à l'Ecole d'interprétariat de Genève et à l'ONU.

Tu accordais une attention toute particulière aux jeunes. Tu les accueillais dans ton bureau ou à ton domicile. Tu les écoutais, et leur prodiguais des conseils. Tu veillais à leur conscientisation.

Cher Cheikh vénéré,

Tu étais adepte du juste milieu et tu détestais les positions extrêmes. Tu étais sage dans tes rapports avec les autres. Ta conduite exemplaire et tes qualités humaines étaient la meilleure carte de visite que tu pouvais offrir de l'islam.

Nous témoignons que tu t'es distingué par une vaste culture et une ouverture à l'Autre. En est preuve ta bibliothèque qui contient des milliers de volumes en diverses langues couvrant les sciences de la religion, les lettres, les arts, l'histoire, la philosophie, le droit et les sciences politiques, économiques et sociales.

Ce que je retiendrai de toi en particulier, mon cher Cheikh, c'est l'importance que tu accordais à la science et à l'action. La science utile intimement liée à l'action bénéfique, ainsi que ton amour pour le livre.

Puisse Dieu t'accorder Sa miséricorde, t'honorer et te réserver le Paradis comme demeure en compagnie des bienfaisants et à leur tête notre Prophète – Paix et Salut sur lui. Puisse-t-Il accorder à ta famille, à tes élèves et à tous ceux qui t'aiment endurance et consolation.

الجزء الأوّل: سيرة ذاتية موجزة

أتمم دراستك وبعد ذلك كن مسلما

محمود بوزوزو
جنيف 1 جمادى الأولى 1402 هـ
الموافق لـ 25 فبراير 1982 م

"إياك والسياسة يا ولدي" وصية والد لولده عند مغادرة بلدته لطلب العلم في مدينة أخرى بعيدة، أملاها الإشفاق من ظروف كانت السياسة مرادفة للمخاطرة.

وودع الفتى والده واتجه إلى قسنطينة وعمل بالوصية فانكب على الدراسة.

وبينما هو سائر ذات يوم في أحد شوارعها إذ استوقفته واجهة زجاجية صغيرة فيها كتب متنوعة. وبعد النظر في عناوينها دخل المكتبة وطلب كتابا منها فناوله إياه صاحب المحل المرحوم الأستاذ أحمد بوشمال. وقبل أن ينصرف سمع صوتا جهوريا يخاطبه: "من أنت يا ولدي؟ - طالب بالمدرسة الرسمية. – إياك أن تتردد علينا، فإنهم إذا رأوك أضروك، ولا أريد أن يصيبك ضرر بسببنا، أتمم دراستك وبعد ذلك كن مسلمًا." هو المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس. كان جالسًا على كرسي في ركن وبيده قلم وورقات مكتوبة يصححها لمجلة "الشهاب". والفتى إذاك في السادسة عشرة من عمره. فعمل بالوصية إلا أنه كان يذهب ليلًا إلى الجامع الأخضر لحضور دروسه في التفسير. ثم انعقدت بينه وبين بعض طلابه والأساتذة المساعدين له صداقة خالصة لا يزال يحفظها ويعتبر الأيام التي قضاها بصحبتهم أسعد أيام شبابه.

وأتم الدراسة بقسنطينة وانتقل إلى "المدرسة العليا" بالجزائر العاصمة وأنهى بها الدراسة ونال الشهادة العليا.

آن أوان مغادرة المدرسة لخوض غمار الحياة العامة. وعند الوداع يقول له المدير: "إياك

والسياسة، إنك سوف تتولى منصبا في القضاء أو التدريس. فإذا اخترت القضاء وأنت متحزب لم تسلم من الاتهام بالتحيز فيما إذا ترافع إليك خصمان أحدهما من حزبك ولو عدلت في حكمك. وإذا اخترت التدريس فالأسلم لك أن تكتم أفكارك السياسية ولا تعلنها."

جاء ذكر هذه الوصايا الثلاث في مستهل الحديث تذكيرًا بالجو السائد في تلك الظروف حيث كان العمل السياسي يعتبر إقدامًا على أمر مجهول العائدة خطير العاقبة. والوصية الأقوى أثرًا في نفسي كانت: "كن مسلمًا". وقد أدركت بعد طول التجارب والتفكير في حالة المسلمين أن خير وصية يوصي بها المسلم أخاه هي: "كن مسلمًا".

كان الوالد رحمه الله يريدني قاضيًا كوالده، لكني اخترت التدريس للإسهام في مكافحة الأمية الفاشية في الشعب. وما أن شرعت في العمل الرسمي حتى لاحظت اتساع ميدان العمل. فالمدارس الرسمية لا تقبل إلا عددًا محدودًا من الأولاد. وفي الشوارع عدد لا يحصى. فحددت ساعات خارج التدريس الرسمي لتعليم اليتامى والحمالين وماسحي الأحذية والعمال. وسعيت في فتح مدارس حرة وجلب أساتذة أحرار وفتح نواد للشباب والكهول وتنظيم أفواج كشافة.

ومع ذلك فإن هذا العمل الاجتماعي المحض أدى إلى إصدار أمر بنقلي إلى قرية أفلو التي كانت منفى السياسيين المغضوب عليهم. والغريب أنّ الإدارة عللت قرارها بامتناعي عن التصويت في الانتخابات فاعتبرته موقفًا سياسيًا معاديًا لها. ففهمت حينئذ أنّ تنظيم مجتمعنا لن يتحقق إلا في جو من الحرية المطلقة وأدركت أنّ المشكل الرئيسي سياسي. فلم ألتحق بالقرية وعزمت على خوض غمار المعركة في سبيل الحرية المطلقة.

وكان المرحوم الشيخ العربي التبسي كلما لقيني يقول لي: "إنّ مثلك مكانه عندنا". فلبيت رغبته والتحقت بمركز جمعية العلماء حيث لقيت حسن الترحيب من رئيسها المرحوم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وانخرطت في سلك المصححين والمحررين بجريدة "البصائر". وكنت إلى جانب ذلك المرشد العام للكشافة الإسلامية الجزائرية.

وحدث أن فاجأتنا أزمة في الكشافة، إثر عودتنا من الاجتماع العالمي للكشافة بفرنسا في صيف 1947 وذلك أنّ الإدارة الاستعمارية أخبرت الرئيس عن قلقها من وجود عناصر

متطرفة في صفوف الكشافة الإسلامية وعن وجوب "تطهيرها" منها. فانعقد مؤتمر عام أسفر عن تعييني للرئاسة إلى جانب الإرشاد العام. وهذه المسؤولية العامة استوجبت أن أتخلى عن العمل الصحافي وأتفرغ للمهام الجديدة. وكان هذا العمل يتطلب التنقل في عموم القطر لتفقّد الأفواج واللجان في كل مكان. وقد استغرق ذلك شهورًا، إلى أن حصل الاطمئنان على استمرار سير الحركة في الطريق الذي اخترناه.

وجاء عام 1950 فعرض عليّ بعض الأصدقاء المنتمين إلى حركة الانتصار للحريات الديمقراطية إصدار جريدة وطنية غير متحزبة تكفل لها حقوق الطبع والتوزيع مع استقلال التحرير بشرط بث الروح الوطنية في عموم البلاد. وهكذا نشأت جريدة "المنار". ومبادئها مبسوطة في العدد الأول منها، وأهمها نبذ التعصب القائل "من ليس معي فهو ضدي" والاعتراف لكل ذي فضل بفضله عبر التاريخ الوطني. ومن مبادئها تحاشي إثارة الخلافات بين أبناء الوطن والسعي لجمع الكلمة في سبيل التحرر من الاستعمار، والدعوة إلى الوحدة المغربية بما أنّ أقطار المغرب الثلاثة كانت تحت نير استعمار واحد. والإيمان بالوحدة المغربية هو الذي دعانا إلى العناية بقضية المغرب الأقصى والوقوف إلى جانب ملكه المرحوم محمد الخامس حين حاولت سلطات الحماية الفرنسية الضغط عليه لتحمله على التوقيع على ظهير مناف لكرامة المغرب الأقصى وسيادة ملكه. فكانت عنايتنا هذه المتجلية في الأعداد الأولى من الجريدة سببا في منع "المنار" من دخول المغرب الأقصى، غير أنها كانت تتسلل إليه بطرق خفية... وإيماننا بالوحدة المغربية هو الذي دعانا إلى الإعلان بأنّ "قضية المغرب واحدة وكفاحه واحد" في مقال افتتاحي كان سببًا في استنطاق الشرطة الاستعمارية لنا. وكان الباعث على كتابته أنّ زعيمًا لقطر شقيق ادعى أنّ قطره لن يحصل على استقلاله إذا ربط كفاحه بكفاح القطر المجاور الشقيق الجزائر لأن الحماية في نظره أخف حملًا وأقرب زوالًا من الاستعمار المطبق على الجزائر. وكان المقال الذي كتبناه سببًا في منع توزيع الجريدة في القطر التونسي.

أما فيما يخص القضية الجزائرية فكانت العناية متجهة إلى المساهمة الحثيثة في نشر الوعي الوطني وإحياء الشخصية الجزائرية بمقوماتها وأهمها الدين الإسلامي. والسعي في توحيد الصفوف كما هو مشاهد في عدد من المقالات وكما يشهد به الاستفتاء العام الذي أثار اهتمامًا كبيرًا في الأوساط المختلفة وتطلعًا إلى الوحدة المنشودة وأملًا في تحقيقها. إلا أنه لم يكتب لهذا الاستفتاء أن يؤتي ثماره في الموعد المتوقع، إذ حدثت حوادث أوقفت الجريدة عن مواصلة عملها. قد عرض على صاحبها أن يتركها وينشئ جريدة غيرها متحزبة تقوم

مقامها، وذلك "لأنّ المنار ذات نزعة إسلامية قوية"... فآثر البقاء على ما هو عليه، فانقطع المدد، وخف الحجم، وتوارت الجريدة وعلى صاحبها ديون للمطبعة... ثم انفجرت الثورة، فكان السجن والتعذيب والإبعاد...

ولا يفوتنا أن نذكر ما لاقيناه من المتاعب في الطباعة، وهو أمر لا يعلمه إلا الله وأصحاب المطبعة، إذ لم تكن في هذه المطبعة آلات حديثة، إنما هي حروف منفصلة يركب الطابع الكلمات بوضع حرف إلى جانب حرف حتى يملأ السطر وفي ذلك من البطء ما فيه، فإذا ركّب خمسة سطور أو ستة رفعها بأصابع يده ليضعها على لوحة الطباعة، وأحيانا تسقط من بين أصابعه فتتفكك، ويعيد تركيبها من جديد، الأمر الذي لا يخفى على القارئ الكريم ما فيه من الإبطاء في طبع الجريدة ووصولها إلى القراء... وإذا أضفنا إلى هذا صعوبة الحصول على الورق أدرك القارئ مدر عسر الظروف التي كان يجري فيها هذا الكفاح... ومع ذلك فسلام على تلك الأيام وجزى الله كل من أحسن ظنًا، وأحسن عونًا، ورجا خيرًا، وسامح كل من كان بخلاف ذلك!

ولا أزال أذكر بمزيد الامتنان كل من ساهم في الطبع والتمويل والتوزيع والتحرير. ولا أنسى ما لقيته من المساندة الدائمة من الأخ المناضل المخلص الأستاذ محمد محفوظي حفظه الله، وجزى الله كل عامل عن عمله. إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى. والله لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

وختامًا أقدم أخلص عبارات الشكر إلى الأخ المناضل المتكتم الأستاذ محمد قنانش ولا أنسى ما لقيته لديه من المساعدة والتأييد في تلمسان فجزاه الله خيرًا وأكثر من أمثاله وأرجو أن أكون دائما عند حسن ظنه وظن "كرام العشيرة"... وأسأل الله الإفادة من هذا العمل لكل المسلمين. وحيا الله الجزائر المسلمة!

De deux prisons à la liberté

Témoignage de Mahmoud Bouzouzou publié dans Tribune Libre *No. 39. Un changement d'espérance : A la rencontre du réarmement moral. Des témoignages, des faits, réunis sous la direction de Gabriel Marcel, de l'Institut. Plon, Paris 1958.*

Je suis né dans une ville de la côte algérienne, Bougie, qui fut, à une époque de l'histoire, la capitale de tout le Maghreb oriental, c'est-à-dire de toute l'Algérie, et le centre d'un grand rayonnement culturel pour toute l'Afrique du Nord. Ses habitants l'appellent depuis très longtemps « la petite Mecque », à cause du nombre important de saints qui y reposent.

Ce passé splendide chanté dans des poèmes arabes m'emplissait d'une fierté telle que j'eus à cœur de les apprendre en mon enfance, dès que je les découvris dans la bibliothèque de ma famille.

Mes ancêtres paternels étaient des magistrats et des imams. La mémoire de mon arrière-grand-père est, de nos jours encore, vénérée. Ma mère porte le nom d'Abdelmoumène, l'empereur almohade.

Je dois mes premières notions de langue arabe à mon père. Il me confia le moment venu à une école coranique où j'appris tout le Coran à l'âge de onze ans. Puis j'étudiai le français dans une école publique dont le directeur me destinait à l'Ecole Normale d'instituteurs. Cependant, désirant une double culture, j'entrai à la Médersa où, après six années d'études, je reçus un diplôme conférant le choix entre la magistrature et l'enseignement. Mon père me voulait magistrat parce que son père le fut. Mais je choisis l'enseignement par souci de répondre au besoin d'éducation du peuple.

Lorsque je reçus ma nomination, j'organisai, en dehors de mes obligations officielles, des cours pour les enfants abandonnés. Mais je

dus cesser cette action bénévole au moment où une copie d'un arrêté rectoral, interdisant cet enseignement pendant les heures officielles des cours, me fut adressée.

J'exerçai successivement dans quatre localités et partout, m'intéressant à toutes les méthodes d'éducation, j'encourageai ou fondai une école libre, un groupe scout, un cercle culturel et donnai des cours à la mosquée.

Plus tard, je fus muté d'office par l'administration dans un village du Sud algérien, lieu d'exil des hommes politiques. Cette mesure me mit devant un cas de conscience : l'accepter, c'était encourager l'injustice ; la refuser, c'était prévenir la même sanction à l'encontre de quiconque m'imiterait. Je pensai démissionner, mais, sous la pression de mes parents et de mes amis, je demandai une mise en disponibilité. Je sus quelques années après par un juge d'instruction que cette mesure avait été motivée par le fait que je n'avais pas fait usage de mon bulletin de vote lors des élections.

L'important, c'était que cette mesure me fit voir les contradictions de la politique. Je cherchai le remède. Cependant la nécessité matérielle m'amena à accepter la responsabilité du journal d'une association islamique réformiste dont je partageais les idées d'émancipation. Mais je dus abandonner cette fonction pour me consacrer au scoutisme musulman algérien dont j'étais l'aumônier général. L'administration française voulut en faire éliminer tous les éléments nationalistes. Le refus de l'immense majorité des chefs scouts provoqua une crise. Je fus désigné à l'unanimité à la présidence. Le mouvement s'exposa alors à l'hostilité de l'administration : refus de subventions, refus d'autorisations de tenir des fêtes, de faire des quêtes, expulsions de campeurs scouts par les gendarmes, intimidations et révocations de fonctionnaires scouts…

Ceci me détermina finalement à entreprendre la lutte politique. Je pensais que nous ne pourrions organiser notre société, dans tous les domaines, selon le véritable intérêt de notre peuple, que si nous étions réellement libres. Sortir notre peuple de la condition de colonisé pour en faire un peuple libre, telle était la lutte qui s'imposait à ma conscience. Ne pouvant le faire avec l'association islamique précitée, qui était apolitique, je lançai, avec l'aide d'un parti

nationaliste, un journal indépendant réclamant la révision des rapports entre la France et l'Algérie sur la base de la Charte des Nations Unies et de la Charte universelle des droits de l'Homme.

Je fus en butte à certaines brimades (entraves à la diffusion du journal dans certaines localités, convocation dans les bureaux des Renseignements généraux) et lorsque la révolte armée éclata en novembre 1954, je fus arrêté dans la première semaine par les agents de la DST (Défense de la Sécurité Territoriale), lesquels m'infligèrent des tortures. Celles-ci consistaient à appliquer dans la bouche et le nez de la victime déshabillée un tuyau d'où jaillissait avec force une eau glacée. Après évanouissement, la victime était ranimée par des coups à la tête et au dos. Je dus subir cette opération à trois reprises. Ensuite, je reçus aux reins des décharges électriques qui me faisaient tomber sans connaissance. L'opération, qui recommençait dès que je me ranimais, fut répétée jusqu'au moment où je ne pus plus me réveiller. Je reçus ensuite des coups de poing au ventre, au visage, à la tête.

Je vis la mort. Je priai Dieu. Le tortionnaire dit : « Ne fais pas le mort… tu es croyant… Dis à ton Dieu de te délivrer. » Il menaça de me jeter à la mer. Je sus plus tard qu'un jeune intellectuel algérien d'Oran avait connu cette fin tragique en cet endroit, événement rapporté par un hebdomadaire parisien à la fin de 1955. Dieu me délivra de ce sort comme Il me délivra encore plus tard, dans des circonstances semblables.

Après l'interrogatoire, je fus amené devant le juge qui m'apprit que j'étais « coupable d'atteinte à la sûreté extérieure de l'Etat ». Je fus conduit en prison, considéré comme détenu de droit commun. Après avoir été mis au secret dans une cellule pendant deux semaines, il me fut permis de passer une demi-heure par jour dans une cour sans soleil. Peu à peu le nombre des détenus augmentait. Un jour je rencontrai dans cette cour un jeune homme qui me dit : « C'est toi qui m'as amené en prison. – Mais je ne t'ai jamais rencontré et ne t'ai jamais dit d'attaquer quoi que ce soit. – C'est en lisant ton journal que le sang bouillonna dans mes veines. » Ces paroles me firent beaucoup réfléchir, ainsi que celles du juge d'instruction qui me dit : « Actuellement, il y a des chefs scouts dans le maquis et c'est vous qui en êtes responsable. » Pourtant ma lutte, aussi bien dans le scoutisme

que dans le journalisme, s'inspirait de considérations purement humaines. Je pensais sérieusement à la façon d'enseigner les grandes vérités.

Après quatre mois de détention, je fus mis en liberté provisoire. Lorsque l'un de mes avocats, qui était chrétien, me demanda ce que je pensais faire contre mes tortionnaires, je dis : « Ce sont des êtres dénaturés qui ont perdu le sens de l'humain et du divin et dont l'état nécessite une désintoxication beaucoup plus qu'autre chose. » Il me répondit : « Savez-vous ce que vous venez de faire ?... Vous venez de donner à un chrétien une leçon de charité chrétienne. »

Quelques semaines après ma libération, je rencontrai un jeune homme qui me parla d'une découverte : il s'agit d'un voyage qu'il fit en Europe et qui lui permit de découvrir une qualité de vie révolutionnaire idéale pour ceux qui croient en la nécessité d'une renaissance morale et spirituelle pour notre monde. Connaissant mes soucis à ce sujet, dit-il, il était venu me chercher pour m'en faire part. Cela suscita en moi une grande curiosité, qui m'incita à visiter Caux en Suisse, au début de septembre 1955. J'y arrivai avec scepticisme et méfiance, car, après avoir été enthousiasmé par la Charte des Nations Unies et la Charte universelle des droits de l'Homme, j'étais découragé de voir que non seulement ces Chartes n'étaient pas appliquées dans mon pays, mais surtout que ceux qui en réclamaient l'application s'exposaient à l'hostilité des gouvernants.

Arrivé à Caux, je me trouvai au milieu de gens de toutes nationalités et de toutes confessions. La première chose qui me frappa, fut de voir des Anglais et des Africains du Sud unis et s'excusant mutuellement de leurs torts les uns à l'égard des autres. Un étudiant africain dit qu'il avait une amertume telle que la disparition des Iles britanniques sous les eaux n'eût pas suffi à l'assouvir. Un autre avoua qu'il étudiait la physique dans le but de connaitre le secret atomique pour faire disparaitre un jour les Iles britanniques. Un ménage blanc du Kenya reconnut sa responsabilité dans l'apparition des Mau-Mau ; et pourtant ceux-ci avaient sacrifié le père de la femme en offrande à leurs dieux, parce qu'ils voyaient en lui le plus sage des blancs. Un jeune homme noir et sa sœur, dont le père avait été tué par les Mau-Mau, perdirent leur amertume après avoir reconnu qu'ils n'avaient pas de réponse à la division et à la haine. Tous découvrirent le secret du

changement qui apporte l'unité et la paix. Ces témoignages vivants d'un changement réel chez des hommes et des femmes qui se trouvaient dans des circonstances où il est généralement difficile d'être attentif à la voix de Dieu et aux conseils de la sagesse, me bouleversèrent. Et je fus convaincu de la possibilité du changement de la nature humaine et de l'efficacité de l'expérience enseignée à Caux.

Je rencontrai à un repas des Français auxquels je racontai mon histoire et les événements de mon pays. Ils furent profondément touchés et ils me firent humblement leurs excuses. Quand je leur dis qu'ils n'étaient pas responsables de la situation en Algérie, ils m'affirmèrent que c'était leur mode de vie qui avait permis à leurs compatriotes de créer cette situation. Un député français, avec qui j'eus un entretien, écrivit dans son journal un article relatant mon histoire ; il fut reproduit dans *Le Monde* du 23 septembre 1955.

Après une dizaine de jours à Caux, je rentrai en Algérie avec le regret de n'avoir pas connu cette expérience plus tôt. Deux semaines après, les gendarmes français de la ville où j'habitais vinrent m'informer que j'étais l'objet d'un arrêté d'expulsion avec le motif : « Présence de nature à entraver l'action des pouvoirs publics. » Je quittai l'Algérie au début d'octobre 1955 et j'allai à Paris dans l'intention de gagner le Caire. Je demandai un passeport ; on exigea que je justifie d'une résidence de trois mois à Paris. J'y restai pour répondre à cette exigence. Quelques jours après, je rencontrai certains amis de Caux. J'appris qu'un groupe de deux cents personnes de ce centre était en route pour Paris. J'eus la pensée de rester jusqu'à son arrivée. C'est alors que je compris l'importance de l'action de Caux à l'échelle mondiale, et j'eus l'espoir que cette qualité de vie qui reflète les vraies valeurs de la civilisation, devienne une réalité partout. C'est seulement dans un monde vivant ainsi que mon pays connaitra la paix et l'unité. La conscience de l'interdépendance entre mon pays et le monde en cette *ère idéologique* me décida à lutter avec ces hommes pour une ère nouvelle. La seule chose qui me fit hésiter, ce fut l'amertume que j'avais à l'égard de l'Occident à cause de son colonialisme, contre lequel j'ai toujours lutté.

On peut lutter pour ce qui est juste, sans amertume. Dans notre cas, je compris que guérir l'amertume c'est résoudre la moitié du

problème ; l'autre moitié, qui en est l'origine, réside dans l'esprit de domination, lequel est non moins curable. Ayant vu qu'un Occidental libéré de l'esprit de domination et un Africain libéré de l'amertume peuvent trouver l'unité, je découvris que la lutte des uns pour les autres est plus avantageuse pour l'humanité que la lutte des uns contre les autres et que changer les ennemis en amis constitue l'action morale la plus élevée dans les relations humaines.

Les exemples vivants de changement que j'avais vus renforcèrent ma confiance et ma foi. Les Français et les Algériens pourraient, tout comme d'autres, faire cette expérience. De nouvelles relations naitraient, d'où surgirait une Algérie renouvelée. Me trouvant alors à Paris dans une salle pleine de gens de toutes conditions, je m'excusai de mon amertume à l'égard des Français et des Occidentaux, et leur tendis une main fraternelle pour qu'ensemble nous luttions dans cet esprit, le seul susceptible d'assurer une paix réelle. L'auditoire fut très ému. Des personnalités françaises se levèrent pour exprimer leur émotion et dire leur détermination à lutter dans cet esprit.

Il était naturel que cet engagement, pris au moment où les passions étaient déchaînées dans mon pays, eût les répercussions que l'on peut deviner. En effet, à ce moment-là, ma femme et mes quatre enfants étaient en Algérie. Mon fils aîné, âgé de onze ans, entretenait la correspondance entre moi et la famille. Des amis leur apportaient un secours matériel. Quand ils apprirent mon engagement, ils retirèrent leur soutien. La lettre de mon fils qui m'apprit cette nouvelle, traduisait une grande inquiétude par la question : « Qu'allons-nous faire ? » Je répondis : « Ne pensez pas à l'argent. Pensez à Dieu et Il pourvoira. » Quelques jours après, je reçus la nouvelle qu'une somme importante leur était offerte par d'anciens élèves à moi qui habitaient une localité voisine et qui s'étaient cotisés spontanément. Plus tard, des perquisitions de l'armée dans le quartier voisin de notre demeure alarmèrent ma famille. Je décidai de la mener chez mon frère qui réside depuis vingt ans au Maroc.

Puis j'allai aux Etats-Unis pour y participer aux conférences du Réarmement moral auxquelles j'étais invité. Durant mon séjour à New York, en février 1957, la question algérienne était venue en discussion à l'Organisation des Nations Unies. J'y allai assister aux débats. J'y rencontrai deux délégations algériennes, dont chacune

déniait à l'autre le droit de représenter le peuple algérien. Il n'y avait aucun contact entre elles. J'essayai de lutter pour l'unité, mais en vain.

Après quatre mois de séjour aux Etats-Unis, je rentrai au Maroc. Quelques semaines plus tard, je fus appelé une nuit au téléphone. J'allai à la poste mais personne ne répondit à l'autre bout du fil. Je revins à la maison. Je trouvai notre voisin debout avec une personne à côté d'une voiture. Je leur serrai la main et soudain je me vis entouré de cinq hommes braquant sur moi des revolvers. Ils me lièrent les mains derrière le dos par des menottes et je fus emmené dans la voiture vers une ferme abandonnée où je passai la nuit au clair de lune, voyant sautiller des rats et entendant siffler des serpents. Je dus copier sous la menace d'un revolver une lettre à mon frère disant que je quittais subitement la maison pour servir ma patrie. C'était la veille du 14 juillet.

Le lendemain, je fus conduit à Rabat et enfermé dans une cellule. Une personne qui paraissait être le chef de la bande et que je connaissais pour un responsable dans l'une des deux grandes organisations nationales, vint me saluer respectueusement et m'apprit que les dirigeants de son organisation voulaient un entretien avec moi. Je protestai contre la façon dont on procéda pour cet entretien et rappelai que moi-même j'étais allé à leur bureau à Rabat pour les voir, sans y trouver, malgré une longue attente, la personne qui m'y fixa rendez-vous par téléphone, et que je gardais toujours l'intention d'une rencontre, n'ayant pas à me dissimuler devant qui que ce soit. « Nous connaissons ta haute valeur morale, ta lutte magnifique, ton passé sans tache. Ceci garantira que rien de mal ne t'arrivera », dit-il. Il me donna un costume, parce que je fus pris dans ma gandoura à l'improviste. Je fis ma prière, puis je fus conduit à Oujda. Le chauffeur se tourna vers moi et dit : « je suis ton ancien élève. Je connais ta grandeur morale. Nous savons apprécier les hommes. Nous n'aimons pas l'injustice. Tu seras traité comme un hôte. » A Oujda, je fus enfermé dans une maison isolée. Je recevais chaque jour un morceau de pain et deux sardines de conserve, auxquelles je préférais un verre d'eau dans lequel je trempais le pain sec. Cinq jours après, le commissaire de leur groupe et dix hommes, l'air menaçant, vinrent m'interroger sur mes activités, après m'avoir enlevé la chemise et lié les mains derrière le dos par des menottes. Deux semaines plus tard, le responsable principal pour le Maroc de cette

organisation nationale, armé d'une mitraillette et d'une cravache, vint m'interroger à son tour. Il m'informa qu'il avait reçu de son représentant à New York une lettre alléguant que j'appartenais à l'organisation opposée, alors que j'en étais indépendant et le demeure, sans pour autant être contre elle ni contre ses adversaires, étant convaincu de la possibilité du *changement qui apporte l'unité constructive*. Après avoir été torturé et menacé de mort, il me fut demandé où j'irais si j'étais libéré. Je répondis : « Je continuerais ma lutte pour le Réarmement moral du monde. » Je regagnai ma cellule avec des traces de cravache sur le corps et des douleurs au ventre et à la tête, provoquées par des coups de poings.

Plus tard, des Algériens qui étaient les premiers chefs de l'armée de libération, furent amenés dans cette prison. Après six mois de détention, l'un d'eux me suggéra de nous évader, en rappelant que notre emprisonnement n'était ni juste ni dans l'intérêt du peuple et que l'intention de ceux qui nous avaient arrêtés était de nous supprimer. Je répondis : « Dieu sait mieux que nous ce qu'il est juste de faire. Il nous a amenés ici pour une raison que nous ignorons. Nous allons le prier de nous montrer ce qu'il faut faire : s'il est juste de nous évader, nous nous évaderons ; s'il est juste de rester, nous resterons. » Nous fîmes la prière. La nuit, je vis en rêve que je fuyais avec un ami sur un terrain couvert de gazon vert, poursuivis par un serpent énorme sans être atteints. Le lendemain, je dis à mes amis que Dieu nous autorisait à partir et que nous serions poursuivis par nos adversaires, mais que nous avions la promesse de la protection divine. Quelques jours après, nous nous évadâmes en plein jour, après avoir ligoté et désarmé les gardiens. La route que nous parcourions traversait des terrains couverts de gazon vert. Nous nous séparâmes à Casablanca, après y avoir rencontré nos adversaires et échappé à un sort tragique. Je rentrai chez moi, où je fus reçu comme un revenant. Quelques jours après, je décidai de quitter le Maroc.

Durant mon séjour à l'étranger, je vivais dans une grande inquiétude au sujet de mes amis, dont j'étais sans nouvelles. Je priais sans cesse pour eux. Plus tard, j'appris qu'ils avaient pu quitter le Maroc un mois après que je l'eus quitté moi-même et qu'ils avaient gagné l'étranger. Je vis alors clairement la véracité de la promesse divine et je compris mieux la puissance de la prière et de la confiance en Dieu, réalisant cette grande vérité qui dit que « les miracles viennent à travers

l'obéissance inconditionnelle à Dieu ». En effet, après notre évasion, nous apprîmes qu'il était question de nous exécuter deux jours plus tard. Cinq semaines après, des coups de feu furent tirés à bout portant sur mes amis, mais Dieu les protégea. Comment expliquer cela autrement que comme un miracle ?

Il est inutile ici d'entrer dans des spéculations philosophiques. La puissance de la prière nous fut démontrée à une autre occasion. Nous étions détenus dans des lieux où nous ne résidions pas longtemps. Nous changeâmes de résidence à quatre reprises. Nous fûmes amenés une nuit dans le cabinet d'un dentiste, d'où on avait enlevé tout le matériel. Nous fûmes enfermés dans une salle dont on avait bouché complètement les fenêtres. Il n'y avait ni air ni lumière. L'un de nous prit le balai pour nettoyer par terre. Une grande poussière fut soulevée qui rendit l'air irrespirable. Nous demandâmes au gardien de nous laisser sortir au lavabo pour nous laver et boire. Pour toute réponse, il ferma la porte. Quelques uns suggérèrent de prier contre lui. Je leur dis que nous étions dans une situation d'opprimés et leur rappelai le mot du Prophète : « Redoutez l'imprécation de l'opprimé, car aucun voile ne s'interpose entre lui et Dieu », et qu'il fallait par conséquent prier, non pour le malheur de cet homme, mais pour qu'il ne revint plus comme gardien. Nous fîmes cette prière. Depuis cette nuit-là, nous ne le revîmes plus.

La prière fut aussi d'un grand secours moral pour nous. Des prisonniers étaient emmenés de leur cellule la nuit ; le lendemain, nous ne retrouvions plus que leurs vêtements. Nous étions alors en proie à de fortes émotions, pensant que notre tour allait venir la nuit suivante. Je ne peux décrire ma douleur lorsque j'appris, par un prisonnier, la mort sous les tortures au Maroc, d'un avocat éminent d'Oran, un patriote sincère. Je pensais aussi que je pouvais subir le même sort. C'est seulement la prière et la foi en Dieu qui nous donnaient le courage et nourrissaient notre espoir dans une délivrance. A la suite d'un recueillement un matin, j'eus la pensée que le vrai prisonnier n'est pas celui qui est entre quatre murs, mais celui qui est prisonnier de ses ambitions, de ses craintes et de ses rancœurs. J'éprouvai une grande libération. Tous les prisonniers auxquels je fis part de cette pensée pour répondre à leur étonnement, éprouvèrent le même soulagement. Je les encourageai à faire la prière et ils décidèrent de la faire régulièrement. Il y eut même parmi les dix

gardiens qui nous surveillaient, cinq qui venaient la faire avec nous. Les autres étaient étonnés de voir « la prison changée en mosquée ». Chaque prisonnier nouveau, ignorant ou instruit, venait faire la prière avec nous et même ceux qui ne l'avaient jamais faite dans leur vie apprirent à la faire avec beaucoup de foi et de confiance en Dieu. Un jeune homme qui avait été torturé presque jusqu'à la mort, vint, après s'être remis de ses tortures, nous dire sa joie de se sentir dans « une école » non dans une prison. Il récitait le Coran et priait avec ferveur.

Je compris l'effet de la foi vécue et les conséquences graves d'une spiritualité non vécue. S'il est des gens qui croient possible d'agir impunément avec inconséquence à l'égard de Dieu, parce que la justice divine qui est immanente se fait souvent attendre, l'inconséquence avec soi-même, quand elle est consciente, se confond avec l'escroquerie morale. Prôner les principes d'émancipation et les bafouer systématiquement, condamner la torture et l'assassinat et les perpétrer froidement nous ont conduits à une situation alarmante. Si les pertes de vies humaines et les dépenses financières énormes sont déplorables, la destruction des valeurs de la civilisation est sans doute le dommage le plus grave. Tel est l'aboutissement normal d'un comportement avec la morale au service de l'intelligence. Comment serait le monde avec l'intelligence au service de la morale ! C'est seulement dans le recueillement sincère que Dieu nous donne la lumière. Dans ma situation, tout ce que j'ai vu et subi depuis mon engagement dans la lutte libératrice me fit méditer sur cette lutte, sur la nécessité d'être conséquent avec soi-même et sur ma destinée et celle de mon pays.

Comment apporter la vraie liberté à l'Algérie ? Les esclaves de l'esprit de domination, d'exploitation, de supériorité, ne peuvent pas la lui donner. Les esclaves des ambitions, des craintes et des rancœurs ne peuvent pas la lui donner. Seuls des hommes réellement libres, avec un cœur pur et des mains propres, pourront apporter cette vraie liberté à leur pays et au monde. C'est pour cette liberté que j'ai décidé de lutter. Dans ma lutte pour mes idées et mes convictions, j'ai beaucoup souffert et j'ai été amené deux fois devant la mort. Dans l'attente de la mort, il m'était venu cette pensée : « Tu n'es rien, tu n'as rien ; Dieu est la seule Réalité. C'est Lui seul qui donne un sens à ton existence. La vie n'a aucune valeur, sauf si elle est nourrie d'une idée inspirée de Dieu. » C'est avec la conscience de cette vérité que

j'ai la croyance nécessaire pour vivre.

A la lumière de ces considérations, je dois dire que dans tout ce qui m'est arrivé, tant du côté français que du côté algérien, une part de responsabilité m'incombe à moi-même, car je n'ai pas su lutter d'une façon efficace pour l'unité. Je sais maintenant que l'unité des uns et des autres vient du changement des uns et des autres. Il est dit dans le Coran : « Dieu ne change la condition des hommes que si ces hommes décident de changer eux-mêmes. » Je sais pour ma part que cela doit commencer par moi-même. Je sais combien cela est coûteux. J'ai décidé d'en payer le prix pour réaliser la volonté de Dieu.

من سجنَين إلى الحرية

شهادة محمود بوزوزو نشرت في "منبر حر" عدد 39، تغيير أمل: نحو لقاء مع إعادة التسلح الأخلاقي، شهادات، وقائع جمعت بإشراف غبريل مرسيل" من المعهد، بلون، باريس، 1958.

وُلدتُ في مدينة بجاية على الساحل الجزائري، والتي كانت في فترة من التاريخ عاصمة المغرب الشرقي أي الجزائر بأكملها ومركز إشعاع ثقافي عظيم بالنسبة لأفريقيا الشمالية. فسكانها يسمونها منذ زمن بعيد "مكة الصغيرة" نظرًا لكثرة أوليائها الذين ترقد جثامينهم في ترابها.

هذا الماضي المجيد الذي تغنّت به القصائد العربية كانت تملأني بالفخر لدرجة أنني حرصت على حفظها منذ نعومة أظافري، عندما اكتشفتها في مكتبة أسرتي. فقد كان أجدادي لأبي قضاة وأئمة، ولازالت ذكرى جدّ أبي معظّمة لحدّ الآن، أما أمي فتحمل اسم عبد المؤمن مؤسس الدولة الموحّدية.

لقّنني أبي أوّل مبادئ اللغة العربية، وعندما حان الوقت، أدخلني إلى كتّاب قرآني حيث حفظت القرآن كله في سن الحادية عشر، ثم درست اللغة الفرنسية في مدرسة عمومية كان مديرها يعدّني للمدرسة العليا للمعلمين. لكن لحرصي على اكتساب ثقافة مزدوجة، التحقت بمدرسة خاصة حصلت فيها بعد ستّ سنوات على شهادة تمنحني حق الاختيار بين القضاء والتعليم. كان والدي يريد أن أصبح قاضيًا لأنّ أباه كان كذلك، لكنني اخترت التعليم حرصًا مني على تلبية حاجة الشعب إلى التربية.

وحين تمّ تعييني، نظّمت، بالإضافة إلى واجباتي الرسمية، دروسًا لفائدة الأطفال المهجورين، لكنني اضطررت إلى إيقاف هذا العمل الخيري عندما وصلتني نسخة من قرار عمادي يمنع القيام بذلك أثناء التوقيت الرسمي للدروس.

مارستُ التعليم في أربع بلدات الواحدة تلو الأخرى حيث كنت أهتمّ بجميع المناهج التربوية وكنت أشجّع أو أؤسس مدارس حرة ومجموعات كشفية وحلقات ثقافية وكنت ألقي دروسا في المساجد.

لكن بعد ذلك تمّ تنقيلي من طرف المؤسسة إلى قرية في جنوب الجزائر، حيث كان يُنفى السياسيون. هذا الإجراء اضطرّني إلى مواجهة صريحة مع النفس. فالخضوع له كان يعني تشجيع الظلم، أما رفضه فكان يعني تفادي وقوع نفس العقوبة على كل من يجرؤ على محاكاتي. فكّرت في الاستقالة لكنني تحت ضغط والدي وأصدقائي طلبت إحالتي على الاستيداع. علمت بعد بضعة سنوات من أحد قضاة التحقيق أنّ الدافع إلى هذا الإجراء كان أنّي لم أدلِ بصوتي في الانتخابات.

المهمّ أنّ هذا الإجراء مكّنني من اكتشاف تناقضات السياسة فبحثت عن العلاج، إلا أنّ إكراهات المعاش دفعتني إلى القبول بأن أكون مسؤولًا عن صحيفة لجمعية إصلاحية إسلامية كنتُ أشاركها نفس الأفكار التحررية. لكنني تخلّيت عن هذه المهمة لأتفرّغ كلّيًا للكشافة الإسلامية الجزائرية التي كنت مرشدها العام والتي كانت الإدارة الاستعمارية تريد أن تطرد منها كل العناصر الوطنية.

وبسبب رفض الأغلبية الساحقة من قادة الكشافة، اندلعت أزمة انتخبتُ في خضمها رئيسا بالأغلبية. فأصبحت حركة الكشافة مستهدفة من قِبل الإدارة التي حرمتها من الإعلانات والرخص ومنعتها من تنظيم الحفلات وجمع التبرعات وقامت بطرد المخيمين الكشافة بواسطة رجال الدرك وتهديد وإبعاد الموظفين الكشافة...

كل ذلك دفعني أخيرًا إلى النهوض بالنضال السياسي. كنت أرى أننا لن ننجح في تنظيم مجتمعنا في جميع المجالات حسب مصلحة شعبنا إلا إذا كنا أحرارًا. كان إخراج شعبنا من وضع المستعمَر ليصبح شعبًا حرًا هي قضية الكفاح التي كانت تفرض نفسها على ضميري، وبما أنني كنت عاجزًا عن القيام بذلك من داخل المنظمة الإسلامية المذكورة – باعتبارها غير مسيّسة – فقد أصدرتُ، بمساعدة حزب وطني، صحيفة مستقلّة تطالب بمراجعة العلاقات بين فرنسا والجزائر على أساس ميثاق الأمم المتحدة والميثاق العالمي لحقوق الإنسان.

اصطدمتُ طبعًا ببعض الإجراءات التعزيرية من عرقلة لتوزيع الصحيفة في بعض البلدات، واستدعاءات إلى مكاتب الاستعلامات العامة، وعندما اندلعت الثورة المسلّحة في نوفمبر 1954، اعتقلتُ في الأسبوع الأول من طرف عناصر جهاز الدفاع عن الأمن الترابي (الفرنسي) الذين مارسوا عليّ أصنافا من التعذيب.كانوا يضعون في فم وأنف الضحية المعرّاة أنبوبا ينبع منه ماء مثلج. وبعد الإغماء يتمّ إيقاظ الضحية بضربات على رأسها وظهرها. خضعتُ لهذا التعذيب ثلاث مرات. ثم تلقّيت في أسفل الظهر صعقات كهربائية كنتُ أفقد عقبها الوعي. وكلّما كنتُ أبدأ بالحراك، كانت العملية تُستأنف إلى أن أصبحتُ عاجزًا كليّا عن الاستيقاظ. عندها تلقّيتُ لكمات في البطن والوجه والرأس.

في تلك اللحظات، عاينتُ الموت ودعوتُ الله. كان الجلاد يقول: "لا تتماوت... أنت مؤمن... قل لإلهك أن يخلّصك". هدّدني بإلقائي في البحر. وعلمتُ فيما بعد أنّ مثقّفًا جزائريًا شابًّا من وهران لقي هذا المصير المأساوي في هذا المكان، وهو الحدث الذي نقلته أسبوعية باريسية نهاية سنة 1955. أنقذني الله من هذا المصير كما سينقذني فيما بعد في ظروف مشابهة.

وبعد الاستنطاق، تمّ تقديمي للقاضي الذي أخبرني بأنني "مدان بالمساس بالأمن الخارجي للدولة". ثم تمّ اقتيادي إلى السجن باعتباري سجينًا للحق العام وبعد وضعي بسرية في زنزانة طيلة أسبوعين، سُمح لي بإمضاء نصف ساعة يوميًا في ساحة لا تصلها أشعة الشمس. تزايد عدد المعتقلين تدريجيًا والتقيت في أحد الأيام في هذه الساحة بشاب قال لي: "أنتَ الذي جئت بي إلى السجن"، أجبته: "لكنني لم ألتق بك أبدًا ولم آمرك بمهاجمة أيٍّ كان"، فردّ قائلا: "عندما قرأتُ صحيفتك، غلى الدم في عروقي". هذه الكلمات دفعتني إلى التفكير مليًا كما فعلَتْ كلمات قاضي التحقيق التالية: "حاليًا، هناك قادة كشافة متمرّدون وأنت المسؤول عن ذلك". هذا رغم أنّ كفاحي، سواء في الكشافة أو الصحافة، كان مستوحى أصلًا من اعتبارات إنسانية خالصة. فكّرت جدّيًا في طريقة تلقين الحقائق الكبرى.

وبعد احتجاز دام أربعة أشهر، تمّ إطلاق سراحي مؤقّتا وعندما سألني أحد محاميَّ الذي كان مسيحيًا عن ماذا أنوي فعله ضد جلادي، أجبته قائلا: "إنهم كائنات مشوّهة فقدَتْ معنى كل ما هو إنساني وإلهي، تتطلّب حالتها العلاج أكثر من أيّ شيء آخر". أجابني

حينها: "هل تعلم ماذا فعلت؟ لقد قُمت بتلقين مسيحيٍ درسًا في التسامح المسيحي".

بعد بضعة أسابيع من إطلاق سراحي، التقيتُ بشاب حدثني عن اكتشافه، فقد قام برحلة إلى أوربا مكنته من التعرف على نموذج مثالي للحياة الثورية بالنسبة للذين يؤمنون بضرورة الانبعاث الأخلاقي والروحي لعالمنا. ولمعرفته – كما يقول – باهتمامي بالموضوع، بحث عني لإطلاعي على الأمر. ثار فضولي فاتجهت إلى بلدة كو بسويسرا بداية سبتمبر 1955 حيث حللتُ وكلّي شكّ وارتياب. لأنني بعد تحمّسي لميثاق الأمم المتحدة والميثاق العالمي لحقوق الإنسان أصبتُ بخيبة أمل ليس فقط لأنني رأيتُ أنّ هذين الميثاقَين غير مطبّقَين في بلدي ولكن خصوصًا لكون المطالبين بتطبيقها يتعرّضون لسطوة الحكام.

لدى وصولي إلى كو، وجدتُ نفسي وسط أناس من جميع العقائد والجنسيات وصُدِمتُ عندما رأيت إنجليزًا ومواطنين جنوب أفريقيين يتبادلون الاعتذارات عما تسبّبه كل طرف للآخر. صرّح طالب أفريقي أنّ المرارة التي كانت لديه لم تكن لتختفي ولو اختفت الجزر البريطانية تحت المياه، واعترف آخر بأنه يدرس الفيزياء للتعرّف على السرّ النووي الذي سيمكّنه من محو الجزر البريطانية من الوجود. كما أقرّ زوجان كينيان بمسؤوليتها عن ظهور "الماوْماوْ" رغم أنّ هؤلاء كانوا قد قدّموا أب الزوجة قربانًا إلى آلهتهم لكونهم اعتبروه أكثر البيض حكمة. وقد تعافى شاب أسود وأخته – التي لقيَ أبوها حتفه على يد "الماوْماوْ" – من مرارتها بعد اعترافها بعدم امتلاك أيّ ردّ على التنازع والحقد. فكلهم اكتشفوا سرّ التغيّر الذي يمنح الوحدة والسلام. كل هذه الشهادات الحية على حدوث تغيّر حقيقي لدى رجال ونساء كانوا في ظروف يصعب على المرء فيها أن يستجيب لصوت الإله ونداء الحكمة، قلبتني رأسًا على عقب. فاقتنعتُ بإمكانية تغيّر البشرية وفعالية التجربة الملقّنة في كو.

التقيتُ على المائدة فرنسيين حكيتُ لهم قصتي والأحداث التي تدور في بلدي. تأثّروا كثيرًا وقدّموا اعتذاراتهم بكل تواضع. وعندما أكدتُ لهم أنهم ليسوا مسؤولين عن الوضع في الجزائر، أجابوني بأنّ طريقة عيشهم هي التي مكّنت مواطنيهم من إنتاج هذه الوضعية. كما قام نائب فرنسي، كنت قد حاورته، بكتابة قصتي في صحيفته ونقلت المقال جريدة "لوموند" في عددها الصادر يوم 23 سبتمبر 1955.

بعد حوالي عشرة أيام قضيتها في كو، عدتُ إلى الجزائر وأنا متحسّر على كوني لم أتعرّف

على هذه التجربة من قبل، وبعد أسبوعين، جاء رجال الدرك الفرنسي إلى المدينة التي كنت أقطنها ليخبروني بأنني موضوع قرار بالطرد لكون "وجودي يشكل عائقًا أمام عمل السلطات العمومية". غادرتُ إذن الجزائر في بداية أكتوبر 1955 إلى باريس وأنا أنوي التوجّه إلى القاهرة، طلبتُ جواز السفر، فأُخبِرتُ أنّ ذلك مشروط بالإقامة في باريس لمدّة ثلاثة أشهر. لبثتُ إذن هناك والتقيتُ بعد بضعة أيام أصدقاء من كو. علمتُ أنّ مجموعة من مائتي شخص من هذا المركز قادمة إلى باريس وفكّرتُ في البقاء لانتظار قدومها، حينئذ أدركتُ أهمية تحرّك كو على الصعيد العالمي وتمنّيتُ أن يصبح هذا النمط من الحياة الذي يعكس القيم الحقيقية للحضارة واقعًا سائدًا في جميع الأرجاء. لن يتمتّع بلدي بالسلام والوحدة إلا في عالم يعيش هذا الواقع، وانطلاقًا من وعيي بالعلاقة المتبادلة بين بلدي والعالم في هذا العصر الإيديولوجي، قرّرتُ أن أناضل مع هؤلاء الرجال من أجل صناعة عهد جديد. كان تردّدي الوحيد بفعل المرارة التي كنت أحسّ بها تجاه الغرب بسبب استعماره الذي كنتُ دائمًا أحاربه.

إنّ النضال من أجل قضية عادلة يمكن أن يتمّ دون مرارة. وفيما يخصّ حالتنا، أدركتُ أنّ الشفاء من المرارة يعني حلّ نصف المشكل، أما النصف الآخر الذي يشكّل مصدر المشكل فيكمن في روح الهيمنة القابلة أيضًا للعلاج. وانطلاقًا مما رأيتُ من إمكانية الوحدة بين غربيٍّ تحرّر من روح الهيمنة وأفريقيٍّ أُعتق من المرارة، اكتشفتُ أنّ كفاح كل طرف من أجل الآخر هو أفضل بالنسبة للبشرية من تقاتلهما وأنّ تحويل الأعداء إلى أصدقاء يشكّل الفعل الأخلاقي الأكثر سموًّا في العلاقات الإنسانية.

لقد رسّخت الأمثلة الحيّة للتغيّر التي رأيتها ثقتي وإيماني. فالفرنسيون والجزائريون يمكنهم، مثل الآخرين، أن يقوموا بالتجربة، ومن العلاقات الجديدة الناشئة ستبرز جزائر متجدّدة. حينئذ، في باريس وفي تلكم القاعة المليئة بأناس من جميع الأوضاع، قمتُ بالاعتذار عن مرارتي تجاه فرنسيين وغربيين ومددتُ لهم يدًا أخوية لعلّنا جميعا نناضل وِفق هذه الروح التي تكفل لوحدها تحقيق سلام حقيقي. تأثّر الحضور كثيرًا وقامت شخصيات فرنسية للتعبير عن أحاسيسها وعن عزمها على الالتزام بهذه الروح.

كان من الطبيعي أنّ هذا الالتزام، الذي تمّ اتخاذه في وقت كانت في الانفعالات هائجة داخل بلدي، سيثير نتائج يمكن تخمينها، فحينها، كانت زوجتي وأطفالي الأربعة في الجزائر وكان ابني البكر مكلّفًا بالتراسل بيني وبين أسرتي. كان بعض الأصدقاء يساعدونهم ماديًا،

لكنهم حين عِلِموا بالتزامي تخلّوا عن هذا الدعم. كانت رسالة ولدي التي تخبرني بذلك تعكس قلقًا شديدًا حول الموضوع: "ما الذي سنفعله؟" أجبته: "لا تفكروا في المال. اذكروا الله وهو سيعينكم". وبعد عدة أيام علمتُ أنهم توصّلوا بمبلغ هام من بعض تلامذتي القدامى الذين كانوا يسكنون بلدة مجاورة والذين تبرّعوا بكل عفوية. وبفعل عمليات التفتيش التي بدأ الجيش القيام بها في الحيّ المجاور لمنزلي، بدأ الخوف يدبّ إلى أسرتي فقرّرتُ نقلها إلى المغرب حيث يقيم أخي منذ عشرين سنة.

ثم ذهبتُ إلى الولايات المتحدة للمشاركة في مؤتمرات إعادة التسليح الأخلاقي التي دُعيت إليها، وأثناء وجودي بنيويورك، في فبراير 1957 نوقشَت المسألة الجزائرية في منظمة الأمم المتحدة. كنتُ هناك لحضور النقاش والتقيتُ بوفدين جزائريين كان كل واحد منهما ينكر حقّ الآخر في تمثيل الشعب الجزائري ولم يكن بينهما أيّ اتصال. اجتهدت من أجل الوحدة، لكن دون جدوى.

وبعد أربعة أشهر من إقامتي في الولايات المتحدة، عدتُ إلى المغرب. وبعد عدة أسابيع، تلقّيت ذات ليلة نداءً هاتفيًا. اتجهت إلى مركز البريد لكنني لم أتلقّ أيّ ردّ من الطرف الآخر فعدتُ إلى البيت ووجدت جارنا واقفًا مع شخص بجانب سيارة. صافحتُهما وفجأة وجدتُ نفسي محاطًا بخمسة رجال يصوّبون مسدساتهم إليّ. قيّدوا يديَّ خلف ظهري وحملوني في السيارة إلى مزرعة مهجورة حيث قضيتُ الليلة في العراء، وحولي الفئران تقفز والثعابين تفحّ. تحت تهديد المسدّس قمتُ بنسخ رسالة إلى أخي تخبره بأنني أغادر البيت لأخدم وطني. كانت تلك ليلة 14 جويلية.

في الغد، تمّ اقتيادي إلى الرباط وحبسي في زنزانة. جاء شخص يبدو أنه رئيس المجموعة وكنتُ أعرفه كمسؤول عن إحدى المنظمتين الوطنيتين فحيّاني باحترام وأخبرني أنّ قادة منظمته يرغبون في مقابلتي. قمتُ بالاحتجاج على الطريقة التي تمّ بها هذا اللقاء وذكرتُ بأنني كنت قد ذهبتُ إلى مكتبهم في الرباط لمقابلتهم لكنني، رغم انتظار طويل، لم أجد الشخص الذي حدّد لي بالهاتف موعدًا هناك وأنني لازلت أنوي السعي إلى هذا اللقاء لأنني لا أكتم ما أومن به أمام أيّ أحد. أجابني قائلا: "إننا نعرف مستواك الخلقي الرفيع ونضالك الرائع وماضيك الناصع، وهذا ما يضمن لك الأمان من كل سوء". ناولني بدلة لأنهم أخذوني وأنا أرتدي قميصا. صلّيتُ، وبعدها أخذوني إلى وجدة. استدار السائق نحوي مخاطبا: "أنا أحد تلاميذك القدامى، أنا أعرف سموك الأخلاقي، ونحن نعرف كيف

نقدّر الرجال، نحن لا نحبّ الظلم وستُعامل كضيف". بوجدة، حُبستُ في منزل منعزل وكنتُ أتلقى كل يوم قطعة خبز وسمكتي سردين مصبّرتين كنت أفضّل عليها كوب ماء كنتُ أغمس فيه الخبز الجاف. بعد خمسة أيام، حضر عميد مجموعتهم صحبة عشرة رجال لاستنطاقي بطريقة خشنة حول أنشطتي بعد أن أزالوا قميصي وقيّدوا يديَّ خلف ظهري بالأصفاد. وبعد أسبوعين، جاء المسؤول الرئيسي في المغرب عن هذه المنظمة الوطنية وفي يده رشّاش وسوط لاستنطاقي بدوره. أخبرني أنه تلقّى من ممثّله في نيويورك رسالة يدّعي فيها أنني أنتمي إلى المنظمة المناهضة، بينما كنتُ ولا زلت مستقلًا عنها، دون أن يعني ذلك معارضتي لها أو لخصومها، إيمانًا بإمكانية التغيير الذي يحقق الوحدة البناءة. بعد تعذيبي وتهديدي بالموت، سألوني عن وجهتي في حالة إطلاق سراحي فأجبتُ قائلا: "سأواصل كفاحي من أجل إعادة التسليح الخلقي للعالم"، ثم عدتُ إلى زنزانتي وجسدي مثخن بآثار السوط وآلام البطن والرأس التي تسبّبت فيها اللكمات.

بعد فترة، جيء بجزائريين كانوا من أوائل قادة جيش التحرير إلى هذا السجن. وبعد ستة أشهر من الاحتجاز، اقترح عليّ أحدهم محاولة الفرار مع تذكيري بأنّ سجننا لم يكن عادلًا ولا في مصلحة الشعب وبأنّ الذين اعتقلونا ينوون إعدامنا. أجبته قائلا: "الله يعلم أكثر منّا ما يجب فعله. لقد جاء بنا هنا لسبب نجهله ولذلك سندعوه ليدلّنا على ما يجب فعله. وإذا كان الصواب يستدعي الفرار فسنفرّ". صلينا إذن وفي تلكم الليلة رأيتُ في المنام أنني أفرّ مع صديق لي في أرض مغطاة بالحشيش الأخضر بينما يطاردنا ثعبان ضخم لم يتمكن من اللحاق بنا. في الغد أخبرتُ أصدقائي أنّ الله أذن لنا بالرحيل وأننا سنطارَد من طرف خصومنا وأننا موعودون بالعناية الربانية. بعد عدة أيام، قمنا بالفرار نهارًا بعد تجريد الحرّاس من السلاح وتكبيلهم وكانت الطريق التي نسلكها تخترق أراضي مغطاة بالعشب الأخضر. افترقنا في الدار البيضاء بعد أن كنّا قد التقيا فيها بخصومنا وبعد إفلاتنا من مصير مأساوي. عدتُ إلى بيتي حيث استقبِلتُ مثل ميّت بُعث إلى الحياة من جديد. وبعد عدة أيام قرّرت مغادرة المغرب.

أثناء مقامي في الخارج، كنتُ أعيش قلقًا كبيرًا بخصوص أصدقائي الذين انقطعت أخبارهم عني. كنت أدعو لهم بدون انقطاع. وعلمتُ فيما بعد أنهم تمكّنوا من مغادرة المغرب إلى الخارج بعد شهر من رحيلي. وهنا عاينتُ بوضوح حقيقة الوعد الإلهي وأدركتُ القوة التي يمنحها الدعاء والثقة في الله بعد رؤيتي تحقّق الوعد الملخّص في الحقيقة التالية: "اتق الله، ترى عجبًا". فقد علمنا بعد هروبنا، أنّ النية كانت معقودة على إعدامنا بعد يومين. وبعد

خمسة أسابيع، تعرّض أصدقائي لطلقات نارية عن قرب، لكن الله حفظهم. كيف يمكن تفسير ذلك إلا بمعجزة؟

لا فائدة هنا من الدخول في تخرّصات فلسفية فقد ظهرت لنا بوضوح قوة الدعاء في مناسبة أخرى. كنا محتجزين في أماكن لم يطل مقامنا بها، وغيّرنا مكان إقامتنا أربع مرات. جيء بنا ذات ليلة إلى عيادة طبيب أُخليت من جميع معدّاتها وحُبسنا في قاعة سُدّت جميع نوافذها، فلم يكن يتسرّب الهواء أو الضوء إليها. أخذ أحدنا المكنسة لتنظيف البلاط فتطاير الغبار وأصبح الهواء مشبعًا به، طلبنا من الحارس أن يدعنا نذهب إلى المغسل ونشرب، لكنه ردّ علينا بإغلاق الباب. اقترح بعضهم أن ندعو عليه فذكّرتهم بأننا مظلومون وأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اتّق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب"، ولذلك علينا أن لا ندعو عليه بل له لكي لا يعود إلينا أبدًا كسجّان. دعونا الله إذن ومنذ تلك الليلة لم نعد نراه.

كانت الصلاة أيضًا ملاذًا نفسيًا لنا. كان بعض السجناء يُؤخذون ليلًا من زنزانتهم ولم نكن نعثر في الغد سوى على ملابسهم. لذلك كانت تتنازعنا انفعالات قوية ونحن ننتظر دورنا في الليلة الموالية. ولا يمكنني أن أصف الألم الذي تملّكني عندما علمتُ من أحد السجناء أنّ محاميًا مرموقًا في وهران وكان وطنيًا مخلصًا، توفي تحت التعذيب وعلمتُ أنني قد ألقى نفس المصير. كان الدعاء والإيمان بالله فقط يمداننا بالشجاعة ويغذّيان أملنا في الحرية. وبعد فترة خشوع ذات صباح، خطر لي أنّ السجين الحقيقي ليس ذلك الذي يقبع بين أربعة جدران بل هو حبيس مطامعه ومخاوفه وأحقاده. وشعرتُ بالتحرّر، كما تملّك هذا الشعور بالارتياح جميع السجناء الذي أطلعتهم على هذه الخاطرة للإجابة على استغرابهم. شجّعتهم على الصلاة فقرّروا أن يواظبوا عليها، بل إنّ خمسةً من الحراس الذين كانوا يراقبوننا كانوا يأتون للصلاة معنا، أما الآخرون فكانوا مندهشين لرؤية "السجن يتحول إلى مسجد". كان كل سجين جديد، جاهل أو متعلّم، يأتي للصلاة معنا بل إنّ أولئك الذين لم يفعلوا ذلك من قبل تعلّموا أن يصلوا بإيمان ويقين في الله. فمثلًا جاء شاب كان قد عُذّب إلى الموت بعد أن استردّ عافيته ليعبّر عن سعادته بوجوده في "مدرسة" وليس في سجن. كان يتلو القرآن ويصلي بخشوع.

أدركتُ أثر الإيمان حين نعيشه والنتائج الخطيرة لفقدان الروحانية. فإذا كان بعض الناس يرون أنه من الممكن ظلم الآخرين دون خشية من عقاب الله، لأنّ العدالة الإلهية الواقعة

حتمًا غالبًا ما تنزل بمهل، فإنّ مخادعة النفس حين تكون واعية تتطابق مع الاحتيال الأخلاقي. فالدعوة إلى مبادئ التحرّر وخرقها بانتظام، وإدانة التعذيب والاغتيال مع ممارستها بكل برودة، قادنا إلى وضعية تنذر بالخطر. وإذا كانت الخسائر البشرية والمصاريف المالية الضخمة كبيرة، فإنّ تدمير قيَم الحضارة هو دون شك أكبر خسارة. وتلك هي النتيجة الطبيعية لسلوك يسخّر الأخلاق للذكاء. كيف سيكون العالم لو كان الذكاء في خدمة الأخلاق! لأنّ الله لا يمنحنا النور إلا إذا استغرقنا في الخشوع الخالص. بالنسبة لوضعيتي كان كل ما رأيتُه وعشتُه منذ انخراطي في الكفاح التحريري يدفعني إلى تأمّل هذا النضال والتفكير في ضرورة الانسجام مع الذات ومع مصير الذات ومصير البلد.

كيف نمنح الحرية الحقيقية للبلد؟ لا يمكن لعبيد روح الهيمنة والاستغلال والاستعلاء أن يمنحوا هذه الحرية. لا يمكن لعبيد الأطماع والمخاوف والأحقاد أن يمنحوها. وحدهم الرجال الأحرار فعلا، ذوو القلوب الصافية والأيادي الطاهرة يستطيعون تقديم هذه الحرية لبلدهم وللعالم. ولأجل هذه الحرية، قرّرتُ أن أناضل. وفي جهادي من أجل أفكاري ومعتقداتي، عانيتُ كثيرًا وواجهتُ الموت مرّتين. وعند انتظار أجلي خطرت لي هذه الفكرة: "لستَ شيئا، وليس لديك شيء، فالله هو الحقيقية الوحيدة، وهو الذي يمنح وجودك معنى. وليس للحياة أية قيمة إلا إذا تغذّت من فكرة موحاة من الله". وبهذا أستمدّ من وعيي بهذه الحقيقة الإيمان اللازم للحياة.

انطلاقًا من هذه الاعتبارات، يجب أن أعترف بأنني أتحمّل في كل ما وقع لي، سواء من الجانب الفرنسي أو من الجانب الجزائري، نصيبًا من المسؤولية، لأنني لم أعرف كيف أناضل بفعالية من أجل الوحدة. وأنا الآن أعلم أنّ وحدة هؤلاء وأولئك تمرّ عبر تغيير الجميع، لأنّ القرآن الكريم يقول: "إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم". وأنا أعلم أنّ التغيير بالنسبة إليّ يبدأ من نفسي رغم أنّ ذلك مكلف جدًا، لكنني قرّرتُ أن أدفع الثمن لتحقيق الإرادة الإلهية.

الجزء الثاني: مساهمات مختارة

الفصل الأوّل: مساهمات في إطار الكشافة الإسلامية الجزائرية

A nos jeunes filles

Texte de Mahmoud Bouzouzou reproduit dans Les Scouts musulmans algériens, par Chikh Bouamrane et Mohamed Djijelli, Editions Dar El Umma, Alger 1999.

Pour un cœur que fait battre un idéal élevé, c'est une grande joie de voir toujours grandissant le nombre de cœurs qui battent pour ce bel idéal. Vous que de nobles soucis ont décidé à venir agrandir la famille SMA, soyez les bienvenues. Etes-vous, vous aussi, torturées par cette inquiétude du « Phoque blanc » ? Que vous soyez ou non préoccupées par les soucis angoissants que décrit le *Livre de la jungle*, il n'y a pas à douter de la noblesse des mobiles qui vous ont engagées dans le scoutisme. Vous avez sans doute bien réfléchi avant de prendre cette décision. Ayant pris conscience de la part de responsabilité qui vous incombe dans l'avenir de votre pays, vous avez voulu accomplir une tâche à la mesure de cette responsabilité. En effet, vous pouvez être utiles à votre pays et vous devez le servir. Devant la diversité des façons de remplir ce devoir, vous choisissez le scoutisme, parce qu'il vous parait la branche où vous pourrez travailler le plus utilement. Eprises de la beauté de la mission que vous devez remplir au sein de la société humaine, vous n'avez pas hésité à affronter certaines conventions sociales qui considèrent la femme comme [un oiseau dans] une cage ou une belle rose dans un vase.

Par cette courageuse décision, vous contribuez à renforcer en nous le courage de vivre, à affermir notre espoir en un avenir meilleur, à soutenir l'esprit de continuité dans la lutte que nous menons contre l'ignorance et le vice, à appuyer nos raisons de croire au triomphe de la vertu. Qu'il est beau, qu'il est noble de servir les belles causes ! Sommes-nous créés pour autre chose ? Certes, c'est une tâche bien ingrate que d'accepter de souffrir pour le bien-être des autres. Bien souvent, on n'obtient pas la récompense qu'on mérite. Mais pour les

gens sincères, la seule récompense valable est la satisfaction intérieure. Il n'y a aucun doute que votre sincérité et votre désintéressement vous aideront à surmonter tous les obstacles, le sourire aux lèvres, même quand vos sacrifices sont mal compris et partant mal interprétés. Pour ceux qui pensent bien, tout ce qui contribue à donner à la femme conscience de son rôle social, à réveiller en elle la dignité personnelle, à faire d'elle un membre actif dans le pays, est une belle entreprise. Il est temps que la femme musulmane participe effectivement au relèvement de son pays. Elle ne pourra le faire qu'en ayant une éducation pratique. Le scoutisme étant un système qui répond à ce besoin, il est à souhaiter que celles de nos sœurs qui se sentent capables de le pratiquer viennent à nous. « A nous », quel égoïsme ! Non, ce n'est pas de l'égoïsme. Y a-t-il égoïsme à augmenter le nombre de nos responsabilités et de nos soucis ?

Mais les SMA pratiquent un scoutisme qui, par l'observance des prescriptions islamiques et le respect des bonnes traditions musulmanes, répond le mieux aux aspirations du peuple qui veut voir ses enfants évoluer dans le respect de sa personnalité.

Pour l'Islam, la femme doit occuper une place importante dans la société. Lui donner conscience de son rôle est un devoir impérieux. Nous voulons qu'elle donne l'exemple de la musulmane qui se respecte et impose le respect. Nous savons ce dont elle est capable quand elle comprend son rôle. L'histoire nous offre beaucoup d'exemples de musulmanes qui honorent notre passé. Nous n'avons pas à rougir de nos mères ni de nos grand-mères. Nous ne voudrions pas que nos sœurs nous déçoivent. C'est pourquoi elles doivent être averties des erreurs qui pourraient naître d'une fausse interprétation de leur rôle. Il paraît qu'en Orient on se plaint du scoutisme féminin ! Nous ne voulons pas que de pareilles plaintes se fassent entendre chez nous. Pour cela, nos cheftaines doivent se garder de toute imitation servile de l'Orient ou de l'Occident. Pourquoi prendre aux autres les défauts dont ils se plaignent ? Un autre conseil : gardez-vous de considérer le scoutisme comme un passe-temps. Ce mode d'éducation, nous devons l'employer pour le relèvement de notre pays. Vous aurez à éduquer nos fillettes, donc à préparer les générations futures. La femme de demain formée par vous sera à votre image. Elle devra être une musulmane et une bonne Algérienne.

La dévier de ce chemin serait un de ces crimes que l'histoire n'a jamais pardonnés. Quand notre bon peuple confie à vos soins ses petits enfants, c'est pour les conduire dans la voie du salut. Aimez-les et aimez votre peuple car on ne peut servir qu'en aimant. On ne peut pas servir un peuple en exploitant son ignorance et ses vices mais en les détruisant. On ne sert vraiment son pays qu'en partageant sincèrement ses joies et ses peines et en sacrifiant pour son bien-être toutes les jouissances désastreuses. Sacrifier un plaisir même justifiable pour une belle cause ce n'est point une perte, bien au contraire, c'est un gain. « Il vaut mieux être un Socrate mécontent qu'un imbécile heureux, un juste malheureux qu'un pourceau satisfait ». Méditez ce mot de John Stuart Mill et vous trouverez que les sacrifices que vous consentez, chères sœurs, sont une noble chose. Puisse Dieu vous donner tout le courage et toute la force, nécessaires pour accomplir votre belle mission. Grâce à nos efforts conjugués et avec l'aide de Dieu, notre pays verra demain les enfants et les filles qu'il nous a confiés, marcher ensemble d'un pas sûr vers l'idéal qui nous anime.

El Irchâd

Texte de Mahmoud Bouzouzou publié dans le Bulletin des Scouts Musulmans Algériens, novembre-décembre, no. 14, 1946, reproduit dans Les Scouts musulmans algériens, par Chikh Bouamrane et Mohamed Djijelli, Editions Dar El Umma, Alger 1999.

1— Introduction

C'est une bonne fortune que d'avoir des yeux pour voir, des oreilles pour entendre, un cerveau pour comprendre, une langue pour s'exprimer. Tous les êtres humains, saufs quelques rares infirmes, possèdent cette fortune. En jouissent-ils comme il convient ? Cette question pourrait sembler absurde à quelques-uns. Et pourtant, la plupart des hommes ont des yeux, mais ils ne voient pas, des oreilles, mais ils n'entendent pas, un cerveau, mais ils ne comprennent pas ; peut-on dire qu'ils vivent ? Si l'on pouvait dire des morts qu'ils jouissent de la vie, on pourrait en dire autant de ces être qui sont encore vivants. N'est-ce pas cette constatation amère qui inspire au philosophe français Voctor Cousin cette triste vérité : « L'humanité se compose de plus de morts que de vivants ». N'y a-t-il pas là une justification de l'inquiétude de Diogène qui, en plein jour, une bougie allumée à la main, cherchait un homme ? C'est qu'on ne peut appeler homme celui qui possède des yeux et des oreilles, mais celui qui sait voir et entendre, celui qui met dans ses yeux et ses oreilles une attention, une curiosité qui lui fait découvrir, dans ce qu'il voit et ce qu'il entend, une loi, une vérité qui l'édifient sur la vie et lui donnent conscience de sa personnalité.

Le scout n'est pas de ceux qui traversent ce monde comme des morts. Dès l'âge louveteau, il apprend à ouvrir les yeux et les oreilles, c'est-à-dire à tenir ses sens en éveil, à acquérir une curiosité scientifique qui le pousse à en tirer des règles de savoir-vivre. Entretenir cette curiosité, l'éduquer, la diriger, tel est le but des jeux

scouts que certains croient n'être qu'un simple délassement. Il va sans dire qu'elle se développe avec l'âge, suivant le développement intellectuel du garçon. Elevée à un plus haut stade, elle évolue dans un sens plus profond ; demandons au garçon : « Qui t'a donné les yeux pour voir, les oreilles pour entendre, l'intelligence pour comprendre ? Qui t'a donné cette nature, avec ses belles forêts et ses eaux limpides, son ciel et ses astres ?... »

Ce sont des dons tellement précieux qu'on n'ose les évaluer. La bonté du Donateur est inestimable. La moindre gratitude exige qu'on cherche à lui exprimer une reconnaissance à la mesure de ses dons. L'homme conscient de cette bonté a eu de tout temps ce sentiment de gratitude ; il voulut l'exprimer par des paroles et des actes ; il le fit, selon les pays et les âges, de diverses façons : chants, prière, sacrifice, immolations, etc. Certains actes étaient la cause de bien des malheurs. La nécessité d'une religion et d'une morale individuelle et sociale appropriées à la nature de l'homme va trouver sa satisfaction grâce à un don précieux : la Prophétie, qui élève le fortuné à un niveau spirituel extraordinaire. L'ensemble des prescriptions du Prophète révélées ou improvisées, constitue ce que nous appelons une religion. C'est grâce à la religion que l'homme prend conscience de son humanité : il sort de l'obscurantisme, son niveau intellectuel s'élève, sa conscience morale s'éveille, la notion du Bien et du Mal éduque ses instincts. Enfin, c'est grâce à la religion qu'il consent à observer une certaine discipline, à adopter une ligne de conduite déterminée après avoir connu ses droits et ses devoirs au sein de la société humaine. Nul ne peut contester le rôle primordial de la religion dans l'évolution spirituelle et la formation du caractère de l'homme. Il n'y a qu'à consulter l'Histoire pour en avoir la preuve éclatante. Qu'était le peuple arabe avant l'Islam ?... Comme notre Scoutisme se propose pour but la formation du caractère, il ne peut se passer du concours précieux d'un si puissant facteur. C'est pour cela que notre Fédération recrute, parmi les gens compétents en la matière, des Morchids, c'est-à-dire, des guides chargés de la formation spirituelle et morale des garçons ; ils s'occupent de ce que nous appelons l'Irchâd.

2— Définition

Que faut-il entendre par Irchâd ? Certains croient qu'il consiste à donner un enseignement scolastique de la religion, c'est-à-dire,

apprendre au garçon des versets du Coran, la pratique de la prière, des Hadiths du Prophète. D'autres croient qu'il consiste à faire des sermons et des laïus sur la religion, la vie du Prophète, les exploits des hommes illustres. Les uns et les autres ne sont pas bien près de la bonne voie. Car, au lieu de faire une éducation spirituelle et morale, ils dispensent une instruction religieuse. L'Irchâd doit consister à forger une âme en inculquant un esprit, à créer chez le gaçon une vie intérieure, en éveillant la conscience morale. Ceux qui ne le conçoivent pas ainsi courent le risque de faire œuvre de « mouderrès », non pas de Morchids. Cette fausse conception ne pourrait donner des résultats satisfaisants. L'expérience ne le prouve que trop : combien voyons-nous de Musulmans connaissant parfaitement les préceptes de l'Islam, négliger leurs devoirs envers Dieu et la société ? Cette négligence provient de ce qu'ils ont reçu une instruction et non une éducation.

3— Nécessité de l'Irchâd

Si la méthode du Scoutisme vise à former le caractère, l'Irchâd devrait largement contribuer à cette formation ; il est donc indispendable. Quelle différence y a-t-il entre un technicien sans âme et une machine intelligente ? Les bergers, les vieilles femmes qui ramassent le bois mort connaissent bien des nœuds que la plupart de nos scouts ignorent complètement ou connaissent d'une façon imparfaite. Ces gens-là se débrouillent en forêt mieux que nous et supportent la vie à la montagne avec une facilité que nous ne connaissons point, mais ils sont d'une simplicité primitive : leurs conceptions de la vie ne pourraient être comparées à la nôtre, la notion du devoir social, les préoccupations d'ordre moral ou spirituel ne les inquiètent point. Ils n'ont pas reçu une éducation susceptible d'élever leur niveau spirituel jusqu'à leur donner conscience de leur supériorité sur les autres créatures et de leur mission sur la terre. Toutefois, je préfère un berger inoffensif à un technicien barbare.

D'autre part, l'Irchâd est nécessaire pour les considérations suivantes :

1) Les articles 2 et 6 de la loi scoute contiennent l'idée de Dieu et du loyalisme envers lui. Comment interpréter le loyalisme autrement que par la pratique de la religion ?

2) La promesse scoute engage le garçon à servir Dieu, formule qui se passe de tout commentaire.

3) Les garçons que nous avons pris la charge d'éduquer appartiennent à un peuple profondément attaché à l'Islam. Nous n'avons pas le droit de négliger cet attachement.

4) Nous devons être fidèles à la pensée de Baden-Powell qui, par le scoutisme, voulait combattre l'irreligion.

5) Notre [sigle] « SMA » exclut toute idée d'irreligion et indique bien que notre mouvement a une confession définie : l'Islam.

6) Le recrutement des Morchids par notre Fédération est une preuve concrète de son attachement à l'Islam.

7) Enfin, notre religion, l'Islam, a fait ses preuves. L'histoire est là pour témoigner de sa grandeur. Que d'hommes et de peuples elle a arrachés à la barbarie et sortis des ténèbres.

4— Sources de notre Irchâd

Nous puisons notre Irchâd dans le Coran, les paroles du Prophète et de ses Compagnons, dans tout ce qui constitue l'Islam dans sa pureté et sa grandeur. Je veux dire cette religion qui incite à faire le Bien, à éviter le Mal, à aimer le Beau, à tout sacrifier pour le Vrai : cet Islam qui prêche l'altruisme et le respect de la personne humaine. « Tous les êtres humains forment la famille de Dieu, le plus aimé de Lui, c'est celui qui serait le plus utile à la famille », à se parer des hautes vertus qui font de l'homme un être supérieur, telle que la propreté, la probité, les nobles aspirations, l'amour de la patrie, la bonté, le courage, l'amour du travail et de la perfection de l'œuvre, le souci d'élargir ses connaissances, la curiosité scientifique. Ce sont ces vertus qui forcent encore notre admiration.

Certains Musulmans de nos jours croient qu'il suffit de pratiquer la prière, le jeûne et l'aumône pour être un bon Musulman. Ils se trompent, car à côté de ces pratiques qu'il est du devoir de tout Musulman d'observer, il existe d'autres obligations non moins

importantes. C'est en les négligeant qu'ils ont exposé le flanc aux attaques des adversaires de l'Islam, qui essayent de minimiser la valeur de sa morale sociale et individuelle et la puissance de sa spiritualité, et provoqué ainsi le doute chez les jeunes Musulmans peu instruits à qui on veut faire croire que l'Islam est un facteur de régression. Le Prophète demanda un jour à ses Compagnons : « Connaissez-vous l'indigent ? » Ils répondirent : « L'indigent pour nous, c'est celui qui ne possède ni argent ni biens ». Il reprit : « L'indigent, c'est celui qui se présenterait le jour du jugement dernier avec sa prière, son jeûne, son aumône, alors qu'il a insulté tel Musulman, injurié tel autre, pris l'argent de tel autre, versé le sang de tel autre… » Il ne faut pas juger l'Islam sur le comportement ridicule des uns, ni sur les agissements scandaleux des autres, ces Musulmans sont semblables aux fruits pourris d'un arbre sain. « Il ne faut pas juger l'arbre au fruit pourri », a si bien dit François Mauriac. Fabien, héros de son roman *Le Mal* est un jeune chrétien qui agit contrairement aux prescriptions de sa religion, mais qui ne veut pas que sa conduite soit interprétée par un israélite comme une chose tolérée par le Christianisme. Si aujourd'hui, certains Musulmans interprètent mal leur religion, c'est à cause de facteurs dont beaucoup ne dépendent pas d'eux.

5— Rôle du Morchid

D'après ce qui précède, le rôle du Morchid est nettement défini : c'est lui qui se charge de la direction spirituelle du groupe. Comme le programme technique doit tendre à faire de nos garçons de bons scouts, le Morchid doit faire d'eux de bons Musulmans, c'est-à-dire des garçons qui observent scrupuleusement les prescriptions de l'Islam. Ils doivent agir non pas comme des automates, mais en garçons intelligents et raisonnables qui savent ce qu'ils font. Il faut qu'ils arrivent à vivre la loi scoute et la promesse scoute qui sont parfaitement conformes à la morale islamique. Il n'y a pas lieu de s'étonner de cette conformité, le Coran étant un des livres dont s'est inspiré Baden-Powell ainsi que le rapporte Bernard Thorel dans *Le Scoutisme de Baden-Powell*.

5.1— Le Morchid et la technique scoute

Enfermer le Morchid dans une sphère strictement spirituelle, c'est l'emprisonner dans une tour trop étroite. Certes, il y a une charge

bien déterminée. Mais il pourrait dans l'intérêt du mouvement, sortir de cette sphère. Quant à moi, je souhaite que le Morchid soit aussi capable de diriger le groupe sur le plan technique comme sur le plan spirituel. Il pourrait ainsi, en cas d'absence ou d'empêchement du Commissaire local, diriger lui-même le groupe. Son autorité au sein du groupe ne serait que plus utile à la bonne marche du mouvement. D'autre part, le Morchid connaissant parfaitement la technique aurait plus d'influence sur les scouts que celui qui l'ignore. Enfin, avec sa double culture (spirituelle et technique), le Morchid pourrait découvrir certaines innovations qui seraient de quelque utilité pour le mouvement.

5.2— Responsabilité du Morchid

Vu l'importance de son rôle, le Morchid a une très grande responsabilité dans la formation des hommes de demain. Il est pour ainsi dire, l'âme du groupe. Il doit rayonner dans son milieu. Sa présence parmi les scouts doit emplir les cœurs de bons sentiments. Il éduque par sa conduite plus que par ses paroles. Il doit servir d'exemple pour tous, grands et petits. Pour cela, il doit se surveiller lui-même, sachant que chaque mot, chaque geste de sa part trouve une interprétation dans son entourage. Il doit se comporter conformément à ce qu'il conseille. Un seul mot, un seul geste suffisent pour abattre ou relever le moral du groupe. La tâche du Morchid est donc très délicate, car elle consiste en un travail qui ne se fait pas avec la main, tel le médecin qui applique un pansement ou fait une opération chirurgicale, mais en un remède qui agit sur les mobiles et les instincts de l'individu. Il n'a d'autre moyen pour remplir sa tâche que la parole et le geste. Et il en est de l'influence de certains mots sur l'esprit comme de celle des produits chimiques qui transforment la matière. Neutraliser les mobiles du mal, détruire les mauvaises habitudes, affranchir l'esprit des superstitions et des mauvaises habitudes, stimuler les bons sentiments, donner de bonnes habitudes, tout ceci est facile à dire, mais combien difficile à faire. Il faut tenir compte de l'âge et de l'intelligence du garçon et lui parler un langage qui soit à sa portée pour le mieux guider. La Fouchardière, dans *Joseph Pantois, fils de gendarme*, montre comment un abbé éveille, par inattention, chez un garçon de dix ans, des désirs profanes, en passant en revue, dans un questionnaire imprudent, les « péchés » qui se commettent dans les rapports entre garçons et filles. Ainsi, sans se

rendre compte, l'éducateur pourrait se créer à lui-même des difficultés en éveillant chez le garçon des désirs qu'il serait par la suite incapable de freiner. Si dans pereil cas, il y avait beaucoup à imputer à la nature humaine, on ne pourrait minimiser la responsabilité de l'instigateur.

6— Etat actuel et avenir de l'Irchâd

Jusqu'à cette année, il a pu sembler que l'Irchâd n'existait pas dans notre scoutisme, ou qu'il ne tenait pas une place importante dans nos programmes. Pourquoi ? Les raisons en sont multiples :

1) Le programme de l'Irchâd n'était pas bien défini ;
2) Nous manquions de Morchids ;
3) Les rapports entre les Morchids étaient inexistants ;
4) La plupart des Morchids n'étaient pas bien dans le « Bain scout ».

Réalisation : Désigné en janvier 1946, comme Morchid général, la première chose que je crus bon de faire, fut d'attirer l'attention de nos Groupes sur l'importance de l'Irchâd (Circulaire du 5 mars 1946). Je pus, par les réponses que je reçus, connaître le nombre de Morchids, leur culture, leurs projets et la considération dont jouit l'Irchâd auprès des Commissaires locaux, dont quelques-uns me formulèrent des suggestions dignes d'intérêt. Je voulus également donner aux Morchids quelques directives générales sur leur « Métier », afin de les éclairer sur la méthode scoute. N'ayant pas le moyen de le faire en langue arabe, j'écrivis, en français, deux articles qui furent insérés dans les numéros 8 et 9 de notre Bulletin intérieur. Au moment où j'allais envoyer la suite de ces articles, je reçus de nos Morchids des protestations réclamant des écrits en langue arabe, la seule qu'ils comprennent. Insuffisamment informé sur la compétence et les conceptions de nos Morchids, je sentis la nécessité de tenir un « camp de Morchids ». Le Q.G. donna son accord et le « camp » se tint à Douaouda-Marine du 7 au 14 juillet dernier. Ce fut l'occasion de « familiariser » certains Morchids avec la vie scoute. Des activités scoutes (éducation physique, jeux sportifs, système de patrouilles, veillées), des sessions au sujet de l'éducation morale et spirituelle du garçon furent organisées ; nous vécûmes durant une semaine comme dans un Camp-école normal dans toute l'acception du mot (qu'il me soit permis de remercier le Groupe SMA et le Comité local de Koléa pour l'accueil chaleureux qu'ils firent à nos campeurs). Tous les

Morchids qui participèrent à ce « camp » en emportèrent une très bonne impression, et exprimèrent le désir d'en tenir d'autres. Le besoin d'entretenir des rapports constants se faisait sentir chez tous. Satisfaire ce besoin est une nécessité impérieuse. N'ayant qu'une culture spécifiquement arabe, la plupart se trouvent dans l'impossibilité de se documenter sur le scoutisme et de parfaire leurs connaissances pédagogiques par la lecture des œuvres de Baden-Powell et des études faites par des chefs compétents sur le scoutisme et l'éducation. Notre Bulletin rédigé en français n'est pas fait pour les satisfaire. Un Bulletin rédigé entièrement dans notre langue est donc indispensable. Nous venons d'en publier un qui, je l'espère, donnera satisfaction à tous nos Morchids. Ce bulletin leur servira de moyen d'expression et de documentation, comme il servira à faire connaitre aux parents et amis des SMA notre scoutisme peu connu des lettrés en langue arabe.

Ces réalisations sont peu de choses devant l'ampleur que prend notre Mouvement de jour en jour. Espérant que nous pourrons, l'année qui vient, travailler dans le calme et la paix, je crois que tous les Morchids feront de leur mieux pour perfectionner l'Irchâd. Il y a beaucoup à faire pour avoir un Irchâd digne d'intérêt.

Un programme en langue arabe paraîtra dans le prochain bulletin en langue arabe. S'il nous était permis de faire paraître régulièrement ce bulletin, nous essayerions de traduire la technique scoute. Je demande à tous les SMA de donner à notre langue toute la considération qu'elle mérite : elle est le seul moyen de connaître l'Islam. Qu'ils essaient, par tous les moyens, de l'apprendre. Tous les peuples qui ont adopté le Scoutisme l'ont copié sur l'Angleterre, mais ils l'ont traduit chacun dans sa langue. L'avenir de notre Scoutisme dépend de notre adaptation, il faut qu'elle soit intelligente pour ne pas dégénérer en une imitation servile. Ouvrez bien les yeux et les oreilles pour ne pas faire de faux pas dans la voie que nous suivons. Que chacun prenne bien conscience de sa responsabilité. Morchids et Chefs doivent guider les hommes de demain dans la voie de la dignité en faisant d'eux de bons scouts et de bons Musulmans, en mesure de représenter dignement l'Islam et l'Algérie musulmane. Qu'ils lèvent dans leur pays un front sans tache. Qu'ils laissent dans l'Histoire un souvenir digne de respect. Car, pour ceux qui savent apprécier à sa juste valeur le monde d'ici-bas, le seul honneur que l'homme qui le

quitte emporte, la seule chose pour laquelle la vie mérite d'être vécue, c'est d'avoir consacré ses jours au service d'un noble idéal. En ce qui concerne l'Irchâd, nous regardons l'avenir avec confiance. Le désintéressement et le dévouement de nos Morchids sont très encourageants. Ils sont convaincus de la beauté de la cause pour laquelle ils se dépensent avec un zèle plein de fierté. Ils ont le droit d'être encouragés. Leur succès dépendra de l'intérêt que vous porterez à l'Irchâd et des efforts que vous déploierez pour les comprendre. Remplissez ces conditions pour connaître votre religion et votre morale. Aidons-nous les uns les autres pour que Dieu nous aide.

Nos principes

Editorial de Mahmoud Bouzouzou publié dans la Brochure des Scouts Musulmans Algériens, no. 2 de 1948-49. Texte reproduit dans Le Groupe Emir Khaled de Belcourt : un maillon des scouts musulmans algériens (1946-1962), par Mohamed Tayeb Illoul et Ali Aroua, Editions Dahlab, Alger 1991.

Dieu, Patrie, Humanité, voici en trois mots les principes de notre scoutisme. C'est le résumé de notre loi et de notre promesse.

Eveiller la conscience religieuse et amener le garçon à observer les prescriptions de l'Islam, éveiller la conscience civique qui implique de tenir en considération l'intérêt supérieur de la patrie, éveiller la conscience humaine qui implique d'adopter un comportement respectueux de la dignité humaine, telles sont les bases fondamentales de la formation du caractère chez les Scouts Musulmans Algériens.

Pour éviter toute interprétation erronée de ces principes, il est sans doute nécessaire de faire un exposé clair de notre conception de la religion, du civisme et de l'humanisme, et de montrer comment nous envisageons la possibilité de les concilier. Il sera fait avec une franchise que certains jugeraient imprudente. Nous leur demandons de considérer derrière la forme la sincérité et le souci de vérité qui nous animent. Une sincérité susceptible de blesser vaut mieux qu'un mensonge qui flatte pour tromper.

A) Dieu

Notre religion c'est l'Islam. Quand nous parlons de Dieu, nous pensons aux vérités spirituelles établies par l'Islam ; elles se résument dans le Vrai, le Bien, le Beau. Nous nous efforçons des les observer et de les faire observer par les garçons qui nous sont confiés.

L'Islam constitue la valeur spirituelle la plus importante de notre

Patrie. La législation, les traditions, la vie individuelle, familiale et sociale, en un mot les mœurs et les institutions de l'Algérien sont issues de l'Islam. Pénétrant dans tous les domaines de la vie, l'Islam est, pour le Musulman, inséparable de la vie. C'est pour cela que le peuple musulman algérien y demeure profondément attaché. Cet attachement qui a valu à l'Algérie musulmane beaucoup de sacrifices et de privations est interprété, à tort, comme une incapacité d'assimiler les grandes idées révolutionnaires et de s'élever à un haut degré de civilisation.

Certes, dans la pratique, l'Islam en Algérie n'échappe pas à la déformation. On connait les raisons de cette anomalie : l'ignorance presque totale de l'Islam dans sa pureté et sa simplicité ; cette ignorance est la conséquence inéluctable de l'absence d'un enseignement rationnel de la langue arabe, seul moyen de comprendre et d'assimiler le Coran et les préceptes du Prophète, absence due à la mainmise générale que subissent toutes les valeurs algériennes. Cela n'empêche pas que l'Islam est toujours vivant en Algérie. Mais nous le voulons plus vivant, plus orthodoxe, plus rayonnant.

L'Islam est une religion de justice, de charité, de fraternité, d'amour, de civilisation. Libérateur de l'esprit humain de tous les préjugés et superstitions, respectueux des droits de la Raison, prêchant la charité et l'amour fraternel, purifiant les mœurs, inculquant la curiosité scientifique et l'amour de la culture, en un mot facteur de civilisation, l'Islam rehausse la dignité humaine.

Nous voulons que le comportement des jeunes qui nous sont confiés reflète l'Islam et en fasse une réalité vivante. Notre loi et notre promesse sont conçues dans un esprit conforme à celui du Coran. Nous savons par expérience, combien il est difficile d'atteindre la perfection à laquelle nous aspirons. Ceci est d'autant difficile que le siècle dans lequel nous vivons est plus enclin à la négligence de la morale et de la religion qu'à la course aux profits matériels pour lesquels tous les moyens lui semblent bons. Notre mission dans ce domaine est d'autant difficile que l'ignorance de la langue arabe, de l'histoire de l'Islam, de la civilisation musulmane, empêche nos jeunes chefs de satisfaire pleinement notre désir. Toutefois, nous espérons obtenir d'eux le minimum qui est d'observer la loi et la promesse. Si

nous bannissons l'irréligion, nous ne voulons pas laisser le peuple croire que nous ferons de ses enfants des saints. D'autre part, en bannissant l'irréligion, nous nous interdisons toute contrainte. Nous voulons que nos garçons remplissent leurs devoirs religieux, non par crainte, mais par amour de Dieu. « J'aime Dieu et je veux qu'Il me voie toujours dans la situation qu'Il aime », telle devrait être l'expression du comportement du bon croyant en Islam.

Des millions d'hommes pratiquent cette religion depuis des siècles. L'histoire du peuple musulman algérien est étroitement liée à celle des peuples musulmans de l'Afrique du Nord et du Monde. Conformément aux préceptes de notre religion, nous faisons cause commune avec tous les Musulmans de la terre. Nous partageons leurs joies et leurs peines, nous leur devrons assistance en toute circonstance. L'amour d'un seul Dieu et d'un même Prophète, la lecture d'un même Livre et la pratique d'un même rite, un passé commun et un idéal commun scellent étroitement nos cœurs qui ignorent toutes les frontières.

B) Patrie

L'Islam commande l'amour de la patrie. Le Prophète est lui-même un exemple vivant du patriotisme. Il insuffla à son peuple un esprit vivifiant. Il fit son unité, lui donna une orientation salutaire et une bonne organisation et s'employa durant vingt-trois ans à son évolution. Il lui donna conscience de lui-même, libéra son esprit pour le lancer à la création d'une civilisation originale qui laisse son nom retentissant. Il lui donna la force spirituelle nécessaire pour l'élever au-dessus des considérations matérielles qui égarent. En un mot, depuis qu'il eut conscience de sa mission révélée et jusqu'à la fin de ses jours, il œuvra constamment au bonheur de sa patrie et de l'humanité ici-bas et au-delà. Notre Prophète offre ainsi un exemple admirable de l'amour de la patrie et de l'humanité.

Aimer sa patrie, c'est s'attacher et lier son sort au pays et au peuple auxquels on appartient et œuvrer constamment à leur bonheur. Ceci se manifeste par la sollicitude et l'activité permanentes dont on témoigne devant tous les problèmes vitaux qui se posent à ce pays et à ce peuple : problèmes d'ordre politique, économique, culturel, social, etc. En Algérie, ces problèmes revêtent une importance

particulière. Il y a, dans notre pays, un ordre des choses contre lequel, par la voix des diverses organisations progressistes et des honnêtes gens, s'élève avec indignation le cri de la conscience humaine. Cet ordre est le fait colonial. Par ce fait, le sort de notre pays se trouve entre les mains d'un impérialisme qui en décide en toute liberté, sans ressentir devant quiconque aucune responsabilité. Par ce fait, on essaie de faire admettre comme non valable l'idée de la patrie algérienne.

Pour nous, ce fait n'exclut point l'Algérie du monde des patries, et notre patriotisme est aussi valable que celui des patriotes des autres pays. Aussi, considérons-nous comme une injustice fort humiliante de s'en étonner ou de le contester. En quoi notre patriotisme doit-il être considéré moins valable que celui des jeunes des autres pays ? Serait-il juste de s'étonner que le jeune Musulman algérien aimât l'Algérie autant qu'aimerait tout être humain sa propre patrie ? Serait-il juste de s'étonner qu'il chantât cet amour avec la même ferveur que le ferait tout être humain pour sa propre patrie ? Serait-il juste de s'étonner qu'il aspirât à voir son pays jouir pleinement de sa liberté ? L'amour de la patrie n'est-il pas un sentiment sacré partout dans le monde ? C'est cet amour sacré qui explique notre attachement à notre personnalité. C'est cet amour qui fait que ce qu'on appelle le problème algérien nous tient à cœur. Ecarter de ce problème notre attention et celle de nos jeunes chefs, ce serait desservir notre patrie et faillir à notre mission. Cependant, en éveillant leur conscience civique, le Mouvement laisse à tous ses membres la liberté entière de remplir leurs devoirs de citoyens comme ils l'entendent. Nous aimons trop la liberté pour tenter de violer une conscience. Respectueux de la personne humaine, nous considérons la liberté de pensée comme un droit sacré. Ce serait un sacrilège de lui porter atteinte. Ce serait s'aliéner soi-même que de l'aliéner.

Loin de nous l'indifférence de l'apatride ! Loin de nous la complicité avec les forces du mal qui entravent la renaissance de notre patrie ! Il n'est rien de commun entre le patriote et l'apatride qui ne tient aucun compte des liens sacrés qui l'attachent à son pays et à son peuple.

Celui qui regarde en spectateur indifférent se jouer le destin de son pays et de son peuple ne mérite ni de vivre dans ce pays, ni d'appartenir à ce peuple.

C) Humanité

Affirmer l'amour de sa patrie et l'attachement à son patrimoine spirituel pourrait être interprété comme de la xénophobie, du fanatisme. Se dire Algérien, n'est pas considérer le non-Algérien comme ennemi ; se dire Musulman, n'est pas considérer le non-Musulman comme un ennemi. L'interprétation contraire n'est pas pour nous étonner, étant la conséquence inéluctable du régime colonial qui fait qu'il y a en Algérie un oppresseur et un opprimé. Une telle situation est naturellement favorable à tous les antagonismes qui n'inspirent que des absurdités.

Aimer son pays, son peuple, sa religion, n'est pas haïr les autres pays, les autres peuples, les autres religions. Cet amour pourrait s'accorder parfaitement avec l'humanisme. Et c'est sur l'humanisme que repose notre patriotisme si paradoxal que cela puisse paraître : nous ne pouvons concevoir ni admettre que l'homme – quelles que soient son origine ou sa confession – soit lésé dans son droit de vivre ou réduit à l'esclavage dans son propre pays ou que son patrimoine spirituel en soit proscrit, surtout s'il occupe une place privilégiée dans l'histoire de la civilisation. Aucun homme ne saurait, sans commettre un sacrilège, rester indifférent au sort des hommes auxquels l'attachent des liens sacrés. « Je suis patriote parce que je suis homme et humain » disait Gandhi. Est-ce faire preuve de fanatisme que d'affirmer sa personnalité ? Est-ce faire preuve de xénophobie que d'aimer la liberté ? Est-ce faire preuve de chauvinisme que de s'élever contre l'impérialisme ? S'élever contre l'injustice, l'oppression, condamner l'impérialisme, c'est là une attitude humaine et humaniste que toute conscience pure ne ferait qu'appuyer. On ne s'étonnerait point de voir l'homme considérer comme frère celui qui le considérait comme tel. S'étonnerait-on de lui voir une autre attitude dans le cas contraire ? Qu'on veuille bien interpréter comme il se doit notre indignation contre ceux pour qui la dignité humaine est un mot vide de sens et la liberté des peuples subordonnée à l'effusion du sang humain. Qu'on veuille bien ne point voir dans cette attitude une marque de racisme. Nous considérons toutes les races de la terre, même celle qui nous opprime, comme des membres de la famille de Dieu ayant droit au respect et à l'amour. Mais nous condamnons l'esprit impérialiste dont, par humanisme autant que par patriotisme,

nous voulons la disparition. Anti-impérialisme ne signifie pas racisme. Bien au contraire. N'est-ce pas dans l'humanisme qu'on a puisé et qu'on puise toujours les arguments pour soulever les peuples contre les nations atteintes de fièvre d'hégémonie mondiale ? Ces arguments sont également valables pour dénoncer et condamner tout colonialisme. Parce que le colonialisme est un mal qui pervertit l'esprit humain et corrompt la nature de l'homme, il doit être considéré comme un crime de lèse-humanité. Facteur de haine et de régression, il empêche la collaboration loyale et sincère des hommes et des peuples pour la réalisation du bien-être général. Partout où il est installé, le colonialisme a fait la richesse matérielle et la pauvreté morale d'une poignée d'exploitants et a empêché l'essor de millions d'hommes vers la civilisation.

Et s'il paralyse l'essor vers le progrès, le colonialisme ne doit pas servir de prétexte pour exclure de la communauté humaine le peuple qui le subit. Aussi nous faisons-nous un devoir de participer, dans la mesure du possible, à toutes les manifestations internationales qui s'inspirent de considérations purement humaines et de faire cause commune avec ceux qui luttent pour libérer l'homme de tout asservisssement. Car sur le plan humain, malgré notre condition de colonisés, nul ne peut nous contester le droit de nous adresser à la conscience universelle pour dénoncer tout ce qui entrave la marche de l'humanité vers une vie digne d'elle et instaurer le respect de la dignité humaine. Se taire devant les atrocités des impérialistes en acceptant le fait accompli de crainte d'être taxé de racisme, c'est encourager les forces du mal et desservir l'humanité. Se taire devant les entraves qui retardent l'évolution pour éviter un soupçon de déformation du scoutisme, c'est mal comprendre notre mission. S'en tenir à la lettre des vieux manuels et négliger l'esprit, c'est tomber dans le ridicule et risquer de former un genre d'hommes qui ne pourraient ni comprendre ni se faire comprendre, ce qui serait un désastre. Certes, le scoutisme est un style de vie particulier, mais il ne doit pas s'éloigner de la réalité. Tout mouvement d'éducation qui ne tient pas compte des réalités du milieu et de l'époque où il vit est voué à l'échec. Il faut être aveugle pour ne pas voir que tous les problèmes de la vie d'un peuple sont en étroite dépendance les uns des autres, de même qu'ils dépendent de l'esprit du siècle. S'intéresser aux problèmes qui se posent à son peuple et à l'humanité est un devoir qui s'impose à tout éducateur conscient de sa responsabilité

dans la formation des hommes de demain. Nous vivons dans un pays et dans un monde. Nous voulons avoir notre place dans le concert mondial aux côtés de toutes les jeunesses du monde qui œuvrent à édifier une humanité meilleure.

En ce siècle où les barrières qui séparaient les peuples tombent une à une, aucun peuple ne saurait s'enfermer dans une tour d'ivoire sans courir le risque de s'étouffer. En ce siècle des congrès internationaux, la voix de notre jeunesse doit résonner avec la voix de toutes les jeunesses du monde pour réclamer le respect de l'homme.

Créer des raisons d'aimer ne saurait nous laisser indifférents. Dans les relations individuelles, nous avons constaté que la présence de l'amour fraternel crée une atmosphère vivifiante. L'idéal est qu'il soit présent dans les relations des jeunes du monde entier. Cependant, l'humanité pervertie par les passions n'ayant pas encore atteint ce stade, le respect de la dignité humaine pourrait le suppléer. Ce serait un pas de géant vers l'âge d'or de l'humanité.

Celui qui regarde en spectateur indifférent se jouer le destin de l'humanité ne mérite pas le nom d'homme.

D) Conclusions

En ce moment où les passions tiennent solidement les rênes de l'activité humaine, la tâche de l'éducateur dans la formation des hommes de demain devient très délicate. L'éducateur qui s'inspire des passions risque de s'écarter du but et de porter atteinte à la dignité de sa mission. Il doit s'inspirer des réalités du milieu et de l'époque, mais en aucun cas la considération des réalités éphémères ne doit entraîner la négligence des vérités éternelles résumées dans le Vrai, le Bien, le Beau. Le moindre manquement au respect absolu qui leur est dû est un égarement dangereux. Le passé et le présent de l'humanité le prouvent. Faire observer ces vérités est le propre de la religion. C'est également le rôle de l'éducation scoute telle que nous la concevons. L'esprit de notre loi et de notre promesse est issu de ces vérités. Le bon chef scout est celui qui s'inspire en toutes circonstances de cet esprit qui devrait être pour lui, dans l'océan de la vie, ce qu'est la boussole pour le navigateur.

Le Dernier Messager

Mahmoud Bouzouzou

"ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين" (القرآن الكريم)
« Mohammad n'est pas le père d'un tel ou un tel des vôtres mais il est le messager de Dieu et le dernier des Prophètes » (le Coran)

Avant-propos

Voici le premier cahier[1] SMA. C'est le no. 1 de la série intitulée « Initiation à la connaissance de l'Islam » qui comprend trois parties : 1) Le Dernier Messager ; 2) L'ordre islamique ; 3) Le Monde musulman hier et aujourd'hui.

Afin qu'il soit à la portée de tous les jeunes SMA, ce cahier est écrit avec un grand souci de simplicité et de vulgarisation. Il ne tient compte que de l'essentiel, car une étude complète de la vie du Prophète et de l'Islam nécessite plusieurs volumes.

S'adressant particulièrement à un Mouvement de Jeunesse tendant à des réalisations pratiques, ce cahier insiste surtout sur l'action et l'esprit d'organisation du Prophète.

Puissent nos jeunes frères savoir en tirer les enseignements qui leur seront d'une grande utilité dans la lutte qu'ils mènent pour restaurer les valeurs permanentes de l'Islam et régénérer leur Patrie.

[1] Collection Initiation à la connaissance de l'Islam. *Les Cahiers SMA au service des jeunes* No. 1 – publié en 1950 par les Scouts Musulmans Algériens – 8 Rampe de la Pêcherie – Alger – Imprimé par l'Imprimerie Mahteb – 6 rue Montaigne – Alger.

I— L'homme

Dans la vie de notre Prophète, il n'y a rien d'extraordinaire. Elle est régie par les lois naturelles qui régissent la vie humaine. Il est né et mort comme naissent et meurent tous les hommes.

Mohammed Ibn Abd Allah est né à la Mecque le 12 Rabi Al Aoual de l'année dite de l'Eléphant, concordant avec le 25 avril 571 de l'ère chrétienne. Sa mère est Amina fille de Ouahb, son père Abd Allah Ibn Abd Al Mottalib. Ses parents sont des Arabes de la tribu de Koreïch.

Mohammed est né orphelin ; son père mourut deux mois avant sa naissance. Il eut pour nourrice une bédouine, Halima, qui l'emmena chez elle à la campagne et le considéra comme un de ses fils. La coutume était chez les grandes familles koeïchites de faire allaiter leurs enfants à la campagne pour leur procurer une meilleure santé. A l'âge de 4 ans, Mohammed est ramené à sa mère auprès de laquelle il ne reste que deux ans, car la mort vient la lui ravir. Le voici, à l'âge de 6 ans orphelin de père et de mère. Il est adopté par son grand-père paternel, Abd Al Muttalib. Deux ans après, celui-ci meurt.

Mohammed est alors adopté par son oncle paternel Abou Talib qui a une famille nombreuse ; il considère Mohammed comme son fils. C'est lui qui lui fait connaître le monde extérieur, les pays lointains, en l'emmenant, à l'âge de 12 ans, dans une caravane de commerce jusqu'en Syrie. Mais sa pauvreté l'oblige à « mettre son neveu pendant un certain temps au service de concitoyens plus prospères comme berger de brebis »[1]. C'est « une occupation respectée chez les plus nobles »[2]. Plus tard il entre dans le commerce où il se distingue par son honnêteté qui lui vaut le surnom de « Al Amine » c'est-à-dire homme honnête.

Cette réputation attire sur lui l'attention d'une riche veuve, Khadidja, qui le demande pour gérer ses affaires commerciales. Il accepte. Ses hautes qualités morales de sincérité et de probité forcent l'admiration

[1] Mohammed Essad Bey, Mahomet, p. 56.

[2] Mohammed Ali, La Pensée de Mahomet, p. 12.

et l'estime de Khadidja qui veut l'épouser. Il a 25 ans. Elle en a 40. Il l'épouse. De ce mariage, il va avoir deux garçons, Kacim et Abd Allah, qui meurent en bas âge, et quatre filles, Fatima, Zeyneb, Rokaya et Oum Kalthoum. Elles seront toutes mariées. Les trois premières mourront avant le Prophète, sans laisser d'enfants. Seule Fatima survivra et laissera une postérité.

La vie conjugale de Mohammed avec Khadidja durera quinze ans. Après la mort de Khadidja, le Prophète épousera d'autres femmes, dont la plupart sont des veuves de martyrs restées sans soutien et sans défense devant les idolâtres.

De toutes ces femmes, seule Maria la Copte mettra au monde un enfant, Ibrahim, qui ne vivra que dix-sept mois. L'absence de postérité masculine chez le Prophète donnera à ses ennemis à bout d'arguments l'occasion de le dénigrer en disant : « Mohammed est abtar » (sans postérité), ce à quoi il sera répondu par la sourate du Kaouthar où il est dit : « En vérité, c'est ton détracteur qui est sans postérité ».

A l'âge de 40 ans, il sent le besoin de s'isoler. C'est dans la caverne de Hira qu'il choisit son lieu de méditation. Il y passe des jours et des nuits dans le recueillement. Il revient de temps en temps chez lui pour s'approvisionner en vivres. Au bout d'un mois, il reçoit la Révélation. Ne sachant ni lire ni écrire, il se voit chargé d'une mission accablante, celle de faire entendre le Verbe de Dieu.

Dès lors, plus aucun repos. Messager de Dieu, Mohammed va accomplir sa mission en toue probité, consentant tous les sacrifices, bravant tous les dangers.

Pendant vingt-trois ans, il mènera une lutte continue qui aboutira à la libération de son peuple d'un ordre de choses dégradant, pour l'intégrer dans la vie universelle où il émergera parmi les meilleurs guides de l'humanité vers la civilisation.

II— Le milieu et l'époque

Toute action se situe dans l'espace et dans le temps, c'est-à-dire dans un *milieu* et une *époque*. Le milieu est ici l'Arabie, l'époque le VII^e^ siècle

de l'ère chrétienne.

Laissons ici la parole à Mohammed Ali pour nous résumer la situation de l'Arabie à l'apparition du Prophète :

« A l'époque de sa naissance, l'Arabie était plongée dans la pire idolâtrie qui n'eut jamais régné en aucun pays. La ka'ba même était pleine d'idoles, et de plus chaque foyer avait les siennes. On adorait aussi des pierres naturelles, des arbres, des tas de sable. En dépit de cette idolâtrie universelle et profondément enracinée, les Arabes étaient matérialistes, comme le remarque Bosworth Smith : 'Mangez et buvez : Tel est le ton épicurien de la plupart des poèmes qui nous sont parvenus'. Manquait à peu près toute croyance dans une existence au-delà de la mort, tout sentiment de responsabilité des actes. Toutefois, les Arabes croyaient aux démons ; ils attribuaient les maladies à l'influence des mauvais esprits. L'ignorance était grande dans toutes les classes : les plus nobles osaient s'en vanter. Il n'y avait point de code de moralité ; tous les vices étaient triomphants. Les mœurs sexuelles fort relâchées. Dans les assemblées publiques, on récitait des poésies et des chansons obscènes. L'adultère n'était pas puni ni même réprouvé. La prostitution n'était point mal vue, on vit même des notables tenanciers de lunapars. Les femmes se trouvaient 'dans la situation la plus dégradée, pire même que celle que leur assignaient les lois de Manou dans l'Hindoustan'. La femme était un simple bien meuble. Loin d'avoir des droits à l'héritage, elle constituait elle-même une partie de l'héritage ; l'héritier pouvait disposer d'elle à son gré, même s'il ne désirait point la prendre pour épouse. Le pays n'avait pas de gouvernement fixe, pas de lois, la force n'était pas distincte du droit. Les Arabes appartenaient à une seule et même race, parlaient une même langue, et cependant demeuraient fort désunis. Sous le moindre prétexte, chaque tribu partait en guerre contre une autre tribu, chaque famille contre une autre famille. Les forts foulaient aux pieds les droits des faibles ; les faibles ne trouvaient personne pour redresser leurs torts. La veuve et l'orphelin étaient tout à fait impuissants ; les esclaves étaient traités de la façon la plus cruelle »[1]

A cette situation s'ajoute un conservatisme des plus obstinés qui rend

[1] Mohammed Ali, *La pensée de Mahomet*, pp. 11-12.

encore plus difficile l'œuvre de Mohammed. Celui-ci est en outre seul, il est homme comme les autres hommes, il est connu par le peuple de la Mekke depuis sa naissance : il a été vu nourrisson chez la bédouine Halima, berger aux portes de la Mekke, commerçant dans les bazars de la ville et chez Khadidja ; il mange, il boit, il dort comme les autres hommes ; il n'a rien de particulier qui puisse attester aux yeux de ce peuple qu'il est chargé par Dieu le Très Haut d'une mission si grande. Pour eux Dieu aurait confié cette mission à un ange. Comment admettre qu'un homme puisse avoir le privilège de la Parole du Ciel ?

Tel est le milieu et l'état d'esprit que Mohammed doit affronter. Va-t-il reculer et abandonner ? Va-t-il avancer et lutter ?

Avant lui, le prophète Jonas, chargé d'une mission analogue, avait essayé de fuir, craignant de ne pas être écouté par les siens dont l'état d'esprit n'était pas trop encourageant. Il prit la mer, mais il fut jeté, puis délivré. Cette épreuve pénible suffit pour lui rappeler la puissance divine et le mener vers l'exécution de l'ordre divin. Il connu alors la grâce de Dieu en obtenant la conversion de milliers d'hommes.

La mission de Mohammed consiste en une véritable révolution dans la pensée et dans les mœurs du peuple arabe. C'est même une révolution universelle, c'est-à-dire un système, un mode de vie et de pensée élaboré pour toute l'humanité.

Pour l'Arabie, une telle révolution qui menace l'héritage spirituel légué par les ancêtres va-t-elle se produire ?

Conscient de sa mission, sûr de lui-même, confiant en Dieu, Mohammed lance son appel.

Mais il le fait avec méthode. Si nous étudions le processus de son action, nous trouvons qu'elle a évolué suivant trois phases :

1) La phase de la diffusion du Message ;
2) La phase de l'organisation des adeptes ;
3) La phase de la réalisation.

III— La diffusion du Message

« O toi qui te tiens enveloppé, lève-toi, porte au Monde l'avertissement de Dieu et glorifie ton Seigneur ».

Tel est l'ordre divin au Prophète qui se tient enveloppé dans ses couvertures alors qu'il est agité par la fièvre après avoir reçu le Verbe de Dieu. L'ordre divin est clair et net. Il faut l'exécuter. Comment procéder ? Doit-il annoncer sa mission, porter à la connaissance du public que Dieu envoie au monde un Messager ? C'est le moyen de susciter la curiosité générale, d'attirer l'attention des gens, d'ouvrir le chemin de la diffusion de l'idée. C'est également un moyen de ranq le terrain, de connaitre la réaction du peuple. Mais Mohammed connait l'état d'esprit de ce peuple et l'atmosphère dans laquelle l'idée est appelée à cheminer.

1— L'Appel

C'est à sa fidèle épouse Khadidja qu'il annonce d'abord la nouvelle. Il trouve en elle un grand soutien moral. La première dans toute la Mekke, elle s'empresse à la conversion dès qu'il lui révèle son Message. Ensuite c'est son ami de jeunesse Abou Bakr qui, connaissant bien Mohammed et convaincu de sa sincérité, se convertit. Le jeune Ali, cousin du Prophète et Zeyd qu'il a affranchi et pris pour fils adoptif se convertissent également.

Mohammed commence ainsi par appeler ses proches parents et amis. Il ne s'adresse qu'à ceux en qui il a confiance. De son côté Abou Bakr l'ami fidèle, s'adresse aux hommes de confiance qu'il connait. Il obtient la conversion de quelques notables de la Mekke tels Othmane Ibn Affane, Zoubaïr Ibn Al Aouam, Saad Ibn Abi Ouakas, Talha Ibn Obeïd Allah.

C'est la période de la clandestinité.

Les convertis, craignant l'hostilité des idolâtres, ne peuvent afficher leur religion. Pour accomplir leurs obligations religieuses, ils se retirent loin des regards de Koreïch, dans les vallons de la Mekke. Peu à peu le nombre des convertis augmente et dépasse la trentaine. Le Prophète sent alors le besoin d'entretenir des rapports constants avec

ses adeptes pour raffermir leur foi. L'un d'eux, Al Arkam Ibn Abi Al Arkam offre sa maison pour tenir lieu de cercle. Là se tiennent les réunions au cours desquelles le Prophète s'emploie à la formation spirituelle de ses compagnons. La foi de Mohammed et de ses adeptes se raffermit de plus en plus.

La clandestinité dure assez longtemps. Puis vient l'ordre divin de lancer l'appel ouvertement :

« Annonce ouvertement ce qui t'est prescrit et éloigne-toi des idolâtres ».

Mohammed monte à Safa et appelle, pour la première fois, les divers représentants du peuple de la Mekke. Curieux, ils accourent chuchotant :

« Mohammed nous appelle, que va-t-il dire ? »

Une fois rassemblés devant lui, il déclare :

« Si je vous disais que dans la vallée, il y a des cavaliers prêts à vous envahir, me croiriez-vous ? »

« Mais oui, répondent-ils, nous n'avons jamais enregistré un seul mensonge de toi. »

« Alors, je viens vous avertir pour vous éviter d'aller au devant d'un malheur pénible. »

Ces paroles sont reçues avec ironie et indifférence. Certains auditeurs croient que Mohammed veut se moquer d'eux. C'est ainsi que son oncle, Abou Lahab, le traite avec insolence en proférant :

« Malheur à toi. Est-ce pour une pareille bagatelle que tu as osé nous appeler ? »

Evidemment, un tel début n'est pas pour encourager un homme s'il n'est soutenu par la foi et la confiance en Dieu. C'est vers le Tout Puissant qu'il se tourne après cet échec. Il reçoit la consolation divine en réponse à l'insolence d'Abou Lahab :

« Malheur à Abou Lahab. Assurément il est condamné au malheur. Ses richesses et les biens qu'il a acquis ne lui seront d'aucune utilité. Il brûlera dans un feu aux flammes ardentes. »

Puis vient l'ordre divin de s'adresser à ses proches parents :

« Avertis tes proches parents et traite avec douceur les croyants qui te suivent. »

Mohammed rassemble tous ses parents et leur déclare :

« L'éclaireur ne ment jamais aux siens. Par Dieu, si je devais mentir à tout le monde je ne vous mentirais jamais. Si je devais tromper tout le monde je ne vous tromperais jamais. Par Dieu en dehors duquel il n'existe aucun dieu méritant d'être adoré, je suis le Messager de Dieu envoyé à vous en particulier et à toute l'humanité en général. Par Dieu, vous subirez assurément la mort comme vous subissez le sommeil, vous serez assurément ressuscités comme vous vous réveillez après le sommeil et vous serez assurément jugés et récompensés pour vos actes, le bien sera récompensé par le bien, le mal par le mal. Par Dieu, ce sera assurément la Paradis pour l'éternité ou l'Enfer pour l'éternité. »

Tous répondent en termes corrects, sauf Abou Lahab qui se lève en disant :

« Faites-le taire avant que les Arabes ne le tuent, car si vous l'abandonnez vous subirez la honte et si vous le défendez vous serez combattus. »

Abou Talib lui répond :

« Par Dieu, nous le défendrons tant que nous demeurerons en vie. »

L'attitude chevaleresque d'Abou Talib réconforte le Prophète. Celui-ci continue à prêcher ouvertement la nouvelle religion. Il n'emploie d'autres moyens que la persuasion, à laquelle les idolâtres répondent :

« Nous avons trouvé nos ancêtres dans une voie bien déterminée,

nous les suivons. »

Mohammed réplique :

« Devez-vous suivre vos ancêtres même s'ils ne raisonnaient pas, même s'ils étaient dénués de raison ? »

Il essaie de secouer ainsi la conscience de l'homme paralysé par la paresse intellectuelle pour l'amener à se comporter conformément à la raison. C'est pour cela qu'il s'adresse à la raison et incite à raisonner, à penser, à faire usage de ses sens et de ses facultés mentales pour acquérir une vue juste et une connaissance réelle des êtres et des choses. Ce n'est pas une métamorphose qui s'obtient par un seul mot. La transformation intérieure de l'être humain est la plus difficile des tâches. Elle nécessite un effort intérieur que l'individu lui-même doit fournir. Mais loin de fournir cet effort, les idolâtres de Koreïch répondent à l'invitation de Mohammed par une farouche hostilité.

2— L'hostilité des Koreïchites

Cet homme qui ne sait ni lire ni écrire et qui par surcroit se dit Messager de Dieu et parle d'un au-delà imperceptible, d'un jugement dernier, d'un paradis, d'un enfer, de récompense et de châtiment après la mort qui, d'après lui, n'est pas le néant, un homme illettré qui tient pareil langage ne peut être qu'un fou qu'il faut guérir ou écarter aux yeux du peuple arabe qui vit dans les ténèbres d'une ignorance presque invincible.

Les Koreïchites ne peuvent supporter que Mohammed se moque de leurs dieux et de leurs ancêtres. Ils viennent à plusieurs reprises demander à Abou Talib de mettre un terme à l'activité de son neveu. Chaque fois Abou Talib les calme par des propos conciliants. Mais, loin de se calmer, leur fureur ne fait qu'augmenter pour atteindre son paroxysme au moment où ils le mettent dans l'alternative la plus cruelle qu'il ait jamais connue :

« Ou tu le fais taire, ou nous te déclarons la guerre, jusqu'à ce que périsse l'une des deux parties. »

Abou Talib, très peiné de l'adversité de ses amis et ne pouvant trahir son neveu, va trouver celui-ci et lui dit :

« Mon cher neveu, les Koreïchites sont venus me dire ceci… Je te demande de te préserver et de ne pas me mettre dans une situation intenable. »

Mohammed, croyant que son oncle l'abandonne, répond :

« O mon oncle, par Dieu, s'ils mettaient le soleil à ma droite et la lune à ma gauche pour me contraindre à renoncer à ma mission, je jure que je n'y renoncerais pas avant de l'avoir conduite au triomphe ou d'avoir succombé. »

Il pleure et s'apprête à partir. Son oncle le rappelle et lui dit :

« Va, dis ce que tu veux. Par Allah, je ne t'abandonnerai jamais ! »

Mais, incapables de triompher par la persuasion, les idolâtres vont recourir à la violence.

Les tortures

Le Prophète et ses adeptes vont subir des affronts et des tortures de toutes sortes. Othmane Ibn Affane, âgé de 30 ans, est ligoté par son oncle Al Hakam ; Zoubeïr Ibn Al Aouam, encore adolescent, est solidement attaché et enfumé par son oncle ; Saad Ibn Abi Ouakas est mis dans une pénible alternative par sa mère qui reste plusieurs jours sans manger ; Abou Dherr, un vieillard, est battu impitoyablement ; Khalid Ibn Saïd est privé de nourriture et renvoyé par son père.

Mais tous ces nobles de Koreïch préfèrent la faim, la souffrance, plutôt que d'abjurer leur foi en Mohammed. Il en est de même des autres adeptes qui vivent dans des conditions différentes tels que les esclaves : Bilal, soumis par son maître Omaya à des tortures plus terribles ; Aamir Ibn Fohaïra est soumis à une torture qui lui fait perdre connaissance ; Abou Fokaïha, Ammar Ibn Yassir, son frère, son père, sa mère sont torturés au feu, le père et la mère meurent des

suites de ce traitement ; Khabbab Ibn Arrat, forgeron esclave de Oum Anmar, une femme idolâtre qui le brûle au dos avec un fer chauffé au rouge. Les tortures sont infligées même aux femmes esclaves telles Hamamah, la mère de Bilal ; Zoneyrah à qui les tortures finissent par faire perdre la vue ; Oum Oneys qu'Abou Bakr délivre de la torture en la rachetant et lui donnant la liberté ; la mère d'Ammar Ibn Yassir, que la torture mène à la mort ; la vieille Soumayah tuée d'un coup de lance par Abou Djahl, etc. Le brave Abou Bakr délivre de la torture six esclaves en les rachetant et leur donnant la liberté : Bilal, Ibn Fohaïra, Oum Oneys, etc.

Le Prophète lui-même partage le sort de ses adeptes ; il est pris à partie par les notables orgueilleux tels que son oncle Abou Lahab secondé par sa femme, le rustre Abou Djahl, Okba Ibn Abi Moayt, Al Oualid Ibn Al Moghira, Al As Ibn Ouaïl, Al Asouad Ibn Abd Yaghouth qui, chaque fois qu'il voit venir les compagnons du Prophète mal vêtus, mal nourris, dit avec ironie : « Voici venir les rois de la Terre », et raille le Prophète en lui disant : « N'as-tu reçu aucune parole du Ciel, aujourd'hui ? »

Abou Bakr, l'honorable ami du Prophète, grand notable de Koreïch n'est pas épargné. Il décide de quitter la Mekke pour aller prier en toute quiétude ; mais un notable Ibn Addaghna lui offre la protection et va dire à tous les notables de Koreïch :

« Un homme comme Abou Bakr ne doit pas quitter la ville. Persécuterez-vous un homme qui aide le pauvre, respecte les liens du sang, adopte l'orphelin, héberge l'hôte et soutient les causes justes ? »

Ils acceptent de respecter l'engagement d'Ibn Addaghna à l'égard d'Abou Bakr, à condition :

« Qu'il adore son Seigneur chez lui ; qu'il parle, qu'il lise autant qu'il veut, mais pas publiquement. »

Abou Bakr rentre chez lui et observe cette condition. Il construit dans l'enclos de sa maison une petite mosquée où il s'adonne à la prière et à la lecture du Coran. Les femmes et les enfants du voisinage accourent l'écouter. Les notables demandent à Ibn Addaghna de libérer sa conscience vis-à-vis d'Abou Bakr.

« Je te rends ta protection et je me mets sous la protection de Dieu », dit Abou Bakr.

C'est alors qu'il s'expose à l'hostilité et à l'offense des idolâtres.

En général aucun adepte du Prophète n'échappe à la torture. Mais toutes les tentatives des idolâtres, si cruelles soient-elles, échouent devant la foi et la résistance inébranlable des croyants.

Première Emigration

Voyant les misères insupportables que subissent ses adeptes, le Prophète leur ordonne de quitter la Mekke et d'aller en Abyssinie pour pratiquer librement leur religion. Dix hommes et cinq femmes quittent la Mekke pour l'Abyssinie. Trois mois après, ils retournent chez eux. Mais ne peuvent rentrer à la Mekke que ceux qui y trouvent un protecteur. Abou Salmah entre sous la protection de son oncle maternel Abou Talib ; Othmane Ibn Madaoun entre sous la protection d'Al Oualid Ibn Almoughira, mais il s'en dégage lorsqu'il s'aperçoit de ce que son protecteur a infligé aux musulmans ; *il n'accepte pas de jouir de la paix sous le tortionnaire de ses frères.*

L'émigration en Abyssinie n'est pas une décision prise à la légère par le Prophète, elle est mûrement réfléchie. C'est un moyen efficace de diffuser l'idée. Ceux qui ont émigré sont des notabilités dont l'absence fort remarquée dans la ville suscite des questions et des commentaires sur les raisons qui l'ont motivée. En premier lieu, il y a l'*idée.*

Il faut que l'idée soit vraie et ne souffre aucune restriction dans le vrai pour qu'elle détermine de tels hommes raisonnables et clairvoyants à abandonner leurs maisons et leurs biens. C'est sans doute après avoir médité sur ce thème qu'un homme des plus hostiles à l'idée, Omar Ibn Al Khattab (futur khalife), se convertit en ce moment-là. Il va être l'un des plus puissants défenseurs de l'idée, en dépit des menaces de mort dont il est l'objet de la part des idolâtres. Sa conversion est un grand événement dans l'Islam.

Le succès de cette émigration encourage le Prophète qui en usera plus

tard lorsqu'il le jugera nécessaire.

Devant la puissance croissante de l'idée, les idolâtres après avoir usé de tous les moyens d'empêcher sa diffusion, vont réclamer la tête de Mohammed à ses parents contre une somme très élevée ; ceux-ci refusent une pareille ignominie. Les idolâtres proposent alors à Abou Talib de lui échanger contre son neveu un jeune homme qu'il prendrait pour fils. Il répond :

« Vous êtes étonnants. Vous me donnez votre fils pour l'entretenir et je vous donne le mien pour le tuer. »

Le Décret d'Exil

Alors ils se concertent et décident de mettre à l'écart les parents du Prèphète et de les traiter avec rigueur en les chassant de la Mekke, en coupant toute relation avec eux, sans rien leur vendre, ni acheter, jusqu'à ce qu'ils leur livrent Mohammed pour le tuer. Ils rédigent un *décret d'exil* qu'ils mettent dans la Kaaba. Tous les Banou Hachim et Banou Al Mouttalib, musulmans et idolâtres sans distinction, quittent alors la Mekke, sauf Abou Lahab, l'adversaire irréductible de Mohammed. Ils se retirent tous, hommes, femmes et enfants, avec leur bétail, dans un vallon dit « Chib d'Abou Talib ». Ils y demeurent trois ans. Ce sont trois années de souffrances au cours desquelles ils sont réduits à manger de l'herbe et des feuilles d'arbre, faute de nourriture. Les ennemis du Prophète, Abou Lahab en tête, empêchent les voyageurs commerçants de conclure tout marché avec eux. Quelques exilés seulement reçoivent clandestinement de leurs amis des vivres dans la nuit.

Deuxième Emigration

Au moment où le Prophète se retire dans le Chib, il ordonne à tous les musulmans d'émigrer en Abyssinie. La plupart, plus de quatre-vingts hommes et vingt femmes environ émigrent. Les idolâtres envoient à leurs trousses deux messagers avec de grands cadeaux au Négus pour lui demander de les chasser. Mais ils sont déçus. Les musulmans vont rester dix-ans en Abyssinie où ils pratiqueront leur religion en paix.

Le fait que les idolâtres aient dépêché ces deux messagers avec des dons de grande valeur prouve l'importance de cette émigration. Bien que les chroniqueurs se soient contentés de relater les faits, on ne peut pas négliger les suppositions d'Essad Bey, qui, à côté des erreurs qui peuplent son livre sur « Mahomet », essaie de donner aux décisions du Prophète un sens diplomatique. L'émigration en Abyssinie constitue selon lui, une menace pour les Koreïchites devant qui « dans un passé lointain Abraha l'Abyssinien s'était vu honteusement chasser. »[1]

Le Négus s'en rappelle. Les Koreïchites aussi.

Il se peut que le Prophète ait pensé menacer les idolâtres en en choisissant pour lieu d'immigration le royaume d'un dangereux adversaire susceptible de les envahir. Mais le Prophète n'a envoyé aucun message au Négus. Il ne lui a rien demandé, il n'est pas allé lui-même le voir. Est-ce une tentative en vue d'étudier les possibilités d'une alliance éventuelle ? Les hadiths n'en disent rien ; le Coran non plus. Mais ce que nous pouvons remarquer c'est que cette émigration suscite une véritable inquiétude chez les Koreïchites, inquiétude susceptible de les amener à améliorer leur attitude à l'égard du Prophète et de ses adeptes pour ne pas les forcer à recourir au secours d'une puissance étrangère. Entre le danger de Mohammed et le danger de Négus le bon sens commande de choisir le moindre.

C'est alors qu'ils décident de faire la paix avec le Prophète et ses soutiens. Ils déchirent le décret d'exil. Les exilés rentrent chez eux.

A la recherche de la protection

Quelques temps après, le Prophète perd ses deux précieux soutiens : son épouse Khadidja, puis son oncle Abou Talib, mort un mois après elle.

La mort d'Abou Talib laisse la voie libre aux idolâtres pour attenter à la vie du Prophète. Les musulmans, dont le nombre est encore faible, ne peuvent le protéger. Lorsque les idolâtres vont se ruer sur lui, personne n'intervient sauf Abou Bakr qui leur dit :

[1] Mohammed Essad Bey, *Mahomet.* p. 107.

« Voulez-vous tuer un homme pour avoir dit : Dieu est mon Seigneur ? »

L'hostilité des idolâtres sans cesse croissante décide le Prophète à aller chercher refuge. Ira-t-il en Abyssinie ? Non. Il ne pense point à commettre la folie de faire envahir sa patrie par une puissance étrangère.

C'est vers la tribu Thakif qu'il se dirige pour chercher des protecteurs qui puissent le soutenir dans sa cause. Cette tribu se trouve dans le Taïf, un village au sud-est de la Mekke. Mohammed y a des liens de sang du côté maternel. Il y va, accompagné de son fils adoptif Zeid Ibn Haritha. Il s'adresse aux chefs de la tribu et leur demande protection et assistance. Ils lui répondent d'une façon impudente et hostile. Il leur demande de ne pas diffuser sa requête pour que les Koreïchites ne sachent pas qu'il cherche assistance auprès de leurs ennemis. Mais les gens de Thakif le traitent sans égards : on pousse les hommes et les enfants insolents à jeter sur lui des pierres qui le blessent pendant que Zeid essaie de l'abriter.

Le Prophète retourne à la Mekke. Mais les Koreïchites savent qu'il a demandé secours à leurs ennemis. Il n'y rentre qu'après avoir obtenu la protection d'Al Motaam Ibn Ady, un notable respecté.

Cet échec vraiment décourageant n'altère point la foi de Mohammed. Il espère toujours.

Mais bien que les Koreïchites respectent l'engagement pris par le protecteur du Prophète, leur hostilité ne fait que s'accroitre, surtout lorsqu'ils découvrent le plan du Prophète. Gêné dans l'accomplissement de sa mission à la Mekke, le Prophète va chercher des protecteurs parmi d'autres tribus arabes. Les jours des grands marchés, les Arabes affluent de tous les coins de l'Arabie vers la Mekke. Le Prophète, à cette occasion, s'adresse aux représentants des tribus pour l'assister et le protéger. Les uns, comme Banou Hanifa, lui répondent avec insolence, les autres avec un refus courtois. D'autres y mettent des conditions, tels Banou Amir qui lui demandent que le commandement leur revienne après sa mort.

« Le commandement appartient à Dieu ; Il le met où Il veut », répond-il.

Tout en cherchant des protecteurs, il prêche clandestinement et gagne peu à peu de nouvelles conversions dont la plus importante est celle des gens de Médine qu'on appellera plus tard « Al Ansar », c'est-à-dire les soutiens, les protecteurs. Leur conversion s'échelonne sur trois ans, au cours desquels le Prophète fait preuve d'une patience admirable. Ce sont d'abord six hommes qui se convertissent et retournent chez eux. L'année suivante ils viennent au nombre de douze dont six convertis de l'an dernier. Ils lui jurent fidélité jusqu'à la mort. C'est ce qu'on appelle le *premier serment d'Al Akaba*. Le Prophète ayant donné une bonne formation à ses adeptes en envoie deux à Médine en compagnie de ces nouveaux convertis pour y enseigner et instruire. Grâce à eux la diffusion de l'idée gagne toute la ville et pénètre dans toutes les maisons. Le nombre des convertis augmente chaque jour. L'année suivante ils vont plus nombreux à la Mekke et rencontrent le Prophète qui leur donne rendez-vous la nuit pour ne pas attirer l'attention des Koreïchites.

Parmi ces visiteurs, il y a des idolâtres. Mais devant eux les convertis gardent le silence le plus absolu sur le rendez-vous, et la nuit venue, ils vont à l'insu de leurs compagnons idolâtres, à la rencontre du Prophète. Ils se réunissent aux lieu et heure fixés. Le Prophète est accompagné de son oncle Al Abbas non converti mais venu le protéger. Al Abbas leur dit :

« Si vous êtes disposés à le défendre contre ses ennemis prenez vos responsabilités. Sinon laissez-le parmi les siens car ils sont dans une bonne position pour le défendre. »

Leur chef répond :

« Par Dieu, si nous avions quelque chose à dire nous l'aurions dit. Mais nous voulons être fidèles et sincères et offrir nos âmes pour protéger le Messager de Dieu. »

Puis il dit au Prophète :

« Propose ce que tu veux pour toi et ton Seigneur ».

Il répond :

« Quant à mon Seigneur, je vous demande de l'adorer Lui seul et de ne lui adjoindre aucun associé. Quant à moi, je vous demande de me protéger de ce dont vous protégez vos femmes et vos enfants, lorsque je viendrai chez vous. »

Ils acceptent et s'engagent à tenir leur promesse. C'est le *deuxième serment d'Al Akaba*. Rentrés chez eux, ils s'emploient à diffuser l'Islam.

La Grande Emigration

Cependant les Koreïchites apprennent la nouvelle. Alors ils redoublent de violence à l'égard des musulmans. Le Prophète ordonne à tous ses adeptes d'émigrer à Médine. Ils émigrent un par un *clandestinement* de crainte d'être arrêtés par les idolâtres de Koreïch. Il ne reste plus à la Mekke que quelques musulmans auxquels leur situation ne permet pas d'émigrer et trois de l'entourage du Prophète : Abou Bakr, Zeyd et Ali.

Les Koreïchites, voyant que Mohammed a trouvé des soutiens en dehors de la Mekke et craignant qu'il ne devienne plus fort, se réunissent dans la maison de Kosaï Ibn Kilab qui leur tient lieu de cercle appelé *Dar Annadoua*. Là, ils se concertent et échangent des vues sur la mesure efficace qui puisse mettre fin à l'activité de Mohammed. Ils s'accordent à le *tuer* et, pour éviter la vengeance des siens, ils décident de désigner de chaque tribu un jeune homme et de réunir les désignés armés de sabres devant la maison de Mohammed pour lui porter tous un seul coup. Ainsi les parents de Mohammed ne pourraient pas tirer vengeance de toutes les tribus de Koreïch.

Quant au Prophète il reçoit la révélation lui ordonnant d'émigrer. Il va l'annoncer à Abou Bakr. Celui-ci amène deux montures ; sa fille Asma prépare des provisions ; il prend pour guide un connaisseur auquel il confie les montures et lui fixe rendez-vous dans trois jours devant la caverne de Thour. Le Prophète quitte Abou Bakr après lui avoir fixé rendez-vous la nuit hors de la Mekke. C'est la nuit choisie par les Koreïchites pour exécuter leur plan. Ils se rassemblent devant

la maison du Prophète qui est dedans. A l'heure du départ, celui-ci ordonne à Ali de prendre sa place au lit pour faire croire aux ennemis qui regardent à travers les interstices de la porte, qu'il est toujours là. Le Prophète sort sans que personne ne s'en aperçoive. Il rejoint Abou Bakr et tous deux se dirigent vers la caverne de Thour où ils se cachent.

Les Koreïchites devant l'échec de leur manœuvre courent à la poursuite du Prophète. Ils promettent une grande prime à qui découvre Mohammed. Celui-ci reste avec Abou Bakr trois nuits de suite dans la caverne. Le jeune Abd Allah, fils d'Abou Bakr, vient chaque nuit leur apporter des vivres et des nouvelles et repart de bon matin pour ne pas éveiller l'attention des Mekkois qui le guettent et leur faire croire qu'il a passé la nuit en ville. Un berger converti, Amir Ibn Fouhaïra, cité plus haut parmi les torturés libérés par Abou Bakr, fait passer son troupeau de moutons sur les traces d'Abd Allah pour les effacer à l'aller et au retour. Au bout de trois nuits, les Koreïchites cessent leurs poursuites. Le guide arrive à la caverne avec les deux montures. Le Prophète et son compagnon se dirigent vers Médine où les Ançars les attendent ; depuis qu'ils ont reçu la nouvelle de sa décision de quitter la Mekke, ils se rendent tous les matins dans la Harra, « plaine brûlante, semée de cailloux noirs, qui s'étend au sud-ouest de Médine, dans l'espoir d'apercevoir l'Apôtre d'Allah »[1]. Ils reçoivent leurs hôtes avec une grande joie. Et la ville de *Yathrib* prend le nom de *Madinet En Nabi*, qui devient Médine.

Une fois établi à Médine, le Prophète y fait venir sa famille. Seule sa fille Zeyneb est empêchée par son mari idolâtre de rejoindre Médine. Les idolâtres font tout pour empêcher l'émigration des musulmans restés à la Mekke, en les emprisonnant et en les torturant.

Cette émigration est ce que les Arabes appellentr l'*Hégire*. Plus tard, le Khalife Omar en fera le commencement du calendrier que les musulmans adoptent jusqu'à nos jours. Elle a lieu en réalité le 12 Rabi 1er 622. Mais Omar fixe le commencement de l'année au 1er Moharram.

---

[1] Etienne Dinet et Hadj Slimane Ben Brahim, *La Vie de Mohammed*. p. 109. Piazza, Paris 1918.

IV— L'organisation des adeptes

Maintenant que l'idée est diffusée dans toute l'Arabie et jusqu'en Abyssinie, que le nombre des adeptes est respectabe, que la foi s'est implantée dans les cœurs, il faut préparer la réalisation par une organisation rationnelle de l'action.

Les fondements essentiels de la doctrine sont révélés à la Mekke avant l'Hégire. Ce sont :

1) Dieu est Un et sans associé ;
2) Un jugement dernier attend les hommes après la mort ;
3) Cinq prières en cinq temps déterminés sont ogligatoires par jour.

L'organisation se termine à Médine où le Prophète construit sa Mosquée. Là sont instituées les prières du Vendredi et de l'Aïd, l'appel à la prière, la *kibla*, le jeûne, le pèlerinage, le Djihad, en un mot toutes les institutions politiques, juridiques et sociales qui donnent à la doctrine islamique la force d'une Constitution d'Etat, chose inconnue jusqu'alors en Arabie. En voici l'essentiel :

— Tous les croyants forment un Etat ;
— Le Prophète est le chef de l'Etat ;
— Il décide de la guerre et de la paix ;
— Quiconque viole la loi n'a droit à la protection de personne ;
— Quand un croyant subit un tort quelconque à cause de sa foi tous les autres croyants sont tenus d'en poursuivre la réparation ;
— En face des autres peuples, les Musulmans constituent une communauté des membres égaux entre eux ;
— Ils doivent se protéger les uns les autres, racheter leurs prisonniers et veiller à ce qu'il n'y ait parmi eux aucun indigent ;
— Un croyant ne doit pas tuer un de ses coreligionnaires en faveur d'un incroyant, ni prêter secours à un incroyant contre un coreligionnaire ;
— Les Chrétiens et les Juifs protégés par les Musulmans sont les égaux des Musulmans, mais ils ne sont tenus de participer à la guerre que lorsqu'il s'agit de protéger le pays. Aucun Chrétien, aucun Juif ne peut être contraint d'embrasser l'Islam.

Nouvelles difficultés

Cependant, s'il a échappé aux idolâtres de la Mekke, il ne jouit pas d'une paix totale à Médine où il a à faire face à de nouvelles difficultés :

1) Le climat ne convient pas aux émigrés, ils le supportent difficilement. Au début beaucoup d'émigrés sont proie à de grandes fièvres. Le Prophète leur rend toujours visite, prie pour eux et les exhorte à la résignation tout en remédiant au mal par les moyens usités.

2) La question matérielle préoccupe également le Prophète qui doit penser à subvenir aux besoins des émigrés. Ceux-ci sont reçus par les Médinois qui se les répartissent, mais tout en acceptant cette hospitalité les émigrés cherchent à gagner leur vie. On raconte à ce sujet qu'Ali, cousin du Prophète, trouve un emploi de porteur d'eau, moyennant une datte par seau. Il gagne seize dattes par jour qu'il se partage avec le Prophète. Cette légende que nous rapportons avec réserve est significative quant aux difficultés d'ordre matériel que les Musulmans doivent surmonter.

3) L'hostilité sournoise de deux éléments : les Juifs et les hypocrites. Avant l'arrivée du Prophète à Médine, les Juifs jouissaient d'une supériorité incontestable sur les Arabes :

— Ils ont une religion alors que les Arabes sont idolâtres ;
— Ils sont unis alors ques les Arabes sont divisés ;
— Ils menacent les Arabes par l'apparition prochaine d'un Prophète annoncé par les Ecritures et qui, selon eux, serait juif ;

Lorsque le Prophète est venu, l'attitude des Juifs à son égard marque peu à peu une certaine hostilité et pour cause :

— Le Prophète est arabe et non juif, ce qui détruit la supériorité raciale prétendue par les Juifs ;

— Il unit les Arabes en une fraternité portant un coup mortel aux intérêts juifs qui reposaient sur les divisions qu'ils entretenaient entre les Arabes ;

— Il change la Kibla vers la Mekke au lieu de Jérusalem, ce qui détruit la supériorité religieuse à laquelle prétendaient les Juifs.

De toute la communauté juive de Médine, deux notables seulement embrassent l'Islam.

Quant aux hypocrites, ce sont des notables qui se croient nobles et qui voient dans l'esprit égalitaire de l'Islam un danger pour leurs privilèges. Ils ne peuvent concevoir qu'ils soient égaux aux bergers et aux humbles. Mais devant le nombre imposant des convertis ils be peuvent déclarer leur hostilité. Ils affichent l'islamisme pour entrer au sein des Musulmans et rapporter leurs secrets aux Juifs et aux idolâtres de la Mekke.

Ainsi donc les difficultés ne sont pas encore finies pour le Prophète et ses adeptes. Mais ils en ont vu tellement qu'ils sont aguerris. Les tortures et les persécutions qu'ils ont subies à la Mekke ont contribué à tremper leur caractère.

Le Prophètes et les intellectuels

La classe des intellectuels est représentée par les poètes. Chaque tribu possède son grand poète qui glorifie ses exploits et ses prouesses et la défend contre les attaques satiriques. Aussi la naissance d'un poète est-elle un grand événement qui provoque une réjouissance générale chez la tribu, ce qui dénote l'importance accordée par les Arabes à l'éloquence.

Le Prophète n'est pas un versificateur, mais son éloquence laisse les Arabes stupéfaits.

On raconte à ce sujet que les notables koreïchites, voyant que leur hostilité ne fait que raffermir la foi des Musulmans, délibèrent en Conseil. L'un d'eux, Otba Ibn Rabia, offre d'aller parler à Mohammed. Il va lui proposer des offres d'une tentation irrésistible. En réponse, Mohammed récite quelques versets du Coran. Otba, fasciné par l'éloquence coranique et craignant sa séduction, porte sa main à la bouche du Prophète, le priant de couper la récitation. Puis il retourne chez ses amis et leur dit :

« Par Allah, je viens d'entendre un langage comme je n'en ai jamais entendu. Par Allah, ce n'est ni de la poésie, ni de la sorcellerie, ni de la magie… »

« Mohammed t'a ensorcelé », répondent-ils.

Certains intellectuels de ce temps reconnaissent la prophétie de Mohammed, tels Ouaraka Ibn Naoufal, un vieillard centenaire versé dans les sciences religieuses, cousin de Khadidja, l'épouse du Prophète ; le vieux poète Labid, le sage poète Omaya Ibn Abi Salt, Al Acha qui compose un long panégyrique du Prophète. Celui-ci trouvera plus tard un grand soutien et un bon défenseur en Hassan Ibn Thabit, auquel se joindra Kaab Ibn Malik.

Par contre, d'autres intellectuels l'attaquent en essayant de tromper les gens en le dénigrant bassement. Citons :

Annadhr Ibn Al Harith qui, chaque fois que le Prophète prèche en public, rappelant les malheurs que les peuples anciens ont subis, appelle les Koreïchites :

« Venez autour de moi, je parle mieux que lui. »

Puis il se met à raconter l'histoire des rois de Perse dont il a, parait-il, une grande connaissance, et dit :

« Ce que raconte Mohammed ce sont de pures légendes des anciens. »

Kaab Ibn Al Achraf, poète juif inluent, mobilise toutes ses muses pour composer contre le Prophète des satires qu'il va propager à la Mekke pour envenimer la haine des idolâtres[1].

---

[1] Kaab est un grand chef de la tribu juive Beni Nadhir engagée vis-à-vis du Prophète à ne pas faire la guerre aux Musulmans et à ne pas prêter secours à leurs ennemis, engagement ratifié par tous les chefs juifs dont Kaab lui-même. Violant cet engagement, Kaab ne se contente pas de faire des satires contre les Musulmans, de porter de graves atteintes à l'honneur de leurs femmes par une campagne de mensonges et de basses calomnies, il complote le meurtre du Prophète, incite les idolâtres à la guerre, essaie de soulever Arabes et Juifs contre les Musulmans. Ainsi, il

La Juive Aasma bent Marouan propage des satires virulentes dénigrant le Prophète et les Musulmans.

Kaab Ibn Zoheir, poète réputé, va également s'attaquer plus tard au Prophète. Puis il sollicitera son pardon dans un panégyrique qu'il vient réciter devant lui. Le Prophète lui pardonne et lui donne sa *borda*, manteau qu'il gardera jalousement.

Hassan Ibn Thabit prand la défense du Prophète par des répliques vigoureuses à ses détracteurs.

En plus des attaques de la poésie qui, chez les Arabes, tient encore lieu de presse, le Prophète doit faire face à de vives controverses religieuses avec les Juifs et les Chrétiens.

Mais si toutes ces difficultés sont facilement surmontées, il reste toujours à faire face à l'hostilité des Koreïchites, devant laquelle les Musulmans sont restés jusqu'ici sur la défensive.

Préparation militaire

Cependant la puissance dont ils disposent maintenant permet d'abandonner l'attitude pacifiste et de réagir contre une attaque éventuelle. C'est d'ailleurs en ce moment-là qu'est institué le *djihad*, qui consiste à se défendre par les armes contre toute attaque armée, et qui ne permet pas l'agression injuste. C'est à ce moment-là que le Prophète organise des troupes qu'il envoie s'exercer à la rencontre des ennemis. Un chef averti, un porte-drapeau, un drapeau blanc et quelques hommes connaissant l'usage des armes, telle est la composition de la troupe. Ainsi une première fois, le Prophète envoie son oncle Hamza, guerrier averti, à la tête d'une trentaine d'émigrés pour guetter le passage des caravanes koreïchites. Ils rencontrent

se déclare, comme le lui dit sa propre épouse, « en guerre » contre les Musulmans auxquels il est lié par un pacte de non-agression, c'est un grand fauteur de guerre dont la disparition est une nécessité pour la paix. La patience des Musulmans devant ses agissements ne faisant que l'encourager, ils décident de le mettre hors d'état de nuire, avec l'approbation du Prophète. Celui-ci ne tolère un pereil châtiment que dans le cas où il ne peut autrement remédier au mal.

Abou Djahl à la tête de trois cents idolâtres. Les deux clans s'alignent pour l'attaque, mais un homme sage intervient et les sépare. Il est félicité par le Prophète.

Le mois suivant, le Prophète envoie Obeïdah Ibn Al Harith, cousin germain de Hamza, à la tête de quatre-vingts cavaliers recrutés parmi les émigrés. Ils rencontrent une caravane de deux cents idolâtres. Ils échangent des flèches puis les idolâtres prennent la fuite craignant qu'il n'y ait chez les Musulmans un grand nombre de guerriers cachés. Les Musulmans les laissent et retournent à Médine.

L'année suivante c'est le Prophète lui-même qui organise une sortie et qui prend la direction de la troupe en confiant le drapeau à son oncle Hamza. Mais il arrive après le passage de la caravane. Alors il retourne. C'est la *ghazoua de Ouaddane.*

Une autre fois il sort à la tête de deux cents Mouhadjirines avec comme porte-drapeau Saad, mais sans rattraper la caravane guidée alors par Omaya, le tortionnaire de Bilal. C'est la *ghazoua de Bouat.*

Et une troisième fois il sort à la tête de cent cinquante Mouhadjirines ; le porte-drapeau est Hamza. Mais la caravane est déjà passée. C'est la *ghazoua d'Al Achira.*

Le Prophète emploie également le système des patrouilles de reconnaissance. C'est ainsi qu'il envoie une patrouille de huit éclaireurs avec comme chef Abd Allah Ibn Djaheh, auquel il confie une lettre cachetée avec l'ordre de ne l'ouvrir qu'après deux jours de marche. Passé les deux jours, il l'ouvre et lit ceci :

« Dès que tu liras ma lettre va jusqu'à Nakhla d'où tu guetteras Koreïch et informe-nous de ce qui s'y passe ».

L'ordre de n'ouvrir la lettre qu'après deux jours est une mesure de précaution de la part du Prophète qui observe la plus grande discrétion sur ses projets, car les Juifs et les hypocrites le guettent et rapportent aux Koreïchites tout ce qui peut les servir contre les Musulmans.

Ce faisant, le Prophète n'a nullement l'intention de déclencher une

agression injuste. Il est chassé de chez-lui avec ses adeptes injustement. Ils veulent tous retrouver leurs maisons et leurs biens. Ne sont-ils pas en droit de réclamer justice et réparation ? Sachant que leurs ennemis ne respectent que la force, ils s'organisent pour acquérir une force qui assurera la victoire dans la guerre et le respect dans la paix.

Cette force repose sur deux conditions essentielles :

1) L'unité solide des croyants. Le Prophète la réalise en unissant dans l'amour fraternel les Ançars et les Mouhadjirines. Les prescriptions religieuses telles les prières en commun, le jeûne en commun contribuent à cette union. L'interdiction des boissons fermentées et des jeux de hasard, causes de discordes, éloigne la désunion.

2) L'armée bien organisée, c'est-à-dire formée de guerriers à toute épreuve, dotée du matériel nécessaire, et surtout bien disciplinée.

Avant d'engager ses troupes dans les expéditions prévues il définit les principes à observer dans le combat :

1) Considérer les idolâtres comme belligérants parce qu'ils ont commencé, les premiers, par l'agression. Les Musulmans sont en droit de les combattre et d'entraver leur commerce jusqu'à ce que Dieu ordonne la prise de la Mekke ou qu'un armistice soit conclu entre les deux parties.

2) Si les Juifs trahissent et aident les idolâtres ennemis, ils seront combattus jusqu'à ce qu'ils soient hors d'état de nuire, par l'exil ou la mort.

3) Si une tribu arabe quelconque agresse les Musulmans ou aide les Koreïchites, elle sera combattue jusqu'à ce qu'elle obéisse à la loi de l'Islam.

4) Quiconque parmi les hommes aux Ecritures, comme les Chrétiens, commence, le premier, par montrer de l'hostilité aux Musulmans, sera combattu jusqu'à ce qu'il obéisse aux lois de l'Islam ou s'engage à verser une capitation.

5) Tout homme qui embrasse l'Islam préserve son sang et ses biens, sauf s'il commet un tort exigeant réparation. Pour le passé, la conversion en fait table rase.

Mûri par l'expérience et l'âge (il a 52 ans), éclairé par les enseignements divins, le Prophète organise ses forces en tenant compte des circonstances qui l'entourent.

L'union, l'ordre, la discipline, tels sont les piliers sur lesquels repose cette organisation.

V— **La réalisation**

Le Prophète organise soixante-quinze expéditions. Il en dirige lui-même vingt-quatre au cours desquelles il connait des succès et des revers. Les plus importantes sont : Badr, Ohod, le Fossé, Hodaybia, Moata, la Mekke.

Badr

C'est la première expédition importante du Prophète. Elle a lieu le 17 Ramadhan de l'an II de l'Hégire, qui correspond à l'an 624 de l'ère chrétienne. Bien que s'étant engagés seulement à défendre le Prophète au cas où il serait attaqué, non à participer aux expéditions, les Ançars, au nombre de 240 rejoignent pour la première fois les 73 Mouhadjirines pour constituer son armée. Celle-ci compte donc 313 hommes alors que les idolâtres sont trois fois plus nombreux avec leurs 950 guerriers. Les croyants remportent une victoire retentissante grâce à leur discipline. Ils perdent 14 hommes seulement : 6 Mouhadjirines et 8 Ançars. Les pertes des idolâtres sont considérables : la plupart des ennemis acharnés du Prophète périssent : Abou Djahl, Omaya le tortionnaire de Bilal, Al Oualid, etc. Abou Lahab meurt de rage et de dépit en apprenant la nouvelle à la Mekke. La bataille de Badr est « l'aurore de la puissance mondiale de l'Islam »[1]. Elle « marque une date dans l'histoire universelle »[2]. C'est pour l'Arabie un grand événement. Mohammed est puissant, il a une armée redoutable. La confiance des croyants se raffermit à ce premier

[1] Mohammed Essad Bey, *Mahomet.* p. 176.

[2] Ibid.

essai de bataille rangée et de discipline guerrière.

Ohod

La bataille de Ohod a lieu au mois de Chouel de l'an II de l'Hégire, correspondant à l'an 625 de l'ère chrétienne. Les idolâtres sont au nombre de 3.000. Les croyants comptent 1.000 hommes. 600 Juifs bien armés, alliés de Abd Allah Ibn Saloul, un hypocrite, se joignent au Prophète pour l'assister. Celui-ci les congédie parce qu'il redoute leur trahison. Alors Abd Allah essaie de semer la panique dans l'armée musulmane. Il débauche le tiers des fidèles et retourne avec les déserteurs à Médine.

A la montagne d'Ohod le Prophète dispose son armée dans un ordre qui assure la victoire. Il ordonne à chacun de rester à la place qui lui a été fixée et de ne la quitter sous aucun prétexte. L'armée idolâtre arrive, elle est puissante et décidée à effacer la défaite de Badr. Les croyants obéissant à l'ordre du Prophète en restant sur leurs positions ont un net avantage sur l'ennemi ; la victoire se dessine en leur faveur. L'ennemi est en déroute. Les croyants ivres de joie quittent leurs positions pour gagner le butin malgré l'ordre du Prophète de rester sur place. L'ennemi qui possède des stratèges avertis, s'apercevant de cette faute, en profite ; il retourne et reprend l'avantage en se rassemblant de nouveau et en attaquant de toutes parts. Hamza est tué, puis mutilé, le Prophète projeté et renversé dans un trou profond d'où on le retire. Des flèches et des pierres sont lancées sur lui ; une pierre lui fend la lèvre et lui casse une dent ; une autre rompt les anneaux de son casque et les enfonce dans sa joue ; le sang coule sans arrêt. Abou Dajana qui le protège de son corps est percé par les flèches. Abou Bakr et Omar sont blessés. Les idolâtres croyant avoir tué le Prophète lancent des cris de triomphe qui découragent jusqu'aux valeureux Ali, Abou Bakr et Omar qui le croient mort. Les Musulmans perdent 70 hommes qui sont sauvagement mutilés. C'est une pénible défaite dont la leçon servira à l'avenir. C'est le prix de l'indiscipline et de la désobéissance au Chef.

« La bataille de Ohod n'eut pas les funestes conséquences que l'on pouvait redouter pour l'Islam. S'il y avait éprouvé des pertes douloureuses il en retirait certains avantages. La défaite étant due à ce qu'on avait désobéi au premier avis de Prophète, puis à ses ordres

formels pour le combat, les croyants devaient, dans l'avenir, lui témoigner l'obéissance la plus absolue ; ils devaient exécuter ponctuellement tous ses ordres, même dans le cas où il serait frappé de mort, ainsi que le prescrit ce verset faisant allusion au découragement momentané d'Ali, d'Abou Bakr et d'Omar : 'Mohammed n'est qu'un Envoyé ; d'autres Envoyés sont morts avant lui ; s'il mourrait ou s'il était tué retourneriez-vous en arrière ?' (Coran, 3 :138)

D'ailleurs les défaites, lorsque la foi est ardente, ne servent qu'à aiguiser les énergies : 'Combien de Prophètes eurent à combattre des ennemis innombrables. Or ils ne se laissèrent point abattre par les revers éprouvés dans la voie d'Allah ; ils ne faiblirent point et ne se soumirent point. Certes, Allah aime ceux qui persévèrent.' (Coran, 3 :140)

La clémence envers les idolâtres ne devait plus être pratiquée ; la sauvage mutilation des soixante-dix martyrs la rendait impossible.

Enfin la distinction fut nettement établie entre les véritables croyants et les hypocrites tels qu'Abd Allah Ibn Saloul et ses partisans. »[1]

On voit le fruit de ces enseignements dans les batailles qui suivirent et particulièrement dans la bataille du Fossé qui a eu lieu l'an V de l'Hégire, correspondant à l'an 627 de l'ère chrétienne.

Le Fossé

Le Prophète, apprenant par ses éclaireurs et les patrouilles de reconnaissance la marche sur Médine, sur l'instigation des Juifs et des hypocrites, d'une importante armée de 10.000 hommes dirigés par Abou Sofyan de Koreïch, rassemble ses compagnons et les consulte. Salman lui conseille de creuser un grand fossé devant la ville. L'armée du Prophète compte 3.000 hommes seulement. Les hypocrites essaient de semer la panique dans les esprits. Les Juifs renient les engagements pris avec le Prophète et font alliance avec les idolâtres. Ceux-ci arrivent mais ne peuvent franchir le fossé. Certains essaient

[1] Etienne Dinet et Hadj Slimane Ben Brahim, *La Vie de Mohammed.* p. 160-161. Piazza, Paris 1918.

de le franchir, ils y trouvent la mort. La ville est ainsi assiégée durant vingt jours, lorsque le Prophète voit venir Noaym, un homme de l'armée assiégeante qui lui déclare être musulman à l'insu des siens et se met à sa disposition. Le Prophète lui dit :

« A quoi servirait ton courage ? Tu es seul. Mais ne pourrais-tu pas nous aider en amenant des défections chez les coalisés ? La guerre est une astuce. »

Jouissant de la confiance des diverses tribus coalisées, il réussit à semer entre elles la méfiance.

La méfiance mutuelle, le vent, le froid, le manque de ravitaillement découragent l'ennemi qui retourne chez-lui.

Al Hodaybia

Le Prophète voit, en rêve, son entrée à la Mekke avec ses compagnons. Il veut réaliser le rêve. Il part à la tête de 1.400 pèlerins avec des chameaux destinés aux sacrifices. Il s'arrête à Al Hodaybia qui se trouve à un jour de marche de la Mekke. Les Koreïchites avertis de son arrivée envoient des éclaireurs pour connaître ses projets. Le Prophète leur affirme ses intentions pacifiques. Pour s'en assurer, ils concluent un traité stipulant :

« Les hostilités sont suspendues pour une période de dix années ; celui qui, s'évadant de la Mekke, se réfugiera auprès de Mohammed sera rendu aux Koreïchites ; celui qui, abandonnant Mohammed, se réfugiera à la Mekke, les Koreïchites n'auront pas à le rendre ; Mohammed et ses compagnons retourneront sur leurs pas et ne tenteront point d'entrer à la Mekke cette année, contre le gré des Koreïchites ; l'année prochaine, les Koreïchites ne mettront plus d'opposition à la visite des Musulmans aux Lieux Saints ; ceux-ci pourront y séjourner trois jours mais ne porteront avec eux que les armes du pèlerin, c'est-à-dire les sabres dans leurs fourreaux. »

La seule clause que les croyants n'arrivent pas à admettre de gaieté de cœur est celle qui stipule le renvoi aux idolâtres de tout Musulman qui leur échapperait. Ils vont subir une dure épreuve lorsque, dès la signature du traité, Abou Djendel, un converti retenu prisonnier à la

Mekke, arrive avec des morceaux de chaînes aux chevilles. Son père, idolâte, le signataire du traité pour Koreïch somme le Prophète de le lui rendre, « le traité ayant été conclu avant son arrivée ». Le Prèphète tente de le garder en proposant à son père une rançon. Celui-ci refuse et reprend son fils pour l'emprisonner.

Après un séjour d'une vingtaine de jours à Al Hodaybia, le Prophète retourne à Médine. Il y trouve des femmes musulmanes enfuies de la Mekke. Observant une révélation lui apprenant que le traité ne les concerne pas, il les garde. Mais pour les hommes le traité est observé. Aussi, comme Abou Djendel, un autre converti, Abou Bacir, s'enfuit des griffes de ses opresseurs. Il est remis à deux hommes envoyés par les idolâtres à sa poursuite, le Prophète restant ainsi fidèle à son engagement.

Cependant, Abou Bacir arrive par une astuce à se délivrer. Il retourne chez le Prophète. Celui-ci lui ordonne de quitter Médine. Il se rend à El Aïs sur la route suivie par les caravanes koreïchites allant en Syrie. Il est rejoint par Abou Djendel et 70 autres Musulmans qui, sachant la non-culpabilité de Prophète pour ceux qui se libèrent sans lui, échappent des prisons des idolâtres. Rassemblés en ce lieu, les fuyards s'emparent de tous les convois qui y passent. Les Arabes des environs les rejoignent pour partager leur butin, et ils s'islamisent. Ils forment une petite armée de 300 hommes. Devant l'arrêt de leur ravitaillement, les Koreïchites écrivent au Prophète pour supprimer cette clause et rappeler à lui Abou Bacir et ses compagnons.

« Et lorsque Mohammed leur accorda satisfaction, il eut le bénéfice d'accomplir un acte de générosité, et, en même temps, d'augmenter ses forces dans des proportions considérables.

Les résultats de l'expédition d'Al Hodaybia qui semblaient si médiocres, furent donc d'une extrême importance ; dans le Coran, il lui est attribué une place presqu'égale à celle de Badr. En effet, au moment où les Musulmans pensaient devoir attaquer la Ville Sacrée, aucun d'entre eux, ni parmi les Mohadjirs mekkois, ni les Ançars médinois, n'hésita à prêter le serment de fidélité. L'arbre sous lequel le Prophète reçut ce serment, acquit, après sa mort, une telle célébrité, que de nombreux fidèles venaient y prier et qu'Omar dut l'abattre dans la crainte qu'il ne devînt l'objet d'un culte entaché de fétichisme.

Enfin, pour compléter ces résultats descendirent ces versets : 'Certes Allah fut satisfait des croyants lorsqu'ils te prêtèrent le serment de fidélité sous l'Arbre. Il connaissait le tréfonds de leurs cœurs ; Il fit descendre sur eux la tranquillité, et Il les récompensa par la promesse d'une victoire prochaine et d'un immense butin.' (Coran, XLVIII : 18-19) »[1]

L'année suivante, le Prophète et ses conpagnons vont accomplir le pèlerinage à la Mekke. Conformément aux stipulations du traité, ils n'y séjournent que trois jours. Les Koreïchites sortent de la ville. Le pèlerinage accompli, les Musulmans retournent à Médine.

Expéditions contre les Juifs

A son arrivée à Médine, le Prophète se montre très optimiste au sujet de ses rapports avec les Juifs. Sachant qu'ils sont des gens du Livre, il s'attend à être facilement compris et soutenu par eux.

De leur côté, ils se montrent d'abord consiliants, mais quand ils s'aperçoivent que la venue du Prophète porte un coup terrible à leurs intérêts politiques et économiques, ils essaient de réagir sournoisement, puis ouvertement. Le Prophète est amené à engager contre eux quatre expéditions.

1) La première contre les Juifs Beni Qaïnoqâ qui, après avoir attenté à l'honneur d'une femme narguent les Musulmans. Ceux-ci répondent à la provocation, les Juifs se réfugient dans des châteaux-forts où ils sont assiégés durant quinze jours. Puis ils se rendent, sollicitant du Prophète de les laisser quitter la ville avec leurs familles en y abandonnant leurs biens. Le Prophète leur laisse la vie sauve. Ils s'exilent en Syrie.

2) La deuxième contre les Juifs Beni Nadhir qui, violant leurs engagements envers les Musulmans, veulent attenter traîtreusement à la vie du Prophète qui se trouve chez eux pour régler un différend qui les opposait aux Musulmans et dans lequel les Juifs obtiennent

[1] Etienne Dinet et Hadj Slimane Ben Brahim, *La Vie de Mohammed.* p. 184. Piazza, Paris 1918.

satisfaction. Le Prophète ayant échappé à l'attentat, rentre à Médine. N'ayant plus confiance en eux après cette trahison qui rappelle celle de leur chef Kaab Ibn Al Achraf, il leur envoie un messager leur enjoignant de quitter les lieux. Mais ils s'enferment dans leurs châteaux-forts où le Prophète vient les assiéger. Six jours après, ils se rendent en sollicitant le Prophète de les laisser partir sains et saufs en emportant de leurs biens, armes exceptées, la charge d'un chameau chacun. Ils obtiennent satisfaction. Avant de partir, ils détruisent leurs maisons pour que les Musulmans ne les utilisent pas. Deux d'entre eux embrassent l'Islam.

3) La troisième contre les Beni Qoraydha qui ont trahi leurs engagements envers le Prophète en se joignant à ses ennemis dans la bataille du Fossé. Un blocus de vingt-cinq jours les accule à capituler. Les Musulmans de Aous, alliés des Juifs, sollicitent pour eux la grâce accordée aux Qaïnoqâ. Le Prophète remet leur sort à un arbitre choisi parmi les Aous. L'arbitre, Saâd Ibn Moadh, chef des Aous, considéré à Médine comme Abou Bakr à la Mekke, réputé pour son intégrité, jouissant de la confiance unanime des Médinois, connaissant parfaitement les Juifs Qoraydha avec lesquels il est en relation depuis plusieurs années, se prononce pour l'exécution de ces traîtres afin qu'ils ne puissent plus renouveler leur coup. Ce jugement est sévèrement critiqué par certains orientalistes. Un jugement si sévère de la part d'un homme si sage qui connaît si bien les intéressés, dont il comprend les desseins, les manœuvres et les tergiversations, signifie que tout espoir en un changement heureux dans leur comportement est perdu à jamais ; ils resteront ce qu'ils ont toujours été, ils tromperont toujours et trahiront toujours ; ils ne méritent plus aucune confiance après leurs nombreuses trahisons dont celle de la guerre du Fossé n'est pas la moindre. D'autre part, le fait que ce sont les Aous qui sont intervenus en faveur des Juifs et que ces Aous sont arabes et musulmans exclut toute idée de haine raciale ou religieuse. Le fait que l'arbitrage de Saâd est accepté avec satisfaction par les Juifs eux-mêmes exclut toute suspicion de parti pris. Le fait que ce jugement épargne les femmes et les enfants exclut l'idée d'une cruauté barbare. En outre, ce jugement est textuellement conforme aux prescriptions mêmes des Ecritures juives.

4) La quatrième contre les Juifs de Khaybar, à une centaine de kilomètres au nord de Médine, où les Juifs puissants et riches, loin de

la portée des Musulmans préparent la revanche. Ils entravent le commerce des Musulmans en coupant la route à leurs caravanes qui se dirigent vers la Syrie, causant ainsi un grand préjudice à la puissance de l'Islam. Les Musulmans marchent sur Khaybar qui est bien fortifiée. Mais ils remportent la victoire.

La victoire de Khaybar met fin à la puissance juive en Arabie. Du côté de Médine, le Prophète est maintenant débarrassé de ce terrible danger : la trahison.

Moata

Le Prophète envoie des ambassadeurs aux Monarques. Les rois de Bahreyne et du Yémen se convertissent ; le roi d'Egypte, l'empereur byzantin Héraclius, le Négus répondent poliment ; le roi de Perse menace ; Dieu le punit : son fils le tue. Seul Chorahbil Al Ghanassi, gouverneur de Balka sous la domination romaine, fait assassiner l'ambassadeur du Prophète. Celui-ci veut le venger. Il rassemble 3.000 hommes qui auront devant eux « non seulement les Arabes de Syrie, plus nombreux que ceux du Hedjaz, mais aussi les troupes romaines » occupant Balka. Chorahbil réunit une armée de plus de 100.000 hommes, dans laquelle figurent toutes les troupes romaines de la contrée, envoyées par Théodore, le lieutenant d'Héraclius. Devant la supériorité numérique de l'ennemi, les croyants hésitent, puis se décident à la guerre. Leur chef Zeyd est tué, les mains crispées sur l'étendard. Djafar relève l'étendard et prend le commandement. Il descend de sa monture et lui coupe les jarrets pour que l'ennemi ne l'utilise pas contre l'Islam. Il charge avec une bravoure admirable. La main portant l'étendard est coupée ; il le prend de la main gauche ; elle est coupée ; il le saisit « entre les moignons sanglants de ses bras, le redresse en tenant la hampe pressée contre sa poitrine et, sublime d'héroïsme, continue à charger l'ennemi jusqu'au moment où il tombe lui-même, criblé de quatre-vingt-dix blessures. »

Abd Allah Ibn Raouaha lui succède et ne tarde pas à succomber. « Les Musulmans, assaillis de toutes parts, ayant vu succomber leurs chefs, plient et commencent à s'enfuir en désordre. »[1] Khalid Ibn Al

---

[1] Etienne Dinet et Hadj Slimane Ben Brahim, *La Vie de Mohammed.* pp. 203-204. Piazza, Paris 1918.

Oualid ramène la confiance, et par sa stratégie habile il parvient à la victoire. « Dans cette mémorable journée, Khaled eut neuf sabres brisés entre ses mains. »[1]

Cette victoire rehausse le prestige de l'Islam.

Le triomphe

Quant aux idolâtres de Koreïch, ils ne tardent pas à violer le traité d'Al Hodaybia en massacrant une vingtaine de Musulmans. Cette violation décide le Prophète à exiger réparation. Il lève une armée de 10.000 hommes et marche sur la Mekke. Les Koreïchites ne lui opposent pas de résistance. Abou Sofyan et d'autres idolâtres embrassent l'Islam. Le 21 Ramadhan an VIII de l'Hégire (630 ère chrétienne), le Prophète fait sa rentrée triomphale dans la Mekke, sans verser aucune goutte de sang. Tous les gens se demandent avec inquiétude quel châtiment il va infliger à ses ennemis qui l'ont offensé et persécuté. il n'exploite pas sa victoire et il fait preuve d'une grandeur d'âme peu connue chez les grands vainqueurs. Il pardonne à tous les Koreïchites. Ceux-ci embrassent l'Islam en masse. Le Prophète entre dans la Kaaba et détruit toutes les idoles qui s'y trouvent.

Puis il s'adresse à tous les hommes rassemblés devant la porte pour donner de nouvelles prescriptions, procamant l'abolition de l'ordre ancien avec son paganisme et ses privilèges issus de l'origine :

« Dieu supprime l'orgueil de la Djahilia reposant sur l'esprit de caste. Tous les hommes descendent d'Adam », dit-il et il récite à l'appui le verset attestant que la seule aristocratie est celle de la piété.

A la Mekke le Prophète instaure l'Etat de Dieu, république théocratique qui est une démocratie authentique. Le Prophète, chef de l'Etat, se considère sur le même pied d'égalité que tout autre Musulman. Il n'y a pas de distinction entre l'Arabe et le non-Arabe. Les Musulmans et les non-Musulmans sont égaux en droits. La justice est la même pour tous.

[1]Ibid.

De tous les coins de l'Arabie, des délégations viennent embrasser l'Islam.

Durant les deux années qu'il lui est encore donné de vivre, le Prophète unifie le peuple de l'Arabie dans tous les domaines : religieux, linguistique et politique. Il meurt à Médine le lundi 13 Rabi 1er an XI (8 juin 632 ère chrétienne), à l'âge de 63 ans.

Avant sa mort, il fait le *pèlerinage d'Adieu*, au cours duquel il prononce un sermon où il donne les dernières prescriptions :

— Le sang et les biens de chacun sont sacrés ;
— L'usure est absolument interdite ;
— L'année est de douze mois lunaires ;
— Les femmes ont des droits égaux à leurs devoirs ; elles doivent être traitées avec bienveillance ;
— Les croyants sont frères ;
— Ne pas retourner à la mécréance pour s'entre-tuer ;
— S'en tenir au Livre de Dieu qui préserve de l'égarement ;
— Les hommes ont un seul Dieu ; ils sont issus d'un seul père, Adam. Pas de distinction entre l'Arabe et le non-Arabe, la seule aristocratie est celle de la piété.

Au cours du sermon il demande à cinq reprises le témoignage des croyants sur l'accomplissement de sa Mission :

« Ai-je accompli ma Mission ? »

Cent mille voix répondent d'un seul cri :

« Oui, assurément ».

Et Mohammed déclare :

« Mon Dieu, entends leur témoignage ».

Puis il reçoit le verset clôturant la révélation :

« Aujourd'hui j'ai parfait votre religion et accompli ma grâce à votre égard, et l'Islam est pour vous la seule religion que j'agrée. »

Une grande réjouissance emplit les cœurs. Ce jour est désormais jour de fête : c'est l'*Aïd El Kébir*.

Ainsi l'Islam, qui affirme la prophétie de tous les Messagers de Dieu qui ont précédé Mohammed, vient couronner toutes les religions qui leur ont été révélées. La religion de Dieu est maintenant parfaite. Le genre humain n'a plus besoin d'aucun prophète. Mohammed est le dernier Messager.

Jugé sur le plan humain, il apparaît comme un révolutionnaire qui a libéré son peuple et bouleversé l'ordre universel. Jugé sur le plan religieux, c'est un Messager qui a accompli sa mission en toute probité, supportant toutes les peines avec résignation, consentant tous les sacrifices avec satisfaction, bravant tous les dangers avec abnégation.

Le rayonnement

La voix du Dernier Messager s'éteint, mais son Message sera porté à l'Est et à l'Ouest de son berceau qui va rayonner à jamais dans le monde.

Vingt-cinq ans après la mort du Prophète l'Islam gagne la Syrie, l'Egypte, l'Afrique du Nord, la Perse, l'Irak. Cent ans après il s'étend de l'Indus à l'Atlantique. Aujourd'hui encore, de l'Indonésie et des Philippines, jusqu'au cœur de l'Afrique, le nombre des adeptes ne cesse d'augmenter. Ils sont actuellement près de 400 millions, de langues et de couleurs différentes disséminés sur les cinq parties du monde. Chaque année, ils se rendent, par milliers, à la Maison d'Allah et au Tombeau de Mohammed, témoigner leur attachement à Dieu et à son Dernier Messager. Chaque année, ils commémorent le *Mouloud* avec la même ferveur.

Quatorze siècles sont passés et l'influence de ce Messager demeure d'une puissance qu'aucune idéologie n'est arrivée à supplanter.

Des siècles passeront encore et le nom du Dernier Messager de Dieu, écrit en lettres indélébiles dans l'Histoire, sera transmis de génération en génération et son enseignement gagnera de plus en plus les esprits

et les cœurs.

الفصل الثاني: مساهمات في مجال الدعوة

ما يقال عن الإسلام وموقف المسلمين من الناقدين

محمود بوزوزو

محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي
الجزائر من 13 جمادى الثانية إلى 1 رجب 1392 هـ
الموافق لـ 24 يوليو إلى 10 أغسطس 1972 م
المجلد الثالث، الصفحات 109 إلى 134
منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

حضرات الإخوان والأخوات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

لا شك أنكم تعرفون قول الشاعر العربي القديم:

ما ترانا نقول إلا معارًا * أو معادًا من لفظنا مكرورًا

ولا شك في أن ما سأقوله لكم قد سبق أن سمعتموه أو قرأتموه أو عالجتموه أو جال بفكركم ولم يتح لكم أن تعبروا عنه.

وإذن فما الفائدة من تكراره؟ قد تكون في أن الحقائق والقيم الصحيحة يجب أن يقع التنبيه عليها وتكرارها حتى ترسخ في الأذهان والضمائر لأنها هي المحور الذي تدور عليه الحياة الإنسانية الحقة.

فالمحاضرون الفضلاء الذين تداولوا الحديث على هذه المنصة والمعقبون عليهم قد أشاروا إلى هذه الحقائق وهذه القيم تصريحًا أو تلميحًا بحيث لم يبق مجال للإتيان بشيء جديد، وبحيث لا مناص لمن يأتي بعدهم من تكرار بعض ما أشاروا إليه إجمالًا أو تفصيلًا.

وأرجو أن لا يكون هذا التكرار من النوع الممل، وأرجو أن يكون من النوع المؤكد للحق الذي هو مطلب كل عاقل.

ولست أدري إذا ما حدثكم أحد المحاضرين الفضلاء الذين جاءوا من بعيد عن وسيلة تنقله من البلد الذي كان فيه إلى هذا البلد غير أنه فيما يخصني أذكر لكم بكل بساطة أنني حضرت إلى هنا بواسطة الطائرة، وحين كنت في هذه الطائرة أخذ الفكر يجول في جو من التأملات فيما وصل إليه الإنسان من أنواع الاختراعات، وما مر به من المحاولات لبلوغ أرقى الدرجات، وإذا بي أتصور المحاولة الأولى للطيران فيتمثل في خيالي عباس بن فرناس الأندلسي الذي حاول أن يطير بنفسه في القرن الثالث الهجري، ويحضر في ذهني أنه كان مسلمًا، ويتقرر لدي أن الإسلام لم يمنعه من التفكير في الطيران ولا في محاولة الطيران، والطيران اليوم عنوان التقدم. فهل يصح أن يقال عن الإسلام أنه يعارض التفكير والتقدم؟

وإلى جانب هذه التأملات في الطائرة وما وصلت إليه اليوم من التطور حضرت بذهني – وأنا أنظر من نافذة الطائرة إلى البحر – التنقلات في الجواري المنشآت في البحر كالأعلام، وتمثلت في خاطري صورة ابن ماجد الصومالي الذي لم يبق له في البحار مكان مجهول له: كان يعرف الخلجان المختلفة، وأنواع البرازخ، والأماكن الخطيرة، والأماكن المأمونة... وكان فاسكو دي قاما [Vasco de Gama] قد اعتمد عليه وكان مدينًا له بجولته الشهيرة، وكان ابن ماجد مسلمًا ومعرفة البحار عنوان التقدم. فهل يصح أن يقال عن الإسلام أنه يعارض التفكير والتقدم؟

وكان ابن ماجد يضم إلى معرفته التامة بالبحار معرفة واسعة بالنجوم ومواقع الأفلاك ومداراتها وسائر أحوالها، وألف في ذلك أراجيز مفصلة، كما ألف في ضبط القبلة بحيث يهتدي إليها المسلم بسهولة في أي مكان كان لأداء صلاته باطمئنان. والتبحر في علم الفلك عنوان التقدم، فكيف يمكن أن يقال عن الإسلام أنه يعارض التفكير والتقدم؟

وجعلت أفكر في هذه المقولة وفيما يمكن أن يبررها، وجال نظري في مجالات الفكر عند المسلمين، وفي التساؤل عن محل وجد فيه هذا الفكر الباب موصدًا في وجهه، فنظرت في أنواع الإنتاج الفكري الممكنة من فلسفة، ورياضيات، وطب وحكمة، وعلوم طبيعية،

وأدب، وتاريخ، وغيرها، وبحثت عن أي باب من هذه الأبواب أوصده الإسلام في وجه الفكر البشري، وعن أي مسلم وجد الإسلام سدًا يمنعه من التطلع إلى هذه المناهل والاعتراف منها، وعن أي شخص أو شعب كان متقدمًا ثم أصبح متخلفًا بسبب اعتناقه الإسلام كما يزعمه الأب لامنس وغيره.

فرجعت بطبيعة الحال إلى تعاليم الإسلام وتأثيرها في إذكاء جذوة الفكر أو إخمادها، ثم إلى التاريخ.

أما تعاليم الإسلام فإنها قدمت لي ما لا يدع مجالًا للشك في كونها أوامر تخاطب الفكر حاثة على العلم والمعرفة بالوسائل الطبيعية من استعمال الحواس والعقل والتأمل في الكون والحياة، مع لفت النظر إلى أقرب الأشياء المحسوسة التي تشاهد – عادة – من طرف المخاطبين، كقوله تعالى "أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ".

وإلى جانب الآيات العديدة التي تحث على النظر في الكائنات الحية والجامدة تجيء أسماء السور التي تدعو إلى الفكر والنظر: النور، النجم، القمر، البروج، الفجر، الشمس، الليل، الضحى، الفلق، ومن النظر في كل هذا نشأ علم الفلك، ثم سور البقرة، والأنعام، والفيل، والنحل، والنمل، والعنكبوت، وهي تندرج في علم الحيوان والحشرات، ثم سور الإنسان، والعلق، والناس، والنساء، والمؤمنون، والكافرون، والمنافقون، والشعراء، وهي من علم الإنسان وأطواره وطبائعه وأحواله الفكرية، ثم سور التحريم، والطلاق، والمطففين، والتكاثر، مما ينبه إلى التعامل بين الناس، وهو من علم الاجتماع، ثم سور الهمزة، والماعون، والإخلاص وهي عبارات تتعلق بعلم الأخلاق، ثم سور القلب، والمجادلة، والفرقان والبينة وهي أمور تتعلق بالمعرفة والتمييز بين الحق وغيره، ثم سور العصر، والقصص، والأنبياء، وآل عمران، ونوح، وإبراهيم، ويونس، وهود، ويوسف، ومريم، ومحمد، والكهف، والروم، وسبأ، وقريش، وهي من مواضيع التاريخ. ثم سور الأحزاب، والشورى، والملك، والفتح، والصف، والنصر، وهي تتعلق بالسياسة، ثم سور الرعد، والذاريات، والمرسلات وهي تتعلق بأحوال الجو. ثم سورة الحديد وتذكر بعلم المعادن.

ثم إن هناك ما أطلق عليه اسم فواتيح الصور مما جاء على حرف واحد (ص، ق، ن) أو

حرفين (طه، طس، يس، حم) أو ثلاثة أحرف (ألم، الر، طسم) أو أربعة أحرف (المر، المص) أو خمسة أحرف (كهيعص، حمعسق)، مما يدعو إلى التأمل في الحروف، ومخارجها، وأنغامها، وكونها وسيلة للبيان تذكر بنعمة الله القائل "الرَّحْمَٰنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ".

فما ما اسم من أسماء السور إلا وهو يستوقف النظر ويدعو إلى التفكير الذي منه تنشأ العلوم.

وبين دفتي المصحف الكريم تفاصيل في مختلف شؤون الحياة تهز الفكر للنظر وقد يطول ذكرها، من ذلك: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"، وجاء في وصف الذين لا يستعملون فكرهم ولا حواسهم بهذه العبارة: "لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا". وجاء في الحديث النبوي الشريف الحث على طلب العلم بصيغ مختلفة، من ذلك "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"، "اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد"، فنصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لا تسمح مطلقًا بأدنى شك في حمل الفكر على العمل الذي يؤدي إلى العلم والمعرفة.

وإلى هذا يرجع الفضل في تفتق أذهان المسلمين عن هذه الثروة العظيمة من التأليف في شتى العلوم، وفي مقدمتها علوم القرآن كالتفسير وأسباب النزول والقراءات وشرح المفردات، وبيان المحكم والمتشابه، والأحكام، وعلوم الحديث كفن مصطلح الحديث، ومعرفة الرجال، وشروط الرواية، والتجريح والتعديل، وضبط الحديث وعلوم الشريعة أصولها وفروعها كفلسفة التشريع واستنباط الأحكام من الكتاب والسنة، والإجماع والقياس والاجتهاد والتقليد وهذه علوم خاصة بالمسلمين لا يشاركهم فيها غيرهم من الأمم ويجد الناظر فيما ألف في ذلك ذخائر لا تعد ولا تحصى، شارك في إنشائها الفكر الإسلامي المنطلق من كل مخ من الأمخاخ أيًا كانت جلدتها لأنه لا عبرة بالجنسية والعنصر عند المسلمين.

فمن أعلام الرجال في التفسير الطبري والفخر الرازي والزمخشري والبيضاوي وابن كثير والقرطبي والثعالبي، وغيرهم كثير، ولكل تفسير خاصيته تتميز بها العقلية الغالبة على العصر الذي برز فيه، ولا يكاد يخلو عصر من العصور من تفسير موجز أو مطول إلى عصرنا هذا الذي يتفيأ فيه دراسة في ظلال القرآن.

ومن أعلام المحدثين أصحاب الكتب الستة الأئمة: البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجة، وشراحهم كابن حجر، والقسطلاني، والعيني، والنووي، وأبي بكر بن العربي، وبرز في تمحيص الحديث وضبطه كثيرون من أشهرهم السيوطي.

وممن برزوا في فلسفة التشريع (وهو ما يسمى بأصول الفقه) الغزالي، والآمدي، والكمال بن الهمام، وأبو إسحاق الشاطبي، وابن حزم القرطبي، والشريف أبو عبد الله التلمساني، وابن قدامة، والنووي وشارحه الاسنوي، والبزدوي وشارحه العزيزي.

ومما يتصل بهذه العلوم علم اللغة وقواعدها كالنحو والصرف والبلاغة، وقد غاص المسلمون في بحورها إلى الأعماق، واستخرجوا منها أنفس الأعلاق، ومن أعلامهم في ذلك سيبويه، وابن فارس، والحريري، والهمذاني، والثعالبي، وابن مالك وابن هشام، والسكاكي، وأصحاب القواميس كالفيروز أبادي، وابن سيده، وابن منظور الأفريقي صاحب لسان العرب.

وكل هذا الإنتاج الفكري العظيم نشأ عن الرغبة في استظهار آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، لاستنباط الأحكام التي يسار عليها في الحياة العملية وقد بذلت في سبيل ذلك جهود جبارة، ومن أمثلة ما وصلوا إليه من العناية البالغة وبذل أقصى الجهد في سبيل ضبط المعاني والتحقيق أن أحدهم أشكل عليه معنى عبارة "لا مناص" في القرآن الكريم فجعل يتنقل في البلاد باحثًا عن المعنى المراد حتى وجد يومًا ولدًا بيده عود يمنع به حشرة من الذهاب حيث تريد فأينما توجهت يضع أمامها هذا الحاجز قائلا: "لا مناص" فعرف المعنى واطمأن، وقد امتازت كتب الأمالي كأمالي المرتضى وأبي علي القالي وغيرهما بالدقة في هذا الموضوع، وإلى جانب ضبط اللغة وقواعدها اعتنى المسلمون بضبط الكلام الموزون والقافية لضبط أوزان الشعر فنشأ فن العروض الذي اكتشفه الخليل بن أحمد الفراهيدي ووجد هذا الفن من بعده من تبحر فيه إلى عصرنا هذا الذي برز فيه العالم الجزائري المرحوم محمد بن أبي شنب بتأليف لا نظير له.

وعلى أساس هذه القواعد تنوع الإنتاج الأدبي من النثر المرسل إلى السجع المعجب إلى الشعر المطرب، فغنيت المكتبة العربية بفن الترسل الذي برع فيه أمثال ابن العميد ولسان الدين بن الخطيب، وبفن المقامات الذي برع فيه الحريري والهمذاني، وابن الخطيب، وابن

خاتمة وغيرهم، كما حلق الفكر والخيال في الأجواء الشعرية فجاءا بهذه الثورة العظيمة التي لا تنفذ مدى الدهر على لسان المتنبي والمعري، والشريف الرضى، وابن زيدون، وابن حمديس الصقلي، وابن خميس التلمساني، وتفنن الشعراء في الأوزان فأبرزوا لنا الموشحات والأزجال، وأبدعوا فيها أي إبداع، وكان للمرأة مشاركة في بعض الميادين العلمية والأدبية راوية أو ناقلة أو منشئة أو مشجعة نذكر على سبيل المثال عائشة البجائية التي اشتهرت بحفظ القرآن الكريم وكتابته بأحسن خط، كما اشتهرت بسعة معرفتها باللغة العربية وتبحرها في دقائقها من ذلك أنها أرسلت إلى أكبر شاعر جزائري في عصرها القرن السابع الهجري أبي علي الحسن بن الفكون القسنطيني ببيتين من الشعر ليعاوضهما من حيث الجناس وهما

أخذوا قلبي وساروا * واشتياقي أودعوني
لا أعد أن لم يعودوا * فاعذروني أو دعوني

فعجز بن الفكون عن وجود جناس من نفس اللفظ لأنه لا يوجد في اللغة العربية من هذه العبارة غير هاتين الصورتين وبلغت العناية المدونة، فهل يمكن أن يقال إن الإسلام منع الفكر عند المرأة أن يجول في ميادين الإنتاج؟

وجال الفكر الإسلامي في سماء النقد الأدبي وبيان أسرار البلاغة وقواعد حسن التعبير فأرسى لذلك أسسًا صحيحة قويمة لمع في وضعها أمثال قدامة ابن جعفر، والجرجاني، وأبو هلال العسكري والقيروانيون ابن رشيق، وابن شرف، وأبو إسحاق الحصري صاحب زهر الآداب، وأبو منصور الثعالبي، وابن بسام صاحب الذخيرة، ولم يكتف المسلمون بالتأليف في هذه الفنون المختلفة نثرًا في مختصرات ومطولات بل أجهدوا فكرهم في التأليف فيها نظمًا، والمكتبة الإسلامية زاخرة بهذه المنظومات مع شروحها المتنوعة طولًا وقصرًا، وهو جهد فكري وعمل فني لا نظير له عند غيرهم من الأمم.

فهل أمام هذا يجوز أن يقال إن الإسلام يمنع الفكر عن القيام بالمهمة التي خلق لها؟

والفضل غي ذلك يرجع إلى القرآن الكريم الذي دفع الفكر إلى استجلاء معانيه، وعلى ضوء القرآن الكريم اتجه الفكر الإسلامي إلى التاريخ مبتدئًا بضبط السيرة النبوية وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم، ثم قصص الأنبياء، فأخبار الأمم والدول. فظهرت مختصرات

ومطولات في مختلف البلاد الإسلامية، منها سيرة ابن هشام والرياض الناضرة، والإصابة، ثم المطولات المختلفة الحجم كتآليف الطبري وابن الأثير، والمسعودي، وابن قتيبة، وياقوت الحموي، وعبد الرحمن بن خلدون، وأخيه يحي صاحب بغية الرواد الذي يذكر فيه تاريخ ملوك بني عبد الواد بتلمسان، والمقري التلمساني صاحب "نفح الطيب"، وفي هذا العلم – علم التاريخ – انطلق الفكر الإسلامي للتمحيص وضبط الأخبار ونقدها والبحث عن قوانين المجتمعات البشرية بفضل عبد الرحمن بن خلدون الذي كان له في ذلك السبق، وكان له أطيب الأثر على صديقه لسان الدين بن الخطيب صاحب "الإحاطة في أخبار غرناطة" وصاحب "رقم الحلل في نظم الدول" الذي ألفه نظمًا وهو من أول من ألف في التاريخ نظمًا، ويتصل بهذا العلم علم التراجم الذي برع فيه ابن خلكان، وابن النديم، وأبو منصور الثعالبي، وأبو الفرج الأصفهاني، وياقوت الحموي صاحب معجم الأدباء، ويندرج في هذا علم الطبقات كطبقات الأمم وطبقات الفقهاء، والنحاة، والشعراء، والحكماء كما يتصل به علم الأنساب الذي برع فيه رجال أمثال ابن حزم القرطبي في كتابه جمهرة أنساب العرب، وهو فن خاص بالمسلمين دون سواهم.

وخاض الفكر الإسلامي في الميدان السياسي معتنيًا بأدب السلوك وأخلاق الكتاب والوزراء والملوك، فبرز فيه أعلام كالماوردي صاحب الآداب السلطانية، وابن طباطبا، وابن ظفر الصقلي صاحب سلوان المطاع في عدوان الأتباع الذي ترجم إلى الإيطالية والانجليزية (و نرجو أن يترجم إلى الفرنسية).

و لم يقف الفكر الإسلامي عند هذا الحد بل غاص في بحر الطب والحكمة، وجاء بالعجب العجاب فلمع في ذلك أبو بكر الرازي المسمى بالإفرنجي Razes وابن سينا Avicenne الذي برع في الطب العام والطب النفساني، ومن بعد هذين برز ابن النفيس والأندلسي ابن زهر Avenzor وابن باجة Avenpace ولمع في التشريح أبو القاسم الزهراوي الأندلسي Aboulcassis وقد جمع كثير من الأطباء بين الطب والحكمة أو الفلسفة، إذ لم يكتف الفكر الإسلامي بالخوض في هذه الميادين وحدها بل اقتحم الميدان الذي يخص التفكير ومنهج البحث لحفظ العقل من الزلل ولهدايته إلى الصواب في إصدار أحكامه. فطرق باب المنطق ومن ألمع ما أنتجه الفكر الإسلامي في ذلك كتاب "الإشارات والتنبيهات" لابن سينا والشرحان النفيسان عليه لأبي زكريا الأنصاري وفخر الدين الرازي، ولم يتردد الفكر الإسلامي في ميدان الفلسفة من الاقتباس من الفكر اليوناني وهضم ما أخذ عنه وإبراز إنتاج يتلاءم وطبيعة الإسلام، كما فعل ذلك ابن رشد Averroès ومما

يحمل طابعًا إسلاميًا خالصًا كتب الغزالي، ورسائل ابن حزم، وكتاب ابن أبي حجلة التلمساني "ديوان الصبابة" في فلسفة الحب، وكتاب لسان الدين الخطيب "روضة التعريف بالحب الشريف"، في الحب الإلهي حيث يقول:

أنا لا أهيم بذكر من قتل الهوى * لكن أهيم بذكر من أحياه

وقد جمع كثيرون بين الفلسفة والعلوم الطبيعية أمثال جابر بن حيان الذي برع فيها وبصفة خاصة في الكيمياء التي ألف فيها كثيرًا، ويروى أن له كذلك تأليفًا في علم الإسطرلاب لا نظير له، كما برع في الرياضيات البيروني والخوارزمي.

هذا ولم نتحدث عن العلوم الأخرى كالجغرافيا التي لمع فيها الشريف الإدريسي والحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي المسمى باسمه النصراني يوحنا الأسد.

وأما التاريخ فيشهد بأن الإسلام هو الذي دفع بالأمة العربية والأمم غير المتحضرة التي اعتنقته إلى المساهمة في بناء الحضارة الإنسانية والشواهد على ذلك كثيرة، يطول ذكرها.

وتاريخ الحضارة الإسلامية حافل بالشواهد على تجول الفكر الإسلامي في انطلاق تام في كل ميدان حتى العناية بإتقان صناعة أواني الزجاج والزخرف، والمخرمات، والبراعة في الفن المعماري الذي لا تزال آثاره قائمة في كثير من الأقطار، وكل هذه الشواهد ناطقة ببطلان تلك القولة التي تزعم أن الإسلام يعارض الفكر والتقدم.

وهناك قولة أخرى ترمي الإسلام بالتعصب وعدم التسامح، وقد وافانا في هذا الموضوع الدكتور علي عبد الواحد وافي بما هو الوافي الشافي غير أني أود أن أضيف إلى الأمثال الجليلة التي ذكرها مثلًا من سلوك المسلمين في الحرب مع بعض الأسرى وذلك أن ضابطًا فرنسيًا وقع أسيرًا في أيدي الجزائريين في عهد الأمير عبد القادر، فحاول أن ينتحر، فأتوا به إلى الأمير عبد القادر فقال له: "ما حملك على الانتحار؟ فأجاب: إنني سمعت أن المسلمين يذبحون أسراهم، فقال له: لقد كذب عليك من قال لك هذا، اذهب إلى قومك وقل لهم أننا معشر المسلمين لا نقتل أسيرًا ولا نجهز على جريح"...

وهناك قولة أخرى تزعم أن الإسلام يدعو إلى الخمول والكسل والعزوف عن الكد

والعمل، ويكفي للرد على هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مارس التجارة وأن أبا بكر الصديق كان تاجرًا، وأن الصحابة رضوان الله عليهم كانت لهم أعمال يمارسونها، وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على العمل ذاكرًا أن الأفضل للإنسان هو أن يذهب إلى الغابة فيحتطب ويبيع حطبه فيعيش من كسب يده ولا يتكفف الناس، ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول: اللهم ارزقني، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة"، وفي تعاليم الإسلام ما يدحض هذه الفرية إذ أن الزكاة المشروعة إنما تقوم على المال، فكيف يمكن أن يؤدي مسلم هذا الركن إذا لم يكن له مال؟ وكيف يرضى أن يتقاعد عن أداء هذا الركن إذا كان عالي الهمة؟ وعلو الهمة من الإيمان ثم إن في الإنتاج الحضاري الإسلامي ما يشهد بأن الإسلام والنشاط حليفان لا يفترقان سواء في عالم الحس أو في عالم الروح.

ولنا الآن أن نتساءل من أين جاءت هذه القولات التي ترمي الإسلام بما هو منه براء؟ الظاهر أنها وليدة المقارنة بين حالة العالم الإسلامي وحالة العالم غير الإسلامي. فحين تجري هذه المقارنة في العصر الحاضر يسارع أعداء الإسلام إلى تحميل الإسلام مسؤولية تخلف المسلمين عن الركب الطائر.

ولو أجرينا المقارنة بين حالة العالم الإسلامي يوم كان المسلمون مسلمين وبين حالة غيرهم في تلك العصور لبرز لنا العكس، ولظهر تفوق المسلمين على غيرهم، ووجدنا أن السبب الرئيسي في تقدم المسلمين إنما كان الإسلام، وهذا الإسلام الذي كان سببًا لتقدمهم في الماضي لا يزال قادرًا على دفعهم إلى الأمام في الحاضر وفي المستقبل إلى يوم الدين.

غير أنه لا ينبغي أن تتجه الأنظار إلى المقارنة بين المسلمين وغير المسلمين وتقف عند ذلك إنما ينبغي البحث عما يمكن أن يقدمه كل منا من خدمة للإنسانية بالاستفادة بعضنا من بعض فيما فيه الخير لبني الإنسان، وأن يكون ذلك بالإخلاص، لأن الإخلاص هو الشرط الأساسي لكل عمل صالح مثمر، وفي الحديث النبوي الشريف "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى" الحديث.

ويجب علينا – حين ننظر على ما ورّثه إيانا أجدادنا نظرة اعتزاز – أن لا نقف عند هذه النظرة التي تبعث فينا الفخر بأمجادنا. إنما يجب إلى جانب هذا أن نستخلص العبر، فنلتفت إلى ما كان لهم من أمانة وإخلاص في حمل الرسالة التي آمنوا بها حقًا فأدوها

وبلغوها كما يجب، فنبني كما بنى أوائلنا، ونبني كذلك كما يبني جيراننا في عصرنا مع التبصر لما فيه الخير لنا ولغيرنا.

هذا ولم أشر إلى قولة أخرى تقال عن الإسلام وهي متغلغلة في الأذهان وهي أن الإسلام دين "المحمديين" ومنهم من يسميه "بالمحمدية" (Mohamétisme) وقد ظهرت عبارة جديدة وهي "أيديولوجية إسلامية".

وأرى أنه يجب ضبط معنى الإسلام لدفع هذا التصور ذلك لأن هذا التصور يوهم أن الإسلام فكرة جالت في رأس رجل ثم تحولت مذهبًا ودينًا، وبقاء تسمية الإسلام باسمه إسلامًا دون نسبته إلى رجل أو شعب والمحافظة على هذه التسمية من الدلائل على أمانة محمد عليه الصلاة والسلام في التبليغ.

فالإسلام – من حيث التعريف – كلمة عربية تعني الإذعان، وفي القرآن الكريم ورد على لسان سليمان عليه الصلاة والسلام في كتابه إلى أهل سبأ "ألا تعلوا علي واتوني مسلمين" أي مذعنين.

وجاء في القرآن الكريم أن الإسلام دين، في قوله تعالى "ورضيت لكم الإسلام دينا" وقوله: "إن الدين عند الله الإسلام" وكلمة "دين" عربية تعني التعامل ومن الأمثال السائرة: "كما يدين الفتى يدان" أي يعامل بالمثل.

وجاء في الحديث النبوي الشريف "الدين المعاملة " وهو قريب من المدلول اللغوي المجرد ولكن يرمي إلى أبعد من ذلك. وجاء في الحديث أيضا: "الدين النصيحة" والنصيحة الصفاء والخلوص من الشوائب، والمراد بها هنا صفاء القلب والسريرة وطهارة الباطن والضمير عند التعامل بين الناس ومع الله، وورد في القرآن الكريم "ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا". وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله قائلًا: "يا رسول الله قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك. فقال: قل آمنت بالله ثم استقم". ويتجلى لنا من كل هذا أن الإسلام هو الإذعان لأمر الله والإيمان به مع الاستقامة التي هي مرآة هذا الإيمان وهذا الإذعان بصفاء قلب وحسن معاملة، وهذا هو جوهر كل الأديان السماوية.

فالآية القرآنية "إن الدين عند الله الإسلام" تشير إلى أن هذا الدين الذي أوحاه الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم هو الدين الذي ارتضاه للعالمين، وهو في جوهره إذًا الدين الذي أوحى به إلى كل نبي، ونجد الدلالة على ذلك في كتاب الله حيث أطلق النعت بالإسلام على جميع الأنبياء وأتباعهم.

"ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا"
"ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا َبني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون"
"فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون"
"شرع كلم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه"

وتدل الآية الأخيرة على أن الدين الذي شرعه الله لمحمد عليه الصلاة والسلام هو الذي شرعه للأنبياء السابقين عليهم صلوات الله وسلامه، ومن هنا يتضح لنا قوله تعالى "إن الدين عند الله الإسلام" أن هذا الدين الذي جاء على لسان محمد هو في جوهره بالمعنى العام للإسلام الذي هو الإذعان لإرادة الله والعمل بوحي الله. وأكمل الله الدين إكمالًا لجوهره وصورته – من حيث العقيدة والتطبيق – على لسان محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو خاتم النبيين المرسل رحمة للعالمين يذكرهم بما أوحاه الله من قبل ويبين لهم طريقة تطبيقه من جميع الوجوه، بحيث لا يبقى بعد ذلك مطلب لطالب في مجال العقيدة والتطبيق "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا".

وإذًا فالإسلام ليس "محمدية" ولا "عربية" إنما هو دين الله الذي ارتضاه للعالمين إلى يوم الدين. وليس "إيديولوجية" أي فكرة خطرت بذهن رجل عن الكون والحياة ثم تحولت دينًا، إنما هو وحي الله، ليس من ابتكار بشر ولا من اكتشافه، وهو أسلوب حياة يبين للإنسان مبدأه ومصيره والسلوك الذي يجب أن يسلكه ليحقق المصير الذي خلق له.

هذه هي حقيقة الإسلام من حيث التعريف، أما من حيث التشخيص والتطبيق فلا يبين حقيقته إلا المسلمون. فالسلوك المستقيم الذي تتجلى فيه تعاليم الإسلام هو الرد الصحيح المفحم على كل الأقاويل والافتراءات التي تلقى على الإسلام.

وقد بين المسلمون في الميدان الفكري في كل عصر وفي عصرنا هذا أن الإسلام لم يحل بينهم وبين النهل من العلوم التي أقبلوا عليها ووردوا مواردها فعندنا اليوم في مختلف البلاد الإسلامية أطباء وأساتذة في شتى العلوم العصرية وفي هذه القاعة فضلاء أجلاء، هم شواهد حية ناطقة بصدق هذا وصحته. ومجرد وجودهم بعلومهم رد على من يرمي الإسلام بالجمود. غير أن الإسلام لا يتم بروزه حيًا ناطقًا أذا كان أهله مظهرين جانبًا واحدًا من جوانبه فقط. فهو كل لا يتجزأ فمثال ذلك أننا نرى من المثقفين المسلمين من يقدمون أحاديث ممتعة وبحوثًا طريفة ويألفون كتبًا قيمة للتنويه بالإسلام، وهذا جميل، ومن المستشرقين عدد قليل يفعلون ذلك. فإذا كان الكاتب المسلم لا يطبق في حياته تعاليم الإسلام فما هو الفرق بينه وبين المستشرق الذي ينصف الإسلام وهو غير مسلم؟ فليس الإسلام قضية تخدم أو تستخدم إنما هو نظام حياة وسلوك. وهكذا كان يفهمه أمثال عباس بن فرناس الأندلسي في القرن الثالث الهجري، ذلك الرجل المسلم المقدام الذي ورد الاستشهاد به في أول هذه الكلمة البسيطة المتواضعة. وقد جرت على الألسن كلمة "الإسلام دين ودنيا" والواو عند النحاة تفيد مطلق الجمع، والجمع بين الدين والدنيا والعلم والعمل هو الذي رفع المسلمين إلى ما وصلوا إليه من المجد. وحين وقع الفصل بينهما وقع الفصل بينهم وبين الجد.

ولعل التأمل في هذا سيساعد على فهم بعض الأسباب لضياع القدس وانقسام باكستان وما يعانيه العالم الإسلامي اليوم من بعض المشاكل في مختلف الأقطار.

والله نسأل أن يعيننا على علاج تقصيرنا ويجعلنا على الإسلام الصحيح الذي ارتضاه لنا حتى نصلح حاضرنا ومستقبلنا.

والحمد لله رب العالمين
والسلام عليكم ورحمة الله

تعقيبات ومناقشات

تعقيب الدكتور أحمد مكي

سيادة المحاضر الكريم، أقدر للمحاضر الكريم مجهوده حق قدرها بعد استماعي إلى محاضرته عما يقال عن الإسلام وموقف المسلمين من الناقدين. ولي على هذه المحاضرة استيضاح ولي إثرها خاطرة. أما الاستيضاح فإنني سمعته وهو يذكر المفسرين كالطبري، وابن كثير والبيضاوي وغيرهم يذكر في جملتهم الثعالبي، فهل كان ذلك سبقًا في اللسان وقصد الثعالبي؟ أم أنه عن الثعالبي؟ - لأننا كما نعلم- وهذا ما وقع في مقدمة ابن خلدون حين اعتبر الثعالبي من المفسرين وكان ذلك على الأغلب من تصحيف النساخ فالثعالبي هو الذي كان من المفسرين والثعالبي صاحب يتيمة الدهر وفقه اللغة وغيرهما من الكتب. لم يكن من المفسرين وإنما كان أديبًا مؤرخًا للأدب ومعنيًا بشؤون اللغة.

رد الأستاذ المحاضر

إنني للدكتور أحمد مكي تقديره غير أنني لم أورد إسم الثعالبي في التفسير إلا وأنا أقصد الشيخ عبد الرحمن الثعالبي دفين الجزائر. وتفسيره الجواهر الحسان وهو في أربعة أجزاء. وقد ذكرت بعض التفاسير وأشرت إلى أنها تعبر عن حالة الفكر والثقافة في العصر الذي برزت فيه. وتفسير الشيخ عبد الرحمن الثعالبي يمتاز بكونه لا يشرح كل الآيات القرآنية الواردة في السورة التي يتعرض لها إنما يشرح بعض الآيات. وهذا يدل على أن باقي الآيات ومعناها كان مدركًا في عصره فلا يحتاج القراء إلى أن تسجل مع تفسيرها وإنما أشار إلى تفسير بعض الآيات التي كانت محمل بحث وكانت معانيها تجول بالأفكار في ذلك العصر. وأما أبو منصور الثعالبي فقد أشرت إليه في معرض رجال التراجم الذين كتبوا تراجم الأدباء والشعراء في كتابه يتيمة الدهر وهو أيضا في أربعة أجزاء.

تعقيب فضيلة الدكتور محمد عزيز الجبابي أستاذ بكلية الأدب جامعة الجزائر

مجرد كلمة قصيرة حول قضية المحمدية le mohamadisme أظن أن الذين يطلقون هذا الإسم لا يجعلون ذلك عن قصد إساءة ولكن عن طريق القياس بما أن المسيحية نسبة إلى المسيح christianisme جاء من كلمة hrist كذلك ظنوا أن يقولوا بما أن محمد

هو النبي الذي أتى بالإسلام فإذن يشتقون من اسمه ولكن هناك فارق إذا كان الإسلام يجعل من محمد مجرد رسول وما كان محمد إلا خاتم الرسل فالمسيحية تعتبر المسيح أقنوما من الأقانيم الثلاث الأب والإبن والروح القدس. ثم المسيحية لا يمكن أن تعقل أو أن تدرك دون شخصية المسيح، فولادة المسيح وصلبه على رأي المسيحيين وخروجه بعد أيام إلى غير ذلك هذه قضايا أساسية في المسيحية فإذا حذفنا المسيح انقضت المسيحية في حين أننا نستطيع أن نفعل كما يفعل أصحاب الفينومنولوجيا la phénoménologie محمد عليه الصلاة والسلام بين قوسين ويبقى الإسلام قائمًا بذاته لأن الرسالة المحمدية تنتهي بموته. فما ترك من سنة وما تزال عليه من قرآن يكفي فهو قائم بذاته لذلك محمد عنده الجانب الإنساني والجانب النبوي في حين أنه لا إلهية له. وبهذه المناسبة أشير إلى أن بعض المستشرقين تعرضوا إلى هذه القضية وردوا عليها هم أنفسهم لأن هناك كما قلت في هذا الصباح متطفلين على الاستشراق وهناك المستشرقون الذين يقومون بجهود علمية للعلم بمناسبة التسامح كما أن هناك مستشرقين يخدمون الإسلام عن صدق لخدمة العلم كذلك عندنا معاوض الإسلامولوجي تقول المسيحينولوجية وهم المسلمون كمثل كتاب أعده بأحسن ما كتب في هذا القرآن وما كتب يدل على التسامح هو كتاب الأستاذ كامل حسين "قرية ظالمة" وأحث جميع المسلمين أن يقرأوا هذا الكتاب وسيجدون فيه أحسن صورة للتسامح الإسلامي محبة للمسيحية وتقديرًا من مسلم واع وعالم كبير، وشكرًا.

أسئلة الطلبة

س- جاء في محاضرتكم القيمة بأن الإسلام ليس هو أيديولوجية كما يفهمه البعض، فالرجاء من سيادتكم توضيح ذلك؟ الطالب يوسف منشاق

ج- لقد ذكرت بكل وضوح أن الأيديولوجية تعني فكرة تنشأ في رأس إنسان ثم تتحول مذهبًا أو نظامًا فلسفيًا أو سياسيًا أو اجتماعيًا والإسلام إنما أساسه القرآن الكريم، والقرآن الكريم ليس فكرة جالت برأس محمد عليه الصلاة والسلام، إنما هي وحي من الله وما جال بفكر الرسول صلى الله عليه وسلم من الإلهامات الربانية إلى جانب الوحي هو الحديث النبوي الشريف الذي يشرح ويبين ما في القرآن الكريم فهو بيان وتوضيح للقرآن الكريم. فالوحي الإلهي لا ينبغي أن يشوه وأن يجعل في مقام واحد مع أيديولوجية بخلاف المذاهب الفلسفية الأخرى التي ظهرت في هذا العصر ولا تزال تظهر بعد ذلك في كل

عصر ما دام للإنسان فكر وما دام هذا الفكر يتأمل ويخلق وينتج فكل فكرة تتحول مذهبًا تسمى أيديولوجية، والإسلام بريء من هذه التسمية كما ذكرنا لأن القرآن الكريم وحي من الله.

س- ما هو موفق الإسلام من التيارات الحضارية الراهنة؟ الطالب إبراهيم أوشريف

ج- لست أدري ماذا يعني من التيارات الحضارية، وإذا كانت هناك تيارات حضارية في فائدة الإنسانية بحيث تضمن للإنسان سلامة روحه وعقله وأخلاقه، فهذه يمكن أن تسمى نظريات حضارية، وكل مذهب من المذاهب قد يمكن أن يكون فيه خير وكل ما هو خير للإنسان فإنه يكون مطابقًا للإسلام وكل ما هو شر وسوء على الإنسان في دينه ودنياه فإن الإسلام ينبذه ولا يرضى به ولا يقبله، فالحضارة الإنسانية في نظر الإسلام هي الحضارة القائمة على اعتبار الإنسان جسمًا وروحًا فتحفظ توازنه فتعطي للجسم حقه وتعطي للروح حقها، فإذا صرفته إلى جانب دون جانب فإنها تكون وبالًا عليه والإسلام بريء من مثل هذا فهو يحفظ التوازن.

س- كلمة اللوغاريتم لم تكن مستخرجة من اسم الخوارزمي كما قال المؤرخ الكبير عثمان الكعاك فما رأيكم في ذلك؟ الطالب حسين الجيلالي

ج- إذا كان الأستاذ عثمان الكعاك له تحقيق في هذه المسألة فإني أقبله وأرضى به لأنني لم أحقق كثيرًا في هذه المسألة وإنما أخذتها كما وجدتها.

س- سيدي المحاضر جميل أننا عرفنا من خلال محاضرتكم القيّمة أعلام العرب في جميع الميادين لكن ما نريد أن نعرفه عند أكثرهم هو موقف المسلمين من الناقدين غير المسلمين من جهة وعن الغربيين من جهة أخرى. طالب

ج- الذي ذكرته من الشواهد الكثيرة قد اضطرني إليه ادعاء وافتراء أن الإسلام يمنع من التفكير والتأمل والتقدم فبينت ما أنتجه الفكر الإنساني في أي فج كان سواء كان مخًا عربيًا أو غير عربي لكنه طبع بطابع الإسلام، فما من مخ تأثر بالإسلام إلا وأنتج خير إنتاج وذكرت أسماء الأعلام الذين هم شواهد ناطقة بصدق ما أقول، أما المسألة الثانية وهي موقف المسلمين من الناقدين المسلمين من جهة ومن الغربيين من جهة أخرى. ماذا تريد

يا أخي أن يكون المسلم الغيور على دينه إلا أن يحاول بحكم أخوة الإسلام أن يرده إلى الصواب. وأما الغربيون فإنهم أجانب عنا. وقد عرفنا منهم ما عرفنا من معاملتهم لنا. فوجدنا منهم ظلمًا كثيرًا لا سيما في استعمارهم واستيلائهم علينا ومحاولتهم الحيلولة بيننا وبين التقدم. ولا تزال آثار أعمالهم الشنيعة قائمة في بلداننا، فهؤلاء أعداء لنا، فإنه يجب علينا أن نحترز منهم فمن جاءنا منهم معاديًا فإننا نحاربه وندفع عن أنفسنا عدوانه ومن جاءنا مصادقًا فإننا نصادقه. وقد ذكرت في كلمتي أننا مستعدون للتعاون مع من يمد يده إلينا لكي نتقدم في هذا العصر الحاضر على أساس الإخلاص وذكرت الحديث النبوي "إنما الأعمال بالنيات".

س- سيادة المحاضر المحترم إنكم في محاضرتكم القيمة لم تستعرضوا إلا لما يرمى به الإسلام من تهم باطلة، وما هي الحجج التي يستند إليها هؤلاء الناقدون حتى يتبين لنا الرد على كل حجة وشكرًا. الطالب عمر سعيد

ج- إن أكبر حجة يستند إليها الناقدون هو ما وجدوا عليه العالم الإسلامي في العصر الحاضر نتيجة لتقهقره وتأخره من جهة بعد الويلات التي نكب بها ونتيجة أيضًا لحيلولة الغرب المستمر دون تقدمه، ولا تظنوا أيها الإخوان أن الغرب إنما أشغل بنا في هذا العصر فقط فإنه كان مهتمًا بنا منذ العهود الصليبية وبقي متمسكًا بهذه الروح الصليبية إلى يومنا هذا. وقد كنت رأيت في أحد الكتب كتبها مؤرخ فرنسي ما يبرهن على ذلك، ففي الصفحة الأولى بل السطر الأول الذي يبدأ به الكتاب هو قوله إن تاريخ الشرق يقرر في الغرب. وهذا الكتاب ظهر حوالي سنة 1830 م فالذين ينتقدون الإسلام لم يجدوا فيه الحجج التي تؤيد أو يستند عليها انتقادهم لأنهم لا يجدون القرآن الكريم مبررًا لانتقادهم، فهو عدوان مدبر وتخطيط من طرف المستعمرين وغيرهم.

س- سيادة الأستاذ أشكركم على المحاضرة القيمة التي تفضلتم بها علينا وبعد، سيدي الأستاذ نعلم جميعًا أن الأوربيين قد أخذوا من الحضارة الإسلامية الشيء الكثير مما دولهم ذوات إمبراطوريات متحضرة فهل اعترفت أوربا بهذا الاقتباس؟ فلماذا لم تعترف فلماذا؟ ما هو موقف المسلمين من ذلك؟ الطالب المسعود بن حوحو

ج- إن كثيرًا من علماء الغرب الذين يعلمون من التاريخ أنهم مدينون في حضارتهم للمسلمين يعترفون بهذا ويذكرونه في مؤلفاتهم بل إن البعض منا ما عرف فضل الحضارة

الإسلامية على الغرب إلا بواسطة اعترافات هؤلاء الغربيين فيما كتبوه.

س- لقد قلتم في محاضرتكم بأن سيدنا إبراهيم كان مسلمًا وهو لم يدرك الرسالة المحمدية بعد نرجو التوضيح؟ وشكرًا. الطالب محمود بريكة

ج- هذا أوردته شاهدًا قرآنيًا وهو قوله تعالى "ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفاً مسلمًا"، فهو في القرآن الكريم ومعناه مائلًا عن طريق الزيغ والشرك مؤمنًا بالله مفوضًا أمره إليه مطيعًا كل ما جاء من عنده دون اعتراض، وهذا معنى الإسلام، وجاء ذلك في القرآن الكريم ولقد استشهدت بالآية: "ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل... ".

س- نسبتم سيدي المحاضر المقري على أنه تلمساني ولكن المقري صاحب الكتاب نفح الطيب هو من قرية المقرة التي توجد في الحضنة ما بين مدينة المسيلة ومدينة بريكة غربًا على بعد خمسين كلم من كلتا المدينتين. الطالب عيسى طامر

ج- شكرًا على هذا التنبيه وهذا البيان ولكن كانت تلمسان عاصمة الحضارة الإسلامية والثقافية العربية في عصر المقري وإنه أخذ في تلك البلدة علومه ولهذا نسبته إلى تلمسان.

س- سيدي المحاضر ذكرتم أن كلمة لوقاريتم مأخوذة من اسم الخوارزمي فما هي دلائلكم على ذلك؟ الطالب حيدر

ج- وجدت هذا في أحد الكتب، فيه وردت هذه الكلمة – تدخل الدكتور الحباني – بما أن هذه القضية راجت مرتين هذا المساء أظن أنني أنا المسؤول عنها فقد وقع مني سبق لسان أو خطأ في الذاكرة عوض أن أقول ألقوريتم algorithme قلت لوقاريتم logarithme وأظن أن ألقوريتم حقيقة يرجع إلى العرب وإلى الخوارزمي أما لوقاريتم فلا وقد صحح ذلك الأستاذ الكبير الدكتور عمر فروخ ردًا علي وكان له الشكر في هذا التصحيح.

س- سيدي المحاضر هل لكم أن تشرحوا لنا كيف أن العرب المسلمين هم المساعدون للمكتشفين البرتغاليين في كشف بلاد الهند وشرق آسيا وهل الإسلام هو الذي دفع

العربي أن يساعد البرتغال في بلوغ مقصده؟ أم هناك غرض آخر كالمادة مثلًا؟

ج- لا أستطيع الجواب على هذا السؤال لأنه ليس لي تحقيق في الموضوع.

س- أشكر الأستاذ محمود بوزوزو على محاضرته القيمة وسؤالي كالتالي: ما هي الأسباب التي دفعت بالمسلمين إلى عدم تطبيق تعاليم الإسلام كما كانت مطبقة في عهد السلف الصالح؟ هل السبب العامل التاريخي أي الزمني أم العامل الحضاري أم عوامل خارجية عند إرادة المسلمين؟ وما هو العائق اليوم على تطبيق الإسلام تطبيقًا يتفق وأقوالنا عن الإسلام؟

ج- الأسباب التي دفعت بالمسلمين إلى عدم تطبيق تعاليم الإسلام كما كانت مطبقة في عهد السلف الصالح راجعة إلى تطور الحضارات. فما من أمة تتطور في حضاراتها وتتوسع وتبلغ درجة ما عليه من الترف إلا وتندفع نحو الاستمتاع من ملذات الحياة فهذا طبعًا يصرفها شيئًا فشيئًا عن التزام القوانين التي كانت تلتزم بها من قبل أجدادها. وهذا معروف من الحضارات القديمة، الحضارة الفارسية واليونانية والرومانية، ثم السؤال الثاني: ليس هناك عائق وإنما الشيء الوحيد الذي يمنع المسلم أن يطبق الإسلام تطبيقًا صحيحًا إنما هو الكسل وغلبة النفس والهوى فعليه وعلينا أن نجاهد أنفسنا وأن نسعى بكل ما أوتينا من جهد في تطبيق تعاليم الإسلام في حياتنا وليبدأ كل فرد بنفسه، ليس هناك أحد يمنعك من إقامة الصلاة في أوقاتها وليس هناك أحد يمنعك من صيام رمضان وليس هناك أحد يمنعك من الصدق والإخلاص وطهارة القلب وحب أخيك وحب بلدك والتفكير في خير الإنسانية فالذي يجب على المسلم هو أن يعرف تعاليم دينه فلا يظنن أن تعاليم الدين إنما تتوقف على الشعائر والطقوس فإننا نعرف مثلًا أن الإيمان هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر والخير والشر ولكن هنا أحاديث كثيرة كقوله عليه الصلاة والسلام "الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله غير الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق"، وهناك أحاديث أخرى تجعل من بعض الأخلاق من الإيمان: "النظافة من الإيمان"، "الحياء من الإيمان"، فإذا كان المسلم نظيفًا، كان فكره نظيفًا، وقلبه نظيفًا، وثوبه نظيفًا، وجسمه نظيفًا، ومدينته نظيفة، ويده نظيفة من أموال الناس ومن دماء الأبرياء فهذا هو تطبيق من تطبيقات تعاليم الإسلام، وهذا الذي غفلنا عنه، الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها الإماطة عن الطريق ثم الأمانة، لا إيمان لمن لا أمانة له، "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"،

"المسلم من سلم الناس من لسانه ويده" إلى غير ذلك والأحاديث كثيرة. "قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون" إلى غير ذلك... آيات قرآنية تبين أن الإيمان والإسلام ليسا منحصرين فيما جاء في الحديث النبوي الشريف على لسان محمد عليه الصلاة والسلام حين جاء جبريل إليه فأسند ركبته إلى ركبتيه وجعل يسأل عن الإسلام والإيمان والإحسان، والحديث في هذا يطول لكن لا شيء يمنعك يا أخي من أن تكون مسلمًا صحيحًا.

تصحيح أصل المقري للأستاذ المهدي بو عبدلي

إن المقري أصله من مقرة حقيقة وإنما انتقل جده الخامس مع أبي مدين فهو وأجداده الأربعة من مواليد تلمسان.

رد الأستاذ محمود بوزوزو

أشكر الأخ الشيخ المهدي بو عبدلي على هذا التحقيق وأرجو أن صاحب السؤال قد اطمأن.

س- ضاعت القدس واحتلت فلسطين وانقسمت باكستان عندما وقع الفصل بين الدين والدنيا فما هو السبيل إلى استرداد ما فقد وعودة الحق إلى نصابه؟ وما موقف الدين الإسلامي من المتخاذلين ورجال الدين المتعاونين مع الأعداء من بعض البلاد الإسلامية؟
الطالب: غازي

ج- أما الموقف من رجال الدين من المتعاونين مع الأعداء فإنه يصدق عليهم قوله تعالى: "لا تجد قومًا يؤمنون بالله ورسوله يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم" فلا يكون هؤلاء إلا أعداء وتجب محاربتهم. أما ضياع فلسطين وانقسام باكستان فكما تقول فإن السبب الرئيسي في ذلك هو انحلال وقع في المسلمين فقد ضعفت العقيدة الإسلامية وأهمل المسلمون العمل بالإسلام كنظام للحياة، واكتفوا ببعض المظاهر العملية من العبادات كالصلاة والصيام والحج وأهملوا ما كنت أشرت إليه من بعض المعاني التي يكون بها المؤمن مؤمنًا والمسلم مسلمًا، ولا أريد أن أذكر لكم ما أعرف من التفاصيل عن هذا الانحلال إلا أن هذه الوقائع والمصائب قد مزقت قلوبنا، والسبيل كما تسأل إلى

استرداد الحق وإلى إرجاع الحق إلى نصابه هو العودة إلى الإسلام كنظام إلى الحياة يوم يكون المسلمون مسلمون حقًا فعند ذلك تتغير حالتهم، وقد يتغير وجه الدنيا.

س- من هم الناقدون للعالم الإسلامي وبأي أسلوب، نريدكم أن تتوسعوا في توضيح مجالات الفكر عند المسلمين، هل العقل الإسلامي الذي تردد كثيرًا في محاضرتكم ساهم في التيارات الفكرية المعاصرة؟ نريد توضيح دعوة القرآن إلى الاختراعات الحديثة وما وصل إليه العلماء من غزو الفضاء؟ ما هي الأيديولوجية الإسلامية، وشكرًا؟ الطالب بوشامة

ج- إذا سمحت سنجيب على هذا السؤال مرة أخرى لأنه يتطلب التوسع.

س- لقد ذكرتم في محاضرتكم القيمة دور المرأة في الإسلام، أرجو من سيادتكم أن تحددوا لنا موقفها في حياتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ومدى مساواتها بالرجل؟ الطالب محمد

ج- لقد كان للمرأة المسلمة مساهمة في الحياة الإسلامية، منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، وأنتم تعرفون من قراءتكم للسيرة مواقف أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما في مساعدة الرسول صلى الله عليه وسلم وأبيها في هجرتهما ودور أم سليم وأم عمارة في الجهاد، وتعرفون ما حفظته نساء النبي (ص) من الأحاديث وما كان لهن من الفضل في ذلك، ثم في مختلف العصور وجدت نساء عالمات فاضلات، ثم إنك تسأل سؤالًا مفصلا عن حياة المرأة وموقفها في حياتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ومدى مساواتها للرجل، فهذا يرجع إليه في الكتب المطولة، أما مدى مساواتها بالرجل فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: "النساء شقائق الرجال"، وللرجال وظائف خاصة بهم لا تصلح لها النساء، وللنساء وظائف خاصة لا تصلح للرجال، وكل يؤدي دوره في الجهاد. قال تعالى: "ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض"، وقد حفظ الإسلام للمرأة حقها، وشاركت في الميدان الثقافي خصوصًا مشاركة فعالة.

Effort et Grâce dans l'Islam

Mahmoud Bouzouzou

Commentaires sur le Yoga-Védânta, Vol. XX Nos. 5 et 6, février et mars 1978. Résumé de la conférence prononcée au Centre le 7 février 1978.

En abordant ce sujet, il me semble nécessaire de préciser le sens des mots effort, grâce et Islam.

Si nous consultons le dictionnaire, il nous dit que l'effort est une action énergique du corps ou de l'esprit, que la grâce est une faveur divine, un don, un cadeau de Dieu, « une aide surnaturelle qui rend l'homme capable d'accomplir la volonté de Dieu et de parvenir au salut » ; quant à l'Islam, c'est un mot arabe qui signifie soumission à la volonté de Dieu.

En ce qui concerne l'effort, notre ami le Swâmi Nityabodhânanda, en présentant le sujet de notre entretien, vient de parler des « limites » de l'effort humain. Il est évident que lorsque nous considérons la condition humaine du point de vue des capacités de l'être humain, nous constatons forcément que celles-ci sont limitées : physiquement et intellectuellement l'être humain ne peut aller au-delà d'une certaine limite ; par exemple, il ne peut allonger sa taille ; son énergie physique se déploie dans des dimensions qui s'arrêtent à un niveau déterminé ; il en est de même de son énergie intellectuelle. C'est là une vérité qui s'impose à notre constatation, et il est sage de la respecter et de se la rappeler constamment afin d'éviter des égarements dangereux. En effet, nous assistons à un déploiement considérable de l'effort humain, qui semble ne connaître aucune norme, surtout dans le domaine de la technologie où il ne cesse de surprendre par de nouvelles inventions que certains sont portés à ranger dans la catégorie des miracles. Sans doute les résultats de cet effort ont des bienfaits notables ; cependant on ne peut s'empêcher d'entrevoir à travers tout cela des risques dont celui de donner à l'homme une

notion, sur sa condition, susceptible de l'éloigner de la réalité, et une conception de sa vocation, qui risque d'orienter son intelligence vers autre chose que sa véritable destinée qui est la « ma'rifah », terme arabe cher aux penseurs musulmans, synonyme du gnose ou connaissance parfaite de Dieu. Par ailleurs, en s'arrêtant aux seules apparences de sa créativité, sans rechercher ou se rappeler l'origine de son énergie créatrice, il pourrait s'attribuer tout et oublier l'Auteur de sa vie ou s'en arroger les pouvoirs. Ceci est vrai non seulement dans le domaine technologique, mais aussi dans tous les champs où se déploie l'effort physique ou intellectuel. Le sentiment de fierté mêlée d'orgueil qui pourrait résulter de sa confiance aveugle en son « génie », et qui paraîtrait fort légitime, est de nature à l'enivrer et l'induire en erreur dans l'appréciation de sa valeur. On sait que dans le domaine spirituel, certains, enivrés par leurs visions et leurs découvertes, ont été amenés à s'identifier à l'Etre Suprême… Pour ramener l'être humain à une juste appréciation de soi, on doit se demander à quoi devrait tendre l'effort humain, comme on doit se demander d'où vient cet effort.

Normalement, dans sa plus simple expression, l'effort de tout être vivant soumis à la loi de l'existence est orienté vers la recherche des moyens de subsistance, moyens mis à sa disposition dans le monde matériel auquel il s'apparente par sa nature charnelle. C'est une réalité à laquelle sa volonté est absolument étrangère, tout comme cette autre réalité représentée par sa constitution physique et mentale, c'est-à-dire les dimensions de son corps, la couleur de sa peau, la force de son intelligence. Qui est l'Auteur de cette situation ? Certains disent : « la Nature », affirmation qui ne saurait résister à l'examen quand on essaie de trouver chez cette « Nature » une âme ou une personnalité. Quant à l'Islam, il dit : « Dieu », l'Etre Suprême, Subsistant par Lui-Même, Réalité Vivante, Auteur de toute vie, Maître de la Nature, Omnipotent, Omniscient, Omniprésent, veillant sur l'Ordre universel et couvrant de Sa grâce toute la Création. La prise de conscience de cette vérité engage l'effort de l'être humain privilégié par l'intellect dans la voie de la gnose, c'est-à-dire la recherche des secrets de la Création dans tous ses aspects, recherche qui le conduit à l'approche du divin grâce à la nature divine du souffle qui l'anime et qu'il a reçu à sa création sans aucun mérite mais uniquement par la grâce.

Cette grâce l'accompagne et l'entoure durant toute sa vie. Sorti du

Paradis, c'est-à-dire de l'état de grâce parfait, Adam est, après son repentir, accompagné par la grâce qui lui ouvre le chemin du retour au lieu de son premier séjour. En lui donnant cette possibilité, Dieu le dote de l'énergie nécessaire à cette fin à laquelle son âme est initialement attachée, c'est-à-dire que Dieu met en lui le pouvoir d'effort en vue d'accomplir sa véritable destinée, le retour à l'état de grâce parfait. Il y parviendra par l'obéissance, la soumission à la volonté de Dieu, fondement de l'Islam dont la raison d'être n'est autre que de ramener les fils d'Adam au lieu où leur père a vu le jour. C'est ce qui est exprimé dans la Révélation dont Dieu a privilégié Adam et sa descendance prophétique, de Noé à Abraham, jusqu'à Mohammad son héritier authentique, le Messager de l'Islam.

De ces constatations, il résulte, pour tout esprit clairvoyant, que l'effort et la grâce viennent de Dieu, ce qui revient à dire que l'effort est, comme la grâce, un don divin. C'est ce que nous enseigne l'Islam : dans les croyances et dans les pratiques rituelles qui lui sont propres, on peut dire que l'effort et la grâce se confondent. Le grand penseur spirituel Ibn Ata Allah dit : « Réjouis-toi de l'obéissance (à Dieu) non pas parce qu'elle émane de toi, mais parce qu'elle vient de Lui. » Il dit également : « Lorsqu'Il veut manifester Sa grâce à ton égard, Il crée, et c'est à toi qu'Il attribue (ce qu'Il crée) » Aussi est-il tout à fait juste d'affirmer que, dans l'Islam, les manifestations de l'effort humain, dans ce qu'elles ont de positif, sont considérées comme une expression de la grâce. Nombreux sont les versets du Coran, les hadiths du Prophète, les exemples de la vie des ses compagnons et de l'histoire de l'Islam qui en font foi.

Paix au Liban

Mahmoud Bouzouzou

(Document non daté)

Quand j'entends ou je lis le mot « Liban », je me rappelle immédiatement un poème de Halim Dammous, dont je vais réciter un extrait en langue arabe. Il dit notamment :

أقمت بلبنان زمانا حسبته نعيما كذا في جنة الخلد ننعم
هنا كل شيء خالص من شقائه له الحب سور والسلامة معصم
ولا حسد فيها ولا حرب حولها وليس بها – لولا احمرار المسا – دم

En voici la traduction :

« Durant mon séjour au Liban, je me croyais au Paradis où l'on jouit d'une félicité éternelle ;
Pas un signe de tristesse, point de trace de malheur, rien ne trouble la pureté du bien – être qui règne partout : c'est un bracelet d'amour ceignant un poignet de paix ;
Ni jalousie ici, ni guerre aux alentours. Rien – hormis la rougeur de l'horizon au crépuscule du soir – ne rappelle la couleur du sang. »

Tel était le Liban au moment où ces vers ont été écrits : terre de paix, d'amour, de sécurité, de bien-être, de calme et de sérénité, terre merveilleuse qui, à bien des poètes, a inspiré des mots merveilleux.

Un autre événement dont l'image indélébile réapparaît devant moi, à l'évocation de ce beau pays, mérite d'être raconté : je me trouvais, un jour, aux environs de Beyrouth, à la lisière d'un verger plein d'arbres chargés de divers fruits ; j'étais en train d'admirer le beau paysage. Soudain un panier plein de ces fruits m'est tendu sur les mains d'une jeune fille ; je prends un fruit et je mets la main dans la poche pour

payer ; la fille disparaît en un clin d'œil derrière les branchages enchevêtrés.

Tel est le Liban : terre d'accueil, d'hospitalité naturelle, de générosité spontanée, dans la pure tradition arabe.

Sur le plan social, ce pays offrait visiblement au monde l'exemple d'une société policée, vivant la tolérance dans la diversité des croyances, une société de paix par excellence.

Cette paix qui résonne chez les êtres épris de bien-être et de sécurité pour toute l'Humanité, cette paix que ceux qui prient partout appellent de tous leurs vœux invoquant Dieu de répandre Sa miséricorde sur le monde qui l'oublie, cette paix qui se répète sur la langue des musulmans dans les salutations d'usage, au sein et à la fin des prières rituelles, par l'expression courante *assalamou alaykoum* (que la paix soit avec vous). C'est dire que le musulman conscient du sens de son engagement spirituel est tenu de répondre à l'appel sincère de la paix ne serait-ce que par le simple fait que le mot « Islam » se trouve dérivé étymologiquement d'un verbe qui signifie : salut, sécurité, paix.

C'est pour toutes ces valeurs que le Liban occupe une place de choix dans bien des cœurs. Personnellement, je ne pouvais imaginer ce pays paisible et pacifique sombrer un jour dans le désordre et l'insécurité. La tragédie dans laquelle il se débat aujourd'hui nous brise le cœur parce que c'est un pays qui nous est cher.

Est-il besoin de situer les responsabilités dans la tragédie qui le déchire ? Pour ce, il faut aller bien loin. Il faut se rappeler que l'homme a oublié sa véritable vocation en s'écartant des valeurs morales et spirituelles révélées, pour se laisser égarer par ses passions. C'est par la restauration de ces valeurs que la situation dramatique au Liban et ailleurs pourra changer. Quant aux hommes de bonne volonté qui demeurent fermement attachés à ces valeurs et qui se trouvent dans l'incapacité d'influencer directement les événements, il ne leur reste qu'à prier dans l'espoir que le bruit macabre des armes laisse place à l'appel vivifiant de la paix.

Entre musulmans et chrétiens nous sommes d'accord sur l'essentiel : la nécessité de l'adoration

Echo, 20 janvier 1979
Propos recueillis par la rédaction. E. J. et P. de B.

C'est avec beaucoup de gentillesse – et avec le sens de l'hospitalité propre aux Orientaux – que M. Bouzouzou nous a reçus dans sa famille. Saviez-vous qu'à Genève on compte environ 6000 musulmans, dont le plus grand nombre se trouvent dans les hautes écoles et les hôpitaux, ainsi que dans les organisations internationales ? Mais qu'il y en a aussi parmi le personnel hôtelier ? Qu'en Suisse il y a deux mosquées (à Zurich et à Genève) ? Qu'un imam est un laïc (le clergé n'existe pas) ayant fait les hautes études islamiques et qui préside la prière à la mosquée ? Que la fatalité n'existe pas chez les musulmans (alors que c'est l'inverse qui est vrai de la prédestination) ? Cet entretien nous a confirmé que les chrétiens ne rencontrent pas assez souvent des non-chrétiens pour échanger avec eux des points de vue sur les questions fondamentales de la vie.

• Pour un musulman qu'est-ce que la prière ?

La prière rituelle, faite cinq fois par jour, constitue l'un des cinq piliers de l'Islam. Les quatre autres sont : la profession de foi, le jeûne du mois de ramadan, l'aumône (la « zakat », quart du dixième, qui revient à l'Etat) et le pèlerinage à la Mecque, obligatoire une fois dans la vie.

• A quels moments de la journée faites-vous cette prière rituelle ?

La première se fait à l'aube, une heure et demie avant le lever du soleil. La deuxième se fait à midi, lorsque le soleil est au zénith. La troisième se fait à mi-chemin entre midi et le coucher du soleil. La quatrième juste après le coucher du soleil et la cinquième en principe une heure et demie après le coucher du soleil, mais pratiquement on peut la faire à n'importe quelle heure de la nuit jusqu'à l'aube.

• Ces prières sont-elles longues ?

Elles ne le sont pas, mais elles comportent un temps de préparation, une sorte de « toilette spirituelle », sous forme d'ablutions.

• Ces ablutions ont-elles une fonction purificatrice ?

Oui, car il faut se préparer à la rencontre de Dieu. Une préparation intérieure est essentielle, et celle-ci est symbolisée par ces ablutions. Sans elle, la prière ne serait que gestes. Le rite consiste à se laver les mains, à se rincer la bouche, le nez et les oreilles, enfin tout le visage ; mais il faut également se laver les avant-bras et les pieds. Ces gestes sont répétés trois fois.

• En quoi consiste la prière proprement dite ?

La prière consiste en versets du Coran, louant Dieu, l'implorant, lui demandant son aide (l'homme est libre mais il demande à Dieu de choisir pour lui afin qu'il ne se trompe pas). C'est par la même « sourate » (chapitre) du Coran que les prières commencent. Puis chacun poursuit avec ce qu'il connait du Coran.

La prière met l'homme en état d'humilité et de totale dépendance de Dieu. La manifestation extérieure de cette humilité consiste à se prosterner front contre terre. La prière rituelle s'appelle « salat », et Mohammad la considérait comme « la moelle épinière de l'adoration de Dieu ».

• Dans la vie actuelle, n'est-ce pas difficile d'être fidèle à cette prière ?

Oui. Et ça a toujours été difficile. Il est évident que ceux qui ont des activités ne leur permettant pas de respecter les heures de la prière la font en fin de journée. Ce qui est demandé, c'est la concentration pour accueillir la présence divine. On est alors complètement détaché des choses de ce monde.

• A côté de la prière rituelle, y a-t-il une prière personnelle ?

Oui. Il y a la prière personnelle, comme vous dites, et elle est très

importante. Elle peut être sans gestes. On s'adresse à Dieu dans des circonstances particulières, pour lui demander secours ou d'exaucer des vœux par exemple. C'est ce qu'on appelle le « doa ». Le Prophète a dit de la prière personnelle qu'elle est le « cœur de l'adoration ».

• Etes-vous en relation avec des communautés chrétiennes ?

Oui, nous sommes en relation avec des catholiques et des protestants. Il existe un Comité consultatif des religions, présidé par le pasteur Henri Babel, et dans ce comité se trouvent des représentants de diverses religions en Suisse romande. Ces rencontres sont utiles et instructives pour tous, même en tenant compte du fait que nous ne nous voyons pas très fréquemment.

• Les différentes communautés se rencontrent-elles en dehors de leurs responsables ?

Pour la communauté musulmane, la première rencontre publique avec d'autres communautés a eu lieu lors de la création du Comité consultatif des religions. Par la suite, une autre rencontre s'est faite, par exemple lors de l'inauguration de la nouvelle mosquée de Genève, au mois d'août dernier.

• Comment voyez-vous ces rencontres ?

Je les vois du côté purement spirituel et humanitaire. Dans ce domaine, on peut échanger des idées et étudier la possibilité de mener une action commune dans certaines circonstances, par exemple pour la défense des valeurs morales et spirituelles qui, comme vous le savez, sont menacées à notre époque. Dans ce sens on peut s'encourager mutuellement.

• Mais entre musulmans et chrétiens, ne peut-on pas faire un petit bout de chemin de plus ensemble ?

Oui, certainement. Par exemple sur le plan de la prière, qui pourrait être faite en commun ; cependant il faut dire que nous n'avons jamais été, jusqu'à présent, confrontés à ce problème concret, qui nécessite une attitude et une prise de position communes. Mais nous sommes d'accord sur le fond.

L'Islam, modèle d'une société saine et tolérante

La Liberté (Fribourg), 31 décembre 1979 – 2 janvier 1980
Interview réalisée par Rodolphe Eckert

Plus que tout autre événement de l'histoire contemporaine du Moyen-Orient, la révolution iranienne suscite un regain d'intérêt pour la religion du chef spirituel de l'insurrection, l'ayatollah Khomeiny : pour l'Islam. Les procédures expéditives des « tribunaux révolutionnaires », se réclamant de la loi coranique, en particulier, offusquent les Occidentaux. Est-ce vraiment cela l'Islam et l'enseignement du Prophète ? A quoi pourrait ressembler la Révolution islamique que Khomeiny et ses fidèles se sont jurés d'instaurer ? Le Professeur Mahmoud Bouzouzou, imam de la Fondation culturelle islamique de Genève, c'est-à-dire chef spirituel de la communauté musulmane qui fréquente cet établissement où ont lieu les prières quotidiennes, la prière du Vendredi et celle des deux fêtes grandes annuelles, les mariages, les services funèbres, ainsi que l'enseignement religieux pour enfants et adultes et celui de la langue arabe, nous a accordé cette interview exclusive, avant le coup d'arrêt décidé le 18 octobre pour les exécutions capitales par Khomeiny.

• Monsieur l'imam, que pensez-vous des exécutions qui se succèdent en Iran ? Le Coran prescrit-il vraiment les châtiments que prononcent jour après jour les tribunaux révolutionnaires ?

Tout d'abord, je vous remercie de l'intérêt que vous portez à l'islam, et vous précise que mes réponses à vos questions n'engagent que moi-même. Je n'ai pas à juger des événements de l'Iran bien que je les suive avec une grande attention étant donné que leurs auteurs se réclament de l'Islam. Je ne fais que constater.

Il y a quelques mois, un homme considéré comme un grand chef religieux dans son pays a lancé un appel à son peuple au nom de l'Islam. La grande majorité du peuple a répondu avec enthousiasme à cet appel : expression d'un désir de changement sur la base des

valeurs islamiques.

Ce phénomène n'est du reste pas propre à l'Iran. Dans d'autres pays musulmans, ce désir est partagé : nous assistons à un renouveau de l'Islam. Pour les croyants conscients de leur engagement, cet homme appelle les musulmans à être conséquents avec eux-mêmes. Avant lui, cheikh Mohammad Ibn Abdalwahab a mené une action en Arabie pour épurer les croyances et les pratiques islamiques de toutes les innovations et superstitions, préparant ainsi la prise de conscience que l'Islam est non seulement un ensemble de croyances et de pratiques saines mais aussi un mode de vie, ce que prôneront plus tard « les Frères musulmans » avec leur dirigeant en Egypte, Hassan Al-Banna, fondateur du mouvement, et, après son assassinat, ses disciples, dont l'éminent juriste Abdelkader Ouda, puis le grand doctrinaire Seyd Kotb. Tous les deux payèrent de leur vie leur activité purement intellectuelle… Cela dit, la révolution iranienne n'a pas fait couler beaucoup de sang. Par ailleurs, il faut dire que les tribunaux actuellement à l'œuvre sont des tribunaux d'exception.

• Précisons une chose : on fusille en Iran des personnes accusées d'adultère. Il en va de même d'homosexuels. En Libye, toujours au nom du Coran, on coupe la main aux voleurs. Est-ce la justice islamique ?

Parler de justice musulmane c'est traiter d'un sujet très vaste. On pourrait toutefois en dégager les principes fondamentaux. Ils se résument dans la préservation de la vie, de l'honneur, des biens, de l'intégrité de la personne, de la foi.

L'adultère est considéré comme une atteinte à l'honneur et à la pureté de l'espèce. Le Prophète le sanctionne par la peine capitale, mais à condition que l'on puisse citer en justice quatre témoins oculaires.

Il faut préciser que les peines requises pour la plupart des délits sont surtout préventives. Qui oserait voler et risquer d'être amputé d'une main ? Cependant couper la main du voleur n'est licite qu'en cas d'effraction et de certitude que le voleur jouit du minimum vital. Le vol à l'étalage n'est pas passible de cette punition, ni le vol par nécessité. Le khalife Omar, par exemple, a fait libérer des voleurs pendant une période de famine.

Quant à la sodomie, le Coran relate le châtiment divin qui a puni les dépravés de Sodome. S'inspirant de ce châtiment, le Prophète institua la peine capitale bien qu'aucun cas de ce genre ne fût constaté dans sa société.

• Quel est le sort de la femme dans la société islamique ?

Dans la société islamique, la femme occupe une place importante. Elle n'a à souffrir d'aucun complexe humiliant. Elle n'est pas l'unique responsable du péché originel qui est imputé à Adam et Eve ensemble, dans le Coran, et qui fut pardonné aux deux, ensemble. La femme musulmane est l'égale de l'homme. Elle jouit des mêmes droits que lui. Elle a droit à l'instruction obligatoire, elle a la liberté de gérer ses biens indépendamment de ses parents et de son époux, elle a droit à l'héritage, et en cas de besoin elle a droit à l'entretien par ses parents, son époux ou ses frères. Elle est appelée à une vocation sociale et humanitaire et à une vocation spirituelle comme l'homme. Toutes les prescriptions coraniques qui la concernent visent sa protection, en tenant bien compte de sa nature et de ce qui la distingue de l'homme, et l'ennoblissent en affirmant sa responsabilité.

• La femme musulmane peut-elle demander le divorce ?

Oui, et depuis que le Prophète a annoncé que cela était permis, elle n'hésitera pas à en user et même à en abuser. Cependant, il convient de rappeler que le Prophète n'aime pas le divorce : « C'est la chose licite la plus détestable pour Dieu », dit-il. Mais il ne s'y apposait pas quand il le jugeait inévitable.

Ainsi il le permit à une femme qui n'avait rien à reprocher à son mari quant à la foi et au caractère, mais qui n'aimait pas son physique : « Je l'ai vu arriver avec les gens ; il était le plus maigre, le plus laid ; je lui rends ce qu'il m'a donné en dot et même plus s'il le veut ».

• Quelles sont les exigences fondamentales de la société islamique ?

La société islamique authentique est supposée être une société sans ignorance, sans misère et sans injustice. « L'instruction est une obligation pour chaque musulman et chaque musulmane », dit le

Prophète. Selon ce hadith, qui fait de l'instruction une obligation religieuse au même titre que toute autre obligation, il ne devrait exister aucun ignorant ni aucune ignorante dans cette société. L'Islam prescrit, au même titre que la prière, le jeûne et le pèlerinage, la « zakat » qui consiste à prélever sur le revenu annuel de chacun le quart du dixième. Quel musulman ne voudrait-il pas s'en acquitter ? Si tous les citoyens le faisaient, y aurait-il un seul pauvre dans la société ?

« La justice est le fondement de l'Etat », dit un autre hadith… En plus de ces caractères qui, malheureusement, n'existent nulle part à notre époque, la société islamique est appelée à être une société témoin. « Aussi avons-nous fait de vous une communauté de juste milieu afin que vous soyez témoins », dit le Coran. Elle doit témoigner du message divin révélé à tous les prophètes et ce par un comportement qui reflète la croyance dans les vérités éternelles et la primauté des valeurs morales et spirituelles.

Les expressions courantes « In cha Allah » (si Dieu le veut), « Bismillah » (au nom de Dieu), « Alhamdulillah » (louange à Dieu), que l'on considère comme le reflet du fatalisme, ne sont autres que l'affirmation de la croyance absolue en la Volonté, la Puissance, la Bonté de Dieu, l'affirmation de la dépendance totale de l'homme vis-à-vis de Dieu.

Une autre exigence de la société islamique réside dans sa vocation humanitaire. « L'humanité entière constitue la famille de Dieu ; le plus près de Lui c'est le plus utile à la famille », dit le Prophète.

C'est l'instauration de cette société qu'ont visée les réformateurs musulmans, les uns par l'action, les autres par les écrits, tels Djamaluddine Al-Afghani, Mohammad Abdou, Mohammad Ibn Abdalwahab, Chakib Arslan, Hassan Al-Banna, Mohammad Iqbal et aujourd'hui Khomeiny, pour ne citer que les plus célèbres.

• Il semble néanmoins que, tout islamique qu'il se veut, le régime Khomeiny soit répressif. N'expulse-t-il pas des journalistes étrangers ?

Les événements d'Iran sont souvent difficiles à juger, précisément

parce que nous ne sommes renseignés que par l'intermédiaire des journaux, de la radio ou de la télévision. A ma connaissance, les mesures d'expulsion n'ont touché que des journalistes ayant diffusé des informations inexactes.

• L'ayatollah Khomeiny a stigmatisé « la traîtrise » des Kurdes. Cette accusation est-elle de nature religieuse, à savoir que les Kurdes sont sunnites et non pas chiites ?

Je ne le pense pas. L'Islam unit ses adeptes dans l'obéissance à Dieu, au Prophète et aux autorités qui observent la loi religieuse. La subversion est permise seulement en cas d'infraction à cette loi par les autorités qui sont censées être au service de Dieu et du peuple. Or c'est la volonté d'appliquer cette loi qui semble à l'origine de la révolution de Khomeiny. Celui-ci accuse l'influence d'idéologies incompatibles avec l'Islam.

• Pourtant l'Islam connaît la « guerre sainte », le « djihad »…

Pour saisir le sens du djihad il faut le placer dans son contexte historique. Il faut également se référer au Coran. Le Prophète et ses disciples, après avoir été malmenés et persécutés, ont fini par quitter leur patrie, abandonnant leurs foyers et leurs biens pour se réfugier à Médine. Défendre sa vie, ses biens, ses droits, son honneur est considéré comme une grande vertu chez les Arabes. Le désir de retourner à la patrie et de recouvrer ses droits légitimes étant chose normale et un sentiment irrésistible, la révélation divine descendit sur le Prophète : « Autorisation est donnée à ceux qui sont traités avec injustice de combattre, et Dieu est tout puissant pour les soutenir, à ceux qui ont été expulsés de leurs foyers injustement, pour avoir dit : 'Notre Seigneur est Dieu' ».

Ainsi, toute agression est prohibée. « Pas de contrainte en matière de religion », dit le Coran. L'Islam, qui reconnaît les religions révélées, est tolérant à leur égard.

• Si l'Islam réprouve toute contrainte en matière religieuse, autorise-t-il l'apostasie ? Ou l'apostat risque-t-il la peine de mort ?

La communauté islamique, l' « Umma », est une valeur fondamentale

pour nous. En conséquence, l'Islam ne saurait admettre un acte qui mette en péril son unité, qui provoque sa division : l'hérésie ou l'apostasie… La vie communautaire des musulmans se caractérise par une harmonie qui se manifeste, sur le plan pratique, dans la prière en commun, le jeûne en commun, le pèlerinage en commun. Ces pratiques sont le reflet d'une croyance commune et la manifestation évidente d'une obéissance sans réserve à un même Dieu. Renier Dieu c'est saper le fondement de la communauté.

Répondant à un homme qui lui demandait une définition satisfaisante de l'Islam, le Prophète déclara : « Dis : 'Je crois en Dieu', et conduis-toi conformément à cette croyance ». L'apostat commet une double injustice : envers la communauté, en rompant son harmonie, et envers lui-même, en se séparant d'elle en esprit et en pratique. On devine aisément le devenir de la communauté en pensant à la multiplication d'un tel cas. Le Prophète compare celui qui enfreint un principe fondamental de la vie communautaire à un passager qui veut percer un trou dans la partie inférieure du vaisseau pour puiser l'eau ; si on le laisse faire, ce sera le naufrage de tous les passagers.

• La république islamique est-elle une théocratie ? Ou la démocratie demeure-t-elle possible ?

La république (ou la société) islamique n'est pas une théocratie. L'Islam d'ailleurs ne connait ni clergé ni hiérarchie religieuse. Par contre, la Constitution doit s'inspirer du Coran et respecter les prescriptions divines. Elle doit également se conformer à l'enseignement du Prophète et au comportement des khalifes bien dirigés, c'est-à-dire fidèles au Prophète, craignant Dieu et mettant l'intérêt général devant tout.

Il n'existe pas de règles pour l'organisation de l'Etat et la forme de gouvernement. L'Islam établit (il y a quatorze siècles) la division du pouvoir et laisse le choix de l'organisation politique (république, monarchie) au peuple, s'exprimant au suffrage universel. Il garantit toutes les libertés individuelles. Il assure l'égalité des droits et des devoirs. La justice est le fondement de l'Etat : « Même si Fatimah, fille de Mohammad, commettait un vol, je lui ferais couper la main », dit le Prophète en parlant de sa propre fille.

• Comment l'Islam s'accommode-t-il du progrès scientifique et technologique ?

L'Islam – et son passé le prouve – est ouvert largement à la science et à l'évolution technologique. Mais pour lui, l'homme sera toujours l'homme. L'homme ne saurait être un simple objet de rendement.

En conséquence, l'Islam est le modèle d'une société saine et tolérante. Le témoignage d'historiens et sociologues éminents l'atteste. L'intérêt croissant qu'il rencontre dans le monde est encourageant. Avec les réalisations que la société islamique, une fois bâtie, présentera, les préjugés à son encontre, transmis par des passionnés ou des ignorants, disparaitront. Le chemin de la compréhension s'ouvrira.

Islam et Occident

Entretien accordé au quotidien Lausannois Le Nouvel Illustré,
5 mars 1980

Iran, Afghanistan, partout l'Islam fait parler de lui et suscite de nombreuses interrogations dans le monde occidental. Notre collaborateur Jean-Louis Conne s'est entretenu avec l'imam Mahmoud Bouzouzou, en charge de la mosquée de Genève. Voici les principaux extraits de cette conversation.

Le Nouvel Illustré – Quelle est l'importance de la communauté musulmane en Suisse ?

Mahmoud Bouzouzou – Environ 40 000 personnes, dont 6000 à Genève.

LNI – Les Suisses sont-ils nombreux à adhérer à l'Islam ?

MB – Oui, toujours plus. Ce sont surtout des personnes éduquées qui ont découvert l'Islam, lors de voyages dans des pays arabes. Ils y trouvent une réponse à leur aspiration religieuse frustrée par un monde où seules les valeurs matérielles semblent prévaloir.

LNI – L'Islam passe pour une religion rétrograde, surtout à l'égard des femmes. Estimez-vous qu'émancipation féminine et Islam puissent aller de pair ?

MB – Absolument. On déforme la conception islamique de la femme. Dans le Coran, elle occupe une place honorable. On la tient en haute estime. Par exemple, le Coran n'attribue pas à Eve la responsabilité du péché originel ! Le monde arabe a déjà des femmes parlementaires, médecins, professeurs, avocats. Beaucoup de femmes ont joué un rôle important dans son Histoire. Les mesures qui sont

prises par certains gouvernements islamiques, conscients de la mission de la femme, sont destinées à la protéger. Elles les incitent à remplir leur rôle intelligemment, avec bon sens. Khomeiny demande aux femmes d'adopter une tenue décente, afin qu'elles puissent contribuer au développement de la société sur le plan moral et spirituel. En Occident, la femme est déconsidérée. On a l'impression qu'elle est un objet de plaisir. Est-ce là l'émancipation ?

LNI – Respect des lois coraniques et progrès sont-ils conciliables ?

MB – Absolument. Il n'existe aucune contradiction. N'oublions pas que le Coran a été à la base de l'essor scientifique de l'Occident.

LNI – On assiste dans et entre certains pays musulmans à une vague de violence et de haine. Est-ce bien en harmonie avec les idéaux de l'Islam ?

MB – La plupart des musulmans ignorent totalement les exigences de leur religion. La majorité d'entre eux n'a pas réellement conscience de ce qu'est l'Islam et de ce que devrait être la mission du musulman dans le monde. C'est la raison pour laquelle nous assistons à des comportements qui sont totalement contraires aux principes de l'Islam. Il faut donc se garder de juger l'Islam sur ces comportements qui ne le reflètent pas et qui sont, au contraire, condamnables et condamnés par lui.

LNI – On a parlé de guerre sainte. Les relations entre l'Occident et le monde musulman se sont-elles à ce point dégradées ?

MB – Il n'a jamais été question, même chez Khomeiny, de guerre sainte contre l'Occident ! Le monde musulman devrait être l'allié naturel de l'Occident, ne serait-ce que par le respect qu'il témoigne à la chrétienté. Malheureusement, il est traité en serviteur et non en allié. Jusqu'ici, l'intérêt du monde occidental s'est limité à des questions matérielles, pétrole et points stratégiques. C'est insuffisant, voire affligeant pour les musulmans qui attachent beaucoup d'importance aux considérations spirituelles. Il faut donc réviser totalement la conception des relations entre l'Occident et le monde musulman, dans le souci partagé de sauver l'humanité des périls qui la menacent.

LNI – Mais le pétrole ne brouille-t-il pas les cartes ?

MB – Tout d'abord, il faut préciser un fait. Il n'existe pas de chantage pétrolier. C'est une invention d'une certaine presse. Que le monde occidental vienne prendre ce pétrole en ami et non en ennemi. Pour cela, il doit tenir compte du fait que l'Islam subordonne le matériel au spirituel. Pour nous, les richesses matérielles, tel le pétrole, doivent être utilisées suivant les exigences de la vie spirituelle.

LNI – Islam et communisme sont-ils compatibles ?

MB – Non. Le communisme, basé uniquement sur le rationalisme étroit et borné, ne peut être compatible avec l'Islam basé sur la vie spirituelle. Les communistes considèrent l'homme comme un superman, alors que l'Islam y voit un serviteur de Dieu. Sur le plan social, l'Islam diffère également du communisme par son respect de la propriété privée, de l'effort individuel et de la juste récompense de cet effort.

LNI – Va-t-on assister à un réveil des musulmans soviétiques ?

MB – La révolution iranienne a fait naître un immense espoir chez tous les musulmans qui plient sous le joug russe. Ces derniers ont craint une « contagion » et c'est pourquoi ils ont pris les devants en envahissant l'Afghanistan. Malgré cela, on s'achemine certainement vers un réveil des musulmans d'URSS et nous nous attendons à ce qu'ils parviennent un jour à jouir de leur liberté.

LNI – Quel est le plus grand danger pour le monde islamique. Le communisme ou le capitalisme ?

MB – L'Islam et le capitalisme ont la même conception de la propriété privée. Par contre, ils diffèrent sur un point : l'usure, qui est contraire aux principes islamiques. Le communisme, je l'ai dit, n'est pas compatible avec l'Islam. Les deux systèmes portent en eux un danger. L'Islam propose au monde une troisième voie. Elle respecte la vie spirituelle de l'individu, l'intégrité de sa personne et de ses biens en encourageant l'esprit d'entreprise, le développement individuel lié au développement communautaire. Ainsi, personne n'est lésé et

l'exploitation de l'homme par l'homme est bannie.

LNI – L'Islam a-t-il quelque chose à apporter à l'Occident ?

MB – Assurément, l'Islam a énormément à apporter à l'Occident. Ne serait-ce qu'en le rappelant à Dieu.

Le mois sacré du jeûne nous quitte !

Mahmoud Bouzouzou

Sermon du Vendredi
27 Ramadhan 1400 de l'Hégire, 8 août 1980

Le mois sacré du Jeûne va bientôt nous quitter. Cet hôte béni que Dieu nous a confié comment l'avons-nous accueilli ? Comment l'avons-nous traité ? Comment allons-nous nous en séparer ? C'est un grand privilège que de recevoir un hôte de Dieu. Quelle que soit la durée de son séjour parmi nous, tout l'honneur que Dieu nous fait en nous le confiant est une bénédiction inestimable. En sommes-nous dignes ? En nous posant cette question, nous pourrons apprécier notre condition humaine et percevoir le degré de grandeur auquel Dieu nous élève parmi toutes Ses créatures. Et dès que nous aurons pris conscience de l'immensité de la bienveillance divine à notre égard, nous pourrons avouer que toute expression de gratitude envers les dons divins, si éloquente soit-elle, est toujours bien au-dessous du niveau convenable. Recevoir un hôte de Dieu, quel don merveilleux ! Le traiter comme il se doit, quelle inspiration généreuse ! Lui faire des adieux avec tous les honneurs qui lui sont dus, quelle attitude honorable !

Dieu honore ceux qui L'honorent en honorant Ses hôtes, dix fois plus et même davantage comme Il l'a dit dans le Coran. Aussi, ceux qui ont bien accueilli le mois sacré du Jeûne et l'ont bien traité durant son séjour puis s'apprêtent à lui faire un adieu digne de lui méritent-ils toutes les promesses que Dieu leur réserve. Quant à ceux qui ont failli qu'ils se rattrapent durant les jours qui restent en se repentant et en invoquant le pardon de Dieu. Les portes du Paradis sont ouvertes, les portes de l'Enfer sont closes, les démons sont enchaînés jusqu'à la fin du mois sacré. C'est le mois du Pardon, de la Bénédiction, de la Rémission des péchés. Les derniers jours et surtout les dernières nuits sont d'une importance particulière : la nuit où le Coran a été révélé se

situe dans cette période selon la plupart des hadiths du Prophète, à lui bénédiction et salut. C'est une nuit privilégiée à laquelle Dieu consacre un chapitre entier dans le Coran :

« Nous l'avons révélé en la nuit privilégiée.
Qu'est-ce qui te fera connaître ce qu'est la nuit privilégiée ?
La nuit privilégiée vaut mieux que mille mois !
Les anges et l'Esprit descendent avec la permission de leur Seigneur, portant tout ordre.
C'est une nuit de paix jusqu'au lever de l'aube ! »

Implorons le pardon de Dieu Le Miséricordieux, acquittons-nous de l'aumône (*zakat alfitr*), et multiplions les bonnes œuvres avec la conviction que tout le bien que nous ferons sera multiplié par mille dans la récompense divine. Reconnaissons nos faiblesses et essayons de nous corriger en comptant sur le secours divin. Nous y parviendrons avec l'aide de Dieu !

N'oublions pas dans nos prières tous ceux qu souffrent physiquement et moralement, ceux qui luttent pour recouvrer leur dignité bafouée ou les droits dont ils sont spoliés ainsi que ceux qui œuvrent pour le règne de la justice et de la paix dans leurs pays et dans le monde.

مشكلات المسلمين في مجتمع الاغتراب

مجلة الأمة
العدد السابع والثلاثون، محرّم 1404، أكتوبر 1983

مشكلات المسلمين واحدة... قد تختلف صورها وأشكالها وعناوينها ولكن يبقى جوهرها واحدا... ذلك أن العوامل والأسباب والمخططات المرسومة لعالم المسلمين، واحدة...

وقد تتجاوز هذه المشكلات حدود العالم الإسلامي بأبعاده المعروفة جغرافيًا، فتنتقل مع المسلمين، أفرادًا وجماعات، حيثما حلوا... ولعل ما يواجه الجاليات الإسلامية في ديار الغرب أبلغ دليل على ذلك، وإن كانت لمجتمع الاغتراب مشكلات إضافية ذات أوجه متعددة: اجتماعية، اقتصادية وسياسية... ذلك أن وجود مسلمين يعيشون في أوربا وجهًا لوجه في مجتمع الحضارة الغربية، ولد مشكلات خاصة بهم قد تختلف بعض الشيء عن مشكلات إخوانهم في العالم الإسلامي... ومن هنا كانت الضرورة إلى إيجاد هيئة أو جهاز يتوفر فيه قدر من الأهلية والدراية المطلوبة التي تمكنه من النظر في مثل هذه المشكلات بغية الوصول إلى حلول إسلامية تطمئن إليها أفئدة مئات الألوف من المسلمين، مقيمين ووافدين إلى أوربا. فكان مجلس البحث الفقهي الإسلامي في أوربا الذي جاء تأسيسه بناء على توصية اتخذها المجلس القاري للمساجد في أوربا في دورته الثالثة التي انعقدت في محرم سنة 1403 هجري ببروكسل، بلجيكا...

و في الفترة من 23 إلى 25 شعبان 1403 هجري، عقد الاجتماع التأسيسي للمجلس بمكة المكرمة... حيث كان لقاؤنا بفضيلة الشيخ محمد بوزوزو إمام مسجد المؤسسة الثقافية الإسلامية في جنيف بسويسرا ومدرس اللغة العربية بمعهد الترجمة التابع لجامعة جنيف، وأحد الأعضاء المشاركين في اجتماعات المجلس..

على أرض الجزائر

والحديث مع الشيخ بوزوزو يكتسب أهمية خاصة.. ذلك أن الرجل ينتمي إلى بلد عربي إسلامي "الجزائر"، عانى تجربة الصراع المبكر بين المجتمع الغربي بحضارته وثقافته ومعتقداته، والمجتمع الإسلامي بواقعه الذي انتهى إليه... وينحدر من شعب جاهد طويلًا وتحمل من صنوف التعذيب والفتك والدمار ومحاولات التذويب ما جعله من أعظم الشعوب ثباتًا وصلابة وصبرًا على المكاره وقدرة على مواجهة التحديات، أيًا كان حجمها ومصدرها...

تتلمذ الرجل على المبادئ التي نادى بها الشيخ "عبد الحميد بن باديس" رحمه الله وصحبه في "جمعية العلماء المسلمين"؛ ذلك الحصن المتين الذي استطاع أن يصمد في وجه المخططات الاستعمارية ومحاولاتها المستمرة لمحو الخصائص العربية والإسلامية للشعب الجزائري، تمهيدًا لتذويبه في بوتقة الحضارة "الفرنسية"... على الرغم من ضيق الإمكانات المادية وضعف الوسائل ومحدودية نطاق تأثيرها: فمن تعليم العربية وتدريس القرآن وتحفيظه في المساجد والكتاتيب إلى إصدار الصحف والمجلات والكتابة إلى صحافة العالم الإسلامي...

ولقد كان للشيخ محمود بوزوزو دوره الفاعل في عملية تحصين المواطن الجزائري المسلم أمام تيار "الفرنسية" أو الفرنجة... فكان رائدًا كشفيًا ومحررًا صحفيًا ومصلحًا اجتماعيًا... أولى الشباب عنايته واهتمامه فأسس عددًا من الأندية الاجتماعية، وعمّر المساجد بالدروس وحلقات العلم، ونظم الكشافة الإسلامية كوسيلة من وسائل التحصّن والمواجهة، وجعل لها فروعًا في كثير من المدن والأرياف.. وصار في عام 1947 م وحتى سنة 1954م رئيسًا للكشافة الإسلامية الجزائرية... كان يرى أن النظام الكشفي الإسلامي ينضوي على تربية عملية مفيدة جدًا للشباب، وأن طبيعة الكشافة تقوم على الالتزام والتعهد بمبادئ الأخلاق الكريمة...

شارك في الكتابة في صحيفة "البصائر"، لسان حال جمعية العلماء المسلمين... وكان أحد أعوان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي... ثم أصدر كتاب "المنار"، جريدة إسلامية، وطنية، حرة، كصوت آخر يطالب باستقلال الجزائر ومواجهة الاستعمار أيًا كان... فهو يرى في الاستعمار مظهرًا من مظاهر الاستبداد والظلم والطغيان في العالم...

وكان قد اشتغل بالتدريس الذي اختاره على القضاء... كما عني – على المستوى الشعبي – بالتدريس والرعاية الاجتماعية لجماعات: الأيتام، الأطفال، الكهول، ماسحي الأحذية، الحدّادين، والعمال بصفة عامة... فقد كان الصراع مع المستعمر يتطلب أمة واعية بما يدور من حولها ويحاك لها...

في جنيف

بعد انفجار الثورة في عام 1954 م، ناله ما نال رجالات تلك الفترة من التنكيل والتعذيب والسجن ثم النفي... فأخرج مكروهًا من بلده في سبتمبر (أيلول) سنة 1955 م حيث ولّى وجهه صوب فرنسا، ثم برلين الغربية وأخيرًا ومنذ سنة 1961 م استقر في جنيف...

مجلس البحث الفقهي الإسلامي لأوربا... أهداف ووسائل

حول أهداف ووسائل "مجلس البحث الفقهي والإسلامي في أوربا" دار الشق الأكبر من حوارنا مع الشيخ محمود بوزوزو، فهو إنما جاء مكة خصيصًا لحضور الاجتماع التأسيسي للمجلس... يقول الشيخ:

لما كانت أعداد المسلمين المتزايدة في أوربا، واحتكاكهم المباشر بمجتمع الحضارة الغربية قد أديا إلى إيجاد بعض المشكلات الخطيرة والمتباينة بتباين البلد الأوربي وعادات وتقاليد أهله، ولما كانت هذه المشكلات تتطلب إيجاد حلول عاجلة، فقد نص "مجلس البحث الفقهي الإسلامي في أوربا" على أن تكون دراسة جميع المشكلات التي تواجه المسلمين في أوربا واقتراح الحلول المناسبة لها، على هدي الكتاب والسنة والإجماع والقياس، أوّل هدف يسعى المجلس لتحقيقه، مستعينًا على ذلك بالمجالس الفقهية الإسلامية الأخرى.

كما نص على ضرورة العمل من أجل نشر الوعي الفقهي الإسلامي في الأوساط الإسلامية في أوروبا، وإظهار كمال الشريعة الإسلامية وإبراز صلاحها لكل زمان ومكان... ودراسة ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية... والقيام بالدراسات الموضوعية عن الفرق والتيارات الفكرية الضالة، مع المتابعة المستمرة للقضايا المعاصرة التي تهم المسلمين في أوروبا...

الوسائل

ويضيف الشيخ بوزوزو:

وقد اعتمد المجلس عددًا من الوسائل التي رأى ضرورتها لتحقيق أهدافه... من ذلك:

ب- الاتصال بالمراكز والجمعيات الإسلامية في أوروبا لمعرفة المسائل والمشكلات التي تواجه المسلمين والعمل على تصنيفها كخطوة نحو إيجاد الحلول المناسبة...

2- ترجمة الأعمال الفقهية المعتمدة إلى أهم اللغات الأوروبية، ونشر الكتب الفقهية المبسطة وترجمتها كذلك...

3- إصدار النشرات والدراسات حول أعمال المعادين للإسلام والمفترين عليه والرد على أضاليلهم باللغات والوسائل المختلفة.

4- إقامة الندوات والمحاضرات والمعارض التي تتناول المسائل الفقهية التي تهم المسلمين في أوروبا وتساعد على إظهار كمال الشريعة الإسلامية... إلى غير ذلك من الوسائل التي يمكن أن تساعد على تحقيق أغراض المجلس...

ما أهم وأبرز المشكلات العاجلة التي تواجه المسلم – اليوم – في أوروبا بشكل عام وسويسرا بشكل خاص؟

المشكلات كثيرة بعضها يختص بجانب العبادات... وأكثرها ذو طابع اجتماعي بسبب العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين المسلم والمجتمع الذي يعيش فيه أو بين المسلم وأخيه المسلم في ظل هذا المجتمع..

فهناك مثلا، قضية المواقيت الشرعية للصلاة... تثار على مدار السنة وفي كل البلاد الأوروبية ولكنها تبدو أكثر وضوحا في البلاد التي تبعد عن خط 45 درجة مثل البلاد الإسكندنافية حيث يكون النهار طويلًا جدًا في قسم من السنة، ويكون الليل طويلًا

كذلك في قسم آخر من السنة، مما يصعب معه التحكم في تحديد أوقات الصلاة والصيام... يضاف لذلك أن وقت الصلاة قد يحين والناس أثناء ساعات العمل الذي له نظامه الخاص والصارم...

وهناك مشكلة المطعم والمشرب وهي من المشكلات التي تثار على مدار السنة أيضًا وفي كل البلدان الأوروبية... إذ نجد المسلمين غير مطمئنين أبدًا لما يأكلون ويشربون... وكثيرًا ما سئلت عن حكم ما يسمى بـ"بيرة خالية من الكحول"، وقد أفتيت بأن شرابها لا يجوز للمسلم خاصة بعد أن تأكد لي بأنه لا يوجد خمر بدون كحول، وأن صانعيها ادعوا بأنها خالية من الكحول لأغراض الدعاية والترويج التجاري في الوسط المسلم.

مشكلة الزواج وعلاقة الرجل بالمرأة

ومن المشكلات التي تقلقنا كثيرًا، تلك التي تختص بعلاقة الرجل والمرأة... أضرب لذلك مثلا: في إحدى المرات ذكرت سيدة مسلمة (من الشرق) أن ابنتها التي تزوجت من رجل غربي كان قد أشهر إسلامه على يديّ، تشتكي من أن خلافا وقع بينها وبين زوجها حول تسمية المولود الذي لا يزال جنينا في بطنها... فبينما تريد هي أن تطلق عليه اسمًا إسلاميًا، يصر هو على إعطائه اسمًا غربيًا نصرانيًا... وعندما يذكرونه بأنه مسلم، يجيب بأنه لا يريد أن يسمع أي شيء عن الدين في بيته... وهذه إحدى المشكلات الخطيرة. فماذا تفعل هذه المرأة الحامل من إنسان لا يريد أن يسمع أي شيء عن الدين في بيته؟!

هل يعني ذلك، أن بعض من يعلنون إسلامهم من الغربيين، إنما يعلنونه لغايات موقوتة في قضايا الزواج أو التجارة أو ترويج بعض الذبائح... إلى غير ذلك ثم يظهرون حقيقتهم؟

نعم هذا الصنف من الغربيين موجود.

وكيف تواجهون مثل هذه المشكلة، خاصة وأن القضية مغيبة والقلوب لا يطلع عليها إلا الله؟

لعل هذه المشكلة من بين المشكلات التي سيوليها "مجلس البحث الفقهي" أهمية خاصة... فنحن لا نزال عندما يأتي إلينا شخص يريد إعلان إسلامه، نعتمد على توصية

وتزكية من يعرفه من المسلمين... ليس لدينا أجهزة لمتابعة الأفراد بغرض التعرف على حقيقة سلوكهم وتصرفاتهم... ولكن هذا لا يعني أننا لا نفكر جديًا بوضع أسس تمكن من البحث الدقيق عن هوية من يأتينا طالبًا إعلان إسلامه...

المواقيت الشرعية للصلوات

ما هي الخطوات التي اتخذتموها لحل مشكلة تحديد المواقيت الشرعية للصلوات في أوروبا؟

درس المجتمعون، أعضاء الإجتماع التأسيسي، القرارات التي صدرت عن ندوة بروكسل 1402هـ وقرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي الذي أصدره في دورته الخامسة عام 1402هـ والخاص بهذه المشكلة... وعبر أعضاء المجلس القاري للمساجد في أوروبا، المشاركون في الإجتماع، عن الصعوبة العملية في تطبيق تلك القرارات وخاصة عند ضياع العلامة في تعيين وقتي العشاء والفجر، وذلك لشدة الحرج الذي يلاقيه أفراد الجالية الإسلامية، لا سيما وأن أغلبهم من الطبقة العاملة التي تنفق ساعات طويلة في أوجه العمل المختلفة وراء الرزق الحلال.. يضاف إليهم مجموعة الدارسين والعاملين في الميادين المختلفة.

واعتمادًا على روح التسيير وبناءً على القواعد الفقهية القائلة بدفع الحرج، أوصى المجتمعون بأن تعتبر الدرجات الموافقة للشمس عند كل وقت كما يلي: الفجر: (18 درجة)، العشاء: الشفق الأحمر (17 درجة) وهو قول الجمهور والشفق الأبيض (18 درجة). الشروق (1 درجة) (كامل القرص) تحت الأفق الغربي. الظهر: وقت الزوال + دقيقتان للتمكين. العصر: عندما يصبح ظل الشيء مثله + ظل الزوال.

أما في البلاد التي تضيع فيها علامة الفجر والعشاء في بعض أيام السنة. اقترح المجتمعون أن يأخذ المسلمون هناك بالقياس على مواقيت خط (45 درجة) طيلة فترة غياب علامة العشاء والفجر... كما اقترحوا بأن يجري هذا القياس اعتبارًا من بدء طول مغيب العلامة، ويقدر هذا بأطول فارق ما بين العشاء والمغرب في خط العرض (45 درجة) ويعادل ساعتين وخمس عشرة دقيقة تقريبًا. وذلك تيسيرًا على المسلمين وخروجًا من الاختلاف المفاجئ بين اليوم الذي يسبق غياب العلامة والذي يليه.

على كل، تم تكليف الدكتور محمد هواري [نائب مدير المركز الإسلامي في آخن، ألمانيا] بإعداد التقاويم الخاصة بأهم المدن الرئيسية لأوروبا لعرضها على الدورة السابعة لمجلس المجمع الفقهي الإسلامي التي ستعقد في ربيع الثاني 1404هـ.

تحديات فكرية

وعن القضايا والتحديات الفكرية المعاصرة التي يتعرض لها المسلمون المقيمون والوافدون إلى أوروبا، يقول الشيخ أبو زوزو:

القضايا والتحديات الفكرية كثيرة، وقد تناول الاجتماع التأسيسي "المجلس البحث الفقهي"، بالبحث والمناقشة أبرز تلك القضايا وأخطرها.. مثل التنصير، والماركسية، الصهيونية، البهائية والقاديانية... إلى غير ذلك من الفرق المنحرفة... وهنا لا بد من الإشارة إلى أن في الغرب جهات عدة تعمل على تنمية بعض الفرق المنحرفة التي تحمل اسمًا إسلاميًا وليس لها من الإسلام غير هذا الإسم...

ومن التحديات الفكرية أيضًا ذلك النشاط الرهيب للتنظيمات اليهودية السرية مثل "الماسونية" و"الروتاري" و"الليونز" و"الأصدقاء"،... والحركات المتسترة بالمبادئ الإنسانية مثل حركة "كارتشنا" و"المهارينس" والحركة التي تتزعمها المدعوة "ساندري" في باريس، ومن عجب أن لها فرعًا في إحدى البلاد العربية في الأوساط غير الإسلامية.

خطورة المؤسسات العلمية

وتحدث الشيخ أبو زوزو عن بعض الجهات العلمية والإعلامية التي تقف وراء إثارة هذه المشكلات والتحديات الفكرية التي يتعرض لها المسلمون... فذكر أن من تلك الجهات:

1- الجامعات الأوروبية والمعاهد المتخصصة (مثل معهد التاريخ، العلوم الاجتماعية، الفلسفة، الأديان، القانون، التشريع المقارن، الخ) التي تدرّس "الإسلام" كمادة أكاديمية: حيث يتولى التدريس أساتذة هم الثمرة العملية للحقد اللاهوتي، لا يراعون النزاهة أو الحياد العلمي، فينتهزون كل فرصة سانحة لتشويه حقائق الإسلام والتهجم عليها...

2- مراكز الدراسات: ومعظمها يهدف إلى رصد كل الحركات والمطبوعات واللقاءات الإسلامية لإضعاف تأثيرها وإثارة الشبهات حول كل ما لا يروق لأعداء الإسلام... يضاف لذلك ما تقوم بنشره من كتب ومطبوعات تطعن في الإسلام ومبادئه...

3- المستشرقون: وبصفة خاصة أولئك الذين دفعهم تعصبهم النصراني وانتماؤهم لوزارات المستعمرات وللحركات التنصيرية والصهيونية والماركسية، إلى عدم انتهاج النزاهة والموضوعية في دراساتهم حول القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتعاليم الإسلام والتاريخ الإسلامي في حقبه المختلفة...

4- وسائل الإعلام: وهي بالإضافة إلى ما تقوم به من تشويه لمبادئ الإسلام وسمعة المسلمين، تتولى مهمة التعتيم على كل ما يمت بصلة للإسلام والمسلمين، سواء في النطاق الأكاديمي العلمي أو في النطاق الإعلامي وغيره.

مواجهة التحديات...

هل فكرتم في وضع خطة عملية قابلة للتنفيذ لمواجهة تلك التحديات الفكرية وهذه الجهات العلمية والإعلامية التي تقف من ورائها؟

- في الحقيقة، طرح الاجتماع التأسيسي بعض المقترحات العامة التي ترتكز على أساسين جوهريين:

(أ) التحصين والحماية.
(ب) التنمية والتنشئة الإسلامية.

وعلى الأساس الأول، كان الاقتراح بـ:

1- متابعة ورصد المقالات والنشرات والكتب التي تهجم على الإسلام والرد عليها بصورة مباشرة. وذلك من خلال دائرة خاصة تضطلع بمهمة التوثيق والمتابعة.

2– مراقبة الكتب المدرسية التي تتحدث عن الإسلام في المدارس الأوروبية والعمل على إيجاد البديل لتلك التي تتضمن معلومات محرفة ومشوهة عن حقائق الإسلام وتاريخه ومبادئه.

أما في مجال التنمية والتنشئة الإسلامية والإعداد الإسلامي لأفراد الجالية، فقد ركز الاجتماع على ضرورة الاهتمام بأطفال المسلمين وشبابهم وذلك بتأسيس دور الحضانة والمدارس الإسلامية وعقد اللقاءات والندوات وحلقات دراسية خاصة بهم... وأن يتم في الوقت ذاته توعية الآباء والأمهات المسلمين وحثهم لتنشئة أولادهم تنشئة إسلامية والأبتعاد بهم عن انتهاج الحياة المادية الغربية...

كما اقترح الاجتماع إقامة المزيد من الدورات التدريبية للأئمة والدعاة العاملين، وإعداد دعاة مؤهلين للقيام بمهمة الدعوة في أوروبا، والرد على الشبهات التي تثار حول الإسلام.

ظاهرة التفرنج

ولما كان الطلبة المسلمون الوافدون إلى أوروبا أكثر الفئات تعرضًا وتأثرًا بالتحديات والتيارات الفكرية الموجودة في الغرب، أوصى "الاجتماع التأسيسي" لضرورة الاهتمام بهم والعمل على الإسهام في حل المشاكل التي تواجههم وحثّ الجهات المعنية في الدول الإسلامية على عدم السماح بسفرهم بالابتعاث إلى أوروبا إلا بعد توفر العوامل اللازمة التي تمكنهم من متابعة دراستهم حتى لا يقعوا فريسة لاستغلال أعداء الإسلام لهم.

فقد لاحظنا في الفترات السابقة، ظاهرة ميل بعض الشباب المسلم إلى "التفرنج" والابتعاد عن حدود دينه، بل والاندماج في بعض الحركات التنصيرية... إذ قد تدفع الحاجة وضيق ذات اليد ببعضهم لأن ينسلخوا عن دينهم ويعتنقوا النصرانية... وقد حدث هذا بالفعل...

التنصير لأصحاب الحاجات

هل تعني بذلك أن بعض المسلمين الوافدين إلى أوروبا يتنصّرون في سبيل الحصول على شيء من فرص الحياة في المجتمع الأوروبي أو على بعض الحاجات التي تعتبر وقفًا لا يعطى

لغير النصارى؟

- ولِمَ لا وهم لا يجدون مخرجًا غير هذا... أضرب لك مثلًا: أذكر أن شابًا مسلمًا (أتى من الشرق) أراد أن يتم دراسته، فلما لم يجد عونًا من أحد المسلمين، اتصل بشخص نصراني يعمل في إحدى الهيئات الدولية التي تتخذ من سويسرا مقرًا لها، فوجد منه ترحيبًا واستجابة ووعده بإمكانية توفير مورد مالي يعينه على إتمام دراسته، ولكن بشرط أن يتنصّر.. فما كان ذلك من المسلم إلا أن فعل... وتنصّر، تحت ضغط ما اعتبره حاجة...

الكفاءة الفقهية لمسؤولي الجاليات

إذن، يمكننا القول بأن مشكلات الجالية الإسلامية في الغرب – بشكل عام – ليست المشكلات الفقهية بالمعنى الدقيق، وإنما ما يعاني منه المسلمون على أكثر من مستوى... اجتماعي، اقتصادي، سياسي.. وأن القضية الفقهية أو قضية الأحكام الشرعية ما هي إلا جزء من هذه الصورة التي تحتاج، دون شك، إلى دراية وفقه وفهم لطبيعة مجتمع الاغتراب...

ولكن، في اعتقادنا إن بعض الإخوة المسلمين عن الجاليات أو المراكز الإسلامية في الغرب، لا يتمتعون – لعدم وجود رصيد من العلوم الشرعية أو مناهج أصول الاستنباط الفقهي أو المقايسة – بأهلية فقهية تمكنهم من بحث هذه المشكلات، فكيف يتسنى لهم إيجاد حلول لمشكلات لا يمتلكون هم أهلية النظر الفقهي لها؟

من هنا نبعث ضرورة إنشاء مجلس فقهي متخصص... فعدم توفر الكفاءة الفقهية التامة لدى من يعتنون بشؤون المسلمين في الغرب والرغبة في توحيد وجهات نظر الفقهاء والتوفيق بينها، جعل من الأهمية بمكان وجود "جهة" بعينها تتولى النظر الفقهي في المشكلات التي تواجه المسلمين وإيجاد الحلول الشافية التي يطمئن إليها المسلمون جميعًا...

هل تفكرون بالإستعانة بفقهاء مسلمين من غير المقيمين في الغرب على الرغم من عدم معرفتهم بالعرف هناك؟

هذا أمر لا بد منه. إذ يجب أن تكون الصلة وثيقة بين مجلس البحث الأوروبي والمجالس

الفقهية الأخرى. وأن نستعين بأهل العلم والتجربة ممن عرضت عليهم من قبل مشكلات متشابهة... فالتعاون بين علماء المسلمين ضرورة..

على طريق الإسلام

من خلال رحلة نصف قرن – تقريبا – بديار الغرب، ما هي الملامح الرئيسية التي بدأتم ترونها لتطور الإسلام في الغرب؟

علينا أن نحمد الله كثيرًا وأن نتفاءل خيرًا.. فقد بدأ الإسلام يشق طريقه في ديار الغرب كتيار قوي ذي أبعاد واضحة... فكثيرًا ما دعيت لإلقاء محاضرات إسلامية في مجالس الكنائس، يحضرها القساوسة الذين يريدون أن يتعرفوا على الإسلام.

وأجدها فرصة عظيمة لإزالة ما علق بأذهانهم من أوهام وأحكام مسبقة وخاطئة عن الإسلام... وكثيرًا ما يبدون تعجبهم واندهاشهم لما ينضوي عليه الإسلام من قوة روحية ذات جذور عميقة، وللطريقة العملية التي تتم بها تنمية هذه القوة...

ولقد أصبح كثير من المثقفين الأوروبيين ينظرون إلى الإسلام بعين الاهتمام ويتناولونه بالبحث والدراسة مما جعل بعض أعلام الفكر الغربي وصناديده يعتنقون الإسلام دون تردد من أمثال موريس بوكاي ورجاء جارودي الذي اعتنق الإسلام على يديّ في جنيف، وكوستو ذلك العالم الفرنسي المختص بعلوم البحار والذي أعلن إسلامه بمجرد أن عرف – عن طريق أحد المسلمين – قول الله تعالى في محكم تنزيله: "مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان" (الرحمن: 19-20)..

الماء العذب والماء المالح يلتقيان في مكان واحد ولكنهما لا يختلطان، كل يبقى على طعمه ويحتفظ بكامل خصائصه!... تعجب الرجل، أن كيف يصدر ذلك عن نبي منذ أربعة عشر قرنا يعيش في الصحراء وليس له معرفة جيدة بالبحار أو علوم البحار!؟... إنه الحق...

جارودي: الأثر الريادي

كأنكم المحتم في جلسة خاصة تحدثتم فيها عن رجاء جارودي، إلى توقعكم بأن إسلامه قد يؤدي إلى إسلام غيره من الباحثين والمفكرين الغربيين..

نعم... ذلك أنني على يقين من أن الباحث عن الحق إنما يجده في الإسلام.. قد يعترف به فيعلن إسلامه كما فعل رجاء جارودي... وقد لا يعترف به فيكتم الحق، ولا يعلنه لغيره أمام الملأ... ولكن لا يحاربه...

وفي اعتقادي أن رجاء جارودي سيكون له أثر ريادي في مجال إسلام بعض الباحثين عن الحقيقة من رجالات الفكر الغربي... ذلك بالرغم من حملات الانتقاد التي يشنها عليه بعض المغرضين من أعداء الإسلام... فالرجل من كبار المفكرين له تلاميذ ومدرسة فكرية مميزة... وهذه المدرسة ستتأثر – دون شك – بموقفه هذا وإعلان إسلامه، وبما ألف من كتب عن الإسلام... فهو قوي الحجة، قادر على إقناع القراء الذين يطّلعون على مؤلفاته والمستمعين الذين يشهدون أحاديثه ومحاضراته.

المستقبل للإسلام..

ويضيف الشيخ أبو زوزو:

إن المستقبل للإسلام، بإذن الله، في ديار الغرب.. فتأسيس المساجد وإنشاء المدارس، وفق التصور الإسلامي للعملية التعليمية، وفتح المراكز الإسلامية التي يتولى الأمر فيها أناس أكفاء متنورون يجمعون بين الثقافة الإسلامية والغربية، إضافة إلى اتجاه الجاليات الإسلامية نحو التمسك أكثر بتعاليم الإسلام وممارسة الشعائر والعبادات في المساجد والاجتماع في المراكز، كل ذلك أدّى إلى وجود جهاز فعّال لتعريف الغربي بالإسلام... وقد لمسنا أثر ذلك – كما ألمحت من قبل – في ما يكتب عن الإسلام من قبل الغربيين والمغتربين من أبناء المسلمين...

وجدير بالملاحظة، أن حركة اليقظة والوعي الإسلامي التي دبّت وسط الجاليات الإسلامية في الغرب قد انعكست على العالم الإسلامي نفسه... أذكر أن شابًا جزائريًا

عاش فترة في فرنسا، كان منحرف السلوك... وشاءت إرادة الله أن يتصل بإحدى الهيئات العاملة في حقل الدعوة الإسلامية، فتأثر بنهجها... ولما رجع إلى قريته في الجزائر، وكانت موبوءة بالمفاسد والمنكرات، نذر نفسه لإصلاح قومه وقريته... وكان أن شهدت القرية على يديه أعظم تحول اجتماعي في تاريخها...

فالرجل قد تأثر بالإسلام في الغرب وعاد إلى قريته في العالم الإسلامي مصلحًا وموجهًا إسلاميًا.. الأمر الذي يجعلني أحيانًا أذهب إلى القول بأن النهضة الإسلامية المنشودة في بعض الأقطار الشرقية (العلم الإسلامي) سيكون مبعثها من المسلمين المغتربين الذين يعيشون في بلاد الغرب...

وصية ابن باديس: أتمم دراستك وكن مسلمًا

وفي الختام، لا أقول لإخوتي المسلمين – حيثما كانوا – أكثر مما أوصاني به الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله يوم لَقِيَني في مكتب مجلة "الشهاب" حيث ذهبت لشراء كتيب اطّلع فيه، ولم أكن حينها قد تجاوزت السادسة عشر من عمري... فسألني من أنت؟.. وأجبته بأني طالب في المدرسة الرسمية.. فقال لي: "يا بني، إيّاك أن تعود إلى هنا.. فإنهم إذا رأوك ربما يسيئون إليك وأنا لا أريد أن تصيبك إساءة بسببي ولكن، الذي أوصيك به: أتمم دراستك وكن مسلمًا"...

وباختصار، ما أريد قوله للمسلمين جميعًا: كونوا مسلمين حقاً...

ورحم الله الشيخ عبد الحميد بن باديس فكأنه بوصيته للشيخ محمد بوزوزو يلمح إلى قضيتين على غاية الأهمية: الاختصاص العلمي والتفوق به، وتحقق الثقافة وتمثل الأخلاق الإسلامية، ليكون الاختصاص في خدمة العقيدة.

Le chaos primordial et l'ordre divin

Contribution de Mahmoud Bouzouzou à la Table ronde organisée dans le cadre des « Rencontres internationales de Genève », 1983 sur le thème « Ordre et désordre », dont les Actes sont publiés par les Editions de la Baconnière, Neuchâtel 1984.

Je pense qu'en parlant des ordres et des désordres provoqués par la religion, il faut revenir à la définition de celle-ci. Pour l'Islam, la religion est un mode de vie basé sur une relation permanente avec Dieu. Cette relation est définie par la révélation divine qui est faite à tous les prophètes, depuis Abraham jusqu'à Mohammad. Dans le Coran, il est affirmé fortement que la révélation de Dieu est une, et que Dieu unit, alors que les théologiens divisent. Il est aussi affirmé que tous ceux qui ont reçu les écritures doivent observer cette relation permanente entre l'homme et Dieu.

J'ai dit que cette relation est définie par la révélation. Que dit la révélation ? Elle parle d'abord de la condition humaine, de la place de l'homme dans la Création. Lorsque Dieu, selon le Coran, informa les anges de Sa décision de créer Adam, l'homme, ils rétorquèrent : comment vas-Tu créer quelqu'un qui va semer le désordre ? L'idée donc existe déjà. De quel ordre s'agit-il ? Nous n'en savons rien. Mais nous pouvons l'expliquer ainsi : Adam étant dans le Paradis, c'est-à-dire dans l'état de grâce parfait et permanent, Satan lui inspira de rompre cet ordre divin ; Adam fut alors puni, mais Dieu lui inspira la repentance ; et cette repentance est honorée par Dieu qui maintient la grâce qui accompagne Adam toute sa vie, alors que Satan, le germe du désordre, est banni éternellement. La relation permanente entre l'homme et Dieu est conservée par Adam et ceci lui permet le retour au Paradis qui est l'au-delà et qui est l'ordre parfait, l'ordre absolu auquel nous aspirons.

Tout ordre ici-bas est imparfait, tout ce qui vient de l'être, qui est lui-

même imparfait, ne saurait avoir la perfection. La relation entre l'homme et Dieu est exprimée par le mot Islam, qui signifie soumission à la volonté de Dieu. Et le Coran affirme que tous les prophètes étaient des êtres soumis à la volonté de Dieu. Aucun prophète n'a essayé d'imposer sa propre volonté et de suivre uniquement ses propres divagations. Ils étaient tous soumis à Dieu. Ils ne philosophaient pas. Ils ne contestaient pas. Ils vivaient simplement, parlaient simplement et prêchaient simplement ; et surtout, ils vivaient ce qu'ils prêchaient. La soumission à la volonté de Dieu ne signifie pas un état de servitude ou d'esclavage. La volonté humaine n'est pas totalement brisée, puisque l'homme est responsable. Il a la liberté d'agir et de choisir, et c'est pour cela qu'il y a des contraires dans le comportement humain.

En plus et au-delà de la soumission, il y a la relation d'amour entre l'homme et Dieu. Dieu est amour. Et on trouve, chez les musulmans, des hommes et des femmes qui ont fait le parcours du chemin vers Dieu à travers l'amour. Mais c'est un amour indicible. La psychanalyse et la psychiatrie sont incapables de le définir et de l'expliquer. C'est un amour débordant, ce sont des gens ivres de Dieu, fous de Dieu, à tel point que l'un d'eux est arrivé à s'écrier : « Je suis la Vérité », c'est-à-dire je suis Dieu, Dieu est en moi. Evidemment, les pouvoirs publics ont considéré ceci comme une perturbation de l'ordre et ils ont exécuté l'homme.

Ainsi, il y a une dimension à laquelle nous devons revenir pour saisir l'ordre divin. Et sachons qu'à côté de tout ce que nous entreprenons, il y a la grâce de Dieu. Tout ce que l'homme crée et invente et qu'il attribue à son propre génie vient de cette grâce. Un grand soufiste a dit : « Lorsqu'Il veut manifester Sa grâce à ton égard, Il crée, et c'est à toi qu'Il attribue cette création. » Ainsi, si l'homme moderne, avec toute son intelligence et toutes ses connaissances, peut avoir un peu de modestie, réfléchir et se recueillir pour revenir à Dieu, je crois qu'il y aura beaucoup moins de désordre dans la vie des peuples et des nations.

حوار مع مجلة الوفاق

مجلة الوفاق
العدد الثالث، صفر-محرّم 1418، ماي-جوان 1998
أجرى الحوار عدنان الربيع

الشيخ بوزوزو علم من أعلام الجالية العربية المقيمة بسويسرا متحصل على الدكتوراه في الترجمة من أهم إنجازاته إدخال اللّغة العربية إلى مدرسة الترجمة بجنيف ومنظمة الأمم المتحدة وكذلك بالمركز الثقافي، وهو قبل كل ذلك مناضل من مناضلي الحركة الوطنية الجزائرية وأحد أبرز مثقفي النخبة الذين عملوا على إنارة العقول ومحاربة الجهل والأمية. مخضرم، له ذاكرة ثاقبة وتجربة ثرية، يتوقد نشاطًا وحماسًا وقد حرصت الوفاق على الالتقاء به في مكتبه الكائن بشارع روايوم، هذا المكتب الذي غطت جدرانه وفاضت أرضه بأبرز أمهات الكتب حتى أن الشيخ لا يكاد يجد مكانًا للحركة لكن الشيخ عذب كلامه مؤنس حديثه فأنسانا ضيق المكان.

الوفاق: الشيخ بوزوزو هل لكم أن تتفضلوا بتعريف قراء الوفاق بكم؟

الشيخ بوزوزو: أهلًا وسهلًا ومرحبًا، نرجو لكم التوفيق والسداد لخدمة الإسلام والمسلمين في هذه الديار التي أخذ عدد المسلمين فيها يتكاثر ونسأل الله تعالى أن تكون هذه الكثرة كثرة خير.

أما فيما يخص سؤالكم عن النشأة فإنني نشأت بمدينة بجاية التي هي مدينة تاريخية كان لها دور كبير في نشر العلوم.

تعلمت القرآن الكريم في طفولتي وكان المعلم الأول لي هو والدي رحمه الله، أدخلني

الكتّاب حيث واصلت التعلم إلى أن حفظت القرآن الكريم في السنة الثانية عشر من العمر، وبعد الدراسة في المدارس الفرنسية اخترت اللحاق بالمدرسة العربية الرسمية التي تدرس فيها الثقافات العربية والفرنسية، وهي معهد خاص بتخريج المدرسين والمترجمين والقضاة وكان والدي يريدني قاضيًا، ولكنني اخترت التدريس حيث شاهدت انتشار الجهل عند شعبنا. وكنت إلى جانب التدريس الرسمي أدرس من لم يجد مكانا في المدرسة الرسمية، ثم منعت من التدريس الحر غير أنني كنت أفتح المدارس الحرة وآتي بالمعلمين. وكنت أهتم بتعليم العمال والشبان الذين فاتهم فرصة التعليم في صغرهم وأفتح أندية لجلب الشباب من المخامر والمقاهي التي فيها تناول الخمور، وأذكر الشباب الذين يقبلون على المحاضرات بالأخلاق الإسلامية والتاريخ الإسلامي وهذا النشاط سبب لي غضب بعض الحكام فاستقلت من التعليم الرسمي والتحقت بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين للتحرير في جريدتهم "البصائر" وكنت في نفس الوقت أعتني بالكشافة الإسلامية الجزائرية حيث كنت المرشد العام ثم الرئيس العام. وقد قضت التطورات الفكرية والسياسية في الجزائر أن أتصل بالحركة الوطنية المطالبة باستقلال الجزائر لإنشاء جريدة "المنار" التي تطالب بالاستقلال وهي جريدة ثقافية سياسية تعتمد على المساعدة المادية من طرف الحركة الوطنية وشعارها.

عش للجزائر كوكبا * يجلي الرياح ترى
عش للعروبة صارما * لحمى حماها مشهرا
ولتعدْ للإسلام حجته * إذا اشتـــــد المرا

ولم يكتب لها الدوام بسبب انفجار الثورة الجزائرية. وفي الأيام الأولى من هذه الثورة قبض علي وسجنت وعذبت ثم أبعدت.

وجئت إلى أوروبا وقدر لي أن ألتقي بمن يعمل للنهضة الإسلامية في مدينة جنيف حيث تأسس المركز الإسلامي بفضل الله تعالى وجهد المرحوم الدكتور سعيد رمضان أحد قادة الإخوان المسلمين. وتطورت الأحوال إلى إنشاء المعهد الإسلامي المذكور ثم إنشاء المؤسسة الثقافية الإسلامية خلفًا لهذا المعهد، والتي كنت أؤم فيها الناس.

الوفاق: ما هي علاقة الشيخ كدكتور ومثقف بالنخبة الجزائرية أمثال مالك بن نبي؟

الشيخ بوزوزو: مالك بن نبي رحمه الله كانت لي به علاقة أخوية صحيحة وقد كانت معرفتي به في الجزائر عند قدومه من فرنسا حيث أنهى دراسته، ولما ألف كتابه الذي أنشأه باللغة الفرنسية أراد ان يترجمه إلى اللّغة العربية فطلب مني أن أشارك في الترجمة رفقة بعض الإخوة رفاقي في الدراسة ولكن مع الأسف بعد عزمنا على هذا العمل لم يكتب لنا تحقيقه ثم ترجم في الشرق باسم "الظاهرة القرآنية".

الوفاق: فضيلة الشيخ هل لكم كتابات أو بصمات شعرية؟

الشيخ بوزوزو: لي عدد كبير من المقالات في "البصائر" و"المنار" وشيء من الشعر كتبته ابتداءً من إعلان الحرب العالمية الثانية سنة 1939م حين طلب الفرنسيون من المسلمين الجزائريين أن يتطوعوا في الجيش الفرنسي، كان مطلع قصيدة لي في هذا الشأن:

رأيت جنود المسلمين تأهبـوا * إلى غزوة ليسـت إلى الله تنسـب
فقلت لجنديّ مررت به ضحى * بعيشك اخبرنـي إلى أين تذهـب
أأنت امرئ مثل الأحرار مدافع * عن المثل العليـا إذن لك مذهـب
و إن لم تكن من هؤلاء آدميـة * بها الغرب يلهو كيف شاء ويلعب

الوفاق: نظرا لثراء تجربتكم في الدعوة، بماذا تنصحون العاملين في هذا المجال؟

الشيخ بوزوزو: كنت دائمًا ولا أزال أدعو المسلمين العاملين في الحقل الإسلامي في كل مجال من مجالات النشاط في البلدان الإسلامية إلى التحلي بخصلتين متلازمتين: الكفاءة والإخلاص. فالكفاءة بدون إخلاص لا تكفي والإخلاص بدون كفاءة لا يكفي.

وأعني بالكفاءة التضلع في العلوم الدينية والدنيوية والإخلاص معلوم وهو الصدق وصفاء النية مع حسن التدبير وهذا أمر مهم جدًا لأنه من علامات الحكمة. وإذا انقضت الحكمة من العمل فقد يحصل فيه خلل كبير وسوء عاقبة. وإني أذكر بهذه المناسبة نصيحة المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للطلبة المتخرجين من معهده وهم عائدون إلى قراهم ومدنهم: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن" وقوله سبحانه: "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن". ومما ينبغي الالتفات إليه ما حدث هذه السنين من منع المحتجبات المسلمات من

ممارسة الدروس في المدارس الأجنبية ونحن بحكم وجودنا في وسط له دستور وقوانين يفرض احترامها على جميع المواطنين لا نستطيع انتهاكها. لذا يتحتم علينا المحافظة على تقاليدنا أن ننشئ مدارس خاصة بنا. ومن الواجب على الجميع أن يولوا هذه القضية كل عنايتهم حتى تنشأ نشأة إسلامية سليمة. وفي الوقت الحاضر لا نستطيع مخالفة القوانين الجارية التي ليست من صنعنا ونحن ضيوف فضلاء عليها.

الوفاق: فضيلة الشيخ لا شك أنكم تقفون على حقيقة واقع الجالية ومشاكل تربية الأبناء فما هو تصوركم لذلك والحلول التي ترونها؟

الشيخ بوزوزو: الجالية المسلمة في البلدان الأوروبية مهددة بالإنحلال وهو مشكل عويص جدًا يجب أن ينتبه له الوالدون والوالدات والمعلمون والمعلمات وأن يكون التعاون بينهم على وقاية البنين والبنات من التردي في هذا الخطر العظيم وأهم ما في هذا المشكل تدخل السلطات المحلية في توجيه المدارس بحيث تصبح رغبة الأولياء ملغاة بما أنه لا اعتبار لإرادتهم أمام إرادة السلطات، إضافة إلى تفشي أمراض اجتماعية خطرة كظاهرة المخدرات والتفكك الأسري والانقطاع المبكر عن التعليم.

علينا إذن أن نولي اهتمامًا وعناية كبيرين بتربية الأبناء وتعليمهم حتى يكونوا خير خلف لأنفسهم ودينهم وأوطانهم. ولي فكرة في هذا الإطار كنت ذكرتها لمحرر مجلة "الأمة" في مكة المكرمة وهي أنه لا يستبعد أن ينهض الإسلام في بلادنا عن طريق شباب تكونوا في البلاد الغربية وذكرت أن أحد الشبان الذي عاش في فرنسا وتعلم بها على يد أساتذة مسلمين تشبعوا بالروح الإسلامية ولما رجع إلى قريته أخذ يصلح كل ما فسد فيها. هذا المثال بعث فيّ الأمل أن ينهض الإسلام بهذه الطريقة. فإنشاء المدارس الإسلامية بالبلدان الأوربية التي توجد فيها جالية مسلمة كبيرة أمر ضروري إذا نحن نظرنا إلى مستقبل أبناء هذه الجاليات التي هي مهددة بتقليد الحياة الغربية المتسمة بالإنحلال وإهمال الشرائع الإلهية التي هي تراثنا الغالي التي تقوم عليه هويتنا وشخصيتنا وتميزنا عن غيرنا من البعداء عن الإسلام.

الوفاق: كيف تقيّمون أداء العاملين في مجال الصحوة بسويسرا؟

الشيخ بوزوزو: هناك شيء إيجابي قليل ولكن وسط الصعوبات المحيطة باجتهاد المشرفين

على التربية والتعليم يجب أن نشجع هذا الجهد حتى يتسع الاتساع المأمول وهذا يستوجب التعاون بين الجميع وتركيز الجهد نحو القضايا الكبرى وأساسًا تربية الأبناء والتعليم.

الوفاق: فضيلة الشيخ أمام تقلص الحريات العامة وتشديد الخناق على الصحوة الإسلامية والعمل على استئصالها انتهجت حركات من الصحوة الإسلامية في العقد الأخير خيار الصدام والمواجهة مع الأنظمة من ذلك ما يحدث في درع الإسلام الجزائر. فما رأيكم في ذلك وكيف تقيّمون الوضع الآن في الجزائر وبما تنصحون الجزائريين للخروج من هذه الدوامة القاتلة؟

الشيخ بوزوزو: الوقائع الدامية الحديثة في بعض الأقطار الإسلامية، أمر مؤلم، مؤلم جدًا لا سيما ما يحدث من التقاتل بين المسلمين وما يحدث من الإرهاب باسم الإسلام مما يعرّض الإسلام للطعن من طرف الجاهلين والأعداء ولا يسعنا أمام هذه الحوادث إلا الدعوة إلى التحاكم إلى القرآن الكريم "فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله ورسوله " وإذا رجعنا إلى تاريخ الإسلام وجدنا أن الأمة الإسلامية لم تخل من وقائع مؤسفة والدواء يتمثل في إيجاد الوعي الصحيح بحقائق الإسلام ولا يخفى أن الجهل أكبر عدو للعالم الإسلامي في الوقت الحاضر. ولا ننسى أن في بعض البلاد الإسلامية توجد هوة كبيرة بين الحكام والمحكومين. لقد أهملت وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم للرعاة بحسن سياستهم لرعاياهم نسأل الله تعالى أن ينبه الغافلين إلى ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند ربه.

الوفاق: كلمة أخيرة؟

الشيخ بو زوزو: إنني أردّد دائمًا الوصية التي أوصاني بها المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس وأنا طالب في الخامسة عشر من عمري: "أتمم دراستك وكن مسلمًا".

Ayons la sagesse de concilier les valeurs sacrées !

Mahmoud Bouzouzou

Tribune de Genève du 11 février 2006

La crise des caricatures qui oppose le Danemark, et plus généralement l'Europe, au monde musulman prend hélas la tournure d'un mégaconflit. La protestation contre les caricatures prend des allures de plus en plus violentes, comme nous l'avons vu dans certaines capitales de pays musulmans avec l'incendie d'ambassades scandinaves, acte condamnable, qu'il soit spontané ou le résultat d'une instrumentalisation politique.

Le saint Coran nous ordonne d'être équitables envers tout être humain et nous enseigne que nul n'est responsable pour un acte commis par un autre. De plus, la tradition du prophète – la paix et le salut sur lui et sur tous les prophètes – nous apprend que jamais l'envoyé de Dieu (pssl) ne se vengea d'une injure personnelle.

Cette crise révèle deux fléaux qui menacent l'humanité : l'injustice envers l'Autre et l'ignorance de l'Autre. La réaction des populations musulmanes aux dessins profanant l'image du prophète (pssl), exprime d'abord une frustration et cristallise un sentiment d'injustice éprouvé par les musulmans depuis trop longtemps. Privés de liberté et dominés par des gouvernements souvent illégitimes, ils sont sans cesse agressés militairement, pillés économiquement et humiliés symboliquement par un envahisseur qui change de nom mais utilise les mêmes méthodes d'antan. Le sentiment d'injustice ne peut produire que de la colère, voire de la haine.

L'ignorance de l'Autre engendre, elle aussi, la peur, le conflit et la haine. Depuis plus d'un demi-siècle, j'ai pris conscience du danger que représente ce fléau. En pleine période de colonisation, au moment où l'occupant français interdisait les écoles d'enseignement

de l'arabe en Algérie, nous nous efforcions à aiguiser l'appétit des jeunes Algériens pour le savoir, notamment au sein des scouts musulmans algériens, et à les encourager à apprendre les langues étrangères – y compris le français – car elles représentent à notre sens les clés qui ouvrent l'univers de l'Autre et facilitent sa connaissance.

Connaître l'Autre, c'est connaître ses référents, ses symboles, ses valeurs sacrées. Or le contexte international tendu dans lequel nous vivons depuis quelques années ne favorise pas l'entre-connaissance. Dans le monde occidental où l'on méconnaît les valeurs sacrées du monde musulman, on ne mesure pas assez la portée d'une atteinte grave au symbole des musulmans par excellence, le prophète Mohammed (pssl). Dans le monde musulman où les médias sont souvent aux ordres du pouvoir, on ne mesure pas assez l'importance en Occident de l'indépendance de la presse, considérée par certains comme une valeur sacrée, et on va jusqu'à demander à l'appareil exécutif danois de présenter des excuses pour un forfait commis par un journal, ce qui paraît ici, à juste titre, comme une aberration.

La liberté de la presse est un bien trop précieux pour être traîné dans les bas-fonds de la provocation gratuite, médiocre de surcroît. L'attitude du caricaturiste Lars Refn, qui a accepté de participer à la publication danoise uniquement pour affirmer que «des journalistes de *Jyllands Posten* sont des provocateurs réactionnaires», comme il l'a précisé dans sa caricature, est à ce titre honorable. Le droit à la liberté d'expression, droit inestimable consacré par l'humanité libre comme universel, ne saurait entrer en contradiction avec le droit à la dignité qui est tout aussi inestimable.

L'équilibre entre d'une part le droit à liberté d'expression, et d'autre part le devoir de lutter contre le racisme, la discrimination, la calomnie, l'antisémitisme et tout appel à la haine, a pu être établi avec le temps par la société occidentale moderne. A l'ère d'Internet et des chaînes satellitaires notre monde prend l'aspect d'un grand village dont les habitants doivent apprendre à vivre ensemble en bonne entente, comme c'est le cas en Suisse, et particulier à Genève, où coexistent pacifiquement des communautés d'origines, de cultures et de religions diverses.

Aussi, non seulement lorsque des valeurs sacrées entrent en conflit, et

afin de dépasser le seul cadre juridique, la sagesse commande de rappeler et de souligner que nos différences constituent un trésor nous offrant la chance unique de nous enrichir mutuellement. Et par là, de construire des ponts en vue de nous rapprocher les uns des autres. Une telle démarche relève de la pédagogie et commence bien évidemment à l'école.

Nous devons tous contribuer, chacun à son niveau, d'une manière positive, au dénouement de cette crise grave qui risque de dégénérer davantage, en transformant la colère en sentiment de haine entre les peuples musulmans et les peuples occidentaux amis qui ne peuvent en aucune façon être tenus pour responsables des agissements de quelques journaux irresponsables ou d'une minorité islamophobe.

Bref, il est du devoir de chacun de nous, quelles que soient nos convictions, de faire l'effort nécessaire non seulement de connaître l'Autre, mais aussi de le reconnaître et de lui faire justice en toutes circonstances.

Le Ramadan
Le Coran et les Conventions de Genève

Interventions radiophoniques de Mahmoud Bouzouzou

Le Ramadan
Radio Télévision Suisse
https ://www.rts.ch/archives/radio/information/journal-de-13h/4089600-le-ramadan.html

Le Coran et les Conventions de Genève
Comité international de la Croix-Rouge (CICR)
https ://avarchives.icrc.org/Sound/6838

La Mosquée

Mahmoud Bouzouzou

(Document non daté)

A travers l'histoire

La première mosquée construite dans le monde se trouve à la Mecque ; c'est le Masjid El-Haram qui pour centre la Kaaba, édifiée sur ordre de Dieu par le Prophète Abraham et son fils le Prophète Ismaïl.

La Kaaba (Maison de Dieu) représente la Kibla (point d'orientation) vers lequel tous les musulmans s'orientent pour accomplir leurs prières. Elle exprime l'unité des musulmans à travers le monde.

Le lieu où le Prophète Suleiman et ses compagnons faisaient leurs prières à Jérusalem est qualifié dans le Coran de Masjid dont Dieu à béni les alentours.

Le mot mosquée vient de l'arabe Masjid qui signifie lieu de prosternation.

La première activité qu'entreprit le Prophète Mohammed, que le salut soit sur lui, après s'être installé à Médine, fut celle d'édifier une mosquée modeste, afin d'y célébrer en commun les cinq prières quotidiennes. Il en fit également un centre pour ses activités et celles de tous les musulmans : activités touchant les divers domaines de la vie de la communauté musulmane.

A cette époque, l'activité la plus importante qui avait lieu à la mosquée était les cinq prières obligatoires en commun ; par ailleurs, les intérêts de la communauté se débattaient à la mosquée. En effet,

tout ce qui touche la communauté islamique doit être axé sur l'obéissance à Dieu et l'application de Ses Lois.

La mosquée à Genève

La mosquée de Genève n'en est qu'une parmi tant d'autres, toutes différentes par leurs dimensions et par leurs styles.

Néanmoins, ce qu'elles ont en commun, c'est le Message qui rappelle aux hommes l'adoration du Dieu unique tel qu'Il se qualifie dans le Coran:

« Dis : Il est Dieu Unique
Dieu Absolu
Il n'a ni engendré, ni été engendré
Nul n'est en état de l'égaler » (S. 112)

« Dieu ! Il n'y a point de Dieu hormis Lui, le Vivant, le Subsistant. Il n'est sujet ni à la somnolence, ni au sommeil. A Lui appartient ce qui est dans les cieux et sur la terre. Qui peut intercéder auprès de Lui sans Sa permission ? Il sait ce qui est devant et derrière eux, alors qu'ils n'embrassent de Sa science que ce qu'Il veut. Son trône s'étend sur les cieux et sur la terre dont la conservation ne Lui est d'aucun poids. Il est le Très Haut, l'Infini » (II, 255)

Dans cette mosquée, vous remarquerez la grande salle, lieu réservé aux hommes, la mezzanine en forme de galerie, lieu réservé aux femmes, et le mihrab, niche orientée vers la Kaaba, devant laquelle l'Imam se tient pour diriger la prière.

Derrière l'Imam, tous les fidèles, les uns dans la salle, les autres dans la mezzanine, se tiennent en rangs serrés, s'agenouillent et se prosternent dans un même mouvement lors de la prière en commun.

C'est pour éviter la confusion que les hommes et les femmes sont ainsi séparés.

L'absence totale du clergé dans l'Islam permet à tout musulman de diriger la prière lorsque l'imam régulier est absent.

En règle générale pour les prières obligatoires, le musulman prie à la mosquée ; toutefois, il lui est possible de le faire en tout lieu, à condition que ce dernier soit propre.

Dans l'enceinte de la mosquée, vous trouverez:

a) la salle de conférence dans laquelle ont lieu des lectures sur la religion, la culture et les sciences islamiques.

b) la bibliothèque où des livres traitant des différents sujets de l'Islam sont à la disposition des lecteurs.

c) l'école, où le Coran et la langue arabe sont enseignés.

الجزء الثالث: الشيخ بوزوزو في الإعلام والأبحاث

لقاء مع الشيخ محمود بوزوزو

عبد الله بن أحمد قادري الأهدل
3 جويلية 1987

كنا عند الشيخ محمود في الساعة السابعة مساء. وهو إمام مسجد المؤسسة الثقافية الإسلامية في جنيف، ومدرس اللغة العربية في معهد الترجمة التابع لجامعة جنيف.

ولد الشيخ محمود في مدينة بيجاية سنة 1918م بالجزائر التي كانت عاصمة عِلْم في العهد الإسلامي، أسسها الملك الناصر في الدولة الحمادية في القرن الرابع الهجري، وازدهرت وكانت موئلاً للعلماء.

وكانت دراسته كلها في الجزائر، على المولود بن الموهوب مفتي مدينة قسطنطينة، ومفتي جامع باديس، والشيخ محمد الصالح بن العابد وهو فقيه أصولي.

وحضر دروس الشيخ عبد الحميد بن باديس من سنة 1934م – 1938م، وكان ابن باديس باعث النهضة العلمية والحركة السلفية.

وسجن الشيخ بوزوزو في الأسبوع الأول من انفجار الثورة سنة 1954م، ثم أبعد بعد الخروج من السجن سنة 1955م.

وجاء إلى جنيف سنة 1961م، لتأسيس المركز الإسلامي مع الدكتور سعيد رمضان، وكان عدد المسلمين من الطلبة والجاليات الإسلامية قليلاً.

وقال: إن عدد المسلمين الآن في جنيف نحو عشرة آلاف، وعددهم في سويسرا كلها نحو ستين ألفاً، ومعظمهم من الأتراك وأكثرهم جاليات، وعدد الطلبة قليل، وهم موزعون

على الجامعات والمعاهد.

وسألته عن أبناء المسلمين هل توجد محاولة للمحافظة على دينهم؟ فقال: نعم توجد محاولات جادة من بعض المسلمين، وهم من بلدان مختلفة: عرب، وإندونيسيون وإفريقيون وباكستانيون، وهم موجودون في وسط غريب عن الإسلام، ولذلك فإن هذه المحاولة تعتبر جهاداً لشدة تأثير المحيط غير الإسلامي، وتظهر هذه المحاولات في التحفظ من تقليد غير المسلمين وتجنب الاختلاط بمن لا يراعي قواعد الدين، ويكادون يعيشون في عزلة، وموقفهم جدير بالتقدير نظراً للمغريات الداعية إلى نبذ القيم الإسلامية.

L'Imam Bouzouzou conseille et instruit

V.H. *Tribune de Genève*. Mars 1994

L'Imam Bouzouzou semble être l'incarnation de ces vieux sages, dont la parole faisait autorité, et qu'on ne trouve plus guère que dans les contes philosophiques et dans les textes bibliques. « Imam » ne signifie-t-il pas celui qui dirige ?

Mahmoud Bouzouzou ne cultive pas l'intransigeance, mais le respect de la dignité humaine. Passé 76 ans, cet homme serein, pudique et diplomate, à la voix posée et au débit lent, prodigue encore ses conseils aux musulmans.

On le consulte pour des problèmes familiaux ou de foi : « Certains s'interrogent sur la nécessité de faire le Ramadan, surtout quand ils ont des problèmes d'horaire ». Or l'Imam n'est pas dogmatique : « On ne peut dire d'emblée qu'un musulman qui ne pratique pas le Ramadan ne soit pas un vrai musulman. Il est désobéissant ». L'Imam sait aussi interpréter les textes et les rêves !

Chassé d'Algérie

Cette autorité, il l'avait déjà dans les années cinquante auprès de la jeunesse de son pays, l'Algérie. Touché par l'analphabétisme de son peuple, il fonde en effet mosquées et écoles indépendantes de l'administration française. Les Français, qu'il combat ensuite via ses journaux, *La Clairvoyance* et *Le Phare*, le considèrent comme un des maîtres spirituels de la Révolution. Résultat : prison, torture et expulsion en 1955.

C'est à Genève que Mahmoud Bouzouzou poursuit sa vocation : rendre service et instruire. Cofondateur, en 1961, du Centre islamique

de Genève, aux Eaux-Vives, il acquiert alors son titre d'Imam. Il dirige les offices religieux, enseigne le Coran et la tradition du Prophète. Infatigable, il donne aussi des cours d'arabe à l'Ecole d'interprétation, durant vingt ans, et à l'ONU. En 1975, il passe à la Fondation culturelle islamique, où il poursuit les mêmes activités. Il dirige toujours la prière.

Féru de psychologie, de philosophie et de littérature, dont Ramuz, son livre de référence reste le Coran, qu'il connaissait par cœur à 12 ans ! « Les titres des Sourates (chapitres du Coran) suscitent une curiosité scientifique de caractère encyclopédique, déclare l'Imam, dans le but de découvrir la majesté de Dieu à travers la Création ». On le croit volontiers, quelques 5000 ouvrages s'amoncèlent dans son bureau !

Pour lui, les musulmans de Genève ont de la chance : « La communauté a le privilège d'observer, en toute liberté, la prescription de l'Islam en pays non musulman. C'est une grande bénédiction. »

أقدم إمام بسويسرا: العلم سلاح المسلمين

تامر أبو العينين
إسلام أون لاين.نت، 18 أبريل 2005

قامت الجالية المسلمة في مقاطعة "فو" غرب سويسرا بتكريم أقدم إمام بسويسرا الشيخ "محمود بوزوزو"، خلال احتفالية دعا فيها الشيخ مسلمي أوربا إلى التسلح بالعلم والتوحد، خاصة في هذا العصر الذي تتصاعد فيه التحديات التي تواجههم.

وجاء ذلك التكريم أثناء فعاليات اليوم الثقافي الأول لمسلمي مدينة لوزان الذي عقد مطلع الأسبوع الجاري، والذي يمثل بداية انطلاق الجالية المسلمة في مقاطعة "فو" نحو العمل الجماعي المشترك.

ويقول مراسل إسلام أون لاين.نت: إن الشيخ بوزوزو عرف عنه تبنيه لمنهج الوسطية مع دعوته دوما للاستفادة من إنجازات الغرب العلمية، والحفاظ في الوقت نفسه على الهوية الإسلامية دون غلو أو تشدد.

كما يردد دوما في خطبه: "الإسلام صالح لكل مكان وزمان، ويتكيف مع كل الظروف، إذا أحسن المسلمون توظيفه جيدا لفائدتهم".

وقال "عادل الجريبي" المسئول عن تنظيم تلك الفعالية لـ"إسلام أون لاين.نت": إن تكريم الشيخ بوزوزو يأتي في "بداية خطوة هامة نحو اعتراف الجالية المسلمة في سويسرا بالجيل الأول من الأئمة والشيوخ ومن قاموا على خدمتها، الذين عملوا في ظروف صعبة لتوعية الجالية المسلمة في الغرب في أوائل السنوات التي شهدت توافدهم عليها".

وأضاف أن "هذا التكريم يرفع من معنوياتهم، ويعطي صورة طيبة أمام الأجيال الأخرى للعمل".

وقد وقف الحاضرون في الملتقى الثقافي الأول لمسلمي لوزان احتفاء بالشيخ محمود بوزوزو عند دخوله إلى القاعة الذي حرص رغم إعاقته ومرضه على الحضور بين المحتفلين به.

الاتحاد والعلم

وقال الشيخ في كلمةٍ شكر فيها القائمين على تلك الخطوة بأن "سلاح المسلمين الوحيد في أوربا هو العلم، الديني والدنيوي"، مؤكدا على أن "التحديات التي تواجه المسلمين في الغرب الآن أكثر من ذي قبل".

وفي حوار اختص به الشيخ بوزوزو إسلام أون لاين.نت، قال: "الوقت الراهن يحتم على الجاليات المسلمة في الغرب أن تتماسك أكثر وأكثر، وأنه لا وقت للخلافات والمشاكل التي تمتص جهود أبناء الجالية".

وتأسف كثيرا لما وصل إليه حال الأجيال الجديدة من ضعف وافتقار في المعلومات، محذرا من أن ذلك "ينذر بأجيال ضعيفة دينيا في المستقبل، ولا هوية لها".

مسيرة حافلة

ولد الشيخ بوزوزو يوم 23-2-1918 في مدينة بيجاية في شرق الجزائر المشهورة بصناعة الشموع وحصل على إجازة في الفقه، ثم بدأ حياته العملية كمعلم في الجزائر للغة العربية والدين قبل أن يشتغل بالصحافة ويصدر مجلة "المنار" التي كانت أحد المشاعل القوية في الكفاح الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي.

ويقول الأستاذ عباس عروة مدير مؤسسة قرطبة الإسلامية في سويسرا في حديث لـ"إسلام أون لاين.نت": الشيخ يعد "من وراد الحركة الوطنية في الجزائر؛ فهو معلم ومرشد ومربٍّ ورجل فكر، ويتميز بالثقافة الواسعة في الفكر الغربي والشرقي، وله بصمات كثيرة على أجيال بأكملها، سواء في الجزائر أو في سويسرا، كما كان من رواد الحركة الكشفية الإسلامية التي ربت جيلا كاملا ممن ساهموا في ثورة التحرير الجزائرية".

وأودع الشيخ بوزوز السجن، ثم نفته سلطات الاحتلال الفرنسي بعد الإفراج عنه، فتوجه إلى المغرب أولا، ومنها إلى سويسرا في عام 1958، وأقام في إحدى القرى الصغيرة بالقرب من مدينة مونترو الشهيرة الواقعة على ضفاف بحيرة ليمان.

ثم جرب العيش في برلين، لكن الحياة هناك لم ترق له؛ فقرر العودة إلى سويسرا التي منحته حق الإقامة الدائمة.

ويعيش في جنيف منذ عام 1961، حيث عمل إماما وخطيبا في المركز الإسلامي في جنيف؛ أول مركز إسلامي في سويسرا أسسه الراحل المفكر الدكتور سعيد رمضان، كما عمل أستاذا للغة العربية في مدرسة جنيف الدولية للترجمة حتى سن التقاعد، وكان يعتزم العودة إلى الجزائر وافتتاح صحيفة خاصة هناك، لكنه تشكك في ضمانات حرية الصحافة هناك فآثر البقاء في جنيف.

ساهم الشيخ بوزوزو في تأسيس المؤسسة الثقافية الإسلامية في جنيف، وعمل خطيبا بها لبعض الوقت، وهو من الأعضاء المؤسسين لمؤسسة قرطبة للحوار بين الحضارات وتبادل الثقافات ومقرها جنيف.

وقال الشيخ محمود بوزوزو لـ"إسلام أون لاين.نت" بأنه يقضي وقته الآن متنقلا بين المصحات العلاجية والمستشفيات، وفيما بينها يحرص على قراءة تفاسير القرآن الكريم، والكتابات القيمة لعلماء الأزهر القدامى الذين كانت كتاباتهم السابقة خير معين للمسلمين في بقاع الأرض، حسب قوله، كما يحرص على اللقاء مع النخبة من المثقفين المقيمين في سويسرا من حين لآخر لتدارس أحوال العالمين العربي والإسلامي، وتبادل الآراء والأفكار.

ورأى الشيخ بوزوزو أن فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي هو من أهم وأبرز العقول المفكرة في هذا العصر التي تربط بين الواقع الإسلامي والأحداث السياسية، وأنه الوحيد الذي يتابع كتاباته وأحاديثه؛ "لما فيها من فوائد جمة وتجديد، نحن بحاجة إليه".

وتأسف لغياب الساحة من المفكرين الشبان الذين يمكن أن يقودوا مشعل المسئولية، لا

سيما أن الوقت الراهن يتطلب جهدا أكثر من ذي قبل.

وللشيخ بوزوزو ثلاثة أبناء وابنة واحدة، يقيمون جميعا في جنيف، ويعتزم ابنه عبد الحميد تحويل مكتبة والده إلى متحف ثقافي برعاية حكومة جنيف؛ حيث تضم نحو عشرين ألف كتاب من أمهات الكتب وثمرات المطابع باللغتين العربية والفرنسية في مجالات الفقه وعلوم الدين والتاريخ والسياسة والأدب والفلسفة والقانون.

محمود بوزوزو، داعية الانفتاح والتسامح

عبد الحفيظ العبدلي
سويس إنفو، 23 يونيو 2007

لم يعد محمود بوزوزو، وهو من أقدم اللاجئين العرب في سويسرا إلى بلده، الذي غادره سنة 1955، مطاردا من السلطات الاستعمارية الفرنسية، برغم مرور حوالي نصف قرن عن إعلان استقلال بلاده.

ويقول معلِّلا اختياره: "بعد استقلال الجزائر، بقيت أتابع تطورات الأوضاع، وكان هناك في تلك المرحلة ثورات كثيرة على الاستعمار، وفي الحقيقة، أنا لم أكن أناضل من أجل استقلال الجزائر فحسب، بل من أجل استقلال كل أرض مستعمرة".

استقر داعية التسامح والمحبة في البداية في مدينة مونترو، المشرفة على بحيرة ليمان غير بعيد عن لوزان، ثم سافر إلى ألمانيا للالتحاق بمعهد لتدريس اللغات ببرلين، تاركا وراءه زوجته وأبناءه، لكنه ما فتئ أن عاد إلى سويسرا، واستقر به المقام في مدينة كالفان.

لقد ألف العيش في سويسرا، "لأنها تدعم القضايا الإنسانية وتتميز سياساتها بالحياد وسلم تاريخها من لوثة الاستعمار".

نعم للتعارف ونبذ الكراهية

للشيخ بوزوزو اهتمام واسع بالمعرفة والفكر الإنساني، فهما بوّابتا التعارف بين الشعوب وأسباب التعاون بينها، وفي غيابها، يسود التعصب وتتحكم الكراهية في حياة الناس.

ويقول: "لم أر في حياتي أخطر من العنصرية. فهي نزعة مدمِّرة لحاملها ولضحيتها، ولابد

من البحث في أسبابها"، ولئن كان يُقر بأن الاختلاف حقيقة فطرية بين الناس، كاختلاف اللون واللغة والعقيدة، لكنه لا يرى ذلك سببا للتفاضل أو التباغض، بل عونا على التعارف والتعاون.

ويبدو أن معرفته وعلاقته المبكّرة بجمعية "حوار الأديان للتسلح الخلقي"، قد لفتت نظره إلى أن ما يجمع بين الناس أكثر مما يفرّق بينهم وأن الحق قِسمة عادلة بين الأمم والشعوب، إلا من ركب منها مراكب العدوانية وأعمت أعينها مطامع الهيمنة والسيطرة، وشارك بعد وصوله إلى جنيف في حوار الأديان، الذي كان يجمع ممثلين عن المسلمين والمسيحيين واليهود والبوذيين وغيرهم.

وردّا على دُعاة الانغلاق وصراع الحضارات، كان الشيخ بوزوزو، يحُث العرب والمسلمين على الاستفادة من منجزات الحضارة الغربية، ويرى ذلك "ضرورة، حتى لا تختل الموازين بين الأمم، فيتفوق البعض على البعض ويستكين الآخذ للمأخوذ منه".

وعن القيم التي يدعو المسلمين لاقتباسها، يقول: "المرجع في القيم ما اتفقت عليه الأديان كالأمانة والصدق وحفظ العهد وما شابه ذلك، وأما ما تعلّق بالمآكل والملبس وبعض المعاملات المالية، فأمره متروك لتعدد الشرائع".

رائد مصلح

ولد محمود بوزوزو في مدينة بجاية، الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط وسلسلة جبال الأطلس الصغير في عائلة علمية محافظة، وقد مر على استعمار الجزائر قرابة المائة سنة، وكانت بعض المناطق في حالة ثورة دائمة على الاستعمار.

وفي صِغره، تلقى تعليما على يد والده، ثم التحق بإحدى المدارس الأهلية لتعليم التربية الدينية واللغة العربية إلى أن حصل على الشهادة العليا. وعندما أصبح شابا يافعا، كان يحضر من حين لآخر الدروس التي كان يلقيها رائد الحركة الإصلاحية الجزائرية الشيخ ابن باديس، مؤسس جمعية العلماء.

تأثر بوزوزو بفكر تلك الجمعية، الداعي إلى إعادة الاعتبار للغة العربية وإلى محاربة الخرافة

والجمود الفكري، وأسس مجموعة من المدارس لتعليم اللغة العربية، التي كان يحاربها الاستعمار في إطار سياسات كانت تهدف إلى إحكام القبضة على الجزائر.

لقد انتبه مبكرا إلى أن التعليم، باب من أبواب تغيير واقع الجزائر، فانخرط في التدريس وتخرج على يديه القضاة والمعلمين والمترجمين.

كما انشغل بوزوزو بتأسيس وقيادة الحركة الكشفية في الجزائر، بغرض تربية الأجيال الناشئة على حُب الوطن والتضحية من أجل المصلحة العامة وعلى قيم الإيجابية والمبادرة، ويقول عن هذه التجربة، "كان هدفنا مقاومة الغزو الثقافي وتعبئة شباب الجزائر للانخراط في حركة التحرير وطرد المستعمر".

وإلى جانب ذلك، كان فارس قلَم وإعلامي من الطِّراز الأول، وأصدر خلال ثلاث سنوات (1951-1954)، صحيفة سياسية دينية حرة بعنوان "المنار"، وهو عنوان لا تخفى دلالاته الإصلاحية، إذ يرجع بِنا مباشرة إلى مجلة "المنار" الشهيرة، التي كان يصدرها في الشرق الشيخ محمد رشيد رضا، تلميذ محمد عبده في أواخر القرن التاسع عشر، وتواصلت تجربته الإعلامية، وهو في سويسرا، إذ كان عضو في هيئة تحرير مجلة "المسلمون" المصرية التي أعاد الدكتور سعيد رمضان إصدارها من جنيف في بداية الستينات من القرن الماضي.

شاهد على العصر

اختار بوزوزو، البالغ اليوم من العمر 89 سنة، قضاء بقية حياته بمدينة جنيف، مراقبا وشاهدا على التحولات التي عاشتها بلاده طيلة نصف قرن، ومناصرا لقيم الحرية ولحقوق الشعوب المغلوبة على أمرها أينما كانت، فهو يجد نفسه معنيا بكل القضايا الإنسانية العادلة، شِعاره قول الفاروق "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا".

ودفعته هذه الأشواق الإنسانية، التي لا تعرف حدودا إلى رفض الانخراط في أي هيئة سياسية أو حزبية ضيقة، فالسياسة كما تمارس في هذا العصر، "هي دعوة للتعصب والتفرقة، ومولدة لمشاعر الحقد والكراهية".

ويقول الأستاذ مصطفى حابس، برلماني جزائري سابق: "أراد الأستاذ بوزوزو، عندما قدم إلى سويسرا أن يخرج من الاختلافات المحلية، لينخرط في شأن عام، يتعلق هذه المرة بإعادة صياغة الرسالة الحضارية للثقافة العربية والإسلامية"، ولتحقيق ذلك، دخل في علاقة مع المفكر الراحل محمد حميد الله، الذي كان يقيم في فرنسا والذي عرف عنه سعيه لتقديم مبادئ الإسلام بلغة يفهمها العصر، وكانت بين الرجلين سجالات وحوارات في كل من باريس وجنيف.

وأكد الأستاذ يحيى باسلامه، المسؤول السابق في المؤسسة الثقافية الإسلامية في جنيف لسويس انفو اهتمام بوزوزو الخاص بكتابات شكيب أرسلان: "كنت أنا ومحمود بوزوزو نزورا معا الدكتور زكي علي، وهو طبيب مصري مقرب من الأمير شكيب أرسلان، (الذي أقام في جنيف في أربعينات القرن العشرين) وكان يحدثنا على أفكار الأمير وسعيه إلى إقناع عُصبة الأمم بدعم استقلال بلدان الشرق"، لكن شكيب أرسلان غادر جنيف في عام 1946 قبل أن يحل بها محمود بوزوزو، ويؤكد هذا الأخير: "أنه قد اطّلع على تراث شكيب أرسلان وأنه كان يتابع أعماله".

كما كان للأستاذ بوزوزو دور رائد في خدمة اللغة العربية في سويسرا، إذ ظل مدرسا لها في مدرسة الترجمة التحريرية والفورية، التابعة لجامعة جنيف إلى حين تقاعده، وتخرّج على يديه أجيال من المترجمين العرب الكبار من جميع البلدان العربية، والذين يحتلون اليوم مواقع هامة داخل المنظمات الدولية في جنيف ونيويورك وغيرها.

وعن سعة باعه في الشعر والأدب، يقول الأستاذ باسلامه: "كان بوزوزو يحفظ الأشعار القديمة والحديثة وكان يقرض الشعر أيضا، وكنا نتمتع بالجلوس معه"

La France et ses musulmans (extrait)

Sadek Sellam
Casbah éditions, Alger, 2007, chapitre VIII page 103

Parmi les Algériens on trouve le nom de Mahmoud Bouzouzou. Originaire de [Béjaïa], ce diplômé de la division supérieure de la médersa d'Etat d'Alger avait connu personnellement Benbadis, Ferhat Abbas et surtout Messali Hadj. Ses souvenirs personnels sur ces trois grandes figures de l'Algérie contemporaine permettraient de réviser plus d'une idée reçue diffusée par les plus idéologues parmi les historiens du nationalisme algérien. Avec le militant centraliste du MTLD Abdelhamid Mehri, il dirigea au début des années 1950 la revue arabe al Manar dont tous les numéros ont été réédités récemment dans un seul et gros volume. Il fut mourchid (guide spirituel) des scouts musulmans algériens. Pendant la guerre d'Algérie, ce « réformiste indépendant », selon les classifications du colonel Schoen, a préféré s'installer en Suisse, en travaillant avec le Réarmement moral, puis à l'Institut d'interprétariat de l'université de Genève alors que « son extraordinaire double culture pouvait lui permettre d'être ministre du GPRA 5 ». Il fut ensuite [Imam] du Centre Islamique de Genève jusqu'à la fin des années 1980.

الحرية هي أساس التمكين.. (مقتطف)

أنور هدام
almoslim.net، 22 أكتوبر 2007

ونحن نودع في هذه الأيام شيخا جليلا من أعلام الجزائر، ألا وهو الإمام العلامة الدكتور محمود بوزوز الذي التحق هذه الأيام بالرفيق الأعلى في جنيف بسويسرا، أحب أن أتقدم بتعازي حركة الحرية والعدالة الاجتماعية إلى عائلة المرحوم وطلابه في الجزائر وأوروبا. وللذين أصبحت الجزائر بالنسبة إليهم رديفا للعنف والإرهاب وموطن قلق وفوضى، بسبب جهل الجهلة، وكيد الكائدين ومكر المتربصين بالصحوة الإسلامية والحركة الإصلاحية.

أريد هنا تقديم نبذة من حياة هذا الرجل لقرائكم المحترمين لعلها تعطي صورة مغايرة للجزائر الجريحة، صورة تبين حقيقة ما أنجبت الجزائر من رجال قدموا الكثير للإسلام وللأمة الإسلامية. فالمرحوم من رواد الحركة الإصلاحية الجزائرية وقد عاصر رموزها كالإمام عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ فضيل الورثلاني والشيخ العربي التبسي والشيخ مبارك الميلي والشيخ أحمد سحنون وغيرهم – رحمهم الله جميعا. كما أن الشيخ محمود بوزوزو، رحمة الله عليه، من رواد الحركة الوطنية في الجزائر، الداعين إلى وحدة صفوفها ومن مجاهدي ثورة 1954 التحريرية. كما هو من مؤسسي حركة الكشافة الإسلامية في الجزائر. تتلمذ على يده آلاف الطلبة في الجزائر وفي سويسرا، كان خطيبًا بالمسجد الكبير بجنيف وأستاذًا بمدرسة الترجمة التحريرية والفورية، التابعة لجامعة جنيف ولدى الأمم المتحدة إلى حين تقاعده، وتخرّج على يديه أجيال من المترجمين العرب الكبار من جميع البلدان العربية، والذين يحتلون اليوم مواقع هامة داخل المنظمات الدولية في جنيف ونيويورك وغيرها.

وإلى جانب ذلك، الشيخ بوزوزو كان فارس قلَم وإعلامي من الطِّراز الأول باللّغتين العربية والفرنسية، حيث كان يكتب افتتاحية البصائر مع الشيخ أحمد سحنون عند غياب الشيخ الإبراهيمي، وأصدر خلال ثلاث سنوات (1951-1954)، مجلة "المنار"، وهو عنوان لا تخفى دلالاته الإصلاحية، إذ يرجع بِنا مباشرة إلى مجلة "المنار" الشهيرة، التي كان يصدرها في الشرق رشيد رضا، تلميذ محمد عبده في أواخر القرن التاسع عشر. وتواصلت تجربته الإعلامية، وهو في سويسرا، إذ كان عضوا في هيئة تحرير مجلة "المسلمون" المصرية التي أعاد الدكتور سعيد رمضان إصدارها من جنيف في بداية الستينات من القرن الماضي، وكان الشيخ إضافة لحفظه للقرآن والأحاديث يحفظ الأشعار القديمة والحديثة وكان يقرض الشعر أيضا.

فبمناسبة هذا المصاب الجلل نبتهل إلى الله العلي القدير أن يدخل شيخنا وإمامنا جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، كما ندعوه سبحانه أن يرزق أهله وذويه صبرا جميلا. وأن يهدي الله شبابنا للاقتداء بمثل هؤلاء العلماء العاملين الربانيين المخلصين لدينهم وشعوبهم وأمتنا المسلمة. نسأله سبحانه أن يلهمنا جميعا لما فيه خير ديننا ودنيانا وآخرتنا وشعوبنا وأمتنا المسلة.

العلامة الدكتور محمود بوزوزو

شبكة الألوكة، 26 أبريل 2008

فقدت الجالية الإسلامية في سويسرا العلامة الدكتور محمود بوزوزو أول إمام وخطيب في البلاد عن عمر يناهز تسعين عامًا، بعد رحلة طويلة مع المرض.

ولد العلامة الشيخ محمود بوزوزو في 18 من فبراير 1918 في مدينة بجاية شرقي الجزائر، وحصل على إجازة في الفقه، ثم بدأ حياته العملية معلمًا للغة العربية والدين.

كان من رواد الحركة الوطنية، الداعين إلى وحدة صفوفها، ومن مجاهدي الثورة، فقد اعتقل في أول أسابيعها، ثم أسس حركة الكشافة الإسلامية في الجزائر وكان مرشدًا عامًّا لها.

اشتغل بالصحافة، إذ أصدر فيما بين عامي 1951-1954 مجلة المنار، التي كانت أحد المشاعل القوية في الكفاح الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، وفضحت ممارساته القذرة.

إلا أن سلطات الاحتلال أودعته السجن ثم نفته، فتوجه إلى المغرب ومنها إلى سويسرا التي وصلها في عام 1958، وأقام في قرية صغيرة بالقرب من مدينة مونترو الشهيرة الواقعة على ضفاف بحيرة جنيف.

ثم توجه إلى برلين، لكن الحياة هناك لم ترقه، فقرر العودة إلى سويسرا التي منحته حق الإقامة الدائمة، واتخذ من جنيف مستقرًّا له منذ عام 1962.

وفي جنيف عمل إمامًا وخطيبًا في المركز الإسلامي، وهو أول مركز في أوربا، وقد أسسه الراحل الدكتور سعيد رمضان، كما عمل أستاذًا للغة العربية في مدرسة جنيف الدولية

للترجمة، ومترجمًا لدى المقر الأوربي للأمم المتحدة في جنيف، وتخرّج على يديه أجيال من المترجمين.

إلا أن إيمانه بأهمية الكلمة والصحافة في نشر الوعي جعلته ينضم إلى هيئة تحرير مجلة "المسلمون" المصرية التي أعاد الراحل رمضان إصدارها في سويسرا بداية الستينيات من القرن الماضي.

كما شارك بوزوزو في تأسيس المؤسسة الثقافية الإسلامية في جنيف 1975، وعمل خطيبًا فيها بعض الوقت، وهو من الأعضاء المؤسسين لمؤسسة قرطبة للحوار بين الحضارات وتبادل الثقافات؛ إذ كان بيته أول مقر لها.

وكان يعتزم العودة إلى الجزائر وافتتاح صحيفة خاصة، لكنه خشي من ضمانات حرية الصحافة هناك فآثر البقاء في جنيف.

والفقيد – الذي توفاه الله في 27 من سبتمبر 2007 – اشتهر بحرصه على حث الجالية المسلمة في سويسرا والغرب على التمسك بأصول دينهم ونشر صورة الإسلام المتسامح في أوربا.

كما كان يشجع أبناء الجالية على العلم والارتقاء بمستواهم الثقافي ونبذ الخلافات لأسباب عرقية، وفتح بيته للمثقفين الشباب للاستفادة من مكتبته الثرية التي تضم ما لا يقل عن عشرين ألف كتاب بالعربية والفرنسية.

وفي أكثر من مناسبة، أعرب الفقيد عن قلقه على مستقبل المسلمين في الغرب، بسبب غياب المفكرين الشباب من أبناء المهاجرين، الذين يجب الاعتماد عليهم في توجيه الجالية المسلمة في أوربا وتوعيتهم بأمور دينهم ودنياهم، إذ كان يرى أن المرحلة التي يمر بها الإسلام والمسلمون الآن بحاجة لمثل هؤلاء.

يقول مصطفى حابس مدير مركز الإمام البخاري في لوزان: إن الفقيد يعد من رواد الحركة الإصلاحية الجزائرية إذ عاصر رموزها كالإمام ابن باديس والبشير الإبراهيمي وفضيل الورتلاني والعربي التبسي ومبارك الميلي وأحمد سحنون وغيرهم رحمهم الله جميعا.

L'imam qui avait séduit les Suisses

Hamid Tahri
El Watan du 18 septembre 2008

« Le cri du pauvre monte jusqu'à Dieu, mais il n'arrive pas à l'oreille de l'homme. »

Théologien, linguiste, islamologue, journaliste, médiateur, tel était Mahmoud Bouzouzou, connu et reconnu pour sa vaste culture et son sens du devoir.

Homme pieux, il n'a cessé, sa vie durant de lutter contre toutes les injustices, toutes les dérives, s'érigeant en homme respecté, même par ses adversaires les plus obstinés. Il est décédé le 27 septembre 2007 à l'âge de 89 ans. Il a été inhumé dans sa terre natale à Béjaïa. Issu de la grande noblesse, Mahmoud avait pour père Boualem El Kadi, une notoriété béjaouie qui officia en qualité de cadi, du côté d'El Kseur mais qui a été aussi une figure marquante dans le domaine des arts lyriques. Féru de musique andalouse, il a été instrumentiste, parolier et plusieurs de ses qacidate figurent dans le répertoire des artistes de renom. On raconte que l'inégalable Sadek Lebdjaoui lui doit beaucoup. Mahmoud naquit le 22 février 1918 à Béjaïa. Il fit ses études à l'école franco-musulmane, c'est-à-dire à la medersa mais aussi sous la houlette de l'imam Abdelhamid Ben Badis dont il fut l'un des fervents élèves. Il a été avec Mohamed Bouras un des membres fondateurs des SMA et responsable de la revue El Manar, financée en grande partie par le MTLD qui en était aussi la caution morale, comme nous l'a indiqué Sid Ali Abdelhamid, ancien dirigeant de ce parti. Mahmoud fonda plusieurs écoles à Béjaïa où il enseigna ainsi qu'à Blida. Il a été un membre actif dans le mouvement nationaliste, ce qui lui valut d'être exilé au Sahara dès le déclenchement de la lutte de libération. Il sera par la suite arrêté. Il s'exila au Maroc, mais là également, il ne sera pas épargné, puisqu'il

sera poursuivi et arrêté. En 1958, il prit le parti de s'exiler en Suisse et devint l'imam de la mosquée de Genève. Qui mieux que lui peut résumer un parcours exceptionnel qui débuta dans la vieille ville de Béjaïa, du côté de la rue Fatima dont les venelles tortueuses et abruptes donnent sur la vieille mosquée de Sidi Soufi qui fut un centre de rayonnement indéniable.

L'enfant de Ma Gouraya

Au pied de Ma Gouraya s'étage la ville alors qu'en contrebas la Soummam s'infléchit pour aller se jeter dans le golfe. Dans la maison familiale de vieux style où nous nous sommes rendus, ses frères, Cherif et Kamel et son neveu Farid, nous ont longuement relaté l'enfance de Mahmoud « déjà différent des autres dès son jeune âge ». A la fin des années 1940, Mahmoud édita un fascicule qui retrace son riche parcours. Suivons-le. « Je suis né dans une ville de la côte algérienne, Bougie qui fut, à une époque de l'histoire, la capitale de tout le Maghreb oriental, c'est-à-dire de toute l'Algérie et le centre d'un grand rayonnement culturel pour toute l'Afrique du Nord. Ses habitants l'appellent depuis très longtemps "La petite Mecque" à cause du nombre important de saints qui y reposent. Ce passé splendide, chanté dans des poèmes arabes, m'emplissait d'une fierté réelle que j'eus à cœur de les apprendre en mon enfance, dès que je les découvris dans la bibliothèque de ma famille. Mes ancêtres paternels étaient des magistrats et des imams. La mémoire de mon arrière-grand-père est de nos jours, encore vénérée. Ma mère porte le nom d'Abdelmoumène, l'empereur almohade. Ses premières notions de langue arabe il les doit à son père qui le confia à une école coranique où il apprit tout le Coran à l'âge de onze ans. Puis il étudia le français dans une école publique dont le directeur le destina à l'Ecole normale d'instituteurs. » « Cependant, désirant une double culture, j'entrais à la medersa, où après six années d'études, je reçus un diplôme conférant le choix entre la magistrature et l'enseignement. Mon père me voulait magistrat, puisque son père le fut. Mais je choisis l'enseignement, par souci de répondre au besoin d'éducation du peuple. »

Enseignant plutôt que magistrat

Lorsqu'il reçut sa nomination, il organisa en dehors de ses obligations

officielles des cours pour des enfants abandonnés. Il exerça successivement dans quatre localités et partout s'intéressant à toutes les méthodes d'éducation, il encourageait ou fondait une école libre, un groupe scout, un cercle culturel et donnait des cours à la mosquée. Il fut muté dans un village du Sud algérien, lieu d'exil des hommes politiques. Il se consacra au scoutisme musulman algérien dont il était l'Aumônier général. Il fut désigné à l'unanimité à la présidence. Le mouvement fortement imprégné de nationalisme s'exposa à l'hostilité de l'administration. « Il était l'un des pionniers du scoutisme musulman algérien. En tant que guide général, il a contribué à la formation de toute une génération de militants de la cause nationale dont certains ont été les initiateurs de la révolution », témoigne le Dr Abbas Aroua vieil ami du défunt, directeur de la fondation Cordoue. Quant à Réda Bestandji, doyen des scouts algériens qui l'a bien connu à la fin des années 1940, « Mahmoud a sans doute été un homme hors du commun. Doté d'une vaste culture altruiste il ne ménageait pas ses efforts pour soutenir les autres, armé d'un sens de l'organisation exceptionnel, notre mouvement a beaucoup appris avec lui. » Mais Mahmoud qui voyait loin changea son fusil d'épaule. Il était suffisamment armé pour passer à une autre étape. « Ceci me détermina finalement à entreprendre la lutte politique. Je pensais que nous ne pourrions organiser notre société dans tous les domaines, que si nous étions réellement libres. Sortir notre peuple de la condition de colonisé pour en faire un peuple libre, telle était la lutte qui s'imposait à ma conscience. Ne pouvant le faire avec l'association islamique précitée qui était apolitique, je lançais avec l'aide du MTLD, un journal indépendant réclamant la révision des rapports entre la France et l'Algérie sur la base de la charte des Nations unies. Naturellement, je fus en butte aux entraves et brimades. Lorsque la révolte armée éclata en 1954, je fus arrêté par les agents de la DST qui m'infligèrent des tortures. Je vis la mort. Je priais Dieu. Le tortionnaire dit : "Ne fais pas le mort tu es croyant. Dis à ton Dieu de te délivrer." Il menaça de me jeter à la mer. Je sus plus tard, qu'un jeune intellectuel algérien d'Oran avait connu cette fin tragique en cet endroit, Dieu me délivra de ce sort comme il me délivra encore plus tard, dans des circonstances semblables. » Abdelhamid Mehri qui l'a côtoyé au journal El Manar en garde l'image « d'un intellectuel engagé ; attaché à son pays, à sa religion, à l'écriture. C'était un érudit, un *morchid* qui a formé des générations. Généreux, bon orateur, il a su avec bonheur allier culture et travail, laissant des empreintes

indélébiles là où il est passé. C'était vraiment un grand monsieur ». Mahmoud connut la prison. Lorsqu'il en sortit, il rencontra un jeune homme qui avait découvert une qualité de vie révolutionnaire idéale pour ceux qui croient en la nécessité d'une renaissance morale et spirituelle : « Cela suscita en moi une grande curiosité qui m'incita à visiter Caux, en Suisse, au début de septembre 1955. J'y arrivais avec scepticisme et méfiance. Mais ce fut pour moi une grande découverte. » Lorsqu'il rentre en Algérie, il est expulsé au motif qu'il entravait l'action des pouvoirs publics. Il quitte l'Algérie au début d'octobre 1955 pour Paris dans l'intention de gagner Le Caire. Après des pérégrinations, il décide de partir aux Etats-Unis pour participer aux conférences du réarmement moral. « Durant mon séjour à New York en février 1957, la question algérienne était venue en discussion à l'ONU. J'y allais assister aux débats. J'y rencontrais deux délégations algériennes dont chacune déniait à l'autre le droit de représenter le peuple algérien. » Il n'y avait aucun contact entre elles. J'essayais de lutter pour l'unité, en vain...

Il connut la torture

Après quatre mois aux Etats-Unis, il rentre au Maroc. Là, il connut les pires humiliations. Arrêté par ses « frères », il est emmené à Oujda où il est enfermé dans une maison isolée. Il est interrogé sur « ses » activités. Le « responsable », armé d'une mitraillette et d'une cravache, l'informe qu'il avait reçu de son représentant à New York une lettre alléguant qu'il appartenait à l'organisation opposée. Après avoir été torturé et menacé de mort, il va croupir durant six mois avant de s'évader avec d'autres prisonniers. Cette péripétie mérite d'être contée : « Notre emprisonnement n'était ni juste ni dans l'intérêt du peuple. Dieu sait mieux que nous ce qu'il est juste de faire. Il nous a amenés ici pour une raison que nous ignorons. Nous fîmes la prière. La nuit, je vis en rêve que je fuyais avec un ami, poursuivis par un serpent énorme sans être atteints. Le lendemain, je dis à mes amis que Dieu nous autorisait à partir et nous avions sa protection. Ce que nous avions fait nous retrouvant sains et saufs à Casa où nous nous sommes séparés. » C'est à Genève que Mahmoud poursuit sa vocation, rendre service et instruire. Cofondateur en 1961 du premier centre islamique d'Europe, il acquiert son titre d'imam. II dirige les offices religieux, enseigne le Coran et la tradition du Prophète. II donne des cours d'arabe à l'école d'interprétation durant 20 ans et à

l'ONU. En 1975, il passe à la fondation islamique. Généreux, ouvert, Mahmoud a toujours opposé à la force, la sagesse et une vaste culture. Dans l'affaire des caricatures attentatoires à l'Islam, il avait déclaré que cette crise révèle deux fléaux qui menacent l'humanité. L'injustice envers l'autre et l'ignorance de l'autre. La sagesse commande de souligner que nos différences constituent un trésor. II faut non seulement connaître l'autre, mais aussi le reconnaître. Vendredi 2 novembre 2007 mosquée de Genève où 1500 fidèles participaient à la prière, l'occasion pour le maire de la ville, Patrice Mugny, de rappeler « la mémoire d'un homme qui a beaucoup fait pour notre ville. » Cet ancien résistant de la guerre d'Algérie disparu le 27 septembre 2007 était un être d'une formidable érudition et ouvert à l'autre. II a fait don de sa bibliothèque à la ville de Genève, des milliers de livres couvrant les sciences, la religion, les lettres, les arts, l'histoire, la philosophie. En Suisse, l'Islam est devenu la deuxième religion. Vivre sa foi n'est nullement incompatible avec les lois de la cité et ne menace en rien les principes de la laïcité qui fondent notre société. Et le maire de conclure avec cette métaphore : Le minaret du Grand Saconnex contre la cloche de notre Dame ? Allons donc… Le cheikh Mahmoud aurait sûrement apprécié.

Parcours

Père de trois garçons et d'une fille. Son fils aîné Salim est mort par noyade dans le lac Léman. Cheikh Bouzouzou est né le 23 février 1918 à Béjaïa, ville de sciences dont il était fier. II a choisi d'être inhumé en son sein. II était incontestablement l'un des pionniers du mouvement national algérien appelant sans cesse à l'unification de ses diverses composantes. Ses positions nationalistes lui ont valu beaucoup d'ennuis : la prison et la torture puis l'expatriation. II s'est exilé au Maroc, en Europe avant de s'établir à Genève où il s'est dédié au service de la communauté musulmane, à l'enseignement de la langue arabe et à la présentation de la religion musulmane. II a été membre du Conseil de la fondation Cordoue, dont il a bien voulu héberger son premier siège chez lui. II est décédé le 27 septembre 2007 à Genève et inhumé dans l'ancien cimetière de Béjaïa.

صورة عن مساندة الجزائر للثورة المصرية جريدة المنار نموذجًا

محمد أرزقي فراد
يومية الشروق، 19 ديسمبر 2009

لا تزال مظاهر تواصل الجزائر مع مصر خلال فترة الاحتلال، مجهولة لدى الرأي العام، الذي صار يختزل العلاقة بين البلدين في دعم مصر لثورتنا فقط(!) علما أن الواقع التاريخي أعمق من ذلك، فقد كانت لنهضتنا الإصلاحية، وحركتنا الوطنية مواقف سياسية قومية، عبّر الجزائريون من خلالها عن مساندة الجزائر لثورة يوليو المصرية (1952)، وما نجم عنها من ضغط غربي، تجلى بصفة خاصة في قضية قناة السويس، التي رفضت بريطانيا التخلي عنها. وقد اخترتُ كنموذج لهذا الموضوع جريدة المنار المستقلة، التي أسسها المثقف الكبير محمود بوزوزو في مطلع الخمسينيات من القرن الماضي (مارس 1951 – جانفي 1954م) صدر منها 51 عددا في المجموع.

من هو محمود بوزوزو؟

يعتبر محمود بوزوزو (1918–2007) أحد الأعلام البارزة في النشاط الإصلاحي الهادف إلى صيانة الهوية الوطنية ومكوناتها الثقافية، وفي نشر الفكر السياسي التحرري بلسانه وقلمه، بمنأى عن التحزب، كما كان أحد القادة البارزين للحركة الكشفية في الجزائر. محمود بوزوزو هو ذلك الشاب الذي قال له عبد الحميد بن باديس في قسنطينة: (أتمم دراستك، وبعد ذلك كن مسلمًا)، كما قال له الشيخ العربي التبسي ذات يوم: "إن مثلك مكانه عندنا" فلبّى رغبته، ورحّب به رئيس جمعية العلماء الشيخ البشير الإبراهيمي، فانخرط في سلك المصححين والمحررين في جريدة البصائر.

ونجح محمود بوزوزو في لمّ شمل علماء الإصلاح، ومناضلي الحركة الوطنية، للكتابة في جريدته "المنار" لبثّ الفكر النهضوي الإصلاحي، ولنشر الفكر السياسي التحرري. ولعل أهم قضية استقطبت أقلام هؤلاء، قضية الاستفتاء حول ضرورة اتحاد الجزائريين بمختلف أطيافهم السياسية، وتجاوز الخلافات مادام أمر توحيد الجهود ضرورة ملحة لتحقيق آمال الجزائريين في التحرر من نير الاستعمار. وبعد الاستقلال استقر به المقام في سويسرا أين أوقف جهوده العلمية للمشروع الإسلامي، كبديل حضاري يحقق السلم والاستقرار للإنسانية جمعاء، ولتدريس اللغة العربية. وقد بذل في خريف عمره جهودا جبارة من أجل إعادة مكتبته الخاصة الغنية إلى وطنه الجزائر، لكن جهوده ذهبت أدراج الرياح، بسبب تقصير الطرف الممثل للجزائر. وكانت آخر أمنية له أن أوصى بدفن جثمانه في مسقط رأسه (بجاية)، وحقق له أبناؤه هذه الأمنية حين وفاته في يوم 27 سبتمبر 2007م.[1]

قضية قناة السويس

كتب محمود بوزوزو في شهر أكتوبر سنة 1951م، مقالا حول مشكلة قناة السويس بعنوان: "بريطانيا ومصر"[2] ذكر فيه أن بريطانيا قد شرعت في تطبيق سياسة عقلانية بعد الحرب العالمية الثانية، جعلتها تعترف باستقلال كثير من مستعمراتها في قارة آسيا، وعليه كان من المنتظر أن تسلك السياسة نفسها إزاء قضية قناة السويس، وقال في هذا السياق:

"وها هي قضية قناة السويس بدورها تختبر من جديد حكمة بريطانيا الدبلوماسية وتدبيرها السياسي. فإن المعهود في السياسة البريطانية هو البعد عن الطيش والحمق وعن ارتجال الحلول وعدم التأثر بعاطفة عنصرية أو دينية تزيغ بها الأبصار والبصائر. وكان يُتوقع من بريطانيا أن تستمر في سلوكها السياسي الجديد الذي شرعت فيه بعد الحرب العالمية

---

[1] أنظر للتوسع مقالنا المنشور في جريدة الشروق، العدد: 2175، بتاريخ 16 ديسمبر 2007.

[2] السنة الأولى، العدد: 10، بتاريخ 22 أكتوبر 1951.

الثانية، فحفظ لها صداقة الهند وباكستان وبرمانيا، وخفف كثيرا من الأحقاد، وإن أثار سخط الاستعمار الفرنسي بوجه خاص".

ثم أشار الكاتب إلى التغييرات العميقة التي طرأت على السياسة الدولية، والمتمثلة في الجنوح إلى حل الخلافات السياسية حلًا سلميا، يبعد شبح الحرب المدمرة عن الإنسانية، لكنه تأسف لسياسة الكيل بمكيالين التي لم تنصف مصر الشقيقة، حين سعت بريطانيا إلى تدويل قناة السويس، وقال في هذا المجال:

"وكان المتوقع من بريطانيا إيثار هذه الحلول في نزاعها مع مصر نظرا للسوابق التي بدرت منها نحو الأمم الآسيوية سالفة الذكر، ولكنها لجأت إلى حل كان يتوقع رفضه من طرف مصر، التي لا يتصور أن تتحمل استعمار دول عديدة، في حين أنها قلقة من تسلط دولة واحدة عليها. ثم لجأت بريطانيا إلى التهديد بالقوة، بل وقع إطلاق النار من جنودها على جنود مصريين فكان جرح وقتل واعتقال من دون إعلان حرب ولا إنذار".

وبعدها تساءل الكاتب عن طبيعة هذا الموقف البريطاني المتعنّت، الذي لا ينسجم مع سياسة الانفراج البارزة بعد الحرب العالمية الثانية، فهل هو مجرد ردة فعل منها للحفاظ على ماء وجه، أم موقف حربي صريح؟ ثم نبّه الكاتب إلى الدعم القوي الذي تحظى به مصر في العالم العربي، وعليه فلن تكون لقمة سائغة لبريطانيا في حال اختيارها لخيار الحرب، وقال في هذا السياق: "لئن كان فإن بجانب مصر ملايين من العرب والمسلمين لمؤازرتها. وهل يترددون في الاستعانة بمن يؤيدهم أيّا كانت صبغته، ولو كانت شديدة الحمرة".

تضامن الجزائر مع مصر سنة 1951م

نشرت جريدة المنار مقالا بعنوان "الطلبة الجزائريون في مصر يوم الشهداء"[1] بتوقيع قاسم

[1] السنة الأولى، العدد: 11، بتاريخ 8 ديسمبر 1951.

الجزائري، تمحور حول مشاركة الطلبة الجزائريين المقيمين في مصر، في المظاهرة الصاخبة المنظمة يوم 14 نوفمبر 1951م، للتنديد بالسياسة الاستعمارية البريطانية. واللافت للانتباه، أن المنظمين قد خصصوا مربعا للطلبة الجزائريين، الذين رفعوا العلم الجزائري، وأعدّوا لافتة كبيرة خاصة بهم. واخترت من هذا المقال الفقرة التالية: "وجاء يوم 14 فاجتمع الطلبة في الصباح الباكر، وجعلوا يكملون آخر التنظيمات لمظاهرتهم، ثم قصدوا إلى ميدان الخديوي إسماعيل مصطفين يرفرف أمامهم علم الجزائر وشقيقه علم مصر، وتعلوهم لافتاتهم الفخمة التي يربو طول كل منها على ستة أمتار. وأخذ الطلبة الجزائريون المكان المعد لهم في شارع إسماعيل، وبقوا ينظرون في انتظار إلى أن آن وقت تحرك المظاهرة، وبدأ الموكب الصامت الرهيب يسير وقد مثلت فيه كل هيئة وكل منظمة للشعوب العربية والإسلامية، ومثلت فيه الجزائر المكافحة أروع تمثيل. فقد سار أبناء الجزائر صامتين خاشعين واسم الجزائر على اللافتة فوق رؤوسهم يجلب الأنظار، فتنفرج شفاه بلفظ (الجزائر) وتنشرح الصدور لتأييدها، وتعجب العيون بهؤلاء الشبان الجزائريين، وقد مشوا في انتظام تحت لافتاتهم الفصيحة الصريحة، وقفتهم صادقة، وشعورهم وطني نبيل".

ذكرى ثورة يوليو

احتفلت جريدة المنار بالذكرى الأولى لثورة يوليو 1952م، فنشرت مقالا موقع باسم "الحارث" يوم 10 جويلية سنة 1953م، أشار فيه صاحبه إلى مثالب النظام الملكي المتعفّن أيام الملك فاروق، وإلى الآمال العريضة التي كانت تعلقها الجماهير على النظام الجمهوري الديمقراطي، واخترت منه الفقرة التالية:

"من يوم 23 يوليو 1952 أي اليوم الذي ابتدأ فيه العهد الجديد في مصر، وانطلقت الشرارة الأولى من الثورة، والناس واقفون موقف المتتبع لخطوات هذه الحركة الجديدة. فبين متفائل متيقّن بالنصر النهائي لهذه الثورة، وبين مرتاب متشكك في قدرة هذه القوة على اجتياز جميع العقبات.

ومن الأماني الغالية التي ظنّها الناس عزيزة، إزالة شبح فاروق الشخص المتهتك الخليع،

الذي داس على شرف شعب بكل ما أوتي من قوة وشهوانية. واختفى فاروق في اليوم الأول للثورة، وحمد الناس من أعماق قلوبهم للثورة هذه اليد البيضاء التي لا تنسى، ولكن رجال الثورة ينظرون الى أبعد من هذا. ولكنهم يقدرون عامل الزمن، وعامل الظروف، هم ينظرون إلى نظام الحكم وما الشخص إلا شيء ثانوي. فمادام نظام الحكم وهو الملكية في مصر قائما فمن الجائز أن يخلق هذا النظام شخصا كفاروق، بل وربما أنكى وأدهى، فالعلة في نظام الحكم لا في الحاكم".

الخاتمة

تعد هذه النصوص مجرد عينة قدمناها كمثال على مساندة الشعب الجزائري للشعب المصري الشقيق، حين كان يرزح تحت نير الاستعمار البريطاني، ولايزال منها الكثير مدفونا في ثنايا أعداد جريدة المنار وغيرها من الجرائد والمجلات الجزائرية. وما من شك أنه آن الأوان لنفض الغبار عن تراثنا الفكري، والتفكير في إدراج نماذج منه في البرامج التعليمية، ليدرك الأقارب والأباعد أن العقل الجزائري لم يكن عاقرا حتى في أحلك ظروف الاستدمار الفرنسي، كما أنه لم يقصّر في دعم الإخوة العرب وقت الشدة. ومن شأن نشر هذا التراث أيضا أن يصبح بمثابة صمام الأمان، يحول دون تطاول الآخرين علينا مثلما فعلت زمرة آل حسني مبارك المستبدة، الساعية إلى تمرير مشروع "الجمهورية الوراثية" على حساب شرف الجزائر وكرامتها.

العلامة محمود بوزوزو يعود إلى الذاكرة التاريخية في ملتقى وطني ببجاية: خدم اللغة العربية وتفرغ للدين والترجمة بديار الغربة

رابح ص.
جزايرس، 8 نوفمبر 2010

أسدل عشية أمس الستار على فعاليات الملتقى الوطني التاريخي الذي احتضنه المسرح الجهوي لولاية بجاية إحياء للذكرى الثالثة لوفاة العلامة الشيخ محمود بوزوزو، أحد مؤسسي الكشافة الإسلامية رفقة محمد بوراس، حيث اشتغل مرشدا عاما للكشافة الإسلامية الجزائرية فترة تأسيسها. افتتح أشغال هذا الملتقى القائد العام للكشافة الإسلامية الجزائرية نور الدين بن براهم الذي ذكر بخصال وأعمال هذا العلامة الرمز في تاريخ الجزائر والذي كرس حياته في خدمة العلم و نشر الدين وناضل بالكلمة خلال فترة تأسيسه لمجلة "المنار" ما بين عامي 1951 إلى غاية 1954 أين اتخذها مشعلا قويا في الكفاح المسلح ضد تواجد الاحتلال الفرنسي على أرض الجزائر فكتب مقالات صحفية عن الممارسات غير الإنسانية لفرنسا الاستعمارية على الشعب الجزائري واستعطف بكتاباته الجزائريين وشجعهم على النضال من أجل الوطن.

وقد تميزت احتفالات الذكرى الثالثة لرحيله بإقامة عدة أنشطة ثقافية تخللها تقديم محاضرات قيمة بحضور نجل العلامة وعائلته لخصت أعمال ومناقب هذا الرجل بالإضافة الى عرض شريط وثائقي من إنجاز الفوج الكشفي الذي حمل اسمه، صور محطات من حياة هذه الشخصية الجزائرية الكبيرة الى جانب نشاطات أخرى تعكس نضال العلامة وذلك على مدار يومي الملتقى الذي كان مناسبة أعلن فيها قائد الكشافة الإسلامية الجزائرية نور الدين بن براهم عن الافتتاح الرسمي للسنة الكشفية.

والجدير بالذكر أن العلامة تعرض إلى الاعتقال من قبل الجيش الفرنسي لشهور ثم نفي إلى المغرب قبل أن ينتقل الى سويسرا أين تحصل على الإقامة الشرعية و اشتغل هنالك

كإمام خطيب بالمركز الإسلامي بجنيف كما عمل أيضا أستاذا للغة العربية بالمدرسة الدولية للغلة العربية و التحق بعدها بقسم الترجمة بالمقر الاروبي لدى الأمم المتحدة أين تعلم على يده الكثير من المترجمين العرب. وفي السبعينيات من القرن الماضي أسس مجلة "المسلمون" بسويسرا خدمة في نشر الدين الصحيح والتسامح بين الشعوب وكان بمثابة شخصية جزائرية بارزة وقوية في ديار المهجر تبنى وعمل من أجل الحوار بين الحضارات والديانات الى غاية وفاته في 27 من سبتمبر عام 2007 عن عمر يناهز 89 سنة تاركا وراءه تاريخا حافلا بالعطاءات.

Hommage de Béjaïa à un homme de foi et de science

El Watan du 9 novembre 2010

Un vibrant hommage a été rendu, samedi, à Béjaïa, au regretté cheikh Mahmoud Bouzouzou en présence des membres de sa famille, dont certains sont venus de Suisse, de citoyens et des personnalités de la wilaya.

Cette manifestation a été organisée par le groupe Scout éponyme. De nombreux orateurs ont évoqué le parcours du cheikh, originaire de la ville, tels que le fils du défunt qui a tenu à mettre en exergue toutes les valeurs nobles véhiculées par le message de son père. Bouzouzou est né en 1918 à Béjaïa où il a effectué ses études primaires et secondaires. Son père voulait le destiner à la magistrature, à l'instar de son grand-père. Ainsi, il l'envoya à Constantine où il intégra la medersa de la ville. Là, il fit la connaissance de cheikh Benbadis. Il assistait à ses conférences à djamaâ El Akhdar. Il se déplaça ensuite à Alger où il compléta sa formation à la medersa d'Alger où il obtint le diplôme supérieur. Il enseigna à Dellys, Koléa et Miliana. Imbu qu'il était des valeurs nationalistes et religieuses, il créa des groupes scouts. Il entama sa carrière journalistique à *El Baçair*. Il fut désigné comme morchid général des scouts musulmans algériens à la fin des années quarante, puis président de cette association. En 1950, sous l'égide du MTLD, il crée le journal *El Manar*.

Il fut arrêté dès les premiers jours de novembre 1954. « Fervent militant nationaliste, Mahmoud était un véritable orateur, un homme de foi et de science, qui avait le verbe facile », témoigne Réda Bestandji qui l'avait côtoyé pendant des années. « Il était méticuleux dans ses articles. Il nous avait laissé une brochure sur la vie du Prophète et avait à son actif de nombreuses publications. C'était un penseur accompli dont les disciples, aujourd'hui, sont très fiers »,

estime un membre de sa famille. Mahmoud est décédé le 27 septembre 2007 à Genève où il vivait depuis l'indépendance en officiant en qualité d'imam dans la mosquée de la ville, où les autorités locales lui vouaient une grande estime. Bouzouzou a été inhumé dans l'ancien cimetière de la ville de Béjaïa.

Cheikh Mahmoud Bouzouzou : un maître, un imam, un combattant, un savant… un monument

Mustapha Habes
Oumma.com, samedi 16 avril 2011

Mahmoud Bouzouzou est né le 23 février 1918 à Béjaïa (ex-Bougie), en Algérie. II fut incontestablement l'un des pionniers du mouvement national algérien. Ses positions nationalistes lui ont valu beaucoup d'ennuis : la prison et la torture puis l'expatriation. II s'est exilé au Maroc, puis en Europe avant de s'établir à Genève où il s'est dédié au service de la communauté musulmane, à l'enseignement de la langue arabe et à la présentation de la religion musulmane. II est décédé le 27 septembre 2007 à Genève et inhumé dans l'ancien cimetière de sa ville natale.

Le rôle de Cheikh Bouzouzou fut fondamental dans la formation de la jeunesse algérienne pendant le colonialisme français au Maghreb. En Algérie, il oeuvra en tant qu'enseignant et père spirituel avec ses jeunes scouts et ses élèves, et en tant que journaliste engagé qui paie le prix fort de ses idées en prison. Au Maroc, avec des amis et étudiants, il vit pour la première fois la traîtrise de « ses frères » combattants, qui lui firent souffrir le martyre. En Europe, il exerça tant que professeur, interprète et imam. Tout ce parcours fait de notre maître et imam une perle rare dans le monde du militantisme pour les causes justes, malgré les contraintes quasi quotidiennes.

Je l'ai rencontré à l'université de Constantine en 1983, lors du 13eme séminaire de la pensée islamique, où il m'a été présenté comme imam et chef de la communauté musulmane de Suisse à Genève. Mais nous ne nous sommes revus qu'une douzaine d'années plus tard, dans son bureau de la rue Royaume à Genève.

De ce jour un lien s'est tissé entre nous, les jeunes musulmans et l'imam Bouzouzou. Je lui rendais visite dès que possible à son bureau, où on devait se frayer un passage entre ses livres entassés qui débordaient de partout. Il n'était jamais seul, toujours avec des amis, des étudiants. Il répondait à leurs questions sur l'islam et les autres religions, l'histoire du monde musulman et sa civilisation. En un mot il était une encyclopédie, plutôt une bibliothèque ambulante riche et variée, pleine de sagesse avec un style accessible dans un français et un arabe, limpides, car il ne parlait pas à la légère. Témoin privilégié de son siècle et en tant que tel, il n'avait pas droit à l'erreur, ni en exagérant l'événement ni en le minimisant.

A la mosquée, c'était le grand mufti pour tous, selon différentes écoles et traditions et, malgré la fatigue et les problèmes de santé, il rendait visite presque chaque semaine aux malades comme un infatigable aumônier de guerre.

Lors de ses derniers jours à l'hôpital, je passais le voir avec des frères et membres de sa famille. Il y avait toujours de la lecture à côté de son lit : livres, journaux, mais, lors de son dernier jour, plutôt une demi-heure avant sa mort, je n'ai pas revu de livres ou journaux à son chevet, plutôt un lecteur de cassettes psalmodiant des versets du Coran. J'ai compris alors que le cœur du routier des hôpitaux allait prendre sa retraite à jamais après de loyaux services.

Sous le titre « L'imam qui avait séduit les Suisses », le journaliste Hamid Tahri écrit dans le quotidien algérien *El Watan* du 18 septembre 2008 :

« Théologien, linguiste, islamologue, journaliste, médiateur, tel était Mahmoud Bouzouzou, connu et reconnu pour sa vaste culture et son sens du devoir.

Homme pieux, il n'a cessé, sa vie durant de lutter contre toutes les injustices, toutes les dérives, s'érigeant en homme respecté, même par ses adversaires les plus obstinés. Il est décédé le 27 septembre 2007 à l'âge de 89 ans…

Cheikh Mahmoud Bouzouzou, fit ses études à l'école franco-

musulmane, c'est-à-dire à la medersa mais aussi sous la houlette de l'Imam Abdelhamid Ben Badis[1] dont il fut l'un des fervents élèves. Il a été avec Mohamed Bouras un des membres fondateurs des SMA (Scouts Musulmans Algériens) et directeur responsable de la revue El Manar (1951-1954). (…) Mahmoud Bouzouzou fonda plusieurs écoles à Béjaïa où il enseigna ainsi qu'à Blida. Il a été un membre actif dans le mouvement nationaliste, ce qui lui valut d'être exilé au Sahara dès le déclenchement de la lutte de libération. Il sera par la suite arrêté. Il s'exila au Maroc, mais là également, il ne sera pas épargné, puisqu'il sera poursuivi et arrêté. En 1958, il prit le parti de s'exiler en Suisse et devint l'imam de la mosquée de Genève », rattachée à la Fondation culturelle islamique, et qui fut inaugurée en 1978 par le roi Khaled d'Arabie saoudite et le Président de la Confédération Helvétique.

« Qui mieux que lui peut résumer un parcours exceptionnel qui débuta dans la vieille ville de Béjaïa … qui fut un centre de rayonnement indéniable. » En voici quelques extraits rédigés par lui-même en 1958 dans Un Changement d'espérance, recueil de témoignages sur le Réarmement moral, réunis par Gabriel Marcel[2].

Mahmoud Bouzouzou y retrace son riche parcours qu'il intitula De deux prisons à la liberté[3]. Suivons-le :

« Je suis né dans une ville de la côte algérienne, Bougie qui fut, à une époque de l'histoire, la capitale de tout le Maghreb oriental, c'est-à-dire de toute l'Algérie et le centre d'un grand rayonnement culturel pour toute l'Afrique du Nord. Ses habitants l'appellent depuis très longtemps "la petite Mecque" à cause du nombre important de saints qui y reposent. Ce passé splendide, chanté dans des poèmes arabes, m'emplissait d'une fierté telle que j'eus à cœur de les apprendre en mon enfance, dès que je les découvris dans la bibliothèque de ma famille. Mes ancêtres paternels étaient des magistrats et des imams. La

---

[1] Président de l'Association des Oulémas (savants religieux) d'Algérie.

[2] Un changement d'espérance. A la rencontre du Réarmement moral : des témoignages, des faits, réunis sous la direction de Gabriel Marcel, Paris, Plon, 1959. Collection Tribune libre, 39.

[3] pp. 66-78.

mémoire de mon arrière-grand-père est, de nos jours, encore vénérée. Ma mère porte le nom d'Abdelmoumène, l'empereur almohade. » Ses premières notions de langue arabe il les doit à son père qui le confia à une école coranique où il apprit tout le Coran à l'âge de onze ans. Puis il étudia le français dans une école publique dont le directeur le destinait à l'Ecole normale d'instituteurs. « Cependant, désirant une double culture, j'entrai à la Medersa, où après six années d'études, je reçus un diplôme conférant le choix entre la magistrature et l'enseignement. Mon père me voulait magistrat, puisque son père le fut. Mais je choisis l'enseignement par souci de répondre au besoin d'éducation du peuple. »

Enseignant plutôt que magistrat et journaliste

Lorsqu'il reçut sa nomination, il organisa en dehors de ses obligations officielles des cours pour des enfants abandonnés. Il exerça successivement dans quatre localités et partout s'intéressant à toutes les méthodes d'éducation, il encourageait ou fondait une école libre, un groupe scout, un cercle culturel et donnait des cours à la mosquée. Il fut muté dans un village du Sud algérien, lieu d'exil des hommes politiques. Il se consacra au scoutisme musulman algérien dont il était l'aumônier général. Il fut désigné à l'unanimité à la présidence. Le mouvement fortement imprégné de nationalisme s'exposa à l'hostilité de l'administration. » Mahmoud Bouzouzou se décida alors à entrer dans le combat politique. « Je pensais que nous ne pourrions organiser notre société dans tous les domaines, que si nous étions réellement libres. Sortir notre peuple de la condition de colonisé pour en faire un peuple libre, telle était la lutte qui s'imposait à ma conscience.

Ne pouvant le faire avec l'association islamique précitée qui était apolitique, je lançai, avec l'aide d'un parti nationaliste (le MTLD, Mouvement pour le triomphe des libertés démocratiques, fondé en octobre 1948), un journal indépendant » arabophone El Manar « réclamant la révision des rapports entre la France et l'Algérie sur la base de la charte des Nations unies. Naturellement, je fus en butte aux entraves et brimades. Lorsque la révolte armée éclata en 1954, je fus arrêté par les agents de la DST (Défense de la sécurité Territoriale) qui m'infligèrent des tortures. Je vis la mort. Je priais Dieu. Le tortionnaire dit : "Ne fais pas le mort… tu es croyant… Dis

à ton Dieu de te délivrer.” Il menaça de me jeter à la mer. Je sus plus tard qu'un jeune intellectuel algérien d'Oran avait connu cette fin tragique en cet endroit… Dieu me délivra de ce sort comme Il me délivra encore plus tard, dans des circonstances semblables. »

Des êtres dénaturés qui ont perdu le sens de l'humain et du divin

Après avoir été mis au secret dans une cellule pendant deux semaines, il lui fut permis de passer une demi-heure par jour dans la cour sans soleil. Peu à peu le nombre des détenus augmentait. Un jour, il rencontra dans cette cour un jeune homme qui lui dit : « C'est toi qui m'as amené en prison. – Mais je ne t'ai jamais rencontré et ne t'ai jamais dit d'attaquer quoi que ce soit. – C'est en lisant ton journal que le sang bouillonna dans mes veines ». Ces paroles me firent beaucoup réfléchir, ainsi que celles du juge d'instruction français qui me dit : « Actuellement, il y a des chefs scouts dans le maquis et c'est vous qui en êtes responsable. »

Après quatre mois de détention, lorsque l'un de ses avocats, qui était chrétien, lui demanda ce qu'il pensait faire contre ses tortionnaires, il répondit : « Ce sont des êtres dénaturés qui ont perdu le sens de l'humain et du divin et dont l'état nécessite une désintoxication beaucoup plus qu'autre chose. » Il me répondit : « Savez-vous ce que vous venez de faire ?… Vous venez de donner à un chrétien une leçon de charité chrétienne. »

A sa sortie de prison, il rencontra un jeune homme qui avait découvert « une qualité de vie révolutionnaire idéale pour ceux qui croient en la nécessité d'une renaissance morale et spirituelle », le réarmement moral, qui « suscita en moi une grande curiosité » et « m'incita à visiter Caux, en Suisse, au début de septembre 1955. J'y arrivai avec scepticisme et méfiance. Mais ce fut pour moi une grande découverte. »

Lorsqu'il rentre en Algérie, il est expulsé au motif qu'il entravait l'action des pouvoirs publics. Il quitte le pays au début d'octobre 1955 pour Paris dans l'intention de gagner Le Caire. Après des pérégrinations, il décide de partir aux Etats-Unis pour participer aux

conférences du réarmement moral. « Durant mon séjour à New York en février 1957, la question algérienne était venue en discussion à l'Organisation des Nations Unies. J'y allai assister aux débats. J'y rencontrai deux délégations algériennes dont chacune déniait à l'autre le droit de représenter le peuple algérien. Il n'y avait aucun contact entre elles. J'essayai de lutter pour l'unité, mais en vain. »

Ne pensez pas à l'argent. Pensez à Dieu et Il pourvoira

A ce moment, sa femme et ses enfants étaient en Algérie, son fils aîné, âgé de onze ans, entretenait la correspondance entre Cheikh Bouzouzou et la famille. Des amis leur apportaient un secours matériel. Quand ils apprirent son engagement, ils retirèrent leur soutien. La lettre de son fils qui lui apprit cette nouvelle, traduisait une grande inquiétude par la question : « Qu'allons-nous faire ? » Il répondit : « Ne pensez pas à l'argent. Pensez à Dieu et Il pourvoira. » Quelques jours après il reçut la nouvelle qu'une somme importante leur était offerte par d'anciens élèves à lui, qui s'étaient cotisés spontanément.

Promesse divine et puissance de la prière

Après quatre mois aux Etats-Unis, il rentre au Maroc. Là, il connaît les pires humiliations. Arrêté par ses « frères », il est emmené à Oujda où il est enfermé dans une maison isolée. Il est interrogé sur ses activités. Le « responsable », armé d'une mitraillette et d'une cravache, l'informe qu'il avait reçu de son représentant à New York une lettre alléguant qu'il appartenait à l'organisation opposée, ce qui était faux. Après avoir été torturé et menacé de mort, il va croupir durant six mois avant de s'évader avec d'autres prisonniers. Cette péripétie mérite d'être contée : « Notre emprisonnement n'était ni juste ni dans l'intérêt du peuple. Dieu sait mieux que nous ce qu'il est juste de faire. Il nous a amenés ici pour une raison que nous ignorons. Nous fîmes la prière. La nuit, je vis en rêve que je fuyais avec un ami, poursuivis par un serpent énorme sans être atteints. Le lendemain, je dis à mes amis que Dieu nous autorisait à partir et nous avions sa protection. Ce que nous avions fait nous retrouvant sains et saufs à Casablanca où nous nous sommes séparés.

Je vis alors clairement la véracité de la promesse divine et je compris mieux la puissance de la prière et de la confiance en Dieu, réalisant cette grande vérité qui dit que « les miracles viennent à travers l'obéissance inconditionnelle à Dieu ». En effet, après son évasion avec ses amis, ils apprirent qu'il était question de les exécuter deux jours plus tard…

Exil à Genève

C'est à Genève que Cheikh Bouzouzou poursuit sa vocation : rendre service et instruire. Cofondateur en 1961 du Centre islamique de Genève, le premier d'Europe, il acquiert son titre d'imam. II dirige les offices religieux, enseigne le Coran et la tradition du Prophète (PBSL), participe au dialogue interreligieux au sein du Comité consultatif des religions fondé par le pasteur Henry Babel en 1968. II est professeur d'arabe à l'Ecole d'interprétation durant 20 ans et à l'ONU. En 1975, il est nommé imam de la mosquée de la Fondation culturelle islamique. Généreux, bon, ouvert, Cheikh Bouzouzou a toujours opposé à la force la sagesse et une vaste double culture arabo-musulmane et française.

Dans l'affaire des caricatures danoises attentatoires à l'Islam, il avait déclaré que cette crise révèle deux fléaux qui menacent l'humanité : l'injustice envers l'autre et l'ignorance de l'autre. « La sagesse commande de rappeler et de souligner que nos différences constituent un trésor nous offrant la chance unique de nous enrichir mutuellement. Et par là, de construire des ponts en vue de nous rapprocher les uns des autres », ajoutant qu'« il est du devoir de chacun de nous, quelles que soient nos convictions, de faire l'effort nécessaire non seulement de connaître l'Autre, mais aussi de le reconnaître et de lui faire justice en toutes circonstances[1]. »

Hommages

L'ex- secrétaire général du FLN (Front de Libération Nationale) Abdelhamid Mehri qui l'a côtoyé au journal *El Manar* en garde l'image « d'un intellectuel engagé ; attaché à son pays, à sa religion, à

---

[1] *Tribune de Genève*, 11 février 2006.

l'écriture. C'était un érudit, un morchid (guide) qui a formé des générations. Généreux, bon orateur, il a su avec bonheur allier culture et travail, laissant des empreintes indélébiles là où il est passé. C'était vraiment un grand monsieur[1] ».

Le vendredi 2 novembre 2007 à la mosquée de Genève où 1500 fidèles participaient à la prière, fut l'occasion pour le maire de la ville, Patrice Mugny, de rappeler « la mémoire d'un homme qui a beaucoup fait pour notre ville : le cheikh Bouzouzou. Cet ancien résistant de la guerre d'Algérie disparu le 27 septembre 2007 était un être d'une formidable érudition et ouvert à l'Autre. II a fait don de sa bibliothèque à la ville de Genève, des milliers de livres couvrant les sciences, la religion, les lettres, les arts, l'histoire, la philosophie » conservés par la Bibliothèque de Genève. Puis, rappelant que dans la cité de Calvin, « comme en Suisse d'ailleurs, l'Islam est devenu la deuxième religion du pays », il affirme que « vivre sa foi n'est nullement incompatible avec les lois de la cité et ne menace en rien les principes de la laïcité qui fondent notre société. » Et le maire de conclure avec cette métaphore : « le minaret du Grand-Saconnex contre la cloche de Notre-Dame ? Allons donc ! Le cheikh Mahmoud aurait sûrement apprécié ».

Etre conséquent avec soi-même

Pour terminer, laissons la parole à notre regretté maître qui tire de son cheminement en Afrique du nord les leçons suivantes, écrites il y a 50 ans, mais qui restent d'actualité :

« Je compris l'effet de la foi vécue et les conséquences graves d'une spiritualité non vécue. S'il est des gens qui croient possible d'agir impunément avec inconséquence à l'égard de Dieu, parce que la justice divine qui est immanente se fait souvent attendre, l'inconséquence avec soi-même, quand elle est consciente, se confond avec l'escroquerie morale. Prôner les principes d'émancipation et les bafouer systématiquement, condamner la torture et l'assassinat et les perpétrer froidement nous ont conduits à une situation alarmante. Si les pertes de vies humaines et les dépenses financières énormes sont

[1] Cité par *El Watan.*

déplorables, la destruction des valeurs de la civilisation est sans doute le dommage le plus grave. Tel est l'aboutissement normal d'un comportement avec la morale au service de l'intelligence. Comment serait le monde avec l'intelligence au service de la morale ! C'est seulement dans le recueillement sincère que Dieu nous donne la lumière. Dans ma situation, tout ce que j'ai vu et subi depuis mon engagement dans la lutte libératrice me fit méditer sur cette lutte, sur la nécessité d'être conséquent avec soi-même et sur ma destinée et celle de mon pays.

Comment apporter la vraie liberté à l'Algérie ? Les esclaves de l'esprit de domination, d'exploitation, de supériorité, ne peuvent pas la lui donner. Les esclaves des ambitions, des craintes et des rancœurs ne peuvent pas la lui donner. Seuls des hommes réellement libres, avec un cœur pur et des mains propres, pourront apporter cette vraie liberté à leur pays et au monde. C'est pour cette liberté que j'ai décidé de lutter. Dans ma lutte pour mes idées et mes convictions, j'ai beaucoup souffert et j'ai été amené deux fois devant la mort. Dans l'attente de la mort, il m'était venu cette pensée : « Tu n'es rien, tu n'as rien ; Dieu est la seule Réalité. C'est Lui seul qui donne un sens à ton existence. La vie n'a aucune valeur, sauf si elle est nourrie d'une idée inspirée de Dieu. » C'est avec la conscience de cette vérité que j'ai la croyance nécessaire pour vivre.

A la lumière de ces considérations, je dois dire que dans tout ce qui m'est arrivé, tant du côté français que du côté algérien, une part de responsabilité m'incombe à moi-même, car je n'ai pas su lutter d'une façon efficace pour l'unité. Je sais maintenant que l'unité des uns et des autres vient du changement des uns et des autres. Il est dit dans le Coran : « Dieu ne change la condition des hommes que si ces hommes décident de changer eux-mêmes. » Je sais pour ma part que cela doit commencer par moi-même. Je sais combien cela est coûteux. J'ai décidé d'en payer le prix pour réaliser la volonté de Dieu. »

Nous concluons ce témoignage, en priant le Tout-Puissant d'accueillir cheikh Mahmoud Bouzouzou dans Son vaste Paradis.

تغيير الذات وتحويل الغير عند مالك بن نبي ومحمود بوزوزو

عباس عروة

من كتاب "السعي إلى السلام في الإسلام"[1]، كولوفون، أوسلو، 2013

مترجم من اللغة الإنجليزية مع بعض الإضافات

يُعتبر المفكّران الجزائريان مالك بن نبي ومحمود بوزوزو من بين الشخصيات التي كان لها تأثيرٌ في الحركة الوطنية، فقد ساهما لعدة عقود في إيقاظ وتوعية الجزائريين القابعين تحت وطأة الاحتلال الفرنسي. ويشترك كلاهما في المعرفة العميقة والواسعة بالثقافتين الإسلامية والأوروبية، وكان كلاهما مهتمٌ بالتغيير الاجتماعي.

مالك بن نبي من مواليد 1 يناير 1905 بقسنطينة، توفي في 31 أكتوبر 1973 بالجزائر العاصمة. هو الذي اقترح مفهوم "القابلية للاستعمار"، مما يعني أنه عندما يكون ثمّة استعمار، فهناك بالضرورة استعداد في المجتمع لقبول المستعمِر، والخطوة الأولى في عملية إنهاء الاستعمار هي إدراك هذا الوضع ومحاولة تغييره. كما تعرّض بالتفصيل للآية القرآنية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2]. كان مالك بن نبي الذي تلقّى تكوينًا في الهندسة الكهربائية دائمًا يقارن دور المسلم بدور المحوّل الاجتماعي[3]، وكان يُلحّ على الحاجة إلى التركيز على الواجبات أكثر من الحقوق، فالحقوق في نظره هي النتيجة المنطقية والحتمية للواجبات. كما كان معجبًا بعمل غاندي الذي التقى به خلال زيارة المهاتما

[1] Abbas Aroua. *The Quest for Peace in the Islamic Tradition*. Kolofon. Oslo 2013. https://cpi-geneva.org/images/pdf/Books/Q4P.pdf

[2] الرعد:11

[3] منقول عن مصطفى براهمي، محادثة خاصة 1995.

إلى باريس عام 1932، وكانت تربطه علاقة بأبي الكلام آزاد[1]، عالم الدين المسلم والمناضل، صديق غاندي، وكان قد سبق هذا الأخير كرئيس للمؤتمر الوطني الهندي، وأوّل وزير للتربية في الهند المستقلة. وفي عام 1953، أيْ قبل عامٍ من اندلاع حرب الاستقلال الجزائرية (فاتح نوفمبر 1954)، أصدر بن نبي ثلاث افتتاحيات عن اللاعنف والتجربة الهندية: "إجلالٌ لرسول اللاعنف"[2]، "رومان رولاند ورسالة الهند"[3]، "عالمية اللاعنف"[4]. وفي عام 1972 كتب تصديرًا لمساهمة من تأليف جودت سعيد، أحد أهمّ منظري اللاعنف في العالم العربي، بعنوان "حتى يغيّروا ما بأنفسهم".

محمود بوزوزو، من مواليد 22 فبراير 1918 ببجاية، توفّي في 27 سبتمبر 2007 بجنيف. كان مدرّسًا ومديرًا في أوائل الخمسينيات لمجلة المنار، ورئيسًا ومرشدًا عامًا للكشافة الإسلامية الجزائرية (1947-1954). فكّر بإسهاب في مسألة التحويل، أي كيفية كسب قلب الخصم، في وقتٍ كان فيه الاتجاه العامّ في الجزائر نحو المقاومة المسلّحة. اضطُهد محمود بوزوزو من قِبل الشرطة الفرنسية التي اعتبرته قائدًا روحيًا للثورة، فمعظم الذين أطلقوها تدرّبوا في إطار الكشافة الإسلامية الجزائرية. غادر محمود بوزوزو الجزائر عام 1955 وانضم إلى حركة "إعادة التسلّح الأخلاقي" (Réarmement moral) في مدينة كو السويسرية، المعروفة الآن باسم "مبادرات التغيير" (Initiatives de changement)، وكان لهذه التجربة بالغ الأثر في نفسه. ففي عام 1958، كتب ما يلي: "يمكننا أن نناضل من أجل الحق بدون حقد. وفي حالتنا، فهمتُ أنّ علاج الحقد هو حلّ نصف المشكلة. أمّا النصف الآخر، الذي له صلة بأصل الحقد، فيكمن في روح الهيمنة التي لا تقلّ قابلية للعلاج. وبعد أن رأيتُ أن غربيًا متحررًا من روح الهيمنة وأفريقيًا متحررًا

---

[1] منقول عن نور الدين بوكروح، أنظر:
Noureddine Boukrouh. « Pensée de Malek Bennabi : 5) L'Afro-Asiatisme ». *Le Soir d'Algérie* du 8 novembre 2015.

[2] Malek Bennabi. Hommage à l'Apôtre de la non-violence. *Le Jeune Musulman* du 30 janvier 1953.

[3] Malek Bennabi. Romain Rolland et le Message de l'Inde. En deux parties, dans *Le Jeune Musulman* du 26 juin 1953 et du 22 janvier 1954.

[4] Malek Bennabi. Universalité de la non-violence. *La République Algérienne* du 18 décembre 1953.

من الحقد يمكن أن يصلا إلى الوحدة، اكتشفتُ أنّ نضال أحدهما من أجل الآخر أكثر فائدة للإنسانية من نضال أحدهما ضد الآخر، وأنّ تحويل الأعداء إلى أصدقاء هو أسمى عمل أخلاقي في العلاقات الإنسانية."[1] بالنسبة لمحمود بوزوزو، تكمن مهمّة الأنبياء ومن يقتدي بهم في تحويل الخصم وليس هزيمته، في كسب القلوب وليس الاستعباد[2]. أمّا في ما يتعلّق بنضاله من أجل تحرير الجزائر، فيتساءل محمود بوزوزو: "كيف يمكننا أن نحقق حرية حقيقية للجزائر؟ إنّ عبيد روح الهيمنة والاستغلال والاستعلاء لا يمكن أن يمنحوها إياها. كما أنّ عبيد الطموحات والمخاوف والضغائن لا يستطيعون منحها إياها. فقط الأحرار حقًا، ذوو القلوب النقية والأيادي الطاهرة، يمكنهم جلب هذه الحرية الحقيقية إلى بلادهم وإلى العالم. من أجل هذه الحرية قررتُ النضال."[3]

على الرغم من التزامهما باللاعنف، دعم مالك بن نبي ومحمود بوزوزو الكفاح المسلح خلال حرب الاستقلال الجزائرية، لأنهما أدركا أنه الوسيلة الوحيدة التي بقيت للشعب الجزائري للتخلّص من الاستعمار الفرنسي بعد عقود من النضال السياسي لم تأت بنتيجة. في الواقع، بعد عدوان القوات الفرنسية واحتلال الجزائر وأكثر من نصف قرن من حملات "التهدئة" الدموية، أظهر الاستعمار الفرنسي وجهه البشع لنصف قرن آخر من خلال قمعه للشعب الجزائري إضافة إلى الاضطهاد الثقافي والديني. لقد اعتبرت باريس الجزائر جزءًا لا يتجزأ من فرنسا ولم يكن الفرنسيون مستعدين لمغادرة هذا البلد. وفي إشارة إلى غاندي نبّه مالك بن نبي في إحدى محاضراته إلى الفرق بين الاستعمار البريطاني والفرنسي، وقال إنّ غاندي لم يكن ليُستقبَل في باريس كما تمّ استقباله في لندن[4]. أما محمود بوزوزو، فقد كان يأسف لكون الاستعمار الفرنسي لم يكن حساسًا للنضال السلمي – السياسي والنقابي – للحركة الوطنية الجزائرية، فكتب في الأول من فبراير 1952

---

[1] In Tribune Libre No. 39. Un changement d'espérance : A la rencontre du réarmement moral. Des témoignages, des faits, réunis sous la direction de Gabriel Marcel, de l'Institut. Plon, Paris 1958.

[2] تأسّف محمود بوزوزو، على سبيل المثال، لكون الشعب الجزائري لم يستطع تحويل الفرنسيين الذين احتلوا الجزائر لمدة 132 سنة، كما فعل مسلمو بلاد ما بين النهرين مع المغول. (محادثة شخصية، 2005).

[3] نفس المصدر.

[4] منقول عن أنور هدّام، محادثة خاصة 2013.

قُبيل اندلاع ثورة التحرير: "والاستعمار لا يذعن إلا عند مقابلة السلاح بالسلاح، والعنف بالعنف، والقوة بالقوة، ولا يفهم غير لغة القوة والجبروت."[1]

[1] يوم تونس، جريدة المنار، السنة الأولى، العدد الخامس عشر، 1 فيفري 1952.

محمود بوزوزو

موقع الجزيرة.نت
23 سبتمبر 2014

أحد رواد الحركة الإصلاحية الجزائرية، عاصر رموزها كالإمام ابن باديس والبشير الإبراهيمي وأحمد سحنون، وقاوم الاستعمار الفرنسي فعوقب بالنفي، واستقر في سويسرا أستاذا وخطيبا.

المولد والنشأة

ولد الشيخ محمود بوزوزو يوم 18 فبراير/شباط 1918 في مدينة بجاية شرقي الجزائر.

الدراسة والتكوين

ترعرع في بجاية، وفيها درس وتلقى العلم على يد علمائها، وحصل على إجازة في الفقه.

الوظائف والمسؤوليات

بدأ حياته معلما للغة العربية وعلوم الدين، ثم اشتغل بالصحافة وأصدر فيما بين عامي 1951 و1954 مجلة المنار التي كانت مشعلا من مشاعل الكفاح الجزائري في وجه الاستعمار الفرنسي.

استقر في سويسرا وعمل فيها إماما وخطيبا في المركز الإسلامي (أول مركز في أوروبا)، واشتغل أستاذا للغة العربية عقدين من الزمن في مدرسة الترجمة بجنيف، ولدى الأمم المتحدة.

التوجه الفكري

كان الشيخ بوزوزو من رواد الحركة الوطنية ومجاهدي الثورة، وهو مؤسس حركة الكشافة الإسلامية بالجزائر، وكان مرشدا عاما لها في منتصف الأربعينيات.

التجربة السياسية

حارب الاستعمار بتربية جيل كامل شارك بعضهم في الثورة الجزائرية. وكان عمله الصحافي مزعجا للمستعمر فسجنه ثم نفاه إلى المغرب.

وفي سنة 1958 توجه إلى سويسرا وأقام في قرية صغيرة بالقرب من مدينة "مونترو" الواقعة على ضفاف بحيرة جنيف، وسافر إلى برلين لكن الحياة لم ترق له فيها، وكان يعتزم العودة إلى الجزائر وافتتاح صحيفة خاصة لكنه شك في ضمانات حرية الصحافة.

اختار العودة إلى سويسرا فمنحته حق الإقامة الدائمة، واتخذ من جنيف مستقرا له منذ عام 1962، وعمل مترجما لدى المقر الأوروبي للأمم المتحدة، وتخرج على يديه أجيال من المترجمين.

أسس المركز الإسلامي في سويسرا عام 1961 وساهم في تأسيس المؤسسة الثقافية الإسلامية عام 1975، وكان عضوا في مجلس أمناء مؤسسة قرطبة، وكان بيته أول مقر لها عام 2002.

شجع أبناء الجالية على العلم والارتقاء بمستواهم الثقافي ونبذ الخلافات العرقية. وفتح بيته

للمثقفين الشباب للاستفادة من مكتبته الكبيرة.

أعرب عن قلقه على مستقبل المسلمين في الغرب لغياب المفكرين الشباب من أبناء المهاجرين الذين يمكن الاعتماد عليهم في توجيه الجالية المسلمة في أوروبا وتوعيتهم بأمور دينهم ودنياهم، وتربيتهم على التسامح والحوار.

الوفاة

توفي الشيخ محمود بوزوزو يوم 27 سبتمبر/أيلول 2007، ودفن في مسقط رأسه بولاية بجاية يوم الجمعة 5 أكتوبر/تشرين الأول من العام نفسه.

ونظمت الجالية المسلمة في سويسرا بعد وفاته لقاءات تكريمية سنوية احتفاءً به وبعلمه، وأسست جمعية باسم "جمعية الشيخ بوزوزو" (في 1 نوفمبر/تشرين الثاني 2007) تهتم بالعمل التربوي والخيري، وهي مفتوحة لكل الأطياف والجنسيات، وتعمل على جمع تراث الحركة الوطنية الجزائرية التي ساهم فيها المرحوم بكتاباته وتجربته.

كما نظمت ولاية بجاية عام 2010 فعاليات الملتقى الوطني التاريخي إحياء للذكرى الثالثة لوفاة العلامة الشيخ محمود بوزوزو والتعريف بجهاده ونضاله ضد الاستعمار، وعطائه العلمي والدعوي.

محمود بوزوزو مسار نضال وقلم

حميدي أبو بكر الصديق
جامعة المسيلة، 2018

(البحث متوفّر في الملحق)

الملخّص

تعتبر شخصية محمود بوزوزو من الشخصيات التي جمعت بين النضال السياسي والفكري، وخاض معركة النضال والتجاوب مع الحركة الوطنية بالتأييد والقلم من خلال نشاطه في الصحافة المتنوعة، وجمع بين استيعابه وفهمه للأحداث وقدرته على التنظيم من خلال انخراطه في الكشافة الإسلامية ثم قيادته لها، أعطى للكشافة مفاهيم وقيم إنسانية واتخذها وسيلة للتربية وغرس الروح الوطنية بين الناشئة. وكانت شخصيته المتنقلة بين ربوع الوطن لطلب العلم والرزق ونبوغه في الكشافة وعلاقاته الوثيقة مع الإصلاحيين والتيار الاستقلالي أن صقل منه مناضلًا متفتحًا واسع الثقافة والأفق قريبًا من الجميع، تجسدت هذه الملامح في القيم التي حملها، والقلم الذي استوعب الواقع الوطني والمغاربي، ساعيًا لكل المشاريع الوحدوية وتوحيد الجهود لبناء الفرد فكريًا وسياسيًا. وقد كلفته مواقفه الوطنية الكثير من الأذى: السجن والتعذيب ثم النفي في منتصف الخمسينيات (1955)، فهاجر إلى المغرب الأقصى، ثم إلى أوروبا حيث أقام في عدة مدن حتى استقر به الأمر في مدينة جنيف التي نذر نفسه بها لخدمة الجالية الإسلامية وتعليم اللغة العربية والتعريف بالإسلام دينًا وحضارة.

Le savant algérien Cheikh Mahmoud Bouzouzou : Le chef spirituel de la guerre de libération, a servi l'arabe et s'est consacré à l'islam en Occident durant un demi-siècle

Mustapha Habes
Hoggar.org, 10 décembre 2019

Au cours des dernières années, cinq conférences en mémoire du Cheikh Mahmoud Bouzouzou ont été organisées par l'Association Cheikh Mahmoud Bouzouzou en collaboration avec la communauté musulmane de Suisse. Certains des compagnons de Cheikh Mahmoud Bouzouzou d'Europe et du Maghreb y ont été invités et quelques-uns de ses collègues d'Algérie y ont marqué leur présence, notamment le regretté Abdelhamid Mehri, ancien secrétaire général du Front de libération nationale algérien, le regretté Cheikh Abderrahmane Chibane, ancien ministre et président de l'Association des oulémas musulmans algériens, le Professeur Bouamrane Chikh, président du Haut Conseil Islamique algérien, qu'Allah leur fasse miséricorde, et Cheikh Larbi Kechat, qu'Allah le garde, ainsi que d'autres professeurs, collègues et disciples du Cheikh en Suisse et en Europe.

Il a consacré sa vie au service de la science et à la diffusion de la religion jusqu'à sa mort

Cette année, la sixième conférence annuelle a eu lieu en deux parties, ces deux derniers samedi du mois, à la Salle des conférences du Centre islamique de Genève (Suisse) en mémoire du Cheikh Mahmoud Bouzouzou qui fut un élève de Cheikh Abdelhamid Ben Badis, et un des premiers membres de l'Association des oulémas

musulmans algériens, et un des fondateurs des Scouts musulmans algériens avec le martyr Mohamed Bouras, au sein desquels il a œuvré en tant que guide général des Scouts musulmans algériens dans les années 40. Puis il a consacré sa vie au service du savoir et à la diffusion de l'islam jusqu'à sa mort en Suisse le 27 septembre 2007, à l'âge de 89 ans, laissant derrière lui une riche histoire de dévouement. La conférence a été suivie par des hommes et des femmes, par ses disciples et par des admirateurs de sa pensée modérée, et parmi eux des personnes qui ont connu Cheikh Bouzouzou il y a près d'un demi-siècle lorsque celui-ci donnait des cours d'arabe à l'Université de Genève et à l'Organisation des Nations Unies, et comme imam à la Grande Mosquée de Genève et traducteur.

La conférence a été comme d'habitude ouverte avec une récitation bénie du Coran, notamment le verset de la Sourate Houd : « Je ne veux que la réforme, autant que je le puis. Et ma réussite ne dépend que d'Allah. En Lui je place ma confiance, et c'est vers Lui que je reviens repentant », un verset que Cheikh Bouzouzou a souvent mis en titre de ses œuvres et de ses projets.

Par la suite, une brève présentation de l'Association Cheikh Mahmoud Bouzouzou, de ses buts, activités et accomplissements a été donnée par son président. Cette association a été créée le 1er novembre 2007 en vertu du droit suisse. Elle a pour objectifs d'ouvrir des centres culturels en Suisse et en Algérie, de regrouper l'héritage du mouvement national algérien dans lequel le défunt a contribué par ses écrits et son expérience, et de participer au dialogue interreligieux en Europe. Le président de l'association a également mentionné que l'association œuvre actuellement à traduire une partie du patrimoine audiovisuel, publié et écrit du Cheikh Bouzouzou, soulignant que l'association a un besoin urgent en ressources afin de financer ces projets caritatifs humanitaires. Il a également annoncé un projet d'impression de calendriers de l'année 1441 de l'Hégire / 2020, en français et en anglais, afin d'être distribués dans les bibliothèques publiques, associations et centres islamiques en Suisse.

Moments clés de la vie de Cheikh Bouzouzou

Après cette brève présentation, le premier intervenant a été invité à

présenter une biographie complète à travers les moments clés de la vie de Cheikh Mahmoud Bouzouzou, ses réalisations dans les domaines de l'éducation et de la résistance en Algérie avant et pendant la révolution de libération, et ce en tant que guide général des Scouts musulmans algériens, enseignant et journaliste. L'intervenant a ensuite évoqué le rôle du journal indépendant Al-Manar, (Le Phare), fondé par l'intellectuel Mahmoud Bouzouzou et ses efforts importants de mobilisation du peuple algérien durant la période de libération, un journal qui n'a publié que 51 numéros en quatre ans (1951-1954).

Compte tenu de l'importance de ses idées promouvant la liberté, les documents des renseignements français récemment publiés l'ont considéré comme le père spirituel de la révolution algérienne, comme l'a souligné l'écrivain et historien algérien Mohamed Arezki Ferrad en préface de son dernier livre, qui vient de paraître, intitulé Les idées de Mahmoud Bouzouzou dans la libération nationale. L'un des étudiants de Cheikh Bouzouzou en a lu quelques passages en arabe et en français.

Du « B » de Ben Badis est né le « B » de Bouzouzou

Ensuite, ont été présentés plusieurs passages d'une étude comparative entre Cheikh Abdelhamid Ben Badis et son disciple Mahmoud Bouzouzou, intitulée « Ce lionceau est né de ce lion/ هذا الشبل من ذاك الأسد » sur des sujets publiés, d'un côté, dans les deux journaux Al-Chihab et Al-Bassair (Ben Badis), et d'un autre côté dans le journal Al-Manar (Bouzouzou). Son auteur a déclaré qu'elle était structurée du « B » de Ben Badis au « B » de Bouzouzou, évoquant les thèmes clés de leur vie, tels que par exemple le sens de la « nation algérienne » chez les deux hommes et leur vision de la colonisation française et sa politique d'éradication, la nécessité de l'unité et du mouvement, le fascisme et le racisme, les coutumes, l'héritage et les croyances religieuses, la liberté de l'Algérie et la cause palestinienne, des sujets auxquels nous reviendrons en détail dans un article séparé vu leur importance.

Génération d'or pionnière dans le dialogue interreligieux

Un autre intervenant a également noté que la reprise de la carrière politique, religieuse et médiatique de Cheikh Mahmoud Bouzouzou en exil n'était pas chose aisée, particulièrement en Europe à cette époque, et notamment en Allemagne et en Suisse où il a résidé. L'intervenant a rappelé les difficultés auxquelles Cheikh Bouzouzou a fait face en exil et a évoqué son rôle dans la constitution du Comité consultatif des religions à Genève avec des prêtres chrétiens et des représentants d'autres traditions religieuses et spirituelles. Il a également rappelé certains des prédicateurs réformateurs contemporains de Cheikh Bouzouzou, tels que Dr. Said Ramadan et les traducteurs du Coran tels que Muhammad Hamidullah et Jean-Louis Michon qu'Allah leur fasse miséricorde.

En outre, l'intervenant a évoqué les efforts intellectuels de Cheikh Bouzouzou, de la période post-indépendance, jusqu'à sa mort en 2007. Des efforts intellectuels importants axés en particulier sur la da'wa islamique, l'enseignement de la langue arabe et la promotion du dialogue entre les civilisations en Suisse et plus généralement en Europe. Cheikh Bouzouzou, l'Amazigh, faisait partie de cette génération d'or pionnière qui a défendu la civilisation islamique en Europe dans les langues de son peuple et avec des méthodes scientifiques élégantes qui ont impressionné les Européens.

Contribution à la traduction du Coran en français et conversion à l'islam du philosophe français Roger Garaudy

Cheikh Bouzouzou a contribué aux traductions du Coran de Jean-Louis Michon et d'autres. Il a également participé dans la production et la rédaction de nombreux ouvrages et études avec des non-musulmans. Certains d'entre eux ont embrassé l'islam grâce à lui, et notamment le philosophe français Roger Garaudy, qui a bénéficié pendant plusieurs années de la bibliothèque et de l'accompagnement de Cheikh Bouzouzou, avant de publier des dizaines d'ouvrages importants, notamment sur l'islam après sa conversion.

Le rêve de Garaudy était d'unir les trois religions : l'islam, le christianisme et le judaïsme, car il considérait qu'il y avait un message

commun entre elles, comme nous l'ont dit certains des disciples de Cheikh Bouzouzou.

Cheikh Bouzouzou a également participé dans de nombreuses œuvres culturelles avec d'autres auteurs, tels que le journaliste et écrivain suisse Roger Dupasquier et son livre Découverte de l'islam. Ce dernier s'est également converti à l'islam et est devenu, avec sa plume et sa langue, un de ses fervents défenseurs en Occident. Et ce n'est pas un secret que Malek Bennabi avait choisi Mahmoud Bouzouzou pour traduire son livre Le phénomène coranique, mais ce dernier s'est excusé en raison de ses nombreuses occupations et voyages, et c'est l'Egyptien Abdassabour Chahine qui le traduisit.

Les religions monothéistes ont pour source un seul Dieu, telles des cours d'eau qui proviennent d'une même source

En Suisse, Cheikh Bouzouzou a contribué à la création du Comité consultatif des religions en 1968. Ce conseil a réuni un groupe d'intellectuels et d'écrivains de différentes religions, dont le théologien et pasteur protestant Henry Babel, auteur de plus de quarante ouvrages, considéré comme l'un des théoriciens du christianisme en général, et du dialogue interreligieux en particulier. Il fut en relation avec Cheikh Bouzouzou pendant des dizaines d'années. Dans l'hommage qu'il lui a rendu il y a sept ans, il a énuméré les points communs des religions monothéistes et a rappelé la nature encyclopédique de Cheikh Bouzouzou en disant : « Cheikh Mahmoud est une véritable bibliothèque diversifiée et complète et englobe toutes les branches de la connaissance. » […]. « Sa maîtrise des langues arabe et française lui a permis de comprendre sa religion islamique et de dialoguer avec les Occidentaux dans une langue française éloquente. » À cette occasion, Henry Babel avait conclu son hommage en disant que « Cheikh Bouzouzou était une personne ouverte au dialogue et son raisonnement était très puissant. Il mérite d'être un exemple à suivre à travers les générations afin de réorganiser un dialogue interreligieux actuellement au point mort pour des considérations politiciennes aussi fragiles qu'une toile d'araignée. » Il a également rappelé la célèbre phrase de Cheikh Bouzouzou selon laquelle « les trois religions monothéistes ont pour source un seul Dieu, telles des cours d'eau qui proviennent d'une même source, comme le Rhône et le Rhin, qui proviennent d'une même source en

Europe et se déversent dans la Mer Méditerranée ».

Témoignage de trois musulmanes qui ont connu Cheikh Bouzouzou depuis des décennies

À la fin de la conférence, des extraits audios d'interviews en français et en arabe de Cheikh Bouzouzou sur les ondes de la radio suisse dans les années 70 et 80 ont été diffusés. Ensuite, quelques vers d'un poème écrit par le poète algérien Abdelaziz Chebbin, domicilié en Grande-Bretagne, sur les efforts et les idées de Cheikh Bouzouzou ont été lus. « Bouzouzou, le phare dans la lutte contre la coloni-destruction. » Il ne faut pas oublier que Cheikh Bouzouzou était également un poète et a écrit de nombreux poèmes. Il serait bon que les spécialistes puissent les regrouper dans un recueil à part.

Puis trois femmes ayant connu Cheikh Bouzouzou ont témoigné. La première est une convertie d'origine suédoise se nommant Khadija. Elle était fonctionnaire au Bureau International du Travail des Nations Unies. La deuxième est une Algérienne originaire de Constantine. Elle est arrivée en Suisse dans les années 60 et était étudiante de Cheikh Bouzouzou à l'Université de Genève. La troisième a souligné l'attention qu'accordait Cheikh Bouzouzou à la femme en général et aux étudiantes étrangères en particulier.

En conclusion, les organisateurs de la conférence ont annoncé leur volonté de mettre sur pied l'année prochaine une journée d'étude sur les exemples d'efforts fournis par les érudits et les réformateurs en vue de la coexistence entre les peuples à travers les générations en Europe.

العلامة محمود بوزوزو، الزعيم الروحي لحرب التحرير

محمد مصطفى حابس
المجلة الثقافية الجزائرية، 17 ديسمبر 2019

بعد خمس ندوات تكريمية خلال السنوات الماضية لروح العلامة الشيخ محمود بوزوزو التي نظمتها جمعية الشيخ بوزوزو رفقة الجالية المسلمة في سويسرا، والتي دعي إليها بعض رفقاء درب المرحوم الشيخ محمود بوزوزو من أوروبا ومن المغرب العربي وقد تيسر أيامها حضور أو مساهمات بعض زملاءه من الجزائر، نذكر منهم حضور الأستاذ المرحوم عبد الحميد مهري الأمين الأسبق لجبهة التحرير الوطني الجزائرية، والمرحوم الشيخ عبد الرحمان شيبان الوزير الأسبق ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والأستاذ أبو عمران الشيخ ، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر، رحمه الله، وحضور الشيخ العربي كشاط، أطال الله في عمره، و غيره من الأساتذة والزملاء وطلبة الشيخ في سويسرا وأوروبا.

كرس حياته في خدمة العلم و نشر الدين الى غاية وفاته

أما هذه السنة، وعشية يوم السبت المنصرم، فقد أسدل الستار على فعاليات الندوة السنوية السادسة التي احتضنتها قاعة المحاضرات بالمركز الاسلامي بمدينة جنيف السويسرية إحياء لذكرى وفاة العلامة الشيخ محمود بوزوزو، تلميذ العلامة عبد الحميد بن باديس وأحد الأعضاء الأوائل لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سابقا وأحد مؤسسي الكشافة الإسلامية الجزائرية رفقة الشهيد محمد بوراس، حيث اشتغل المرحوم مرشدا عاما للكشافة الإسلامية الجزائرية في بداية فترة تأسيسها. مكرسا بعدها حياته في خدمة العلم ونشر هذا الدين الى غاية وفاته في سويسرا يوم 27 من سبتمبر عام 2007 عن عمر

يناهز 89 سنة تاركا وراءه تاريخا حافلا بالعطاءات

وقد حضر الندوة حشد من النساء والرجال، من تلاميذه و أحباب وسطية فكره، منهم من عايش الشيخ بوزوزو منذ نصف قرن تقريبا لما كان أستاذا محاضرا بجامعة جنيف وخطيبا بالمسجد الكبير بجنيف ومترجما بمقر الأمم المتحدة..

وافتتحت الجلسة التكريمية بتلاوة مباركة من القرآن الكريم كالعادة، بتلاوة ما تيسر من سورة هود، خاصة مقطع (إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)، هذه الآية الكريمة التي كان كثيرا ما يجعلها الشيخ بوزوزو عنون أعماله و مشاريعه..

ثم تلاها تعريف مقتضب عن "جمعية الشيخ بوزوزو" المعتمدة منذ أول نوفمبر 2007، وفق القانون السويسري، حيث ذكر رئيسها ، الأهداف الرئيسية للجمعية ونشاطها وبعض إنجازاتها، وهي تسعى لفتح مراكز ثقافية في سويسرا والجزائر، وكذا جمع تراث الحركة الوطنية الجزائرية التي ساهم فيها المرحوم بكتاباته وتجربته، ثم أخيرا في أوروبا الخاص بالدعوة الإسلامية وحوار الأديان التي أخذت منه جهدا كبيرا، كما ذكر أن الجمعية تسعى حاليا لترجمة بعض ما توفر من تراث الشيخ بوزوزو السمعي البصري والمنشور والمخطوط، منوها أن الجمعية في حاجة ماسة لتمويل هذه المشاريع الخيرية الانسانية، كما أعلن عن طبع رزنامة مواقيت لهذه السنة 1441هجري / 2020 ميلادي، باللغات الفرنسية والإنكليزية، توزع على المكتبات العمومية والنوادي والمراكز الإسلامية في سويسرا..

محطات مفصلية من حياة العلامة بوزوزو

فورهذه الكلمة المقتضبة دعي للمنصة المتدخل الأول، لتقديم تعريف شامل في محطات مفصلية من حياة العلامة محمود محمود بوزوزو، وإنجازاته التربوية والجهادية في الجزائر قبل وأثناء الثورة التحريرية، كمرشد عام للكشافة الإسلامية الجزائرية ومدرس وصحافي، ثم

عرج الأستاذ المحاضر على دور جريدة المنار المستقلة، التي أسسها المثقف الكبير محمود بوزوزو في مطلع الخمسينيات وأهم محطاتها التعبوية للشعب الجزائري أثناء ثورة التحرير، والتي لم يصدر منها إلا 51 عددا خلال أربع سنوات (1951–1954).

واعتبارا لأهمية أفكاره التحرّرية، فقد اعتبرته وثائق المخابرات الفرنسية المنشورة حديثا، بمثابة الأب الروحي للثورة الجزائرية، كما أشار لذلك الكاتب والمؤرخ الجزائري محمد أرزقي فراد، في مقدمة كتابه الأخير بعنوان: "أفكار محمود بوزوزو في التحرّر الوطني". وبذات المناسبة قدم أحد الأساتذة المترجمين من طلبة الشيخ قراءة في بعض ما كتب عن الشيخ بوزوزو بالعربية والفرنسية، منها قطوف من هذا الكتاب الذي تكرم مؤلفه الدكتور محمد أرزقي فراد بإرسال مسودة النسخة وهي تحت الطبع، لكاتب هذه السطور.

من الباء الباديسية كانت بداية باء بوزوزو

قدمت بعدها قطوف من دراسة مقارنة تقريبية بين العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس، وتلميذه الشيخ محمود بوزوزو، بعنوان "هذا الشبل من ذاك الأسد" في محاور مبوبة من جريدتي الشهاب والبصائر (بن باديس) من جهة، وجريدة المنار (بوزوزو) من جهة ثانية.

قال عنها صاحبها أنها مبوبة من باء الباديسية إلى باء بوزوزو، في محاور مفصلية من حياتهما، شارحا على سبيل المثال لا الحصر، معنى "الأمة الجزائرية" عند الرجلين الاستاذ الرئيس عبد الحميد بن باديس وتلميذه الإمام محمود بوزوزو، ونظرتهما للاستعمار الفرنسي وسياسته الاستئصالية، متطرقا لمعان أخرى كـ"ضرورة الوحدة والحركة"، "الفاشية والعنصرية"، "العادة والتراث والعقيدة"، "حرية الجزائر والقضية الفلسطينية"، قد نعود لها بالتفصيل في مقال مستقل لأهميتها، بحول الله

من الجيل الذهبي الرائد الذي أسس للحوار بين الأديان

كما لاحظ أحد المتدخلين، أن استئناف مشوار الشيخ محمود بوزوزو السياسي والدعوي والإعلامي في ديار المهجر لم يكن سهلا، خاصة في أوروبا في ذلك العهد وفي ألمانيا وسويسرا التي أقام بهما، حيث ذكر بالصعوبات التي عاشها الشيخ محمود بوزوزو في المهجر، معرجا على دور الشيخ في تأسيس "المجلس الاستشاري للأديان بسويسرا مع قساوسة و رهبان، مذكرا ببعض من عاصروه من رجال الدعوة و الإصلاح أمثال الدكتور سعيد رمضان، و مترجمي القرآن الكريم للفرنسية أمثال كل من محمد حميد الله وجون لوي ميشون رحمهم الله جميعا.

ملمحا بجهود العلامة بوزوزو الفكرية لمرحلة قبيل ما بعد الاستقلال إلى وفاته عام 2007، وهي جهود فكرية هامة تركّزت بصفة خاصة حول الدعوة الإسلامية وتدريس اللغة العربية وتكريس الحوار بين الحضارات في سويسرا و أوروبا عموما. إذ كان الاستاذ محمود بوزوزو الأمازيغي من ذلك الجيل الذهبي الرائد الذي دافع عن الحضارة الإسلامية في أوروبا بلغات أهلها وبطرائق علمية راقية افتكّت إعجاب الأوروبيين.

ساهم في ترجمات القرآن للفرنسية كما أسلم على يديه الفيلسوف الفرنسي روجي ڤارودي

ساهم، رحمة الله عليه، في ترجمات القرآن الكريم مع كل من محمد حميد الله و جون لوي ميشون و غيرهما، كما ساعد في إخراج وتـأليف العديد من الكتب والدراسات مع غير المسلمين، جعلت بعضهم يعلنون إسلامهم على يده وفي مقدّمهم الفيلسوف الفرنسي روجي ڤارودي، الذي استفاد من مكتبة وتوجيهات الشيخ بوزوزو لعدة سنوات، في نشر العشرات من المؤلفات المهمة، منها ما نشر حول الإسلام بعد اعتناقه له، وتزوجه من امرأة مسلمة، وقد بلغ عدد كتبه السبعين أو تزيد.

وكان حلم رجاء ڤارودي أن يوحد بين الأديان الثلاثة: الإسلام والمسيحية واليهودية، لأنه يعتبر أن هناك رسالة مشتركة بينها، كما أخبرنا بذلك بعض تلاميذ الشيخ بوزوزو.

بهذا النهم وهذه الهمة العالية ساعد الشيخ بوزوزو غيره من الكتاب في أعمال ثقافية عديدة أمثال الكاتب الصحفي السويسري، روجي دي باسكيي، في تأليف كتابه "إكتشاف الاسلام"، و قد اعتنق هذا الاخير هو أيضا الاسلام و أصبح من المدافعين الأشاوس عن بيضته، في العالم الغربي بقلمه ولسانه. ولا أبوح سرا إن قلت أن مالك بن نبي كان قد رشح الشيخ بوزوزو لترجمة كتابه "الظاهر القرآنية"، لكنه لما أعتذر لكثرة مشاغله وتنقلاته، أحال مالك ترجمة كتابه لعبد الصبور شاهين من مصر الشقيقة.

الديانات السماوية مصدرها رب واحد، هي بمثابة مجاري مياه تنبع من مصب واحد

في سويسرا اهتم الشيخ بوزوزو بتأسيس "المجلس الاستشاري للأديان بسويسرا" سنة 1968، مع مجموعة من المفكرين والكتاب من ديانات مختلفة، منهم خاصة البروفيسور الأب "هنري بابل" وهو كاتب مسيحي كبير له ما يربو عن أربعين مؤلفا، ويعد أحد المنظرين القلائل في أوروبا للمسيحية خصوصا وللحوار بين الديانات عموما. زامل هذا الأخير الشيخ محمود بوزوزو منذ عشرات السنين وقد عدد في أحد تدخلاته في تأبين الشيخ بوزوزو منذ سبع سنوات خلت، نقاط التقارب بين الديانات السماوية مذكرا بموسوعية الشيخ بوزوزو بقوله: "إن الشيخ محمود هو بحق مكتبة متنوعة جامعة شاملة لكل فنون المعرفة".. "وإتقانه للغتين العربية والفرنسية مكنه لفهم دينه الإسلامي ومحاورة أبناء الغرب بلسان فرنسي بليغ"، وذكر العديد من مناقب المرحوم وختم كلامه يومها بأن "الشيخ بوزوزو رجل متفتح للحوار والنقاش وحجته أصيلة وقوية للغاية ويستأهل أن يكون مثلا يقتدى به عبر الأجيال لترشيد عملية الحوار بين الأديان المتعثرة اليوم لأسباب سياسوية أوهن من بيت العنكبوت". مذكرا بمقولة شهيرة للشيخ بوزوزو مفادها "أن الديانات السماوية الثلاث مصدرها رب واحد، هي بمثابة مجاري مياه تنبع من مصب واحد، كوادي {الرون} و {الراين} الذين ينبعان من مصدر واحد في أوروبا و يصبان في البحر الأبيض المتوسط."

شهادة ثلاث سيدات سويسريات تعرفن على الشيخ بوزوزو منذ عقود

وقبيل نهاية الندوة، شُنفت الأسماع، بقطوف من تسجيلات الدروس التي كان يلقيها الشيخ بوزوزو عبر أثير إذاعة سويسرا الرسمية في السبعينات والثمانينات، تلتها قراءة لأبيات للشاعر الجزائري الدكتور عبد العزيز شبين المقيم ببريطانيا من قصيدته أوديسا الجزائر حول جهود وأفكار الشيخ محمود بوزوزو، تحت عنوان: "بوزوزو المنار في كفاح ضد الإستدمار"، لا ننسى أن الشيخ بوزوزو كان شاعرا أيضا و له قصائد عديدة حبذا لو يجمعها أهل الاختصاص في ديوان خاص.

وأنهيت التدخلات بإكراميات متنوعة، سبقتها شهادة ثلاث سيدات تعرفن على الشيخ بوزوزو منذ عقود، السيدة الأولى سويدية الأصل أسمت نفسها خديجة، وكانت تشتغل موظفة سامية في المكتب الدولي للعمل التابع للأمم المتحدة، أما السيدة الثانية، جزائرية من جهة قسنطينة قدمت في الستينات لسويسرا وكانت تدرس عند الشيخ بوزوزو في معهد الترجمة بجامعة جنيف، وذكرت السيدة الثالثة بالعناية التي كان الشيخ يوليها للمرأة عموما وللطالبات الوافدات و المهاجرات خصوصا.

وفي الختام، أعلن المنظمون أن يوما دراسيا حول نماذج من جهود العلماء والمصلحين في التعايش بين الشعوب عبر الأجيال في أوروبا، سينظم بحول الله في الثلاثي الثاني من العام المقبل في شهر أبريل أو جوان أي قبل أو بعيد رمضان، بمشيئة الرحمان.

أفكار محمود بوزوزو في التحرّر الوطني

محمد أرزقي فراد
دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2019

هذا الكتاب

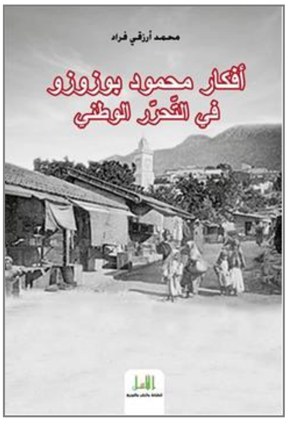

لعل ما ميّز مسار محمود بوزوزو النضالي التحرري ثلاث سمات بارزة. أولها كونه استفاد من مدرستين؛ مدرسة تقليدية مكنته من تعلم اللغة العربية وحفظ القرآن في طفولته ومن الاحتكاك بالمخطوطات والكتب الخاصة بالحضارة العربية الإسلامية في محيط عائلته البجاوية، ومدرسة فرنسية مكنته من الاطلاع على الفكر الغربي العقلاني والفكر الإنساني عامة، فخذ على سبيل المثال مقولته الواردة في مقاله "نظام التربية في الجزائر" المنشور بجريدة المنار مؤداها: "بما أن البشر يتفاوتون في التفكير والإدراك، تعدّدت المذاهب وتنوّعت المشارب" تقاطعت هذه المقولة مع مقولة المفكر الألماني هيجل: "العقل يجمع الناس، والفهم يفرقهم"! ومن قناعاته العقلانية، اعتقاده أن تنوّع الفلسفات وتعدّد الأفكار بين الناس أمر طبيعي، لكن المشكلة تكمن في "التعصّب" للرأي، وهو ما ينجب الفتنة. والسمة الثانية أنه تمسّك بـ"سلطة الفكر والعلم"، فتجاوز النزعة الحزبية الضيقة، وتخلّص من سياج "المذهبية" وعفّ عن العصبية، محتفظًا باستقلاليته الفكرية والسياسية بأن نأى بنفسه عن التحزّب أو الهيكلة في جمعية ما، مفضلًا التعاون مع الجميع. كما أنه تجاوز الصراع – الذي كان يطفو على السطح أحيانًا – بين دعاة الحركة الإصلاحية الفكرية وبين مناضلي الحركة الوطنية التحررية. والسمة الثالثة هي قناعته بحتمية توحيد جهود الجزائريين بكلّ أطيافهم الأيديولوجية في إطار وحدة العمل، كشرط ضروري لتحقيق النصر.

فراد يغوص في الموروث الثقافي الجزائري

وكالة الأنباء الجزائرية (وأج)، 20 جانفي 2020

احتضنت دار الثقافة "عمر أوصديق" بجيجل مؤخرا، جلسة ثقافية أدبية حول التراث والموروث الثقافي، نشطها الكاتب محمد أرزقي فراد، الذي غاص بالحضور في أعماق التقاليد والعادات الجزائرية بصفة عامة، وفي منطقة القبائل خاصة.

في تصريح خاص لـ"وأج"، على هامش هذه الجلسة الأدبية في عددها الأول للنادي الأدبي والفكري لدار الثقافة "عمر أوصديق"، اعتبر الكاتب محمد أرزقي فراد الذي يوجد في رصيده 25 مؤلفا عن التاريخ الثقافي لمنطقة القبائل، أنه "من الطبيعي جدا أن تختلف عادات وتقاليد وثقافة الشعب الجزائري، بالنظر إلى حجم وكبر الجزائر التي يمكن اعتبارها قارة"، مضيفا أن "الحديث عن الموروث الثقافي الجزائري المتنوع، يقودنا إلى الحديث عن البعد الثقافي في الهوية الجزائرية والشخصية الجزائرية، وما تم توارثه عن الأجداد انطلاقا من الرزنامة الفلاحية الأمازيغية، أو ما يعرف بالتقويم الأمازيغي يناير".

وعن تخصصه في كتابة الموروث الثقافي الأمازيغي بصفة خاصة، أرجع الكاتب الأمر إلى أن "منطقة القبائل ظلمها الاستعمار، بمحاولة تقسيمه للجزائر إلى عرب وأمازيغ"، فضلا عن "وجود دراسات تنتمي إلى المدرسة الكولونيالية لا زالت تفعل فعلها في عقول أبنائنا. فاهتمامي بهذه المنطقة هو لتنبيه الشباب الجزائري إلى أن ما كتبته هذه المدرسة يشكل خطرا على عقول الجزائريين".

وأضاف يقول "حاولت من خلال هذه المؤلفات، أن أكتب حول دور هذه المنطقة في

إثراء الثقافة العربية الإسلامية، ودورها في الحفاظ على الموروث الثقافي الأمازيغي. فالتاريخ الوطني لأية دولة يكتب على أساس التاريخ المحلي".

كما تحدث الكاتب عن آخر أعماله الأدبية، من بينها كتاب بعنوان "ظلال الحراك الشعبي"، الذي قال عنه إنه "مرحلة تحول نحو منظومة سياسية جديدة"، إضافة إلى آخر حول الشخصية الوطنية التي لا يعرفها الكثيرون، وهو محمود بوزوزو البجاوي الذي أسس جريدة "المنار" في 1951، وظلت تصدر إلى غاية يناير 1954، والمعروفة بمقالاتها السياسية الوطنية.

أضاف أن محمود بوزوزو (1918-2007) "يستحق أكثر من كتاب، فهو مثقف من بجاية، جمع بين التعليم العربي الإسلامي والتعليم الفرنسي، وكان بإمكانه أن يكون قاضيا أو معلما، إلا أنه فضل المشاركة في النضال مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفي النضال السياسي عن طريق تأسيس جريدة 'المنار'".

بعد الاستقلال، استقر في جنيف (سويسرا)، وأصبح من رجالات الدعوة ويعلم اللغة العربية للأوروبيين، ويدعو للإسلام الصحيح.

الجزء الرابع: عرض لصور مختارة

Depuis plus de trente ans, les musulmans de Genève confient leurs problèmes à l'Imam Bouzouzou.

Bersama Profesor Dr Mahmoud Bouzouzou, imam Mesjid Genewa

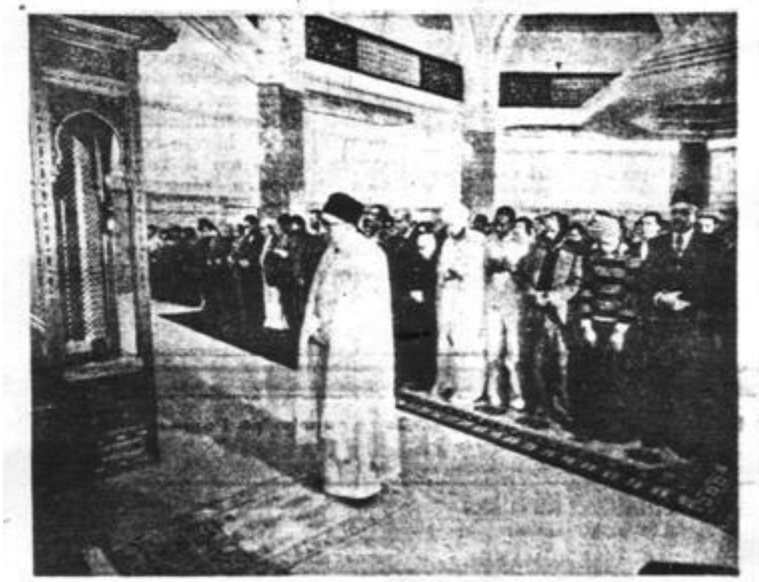

Mahmoud Bouzouzou,
imam de Genève

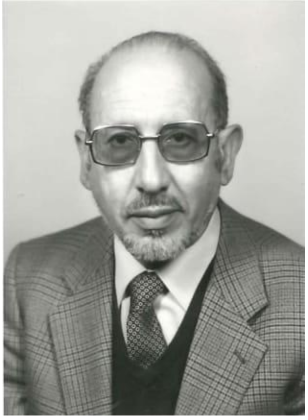

جنيف

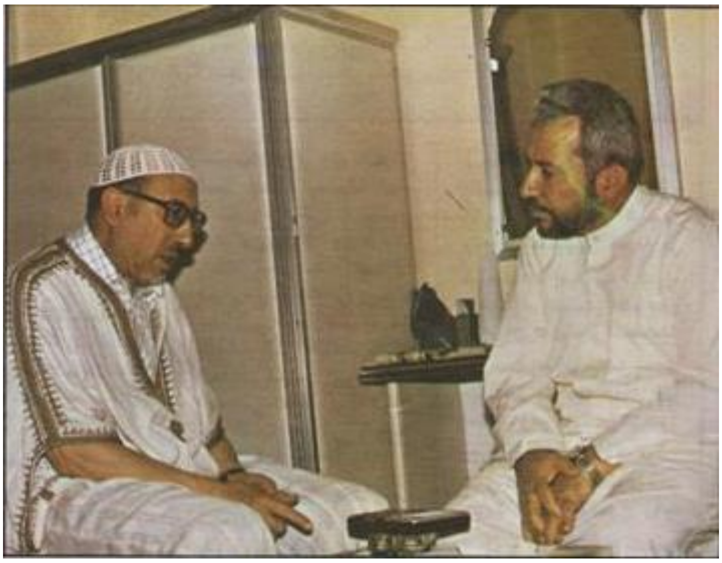

الجزء الخامس: المقالات التي نُشرت في جريدة المنار

النسخة الأصلية متوفّرة على الرابط:
https://archive.org/download/Manar_DZ/Manar_DZ.pdf

المناروأهدافه

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الأولى، العدد الأوّل،
الجمعة 21 جمادى الثانية 1370، 29 مارس 1951

أيها القارئ الكريم،

كانت في النفس أمنية قديمة ترمي إلى خدمة الرأي العام الجزائري في نطاق واسع، ولكن حالت دون تحقيقها حوائل صرفت الهمة إلى خدمة الأمة في ميدان خاص.

و كانت هذه الأمنية تحوم حول إصدار مجلة تشمل جميع ميادين الحياة الجزائرية. بحيث يجد فيها العالم ما يزيده إيمانا بالحقائق العلمية، والسياسي ما ينبه حاسته السياسية، والأديب ما يذكي قريحته، والشاعر ما يلهم عبقريته، والفنان ما يشجعه، والتلميذ ما يزيده شغفا بالدرس، والمرأة ما يقوي شعورها بمسؤوليتها، والمتدين ما ينعش روحانيته، والشاب ما يزيد همته علوا.

وما زالت الأمنية تلح في البروز للوجود حتى يسر الله تحقيقها. وها هي اليوم تبرز في ثوب جريدة، ريثما تتيسر الأسباب للمجلة المرجوة.

وقد سميتها "المنار" تفاؤلا ورجاء أن يؤتيها الله نورا من لدنه تنقشع به الظلمات الحالكة التي تخيم على أمتنا في جميع الميادين. وسيرسل "المنار" أشعته تطارد الظلام أينما حل، وتنير السبل للمارين، أنى كانت وجهتهم، السياسة أو الثقافة أو الدين أو الحرية.

فالمنار جريدة سياسية، ثقافية، دينية، حرّة.

المنار جريدة سياسية، وللسياسة رسالة وهي السير بالمجتمع إلى إقامة أسمى نظام يكفل لجميع أفراده، ذكورًا وإناثًا، الأمن والهناء وحفظ الكرامة، ونمو المواهب بحرية تامة والعمل في ظل الطمأنينة.

المنار جريدة ثقافية، وللثقافة رسالة وهي السير بالفكر البشري إلى إدراك حقائق الأشياء والأحياء واستغلالها لفائدة الإنسان.

المنار جريدة دينية، وللدين رسالة وهي السير بالبشرية إلى تحقيق معاني الرحمة والحب وتسخير الحقائق الأرضية للحقائق السماوية.

المنار جريدة حرة، وللحرية معنى كثر مدّعيه وقلّ واعيه. وهو عدم التقيد بإرادة أحد، وعدم الخضوع لجبروت أحد، والسير بالاختيار المطلق مع الوقوف عند حدود حرمة الغير.

المنار يرى أن رسالة الصحافة هي خدمة الحق وتنوير الأفكار وإنعاش الضمائر ورفع مستواها وتوجيهها إلى الخير.

في الميدان السياسي يعمل المنار في سبيل ما يسمونه "حق الشعوب في تولي شؤونها بنفسها "وهو تعبير اصطلحت عليه جميع الأمم، واعترفت بمضمونه الدول، وأمضت على اعترافها هذا وثائق عديدة. ومما ينبغي ملاحظته هو استعمال الصحافة الديمقراطية الجزائرية عبارة "استقلال حقيقي" و"ديمقراطية حقة" وهذا يدل ضمنا على وجود استقلال وهمي وديمقراطية خيالية فالمنار يرى أن الاستقلال طبيعي للأمم ويرى أن الاستقلال الحقيقي هو تمتع الأمة بالحق التام في تقرير مصيرها وذلك بسلامتها من كل قيد شرقيا كان أو غربيا، شماليا أو جنوبيا. ويرى أن الديمقراطية الحقة هي تحقيق المساواة في الحقوق والواجبات بين سائر أفراد الأمة، واحترام الحريات الأساسية والقيم الروحية، وإفساح المجال لنمو المواهب الفردية، وتقدير الكفاءات، من غير فرض طبقة على طبقة.

و المنار يؤكد – استنادًا على الحقائق الجغرافية، والتاريخية، والجنسية – أن الجزائر جزء لا يتجزأ من المغرب الذي هو جزء طبيعي من العالم العربي والإسلامي.

ولذا يجاوز الوطنية الإقليمية إلى الوطنية العربية والإسلامية العامة. ولذا يدعو إلى توحيد السياسة المغربية توحيدًا متينًا في الأهداف والوسائل. وبناءً على هذا فمن الطبيعي أن يهتم المنار بالسياسة المغربية خاصة، والسياسة العربية والإسلامية عامة. وهي لا تخلو من التأثر بالسياسة العالمية والتأثير فيها. فإن النزاع القائم بين الكتلتين العظيمتين اللتين تتنازعان سيادة العالم له الأثر البالغ في سائر الأمم الكبيرة والصغيرة، الحرة والمستعمرة، وفي مقدمتها الأمم العربية والإسلامية التي وضعتها الأقدار في مواقع إستراتيجية هامة، ولها قوة اقتصادية لا يستهان بها. ولذا أصبح لزامًا علينا أن نهتم بما يجري في العالم من الحوادث.

والعالم اليوم يستعد لأحداث جسيمة قد يكون وطننا أول مسرح لها نظرًا لموقعه الجغرافي، ومن الحزم أن نفكر تفكيرًا جديًا فيما نتوقعه من الأحداث وفيما يدبره المدبرون الذين نراهم يعقدون اجتماعات متعددة، باسم الحلف الأطلسي وغيره.

وإننا حين نرى ممثلي الاستعمار الفرنسي في أقطار المغرب الثلاثة يعقدون اجتماعات لتوحيد السياسة والعمل، يتبادر إلى ذهننا – طبعًا – التساؤل عن رد الفعل من جانب الحركات القومية التحررية في المغرب، فنرى أن الفطرة السليمة تقضي طبعًا بتوحيد السياسة والعمل في صفوف الحركات المغربية. ولا يتأتى ذلك، طبعًا، إلا بتوحيد السياسة والعمل في كل قطر.

وحين نرى ما تلاقيه القضية المغربية من العطف لدى الأمم الشرقية العربية والإسلامية وغيرها من الشعوب المتحررة من الاستعمار الأوروبي، وما أبدته الجامعة العربية والمؤتمر الإسلامي العالمي من الاهتمام بالمغرب، وما يقوم به مؤتمر الشعوب ضد الاستعمار من الدعوة إلى تحرير المغرب – يحق لنا أن نتفاءل خيرًا كثيرًا ونزداد يقينًا بوجوب توحيد سياستنا حتى نكون جبهة واحدة تهدف إلى غاية واحدة بوسائل متحدة.

وفي الميدان الثقافي يعمل المنار في سبيل إحياء التراث الفكري المغربي واستثارة كنوز الثقافة المغربية. ويدعو إلى ثقافة عصرية مشربة بالروح التقدمية. وذلك بنقل كل صالح من الشرق والغرب في القديم والحديث فليس كل القديم باليًا فاسدًا، وليس كل الحديث رائقًا صالحًا. ويدعو إلى الابتكار حتى يكون لنا إنتاج فكري جدير بالتقدير والاعتبار.

والثقافة الحقة عامل من عوامل التفاهم والتقارب والتسالم. لأنها تسمو بالفكر عن

الاعتبارات الصادرة عن الغرائز العمياء والأغراض السافلة. وترفع الإنسان إلى الاعتبارات الإنسانية العليا وبناء الحكم على الأشياء والأحياء حسب مقاييس صحيحة معقولة. وتوجه السلوك البشري إلى ساحل النجاة.

وفي الميدان الديني يعمل المنار في سبيل نشر التعاليم الإسلامية الخالصة وبيان الإسلام على وجهه الصحيح نقيا من كل ما ألصق به إفكًا وزورًا أو نسب إليه جهلًا وغرورًا. ويحارب الجحود كما يحارب الجمود. فويح العاقل الذي لا دين له وويح المتدين الطي لا عقل له!

فالإسلام قوة روحية تبعث على النشاط والعمل والإنتاج. فهو عامل من عوامل السمو الروحي والتقدم المادي. يعترف بحقوق العقل وبحقوق القلب فيوفق بين الفكر والعاطفة، وبهذا كان عاملًا من عوامل التوازن النفسي والتوازن العالمي. فهو يدعو إلى بناء الحياة على التفكير مع اعتبار القيم الروحية والحقائق المادية في دائرة حسن المعاملة واحترام الكرامة الإنسانية والتعاون على البر والتقوى.

ونكتفي من الآيات الجامعة لهذا المعنى بهذه "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا. وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد في الأرض، إن الله لا يحب المفسدين".

المنار يحترم حرية الفكر ويعتبرها حقًا مقدسًا لكل إنسان. ولذا يفتح منبرًا حرًا ينشر فيه النقد النزيه. وهو يدعو إلى تقديس المبادئ، ولا اعتبار لديه للأشخاص إلا بقدر وقوفهم عند المبادئ. ولا يتحيز إلا للحق، ويتوخى الإنصاف أمام الهيآت الجزائرية مع الدعوة إلى توحيد الأهداف ووسائل العمل. وشعاره في ذلك "غاية شريفة ووسائل شريفة" فهو ينبذ الماكيافلية القائلة بأن الغاية تبرر الوسيلة. وينبذ القاعدة التعصبية القائلة "من ليس معي فهو ضدي" ولذلك يحث على كثرة المؤسسات القومية ليتدرب الشباب على تدبير الشؤون وتحمل المسؤوليات.

وواجب الحركات التقدمية أن تشجع كل مشروع مستقل عنها في أي ميدان كان إذا ثبت صلاحه للأمة وتحقق الإخلاص والكفاءة في صاحبه. أما الفكرة القائلة "لا أؤيد من المشاريع إلا ما كان تحت تصرفي" فإنها صادرة عن تعصب عظيم الخطر نرجو لأمتنا

السلامة منه، لأن الفكرة الاستحواذية تقتل الطموح ونحن في حاجة إلى كثرة الطامحين للمعالي.

يعمل المنار في جميع الميادين المذكورة بالطريقة الموضوعية وذلك بعرض المسائل عرضًا مجردًا من كل غرض وهوى، وفتح أبحاث ودراسات، وبسط المشكلات المتعلقة بكل ميدان بسطًا واضحًا والبحث عن الحلول المعقولة بحثًا واسعًا.

وقد بذل عندنا المخلصون ولا يزالون يبذلون في هذه الميادين جهودًا مشكورة إن لم يكتب لها النجاح التام فقد أثمرت هذا الوعي القومي الذي يبعث على التفاؤل. وما المنار إلا ثمرة من ثمرات هذه الجهود مع توفيق من الله. وليس هو شيئًا مبتكرًا، بل هو صدى من أصداء الجهود المبذولة في سبيل القضايا العادلة، وهي جهود لا تنتهي فوق هذه الأرض ما دام في روح الإنسان قبس من نور الله يقوي تعلقها بالعدل الإلهي.

الإنتاج الفكري ونظام الحكم

محمود بوزوزو

جريدة المنار، صدر المقال في ثلاثة أجزاء في الأعداد الآتية:
السنة الأولى، العدد الأوّل، الجمعة 21 جمادى الثانية 1370، 29 مارس 1951
السنة الأولى، العدد الثاني، الجمعة 13 رجب 1370، 20 أبريل 1951
السنة الأولى، العدد الثالث، الجمعة 27 رجب 1370، 4 ماي 1951

من الحقائق البديهية أن الإنتاج الفكري دليل على وجود حقائق روحية إلى جانب الحقائق المادية. والإنسان وحده هو الذي امتاز على سائر المخلوقات الحية بهذه الحقائق الروحية. وبها تفرد بالعظمة فوق الأرض وكان سيد الكون. وهذه الحقائق الروحية عالم خاص يقابل العالم المادي ويناقضه وإن كان العالمان كلاهما مجتمعين في الذات الواحدة إذ أن الإنسان جسم وروح. وكما أن الجسم يحس بالحاجة الملحة إلى ما يغذيه ويمده بالقوة فإن الروح تحس بالحاجة الملحة إلى ما يغذيها ويمدها بالقوة. وكما أن حاجة الجسم تسد بما هو من جنسه من المواد الملموسة المحسوسة كالمطعم والملبس والمشرب فإن حاجة الروح تسد بما هو من جنسها من غير المادة كالأفكار والعواطف.

وللحاجة الروحية من القوة ما للحاجة المادية وإن كانت المظاهر المادية في الوجود أغلب من المظاهر الروحية. ومما تنبغي ملاحظته هو أن الحاجة المادية محدودة يمكن سدها بأقل شيء بينما الحاجة الروحية لا تقف عند حد. فإنه يمكن سد حاجة الجسم بالخبز والماء ولباس بسيط يقي الجسم الحر والبرد. ولا يمكن سد حادة الروح بالشعر وحده أو الفلسفة وحدها أو علم واحد من العلوم التي وصل إليها الفكر البشري. وقد يوهم تنوع الإنتاج المادي والتفنن فيه بكثرة الحاجات المادية وتنوعها، وليس الأمر كذلك في الحقيقة. لأن التنويع والتفنن من آثار الذوق، والذوق من متعلقات الروح. أما تنوع الإنتاج الفكري والتفنن فيه فهو من الضروريات، لأنه يلبي رغبة في النفس لا نهاية لها، وهي قائمة على حب الاستطلاع والتطلع إلى البحث والفهم والإدراك لحقائق الأشياء والأحياء المحسوس منها وغير المحسوس. كما أن هذا التنوع طبيعي لأنه تعبير عما في نفس الإنسان من أنواع

العواطف والأفكار والخواطر والأخيلة التي لا تشابه بينها ولا يقوم بعضها مقام البعض الآخر، والتي هي طبيعة في النفس الإنسانية مركبة فيها لا يمكن إنكارها والقضاء عليها من غير أن يترك ذلك فراغًا وإحساسًا بالنقص. وبعبارة أوجز قد يقوم الخبز والماء مقام سائر الأطعمة المتنوعة في سد حاجة الجسم. ولا يقوم فن من الفنون أو علم من العلوم مقام الفنون والعلوم الأخرى في سد حاجة الفكر.

فالإنتاج الفكري إذن يسد حاجة في النفس قائمة كما يسد الإنتاج المادي حاجة في النفس قائمة. ولما كانت هذه الحاجة الفكرية طبيعية ملازمة كان الإقبال على الإنتاج الفكري طبيعيًا مستمرًا. وهذا ظاهر في تهالك الناس على منتوجات الفكر البشري خلال العصور.

ولولا إلحاح الحاجة الفكرية لما كانت هذه المكاتب العظيمة التي نعرفها اليوم والتي يحدثنا عنها التاريخ، ولما كانت هذه المؤلفات الضخمة التي أنفق فيها أصحابها عمرًا نفيسًا، وتكبدوا مشاق عظيمة في البحث والتنقيب والترتيب والتفكير والتأليف، ولما كان ذكر للمفكرين والمنتجين في ميادين الثقافة، ولما ألفت الأسفار في تراجم العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء والفلاسفة والحكماء، ولما كانت الأمم تعتز بتراثها الفكري وتعده في الصف الأول من مفاخرها، ولما أقامت الذكريات والتماثيل لكبار المفكرين من أبنائها ووضعت أسماءهم لشوارعها ومعاهدها العلمية. وكفاه شرفًا أنه عنوان التقدّم وأساس التمدّن وسبب للتفاخر بين الأمم.

ثم إن الإنتاج الفكري يختلف قوة وضعفًا باختلاف أحوال الأمم. فهو سائر حسب نظام الحكم والأحوال السياسية. فإن كان نظام الحكم مؤيدًا للإنتاج الفكري مشجعًا عليه حريصًا على تنميته نما وترعرع. ولا يكون ذلك إلا باحترام حرية التفكير والتعبير، وحرية النقد النزيه وقبوله ولو كان موجهًا إلى نظام الحكم نفسه. ولا حاجة إلى ذكر وجوب نشر التعليم وتعميمه، والإجبار عليه، وتشريك جميع طبقات الشعب فيه من الأغنياء والفقراء ومن الذكور والإناث. فما من أمة عمّ التعليم فيها وكفلت فيها الحرية المطلقة في التفكير والتعبير إلا وازدهر الإنتاج الفكري فيها وتنوّع وقوي. أما إذا كان نظام الحكم نظامًا استبداديًا يفرض على الرعية أسلوبًا واحدًا في التفكير ولا يقبل غيره ويحرم المفكرين حرية الفكر وحرية التعبير وحرية النقد فإنه لا يمكن أن يقوى فيه الإنتاج الفكري، ولا أن يتنوع، وإنما يظهر فيه إنتاج مصطبغ بصبغة خاصة كأنه صيغ في قالب واحد. فإن ألمانيا

التي كانت أعظم الأمم إنتاجًا في الميدان الفكري قد ضعف إنتاجها واصطبغ بصبغة واحدة في عهد النازية. ولا حاجة إلى ذكر فشوّ الجهل وإهمال التعليم أو تخصيص طبقة واحدة به لا يكون من عوامل قوة الإنتاج بل يكون بعكس ذلك عاملًا من عوامل الضعف. وما من نظام في الحكم يرضى بالجهل أو يعمل على نشر الجهالة إلا وكان الإنتاج فيه معدومًا، وبقي الفكر البشري فيه في عهد الطفولة. ولنا في ذلك دليل ساطع في الأمم المستعمرة. فإن النظام الاستعماري الأروبوي من أكبر العوامل على تأخر البشرية وتقهقرها في الميدان الفكري، ولا يمكن أن يكون فيه إنتاج فكري جدير بالذكر وذلك لأن الاستعمار الأروبي قائم على تغليب الحقائق المادية على الحقائق الروحية، بل إنه يقتل الحقائق الروحية ويقضي عليها القضاء المبرم لأنه يتنافى وإياها، ولا يمكن أن يجتمع بها ويأتلف معها. فهو قائم على الاغتصاب والنهب والسلب، والاستغلال للأرض المغصوبة ومن فيها من بشر. فهو لا يرى الإنسان المستعمَر إلا آلة مسخرة له يستخدمها لمصالح مادية لا أكثر ولا أقل. فمن مصلحته أن يبقى المستعمَر جاهلًا غير مفكر لأن في الثقافة نباهة وعزة. والمستعمر نفسه لا يستطيع أن يؤمن بالحقائق الروحية ولا أن يلتفت إلى الإنتاج الفكري لأن كل مواهبه مصروفة إلى الانتفاع المادي. فالنظام الاستعماري الأروبي شرّ على الإنتاج الفكري. وهو شرّ على المعمر والمستعمر معًا. ولهذا لم ينبغ في المستعمرات رجال في أي فن من فنون الإنتاج الفكري، وهذه حقيقة صادقة في المستعمر والمستعمر. وأعظم من ذلك شرًا أنه يقضي على المدنيات إذا تسلط على شعوب ذات مدنية. فيقضي على لغتها، ويدفن تراثها الفكري، ويسعى في قطع الصلة بينها وبين ماضيها المجيد، والحيلولة بينها وبين المستقبل السعيد، وهذا ما نلاحظه في النظام الاستعماري القائم عندنا في الجزائر. فمنذ ما يزيد عن قرن من قيام النظام الاستعماري في الجزائر لم يبرز فرد واحد ولم يظهر عبقري واحد في فن من فنون الثقافة سواء عند المستعمَر أو المستعمِر: أما المستعمَر فلأنه لا يقاسي سياسة التجهيل والتفقير التي ترمي إلى القضاء على المواهب الخلاقة المنتجة فيه. فإذا تيقظ ضميره، وأحس بقيمته، وشعر بكرامته، صرف همه إلى التحرر من القيود، وعدل عن الإنتاج الفكري، وإذا ما أنتج شيئًا كان إنتاجه في دائرة محدودة تدور حول الحرية والعبودية بتمجيد الأولى وذم الثانية. ومن أراد أن يعرف مثلًا لذلك فعليه أن يفتح مثلًا كتاب شعراء الجزائر فلا يجد في الجزأين إلا شعرًا يتغنى بالحرية، ويسخط على العبودية، ويستنهض الهمم إلى طلب المعالي، ويستعرض أسباب التقهقر، ويحث على الأخذ بأسباب التقدم. ولا يمكن أن يكون الإنتاج الفكري عند المستعمر إلا على هذا النمط.

وأما المستعمِر فلأن كل وجهته منصرفة إلى الاستغلال المادي. وهذا واضح في كون

الاستعمار الأوروبي غير قائم على رسالة تمدينية كما يزعمه البعض. ولكن بعكس ذلك يقضي على المدنية في سبيل المنفعة المادية، ويقضي على الحقائق الروحية بإحياء الحقائق المادية.

ولا يمكن أن نقارن بالاستعمار الأوروبي الفتح الإسلامي فإنه كان بحق قائمًا على رسالة تمدينية. ولم يرو لنا التاريخ أن المسلمين الفاتحين استأثروا بخيرات البلاد التي فتحوها، أو صرفوا همتهم إلى الاستغلال المادي. بل بعكس ذلك كانوا يمرون بالكنوز محتقرين آنفين من أن تستهويهم، وهم لا يرون سعادة أكبر من رضى الله. فقد كانت فتوحاتهم فتوحات تحريرية، حررت البشرية من النظم الاستبدادية، وأقرت النظام الديمقراطي، ورفعت من قيمة الإنسان، ومجدت الفكر البشري، وكانت سببًا في ترعرعه وخروجه من الخرافات والأوهام إلى الحرية المطلقة والإنتاج المثمر. والنظام الإسلامي قائم على المساواة بين الأفراد فلا فضل لفرد على فرد إلا بالتقوى. ولا تقوى حقيقية بدون معرفة. فلا احتقار، ولا استغلال ولا عنصرية، ولا عصبية، ولا جهالة.

والنظام الإسلامي قائم من جهة أخرى على العلم وتعميمه على سائر الأفراد ذكورًا وإناثًا وجعله "فريضة على كل مسلم ومسلمة ". والنظام الإسلامي في حرصه على العلم يحترم المدنيات، ولا يقضي عليها، بل يستثمرها ويستغلها ويحفظ لها جمالها ورونقها ويزيدها جمالًا ورونقًا. وما روى لنا التاريخ أن المسلمين هدموا آثار المدنيات أو العلوم أو المعارف التي اتصلوا بها. وإنما هضموها واستثمروها وحفظوها للبشرية. وما يزعمه بعض أعداء الإسلام من كون المسلمين أحرقوا مكتبة الإسكندرية مثلًا فإنه كذب وزور وبهتان بشهادة المؤرخين المنصفين مثل المؤرخ الفرنسي روني قروسى (René Grousset) الذي ذكر سبب إحراقها في كتابه "تقويم التاريخ" (Bilan de l'Histoire) وأثبت براءة المسلمين من هذه الجريمة الفظيعة، وما من وطن حلوا به إلا وكانوا عاملين على نشر العلوم والمعارف، وتنمية الإنتاج الفكري فيه. هذه شهادة التاريخ للفتوحات الإسلامية التي كانت بخلاف الاستعمار الأوروبي عاملًا من عوامل نشر الثقافة وازدهار الأفكار وتقدم الفكر البشري. وباختصار كان الفتح الإسلامي قائمًا على تغليب الحقائق الروحية بينما الاستعمار الأوروبي قائم على تغليب الحقائق المادية. ولا يخفى عن الناظر البسيط كيف تكون حالة الإنتاج الفكري في ظل كل منهما.

ومن بين الأمم التي عرفت الفتح الإسلامي والاستعمار الأوربي الأمة الجزائرية. فإذا نحن استعرضنا الإنتاج الفكري في الجزائر خلال العصور أمكننا أن نعرف أسباب قوته

وضعفه والعوامل الداخلية والخارجية في ترعرعه واضمحلاله. ولك أن تجهد في هذا الاستعراض وأن تبحث عن إنتاج جزائري خالص فلن تجد قبل الفتح الإسلامي شيئًا يذكر إلا إن عددت غستينيوس القديس (Saint-Augustin) من المنتجين الكبار. ولم يحفظ لنا التاريخ معه ذكر أحد يوازيه. وقد ترعرعت الفنون في عهد يوبا ملك قيصرية (شرشال) لكونه أديبًا يحب الفن والأدب ولكن لم تحفظ لنا آثار مكتوبة في أي فن من الفنون الثقافية وما حفظ لنا إلا الآثار الحجرية من التماثيل المنحوتة التي تدل على أن الجزائري إنسان ذو مواهب جليلة يمكن أن تنتج العجب العجاب إذا وجدت تشجيعًا وتمييزًا. ويرجع السبب في عدم الإنتاج الفكري فيما قبل انتشار الإسلام في الجزائر إلى أن النظام الاستعماري الذي كان سائدًا لم يكن يشجع على الانتاج الفكري. بل بعكس ذلك كان قائمًا على الاستغلال المادي. كما أن الجزائريين المستعبدين لم يكونوا يعيشون عيشة استقرار ذهني بل كانوا ساخطين على حالة العبودية ناقمين على الاستعمار اللاتيني يبحثون عن وسائل التخلص منه. وحالة كهذه لا يمكن معها إنتاج فكري قوي. وذلك لانصراف الفكر إلى طلب الاستقرار والهناء اللذين بدونهما لا تكون ثقافة ولا مدنية. وما علينا إلا أن ننظر اليوم إلى حالة الأمة الجزائرية فإنه لا يمكنها أن تنتج في الميدان الفكري شيئًا يذكر لأنها في كفاح مستمر ضد الاستعمار، ولأن أنظارها منصرفة إلى التحرر من العبودية واسترجاع الحرية والسيادة حتى يمكنها أن تتقدم في سائر الميادين. إذن لقد كان تفكير الشعب الجزائري قبل الإسلام متجهًا نحو التحرر من أغلال الاستعمار اللاتيني وإزالة الفوارق العنصرية والقضاء على نزعة التفوق الجنسي التي امتاز بها المستعمرون في كل عصر ومصر وإقرار نظام يكفل حرية التفكير والتعبير ويحفظ الكرامة الإنسانية. ولم يمكن أن يظهر الإنتاج الفكري بغزارة إلا في العهد الإسلامي الذي كان رحمة على الجزائر كما كان رحمة على كل أمة ساد فيها.

جاء النظام الإسلامي إلى الجزائر وفي إحدى يديه منار العدالة الاجتماعية والأخوة الإنسانية وإزالة الفوارق الجنسية والنزعات العنصرية وفي يده الأخرى منار العلم والعرفان والبر والإحسان.

جاء النظام الإسلامي حاملًا معه الحقائق الروحية مرفوعة فارتفعت الأرواح وانفتحت العقول وانبثقت الأفكار فظهرت نعمة الله على الشعب الجزائري في إنتاج فكري خصب يشمل جميع نواحي الحياة الدنيوية والأخروية. فنبغ علماء أعلام وأدباء عظام ومفكرون كبار وشعراء فطاحل وفلاسفة حكماء مستقين المدد من الحكمة الإسلامية والفلسفة القرآنية

والتفكير الإسلامي الحافز إلى التطلع للبحث واستقصاء الفهم لحقائق الأشياء والأحياء وما وراء الأشياء والأحياء. وأطلق عنان الفكر الجزائري وأمكن للعبقرية الجزائرية أن تظهر إلى جانب العبقرية الأندلسية المجاورة لها مقابلة بأنوارها في المغرب أنوار العبقرية العربية في المشرق. وظهر الإنتاج الفكري العربي كالمحيط العظيم يحمل في جوفه الجواهر والدرر يمتد من الجزيرة العربية إلى السواحل الأروبية.

وقد كان ملوك الإسلام يشاركون في الثقافة، ويقربون أهلها ويشجعونهم على البحث والإنتاج، ويبذلون في سبيل ذلك الأموال الطائلة، وكان منهم من شارك في الإنتاج الثقافي مشاركة كبيرة. فتقدمت رعاياهم تقدمًا كبيرًا.

وكان غيرهم من الملوك يسيرون بخلاف ذلك. فتأخرت رعاياهم تأخرًا كبيرًا وتعطلت عن التقدم والمدنية حتى أن أحد المفكرين الفرنسيين الأجانب عن الإسلام وهو (أناتول فرانس) أعلن أسفه على عدم امتداد سلطان المسلمين إلى فرنسا كلها قائلا إن أكبر غلطة تاريخية كانت في صد المسلمين أمام مدينة بواتيي ولو أنهم تقدموا إلى الأمام لتقدمت المدنية في أروبا بقرون.

ومن أراد أن يعرف مدى اهتمام نظام الحكم بالإنتاج الفكري في العصر الحديث فما عليه إلا أن ينظر في جداول ميزانية الحكومة ويبحث عن الحصة المخصصة لمصلحة التربية والتعليم ويدرس الميزانية بالنظر إلى حالة الأمة وما يسد حاجاتها الفكرية. وعليه أن ينظر كذلك إلى ما يسمح به القانون من الحرية في التفكير والتعبير والنشر وتشكيل الهيآت والمنظمات الثقافية المستقلة عن الإدارة ومدها بالمساعدة المالية أو الكف عن عرقلة سيرها في طريق التقدم. ونعني بهذه المنظمات التعليم الحر والجمعيات الثقافية، والمؤسسات التمثيلية والفنية، والحركات التهذيبية للأطفال والشبان والكهول، وجمعيات التأليف وغيرها مما له علاقة بالحياة الفكرية. ويدخل في هذا الميدان العناية بعلاج الأمراض العقلية. وينظر من جهة أخرى إلى مدى احترام النشاط الفكري في الميدان السياسي كحرية الصحافة، وحرية الخطابة، وحرية الاجتماعات وحرية التجول في أنحاء البلاد، وترك اتصال قادة الأحزاب بالشعب، وحرية الانتخاب، وحرية النقاش بين الشعب ونوابه، وحرية المحاسبة بين الشعب ونوابه، وبين النواب والحكومة، وحرية الدعاية والنشر.

فإذا كانت ميزانية الدولة تخصص منها حصة كافية لسد حاجة الشعب الفكرية وكان

القانون يسمح بحرية التفكير والتعبير والنشر، ويشجع الحركات الثقافية المستقلة ولا يعرقل سيرها، ويحترم حرية الفكر في الميدان السياسي ولا يعطل النشاط الفكري، فالتفاؤل بوفرة الإنتاج مأمول. والعكس بالعكس.

ومما لا ينبغي التغافل عنه هو إنه إذا كانت مسؤولية نظام الحكم عن ضعف الإنتاج الفكري عظيمة فإن التبعة لا تلقى على عاتقه وحده. بل يقاسمه فيها أرباب الفكر الذين يتقاعدون عن إعلان حقوق الفكر وعن المطالبة باحترامها، لعدم الشجاعة الأدبية فيهم، أو لطمع مادي لدى النظام القائم، أو لمسايرة الأحوال الجارية فرارًا من التهديدات وخوفًا مما ينجر عن مصادمة الحكم من العقوبات. وقد شوهد هذا الضعف المعنوي عند مفكرين كبار وفلاسفة عظام كانت مواقفهم حجة متوارثة لمن خلفهم من المفكرين الخائفين من مصادمة نظام الحكم. وقد ذكر الكاتب الألماني الشهير إميل لودويج (Emile Ludwig) أمثلة منهم في كتابه "فتح ألمانيا المعنوي" (La Conquête morale de l'Allemagne) في لهجة لا تخلو من سخرية لاذعة لا أزال أتذكر منهم لوثر (Luther) الذي لم يجرؤ على مصادمة الوضع القائم (وبينه وبين الشيخ محمد عبده شبه كبير) وكانت (Kant) الذي أحجم أمام تهديد الملك في نشر أفكاره لتلاميذه فلم يجرؤ على المقاومة وأودع آراءه كتابًا عثر عليه تلاميذه بعد موته. وذكر إميل لودويج أمثلة من الإهانات التي لقيها كبار الموسيقيين الألمان من طرف رجال الحكم فتحملوها صابرين إلا بتهوفن (Bethoven) الذي دافع عن كرامته.

وشوهد من جهة أخرى موقف معاكس لهذا يتمثل في جراءة من صرحوا بآرائهم غير هيابين من التعرض لغضب الحكام وصدمة عقائد العوام أمثال دانتي في إيطاليا، وفولتير في فرنسا، وكارلين في انكلترا، ولينين في روسيا. وإن مثل هذا الموقف يحتاج إلى شجاعة نادرة وروح تضحية قوية نظرًا لما فيه من الخطورة وما يترتب عليه من العواقب التي قد تودي بحياة صاحبه. ومن هنا يدرك معنى الحديث النبوي الشريف "أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر". فإذا خضع أرباب الفكر لأوامر السيف فلا رجاء للنهضة الفكرية.

وكذلك إذا سرى داء التخاذل بين أهل الفكر بأن رضخ معظمهم إلى الظلم وتركوا إخوانهم المصارحين بحقوق الفكر ووجوب احترام حريته يقاسون المظالم، وهم يعلمون أنهم برضوخهم صاروا حجة للظالمين الذين يجدون في صمت ذوي الضمائر الضعيفة مبررًا للعدوان على ذوي الضمائر القوية. فيشددون الخناق على حرية الفكر ويحاولون القضاء

على بذور الإنتاج الصحيح التي تستقي من منهل الحق. وأعظم خطرًا من داء التخاذل داء التحاسد، فإنه يدفع إلى الكيد وغمط الحق وإلى أكثر من ذلك. والمطلعون يعرفون ما لقيه بعض العباقرة البارزين أمثال ابن سينا في الشرق، ولسان الدين ابن الخطيب في الغرب من مكايد الحساد. وقد تبلغ بهؤلاء القسوة إلى إحراق تآليف محسودهم وتمني هلاكه، والسعي في إعدامه.

وقد شرح الدكتور الروسي الشهير سرج فورونوف (Dr Serge Voronoff) في كتابه "من الأبله إلى العبقري" أنواع المحاربة الناشئة عن الحسد الذي يصطدم به العباقرة وذكر مراتبها، فهي تبتدئ بمرحلة "مؤامرة الصمت" بأن يتفق الحساد – عرضًا – على وضع ستار من الصمت حول مزايا العبقري المعاصر لهم ويحاولون إخفاء عظمته، فإذا ما خرق هذا الستار وظهرت المزايا المخفية لجأوا إلى سلاح آخر وهو الثلب والطعن والتنقيص. ثم يستغلون حسن سمعتهم لدى العامة أو نفوذهم لدى الحكومة للقضاء عليه. وقد يؤازرهم في ذلك طبقة أشباه العوام الذين أورد الدكتور فورونوف في شأنهم حكاية الفيل الذي جيء به إلى إحدى عواصم الهند لأوّل مرة فانصرفت الأنظار إليه فاغتاظت الكلاب وقامت تنبح وتعضّ أرجل الفيل كي تصرف عنه الأنظار إليها... وهكذا يؤدي تحاسد المفكرين إلى محاولة خنق الإنتاج الفكري، كما يؤدي تخاذلهم إلى فتح الباب لهضم حقوق الفكر من الحكام ومن العوام. وضحايا هذه المكايد كثيرون منذ بزوغ أنوار العبقرية إلى يومنا هذا. وكثيرًا ما يلاقي العباقرة من معاصريهم لا سيما ذوي مهنتهم شدة المنافسة والإجحاف، ولكن يجدون بعد ذلك عند محكمة التاريخ ما يستحقونه من إنصاف. والشواهد كثيرة في كل زمان ومكان. ومن هذا تفهم شكوى بعض العظماء من سوء معاملة أهل عصرهم، أو فخرهم عليهم، أو تنويههم بعظمة الفكر وحرمة العلم. وممن شكا الإجحاف ابن حزم الأندلسي القائل:

أنا الشمس في جو العلوم منيرة * ولكن عيبي أن مطلعي الغرب
ولو أنني من جانب الشرق طالع * لجد على ما ضاع من ذكري النهب

وقد حمل القاضي عبد العزيز الجرجاني حملة شديدة على سلوك بعض أهل العلم وطالب بصيانة حقوقه في أبيات مشهورة منها قوله:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه في النفوس لعظما

وإذا ما فشا التخاذل والتحاسد بين أهل الفكر أصبح تعظيم العلم وصيانة حقوق الفكر من الإهانة لدى نظام الحكم الجائر موقفًا نادر الوجود. وذلك لأن الفكر الأعزل الذي لا تعززه قوة مادية تفرض الاحترام وتبعث الهيبة قليل التعرض لمصادمة النظام القائم والأوضاع الجارية. وإذا أحجم الفكر عن مصادمة السيف ضاعت حقوقه. أما إذا وقعت المصادمة وثبت الفكر في وجه السيف فإن النصر في النهاية حليف الفكر، والعبرة بالخواتيم في مثل هذه المعارك وإن كانت الغلبة للسيف في أول الأمر. ولنا على ذلك شواهد في الانقلابات والثورات التي وقعت خلال التاريخ عند أمم عظيمة ذات نظم محكمة، كان السبب فيها مناهضة الفكر لنظام الحكم. ومعظم الثورات التي قلبت نظم الحكم المتوارثة قد حدثت دون أن يشهدها الباعثون عليها من أرباب الفكر الذين وضعوا بذورها فأدركتهم الوفاة قبل أن يحضروا الانقلاب الذي كانوا يرجونه. ومن هنا تستخلص قاعدة تاريخية ثابتة: قد يضطهد الفكر وقد يقتل صاحبه، ولكنه ينتصر لا محالة في وقت من الأوقات. وإلى هذه القاعدة تشير الآية القرآنية الكريمة "يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون". وذلك لأن الفكر قبس من نور الله. ونور الله دائم الإشراق لا تثبت أمامه ظلمات الظلم والعدوان وإن بلغت من الكثافة ملء السماوات والأرض.

فقد فر الحكيم الصيني الشهير كونفوشيوس من وجه الأمير العربيد لو الذي أنكر تعاليمه السامية، ومات الحكيم خائبًا إلا أن تعاليمه انتشرت بعد موته. وصادم سقراط نظام الحكم في عصره فسجن وحكم عليه بشرب السم فمات ولكن تعاليمه انتشرت بعد موته. واصطدمت نظريات أفلاطون في نظام الحكم بكبرياء الأمير دونيس فباعه في سوق الرقيق ومن حسن حظه أن اشتراه تلميذه. مات أفلاطون وبقيت تعاليمه نيرة. وانتحر أرسطو حين ثار الأثينيون ضد حزبه وأفكاره ولكن أفكاره لا تزال إلى يومنا هذه منهلًا عذبًا لرواد الحكمة، كأفكار أفلاطون وسقراط وكونفوشيوس، التي ظلت منارًا يهتدي به السلوك البشري أمدًا مديدًا.

وقد لقي إبراهيم من النمرود، وموسى من فرعون، وعيسى من والي قيصر، ومحمد من كبراء قريش ما لقوا، لكن غابت الأشخاص، وتغيرت نظم الحكم، وبقي الفكر المهضوم منارًا مشرقًا يهدي السارين في ظلمات الحياة إلى ساحل النجاة.

وبعد فإن العلاقة بين الإنتاج الفكري ونظام الحكم وثيقة. فالإنتاج الفكري يترعرع في حضن النظام الذي يمده بأسباب النمو والازدهار، ويضعف تحت قيود العسف والجور. والنفور من تحمل الجور ليس من صفات أهل الفكر فقط، بل هو ملازم للطبع البشري السليم واليكم حكاية: كان الحكيم كونفوشيوس وتلاميذه مارّين بقرب جبل طاي، فسمعوا أنين امرأة، فأرسل الحكيم تلميذًا يسألها عن سبب أنينها في هذا المكان الخالي. فأتاه بجوابها: "إن أبا زوجي قد افترسه نمر، وكذلك زوجي، وكذلك ولدي". فقال الحكيم: "ولما إذن هي ماكثة هنا في هذا المكان الكثير الأخطار؟" فأجابت: "هنا لا أخشى أن يظلمني أحد". فالتفت الحكيم إلى تلاميذه قائلًا: "تذكروا دائمًا هذه الحقيقة: إن الحكومة الجائرة أعظم شرًا من الوحش المفترس".

ولا ننس أن في تضامن أهل الفكر حفظًا لحقوقه، وصدًا للعدوان عنه، وإنماءً لإنتاجه. وذلك يتم برفع منار الفكر فوق أمواج الاعتبارات المذهبية والتعاون بإخلاص على أداء رسالته التحررية.

جبهة قومية واحدة في المغرب الأقصى

محمود بوزوزو

جريدة المنار، السنة الأولى، العدد الثاني،
الجمعة 13 رجب 1370، 20 أفريل 1951

طلعت علينا صحف يوم الأربعاء 4 رجب ببشرى عظيمة أنعشت الآمال الطيبة التي تملأ صدور المخلصين الغيورين على المغرب الحريصين على استقلاله واسترجاع مجده وإحلاله بالمقام المحترم بين الأقطار الحرة. تلك البشرى هي تحقيق ما نتطلع إليه من توحيد السياسة والعمل في كل قطر من أقطار المغرب حتى يتحقق توحيد المغرب كله. لقد تم هذا في المغرب الأقصى باتحاد الأحزاب الوطنية الأربعة: حزب الاستقلال، حزب الشورى والاستقلال، حزب الإصلاح، حزب الوحدة المغربية.

ووقّع قادة الأحزاب المذكورة على ميثاق يحتوي على نقط ثمانية واضحة:

1) تلتزم الأحزاب الموقعة على الميثاق بالكفاح في سبيل الاستقلال الكامل للمغرب ولا يقبل أي حزب انخراط المغرب في الوحدة الفرنسية ويجب أن تحدد علاقات المغرب بفرنسا بواسطة معاهدة جديدة.

2) لا يمكن السعي نحو غاية قبل إعلان الاستقلال.

3) لا مفاوضة قبل إعلان الاستقلال.

4) لا مفاوضة مع السلطة الفرنسية بشأن مسائل ثانوية في نطاق النظام الحالي.

5) كل عمل من شأنه تعزيز أعمال الإقامة العامة المخالفة لمنهاج جلالة سلطان المغرب يعتبر

مخالفًا لنصوص الميثاق.

6) تعاون المغرب مع الجامعة العربية في نطاق نشاطها قبل وبعد الاستقلال يعتبر واجبًا وطنيًا.

7) يلتزم المتوقعون على الميثاق بعدم الاتحاد مع الشيوعيين المغاربة في أي عمل من الأعمال.

8) تعيّن الأحزاب المشاركة في الميثاق لجنة اتصال وتشاور وكل حزب يحتفظ لنفسه بحرية العمل في نطاق التزامات الميثاق.

ويرجع الفضل في تحقيق هذا الاتحاد إلى الظروف والملابسات التي أصبحت فيها قضية المغرب الأقصى خارجة عن صورة نزاع محلي بين الحكومة الفرنسية والقصر الشريف إلى احتلال الصف الأول من المشاكل العالمية. وذلك بفضل اهتزاز الدول العربية والإسلامية الحرة الممثلة في هيأة الأمم المتحدة واحتجاجها أمام الحادث الذي لم يكن يتوقع له الاستعماريون هذا الوقع. فكانت هذه النخوة العربية والإسلامية منعشة لروح المقاومة ومنبهة لقادة الأحزاب وللشعب في المغرب الأقصى أن لهم خارج الحدود التي هم فيها سجناء إخوانا معاضدين في الكفاح من العرب والمسلمين وغيرهم من المتحررين والمستنكرين للاستعمار المطالبين بإلغائه من العالم. والحق أن هذه المعاضدة أنعشت العرب والمسلمين في المغرب قاطبة. فأصبحت الأنظار تتجه إلى الشرق، والثقة فيه تعود إلى النفوس، رغمًا عما يعانيه من المشاكل. ولا شك أن هذه الثقة ستزداد تمكنًا إذا ما أعارت الأمم الغربية أذنًا صاغية للقضايا العادلة التي تعاني الأمم المستضعفة في سبيلها ما تعاني، ونظرت إليهم بعين الإنصاف، وحرصت على إقامة العدل فوق الأرض بتطبيق المواثيق الدولية الموقع عليها بكلمة الشرف. وهل يطالب العرب والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بغير ذلك وهل ينبغي أن نذكر أن من أهم الأسباب الجوهرية للخلافات الحزبية في سائر أقطار المغرب اختلاف الأنظار في اعتبار القضية القومية هل هي مسألة محلية تحلّ بالتفاهم مع الدولة الاستعمارية أم هي مسألة عامة تحلّ أمام محكمة خارجية لا يكون فيها الاستعمار خصمًا وحكمًا في آن واحد. وقد ألغى تطور الزمان الاعتبار الأول بل أصبح الاستعمار في كل بقعة من الأرض محل التهمة والاستنكار. ومن هذا الاعتبار استوحي الاتحاد في المغرب الأقصى. لكن الاستعمار الفرنسي يريد البقاء باستغلال

"الخطر الشيوعي"موهمًا أن زواله إخلاء المكان للشيوعية وزاعمًا أن روح التحرير التي تظهرها الحركات الاستقلالية في المستعمرات الفرنسية تغذيها الشيوعية. وبهذه الدعوى لا تزال إلى يومنا هذا تراق الدماء في الهند الصينية بمساعدة أمريكا. ونفس الدعوى جارية في شأن المغرب. وفي رسالة علال الفاسي لجريدة المصري إشاة أخرى. ولا شك أن هذا بعض السر في النقطة 8 من الميثاق أعلاه. وهل هذا الموقف يحمل روسيا والدول المتشيعة على الامتناع من ضم أصواتهم إلى أصوات المطالبين باستقلال المغرب الأقصى فيما إذا عرض ذلك على هيأة الأمم المتحدة؟ وهل تغضب الحكومة الروسية رعاياها المسلمين؟ ولا ننس أن الإذاعة الروسية نوّهت بنشاط الحركة الاستقلالية بالمغرب الأقصى. كما لا ننس أن أمريكا احتلت مراكز إستراتيجية في المغرب الأقصى دون استشارة المغاربة. فموقف الأحزاب الوطنية هذا لا يدل على انحياز إلى إحدى الكتلتين. ومما لا يرضاه أي منصف توقف رفع قضية أمة لدى هيأة الأمم المتحدة على اشتراط نبذ الشيوعية أو الرأسمالية. فإنه مناف لمبادئ الحرية المتفق عليها. ومهما يكن فإن مجن "الخطر الشيوعي" الذي يتذرع به الاستعمار قد تحطم كما تحطم اعتبار النزاع بين المستعمرة و"أم الوطن" مشكلًا محليًا. ولكن الأمر الذي نستخلصه من سلوك الاستعمار الفرنسي هو أنه لا يفهم تطور التاريخ، ولذلك يحكم على نفسه بالإعدام. غير أن هذا الحكم يكون قريبًا أو بعيدًا بحسب موقف الأمة المستعمرة. وقد دل النظر في ذلك على أنه إذا كان قسم من الأمة يحارب الاستعمار والقسم الآخر يواليه فالخلاص بعيد. وكذلك الأمر إذا اختلفت أساليب التحرير بأن يلجأ قسم إلى المطالبة بإصلاحات معيّنة يتدرج بها إلى الاستقلال الداخلي ثم الاستقلال التام، ويطالب القسم الآخر بإقامة نظام على مبدأ الاستقلال التام. والخلاف هنا قائم على اعتبارين: حسن الظن بالاستعمار، وقدرة الأمة على تكاليف الاستقلال. ومن يطل البحث في المسألة يقع في حلقة مفرغة: لا استقلال بدون "كادر"، ولا "كادر" بدون استقلال. والثاني أرجح في النقطة 3 من الميثاق. ولعل التجربة التونسية غير أجنبية عن وحي هذا الموقف للمترددين بعد ما ظهر عبث الاستعمار بوعوده، وخيبة سياسة الإصلاحات. وقد أدرك هذا قادة الأحزاب بالمغرب الأقصى كل الإدراك فوحّدوا صفوفهم حول ميثاق واضح وأقسموا بالقرآن الكريم أن لا يحيدوا عنه. وأعان على تحقيق هذا الاتحاد المنشود إخواننا رجال بعثة الصحافة المصرية يتقدمهم الشيخ المحترم الأستاذ محمود أبو الفتح، ومبعوث الجامعة العربية الأستاذ صالح أبو رقيق فكانوا واسطة خير بين الأحزاب رائدهم مصلحة العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. وإذا رزق الله الأحزاب وسطاء بصراء مخلصين لا همّ لهم إلا تحرير أمتهم فلا شك أن يوفقهم الله إلى الاتحاد الذي لا يتم إلا بوضع المصلحة العامة فوق كل

اعتبار، والاستماتة في سبيل الحق.

والمنار يهنئ المغرب الأقصى الشقيق بهذا التوفيق ويرجو أن يكون اتحاد كلمته حافزًا للقطرين التونسي والجزائري إلى توحيد الصفوف حتى نكون جبهة مغربية واحدة في سبيل الحرية والاستقلال.

ذكرى وعبرة

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الأولى، العدد الثالث،
الجمعة 27 رجب 1370، 4 ماي 1951

ثارت الحرب العالمية الثانية. ودعي الشعب الجزائري للمشاركة فيها إلى جانب الحلفاء وجرت الدعاية إلى أن هذه الحرب "تحريرية"، وهوّلت خطر "المحور" وأهدافه الاستعبادية ونزعته العنصرية. فجند من جند وتطوع من تطوع من الجزائريين. وخاضوا غمار الحرب كما خاضها إخوانهم التونسيون والمراكشيون في سبيل الدفاع عن حرية البشرية المهددة. وانتهت الحرب بانتصار الجيوش التحريرية. وقد سقط في ميادين القتال من الجزائريين خلق كثير، وسجن عدد عديد، وعاد الباقون من الجرحى والمبتورين والسالمين إلى بيوتهم.

وكان يوم الهدنة يوم 8 ماي 1945 قام فيه العالم "التحريري" يحتفل بتحطيم المحور "الاستعبادي"، مستبشرًا بانتصار القوات "الديمقراطية" على القوات "الديكتاتورية"، وأرسلت أمواج الأثير "البشرى" في طول الدنيا وعرضها أن "قوات الخير" قد انتصرت على "قوات الشر"، فما على البشرية إلا أن تطرب وترقص وتستعد لاستقبال عهد جديد تسود فيه الحرية، وتزول منه العبودية، وينقضي فيه استغلال الإنسان للإنسان، ويذهب الخوف على الأنفس والأموال. فقام الشعب الجزائري يحتفل باستقبال العهد الجديد موقنًا بأنه في جملة الشعوب الموجهة إليهم هذه "البشرى" نظرًا لما قدّمه من التضحيات بجانب الجيوش "التحريرية". وأعلن عن يقينه هذا بإقامة مظاهرات سلمية رافعًا لافتات يعرب فيها عن مطامحه في الحرية والاستقلال، وانقضاء عهد العبودية والاستغلال، وبزوغ عهد ارتفاع كرامة الإنسان. ولكن ما كاد ركب المظاهرات يتحرك حتى فوجئ بحملة عدوانية، فمزقت اللافتات، وديست، وقتل حاملوها، واعتقل عشرات الآلاف من الشبان والكهول والشيوخ ونكل بهم شر تنكيل. وأقيمت مجزرة قتل فيها

خمسة وأربعون ألف جزائري ضحايا الظلم والعدوان، فيهم الشيوخ والعجائز والنساء والصبيان، وخربت الديار، وأتلفت الحقول والمزارع، وانتهكت الحرمات، حتى خيّل للنفوس أن الحرب قد انتقلت من أروبا إلى الجزائر.

وعاد الجنود الجزائريون إلى وطنهم وآثار الحرب لا تزال مساورة لهم، إلا أنهم واثقون بمغادرة دار حرب إلى دار سلم يجدون فيها السلوى والراحة وحسن الجزاء. ولكن سرعان ما خابت ظنونهم حين وجدوا منازل خربة ومزارع متلفة، ورأوا آباءهم وأمهاتهم وأزواجهم جثثًا هامدة وأشلاء مبعثرة.

مَن الجاني؟ فهل مر النازيون من هنا؟ لم يمر النازيون بهذه الربوع، وليس هذا من أثرهم. إنه أثر من لم يكن في الحسبان أن يقدم على هذه الجريمة الشنيعة ويطعن في الصميم أولئك الجنود الذين استهدفوا للنيران لصد الخطر عنه: إنه أثر ممثلي الدولة الفرنسية وفقًا لروح "الرسالة التمدنية". إنه أثر أولئك الذين كانوا يدعوننا في صحفهم وقت الخطر "إخواننا المسلمين" فأراقوا دماءنا وأصبحوا ينعتوننا بعد الخطر في تلك الصحف نفسها بـ "سفاحين، متوحشين"!

وعاشت الجزائر في جو من الرعب لمدة طويلة. ثم انقشعت الغشاوة، وهدأت العاطفة، وتحرك العقل يبحث عن أسباب العدوان، فوجد أمامه مؤامرة محكمة التدبير، واستقصى البحث فاكتشف أن مؤامرة 8 ماي حلقة من سلسلة المؤامرات المدرجة في البرنامج الاستعماري الفرنسي المعد للتطبيق ليس في الجزائر فحسب بل في كل مستعمرة فرنسية بشهادة شخصية رسمية في مجلة "الفكر" (Pensée) إثر حوادث مدغشقر. وظهرت للعيان "سياسة المؤامرات" بعدما كشف النواب الجزائريون الغطاء عن خبايا حوادث 8 ماي في البرلمان الفرنسي، وبعدما أوقفت الحكومة الفرنسية سير لجنة البحث التي عينتها للتحقيق في تلك الحوادث وبرهنت بهذا الإيقاف على أن المجزرة أمر دبر بليل وأن المسؤولين عنها في حاجة إلى ستر إذ في ظهورهم افتضاح للبرنامج المسطر باليد العليا، وبهذا اتضح أن في البرنامج الاستعماري فصلًا خاصًا يدعى "سياسة المؤامرات". وتجلّت هذه السياسة فيما تتابع بعد ذلك من الحوادث الأليمة في القطر الجزائري وأخيرًا فيما كشفه النائب البرلماني حماد الشريف من تدبير مؤامرة جديدة في فج مزالة، وتبيّن أن "سياسة المؤامرات" هذه ترمي إلى تبرير العدوان على الجزائريين لصرفهم عن المطالبة بحقهم في الحياة الحرة، وقمع كل نزعة تحررية فيهم، والقضاء على روح المقاومة التي برهن عليها

الشعب الجزائري على الدوام، وإخماد الروح القومية المثبتة للكيان الجزائري. يدل على ذلك هذه المحاكمات الزجرية الشديدة التي زجت بمئات من الشبان الحاملين الروح القومية في السجون، وأثقلتهم بخطايا مالية فادحة، وآخرها محاكمة شبان بجاية في هذه الأيام.

فهل بلغ الاستعمار الفرنسي أهدافه؟ إذا نحن نظرنا إلى انشقاق حركة "أحباب البيان والحرية" التي كان الشعب الجزائري متحدًا فيها سجلنا نقطة كبيرة للاستعمار، إلا أنه نجاح مؤقت، لإمكان توحيد الصفوف من جديد. وإذا نحن نظرنا إلى الروح القومية التي أظهرها المعتقلون والمنكوبون والتي لم يزدها القمع إلا حماسة سجلنا عليه الخسران. وقد تجلت هذه الروح القومية في الانتخابات المتعددة حتى أن الاستعمار أصبح أمامها مضطرًا لتزوير الانتخابات. وأكبر من هذا خسران الثقة لافتضاح "سياسة المؤامرات" و"سياسة نكث الوعود"، وزيادة عليه فإن هذا السلوك السياسي الشاذ قد زعزع المركز الأدبي الذي كانت تتمتع به فرنسا في العالم العربي، كما أنه فتح عليها باب الانتقاد الوجيه والطعن المصيب لدى الدول المنافسة لها. والظاهر أنها غير حريصة على حفظ مودّة العرب فاضطهادها للجزائريين، واستهزاؤها بالتونسيين، وإرهاقها للمراكشيين، ومعارضتها لوحدة ليبيا واستقلالها، وموقفها من قضية فلسطين، كل هذا يدل على مدى تقدير الحكومة الفرنسية للعالم العربي. ولا شك أن تصميمها على هذا السلوك سيؤديها إلى خسارة من مصلحتها أن تتحاشاها نظرًا لما تتخبط فيه من المشاكل، ولأن تقرير مصير العالم قد خرج اليوم من ساحة أروبا العجوز... فهل تراجع فرنسا "سياستها الإسلامية" وتعدل سلوكها إزاء العرب؟ أم أن الاستعمار الفرنسي شبيه بفرعون لا يؤمن بالحق إلا حين يدركه الغرق؟

وها نحن اليوم على أبواب حرب ثالثة. وستوسم هذه الحرب بأنها "تحريرية" كما وسمت سالفتها. وسيدعى الشعب الجزائري للمشاركة فيها لصد "الخطر الشيوعي" الذي يهدد البشرية والمدنية. ومن المعلوم أن الشعوب تخوض غمار الحروب طلبًا لحق أو دفاعًا عن حق أو صدًا لخطر. والشعب الجزائري يطالب بحقه في حياة حرة مستقلة. فهل يكون بجانب من ينكر عليه هذا الحق؟ أما دعوى صد "الخطر الشيوعي" فقد تقرر لدى كل عاقل أن الاستعمار أشد الأخطار على المدنية والبشرية. ويكفي أن نذكر مجزرة 8 ماى 1945 لنتحقق مدى صدق الاستعمار الفرنسي في صد الأخطار التي تهدد المدنية وحرصه على سلامة البشرية. وقد فهمنا جيدًا معنى الحرب "التحريرية" في العرف

الاستعماري.

وإذا كان من الطبيعي أن يحرص الاستعمار على البقاء فمن الطبيعي أن نستخلص العبرة من الحوادث الماضية لنتخذ الموقف الملائم لسلامتنا. والدرس القاسي الذي نستخلصه هو أن الحرب العالمية الثانية "التحريرية" انتهت بأسوإ النتائج للشعب الجزائري. وذلك لأنه لم يكن متهيئًا لاستغلال الظروف واغتنام الفرص المواتية لتحقيق مطامحه. فهل ستجده الحرب المتوقعة على مثل تلك الحال؟ وهل يفوت الفرصة المواتية أم يعرف كيف يغتنمها؟ وهل يوفق الله شعوب المغرب إلى توحيد موقفها في سبيل الحصول على أمانيها القومية؟ وهل أدركنا أنه يجب علينا قبل كل شيء أن نعتمد على أنفسنا وأن لا نرتجي من الاستعمار خيرًا؟ ففي درس 8 ماي 1945 عبرة للمعتبر.

عيد الثورة على الظلم

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الأولى، العدد الثالث،
الجمعة 27 رجب 1370، 4 ماي 1951

احتفل العامل المغربي في أقطار المغرب وفي فرنسا بعيد الشغل وهو مرهق تحت نير الاستعمار الفرنسي الثقيل. فإن الوضع الاستعماري لا يكاد يفرق بين "الحماية"و "المستعمرة" وقد ألقى بالعامل المغربي في البؤس والجوع والشقاء. بتطبيق سياسة الاستغلال الذي لا يعرف شفقة ولا رحمة. وقد أدى ذلك إلى رد الفعل الذي هو النتيجة الحتمية للضغط، والضغط يولد الانفجار. فانفجر في نفس العامل المغربي الشعور بالحق في حياة كريمة، وتحرك فيه الوعي القومي، فأصبح ثائرًا على الوضع القائم الذي هو سبب بؤسه وشقائه. وكيف لا وهو يرى العمال عند الأمم المستقلة يبذلون عرق جبينهم لمجد أمتهم، وأمتهم تمدهم بالمكافأة التي يستحقها ذلك العرق المبذول. أما المغربي فيشقى لسعادة غيره، ولا ينال كل ما يستحقه من مكافأة، وإذا ما طالب بحقه ألقي في السجن.

ومن أراد بسطة في الموضوع فلينظر في حالة العامل المغربي في الجزائر وتونس ومراكش. ولينظر إلى الاحتفالات بعيد الشغل في بلاد المغرب كلها وإلى ما ألقي فيها من خطب وكتب من مقالات من طرف ممثلي النقابات. ويستنتج من هذه الخطب والمقالات الموضحة لحالة العامل المغربي أن الوعي القومي قد بلغ عنده درجة عظيمة من القوة والانتشار، بحيث أصبحت نقابات العمال تعاضد الحركات القومية التحريرية، وأصبح العامل شاعرًا بأن سبب بؤسه هو الاستعمار، وأن زوال بؤسه هو الاستقلال، وأعلن عن ذلك على لسان ممثليه في لوائح وعهود، كما أعلن عنه في مظاهرات شعبية جمعت مواكب رهيبة في الشوارع. ومما هو جدير بالذكر أن مظاهرات العمال المغاربة في فرنسا التي كانت مظاهرات سلمية قد انتهت بمصادمات عنيفة بين الجزائريين ورجال الشرطة الفرنسيين الذين هاجموا المواكب وحاولوا انتزاع الأعلام المرفرفة التي كان الجزائريون

يحملونها فدافعوا عنها وعادت الشرطة خائبة بعد معارك تركت بعضهم جرحى. وقد اعتقل بهذه المناسبة من الجزائريين عدد كبير. والذي ينبغي الالتفات إليه في هذه القضية هو أن حمل الجزائريين لهذه الأعلام دليل على طموح العامل الجزائري إلى السيادة لأن العلم رمز السيادة. والاستعمار الفرنسي لا يعترف بوجود علم للجزائر. ولذا حاولت الشرطة الفرنسية انتزاع الأعلام من حامليها. ولو كانت مظاهرات أول ماي هذا في الجزائر مصحوبة بهذا العلم لوقع نفس الهجوم على حامليه مثلما وقع ذلك في مظاهرات أول ماي 1945 التي حدث فيها القتل والاعتقال في شوارع الجزائر العاصمة. وإن ثبات العامل الجزائري في وجه الشرطة ودفاعه عن علمه دليل على درجة الوعي القومي عنده وبرهان على أنه أصبح يحمل الروح التي تحملها الحركات القومية التحريرية في المستعمرات.

والملاحظ أن العمال الجزائريين في مظاهرات أول ماي 1951 سواء في الجزائر أو في فرنسا قد برهنوا على اعتقادهم بأن المشكلة الاقتصادية والاجتماعية مرتبطة بالمشكلة السياسية وأعربوا عن إرادتهم في نيل الاستقلال السياسي.

وإذا نحن نظرنا إلى المغرب الأقصى وجدنا عند العامل المراكشي نفس الروح، وهي تتجلى في مقالات النقابيين المراكشيين التي يتلخص مضمونها في افتتاحية العدد الخاص بعيد الشغل من جريدة "العلم" المراكشية إذ تقول: "والحركة العمالية في مرحلتها الحالية تدرك حقيقة القوى الرجعية التي تعرقل تقدمها وتحاول القضاء على رغائبها وهي نفس القوى الرجعية التي تعوق سير الشعب المغربي بأجمعه نحو تحرره وسعادته. فلا غرابة إذن أن تتحد في الأهداف والمطامح مع بقية أفراد هذا الشعب، وأن يكون نضالها منسجمًا مع نضاله، وتضحيتها من تضحيته، ولهذا نشاهد اليوم تعانقًا بين الكفاح السياسي والكفاح الاجتماعي في بلادنا، كلاهما يعمل بوسائله وفي ميدانه الخاص لتحطيم قوى الرجعية والاستغلال".

وإذا نحن التفتنا إلى تونس وجدنا العامل التونسي يؤكد في لائحة نشرتها جريدة "الصباح" التونسية أن في حل المشكلة السياسية حلًا لجميع المشاكل، ويفضح خيبة "التجربة الإصلاحية" ويعاهد على الكفاح في سبيل التحرير: "والطبقة الشغيلة التونسية في غرة ماي هذا لتصرح للملأ بأن نظام الاستغلال الاقتصادي والإرهاق الاستعماري، ذلك النظام الذي حكم عليه العالم الحر بالزوال لمعارضته لحق المصير، لابد من اضمحلال شبحه من ربوع البلاد التونسية حيث يترك المجال لنظام يساعد على النمو الحر للمنظمات

الديمقراطية يتمكن الشعب التونسي بفضله من استرجاع سيادته القومية كاملة غير منقوصة وإدارة شؤونه بنفسه حسبما تقتضيه مصالحه الاجتماعية والاقتصادية والذود عن حرياته العامة وتوفير الأسباب الضرورية لازدهاره في جميع الميادين. [...] وهي تعتقد أن إرادتها الفولاذية ستتغلب على قوة الرجعية، تلك القوة التي تحاربها وتحطمها جميع المنظمات التقدمية والشعوب في العالم. فهذا هو العهد الذي يقطعه الشغالون على أنفسهم وهذا ما تجعله الحركة النقابية القومية دستورًا لكفاحها في هذا اليوم الذي هو يوم الذكرى للحركة الشغيلة الثورية".

وهكذا نرى العامل المغربي – سواء كان في الجزائر أو مراكش أو تونس أو فرنسا – يبرهن على وعيه القومي ونضوجه السياسي. فيقدر "عيد الشغل" حق قدره، ويجعل منه عيد الثورة على الظلم والاستغلال وعيد التحرر والاستقلال.

والمنار يعبّر عن إعجابه بهذا الوعي وهذه الروح التحريرية عند العامل المغربي الذي هو عماد الحياة الاقتصادية، ويدعو إلى إنشاء جامعة النقابات المغربية إلى جانب جبهة سياسية مغربية تسير بالشعب المغربي إلى تولي شؤونه بنفسه واستغلال جهوده لفائدة بلاده.

هل من جديد؟ أيها الوالي الجديد

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الأولى، العدد الرابع،
الاثنين 15 شعبان 1370، 21 ماي 1951

يذهب وال، ويخلفه وال. أسطوانة متكررة في الجزائر. كأنما أصبح من المعتقد لدى الدوائر الحكومية العليا أن الأزمات السياسية في المستعمرات ناشئة عن سوء تصرف الولاة، وأن علاجها ينحصر في استبدال وال بوال. ولا يخفى ما في هذا الاعتقاد من البعد عن الصواب.

والحقيقة أنّ منشأ هذه الأزمات ليس راجعًا إلى تصرّف الأشخاص وإنما هو راجع إلى النظام الاستعماري في ذاته، إي إلى نظام الحكم الذي تخطه الدولة الاستعمارية للأمم التي وضعتها الأقدار تحت تصرفها. وما الأشخاص إلا منفذين لأوامر رؤسائهم. وكلهم شركاء في المسؤولية عن مصير المستعمرة إن كان عندهم شعور بمسؤولية إزاء المستضعفين وأمام التاريخ. وفي الجزائر أزمة، وهي لم تنشأ عن تصرف م. شاطينيو ولا عن تصرف م. نيجلان. ولا يتوقف علاجها على م. ليونار. فالأزمة قديمة. لها عروق وأصول. وهي تظهر دائمًا في صورة إرادتين متقابلتين: إرادة الإذلال والاستغلال وإرادة الحرية والاستقلال، الأولى تتسلح بالخبث والمكر تعززهما قوة وحشية، والثانية لا سلاح لها إلا الإيمان بالحق والثقة بالعدل الإلهي. وقد بلغت كلتا الإرادتين من الشدة والحدة درجة خطيرة. وذلك تحت تأثير عاملين: النظام الاستعماري من جهة، وتأييد الضمير العالمي لروح المقاومة والتحرير، بحكمه بإلغاء الاستعمار، من جهة أخرى.

فالنظام الاستعماري قائم على أسس واهية لا تعتمد إلا على القوة الوحشية وهي لا تدوم، وهو عاجز عن فرض نفسه على العقول بالقوة المنطقية، سريع الانهزام أمام مقتضيات العقل من أي وجهة قابله.

1) من الوجهة السياسية والاقتصادية والاجتماعية "النظام" الاستعماري هو عين "الفوضى"، لخلوّه من"التوازن" وعدم اعتماده على مقياس صحيح، وقانون معقول في توزيع مناصب الحكم، وتقسيم الثروة، وتنظيم الحياة الاجتماعية. ففي الجزائر لم يراع النسبة في معاملة سكان البلاد، فأقام امتيازات تستند على العنصرية حتى أداه ذلك إلى تسوية مليون فرنسي بعشرة ملايين عربي كما هو ظاهر في المجلس الجزائري، وإلى تفضيل الفرنسيين على العرب كما هو الحال في المجالس البلدية. ومن جهة أخرى فإنه وقف دواليب الحكم على الفرنسيين وحدهم. كما آثر الفرنسيين باستغلال الثروة، وأصبحت حالة العرب كما قيل:

من العرب آلاف يعضهم الطوى * وفي كل ألف واحـد يتنـعم

2) من الوجهة الروحية فالنظام الاستعماري إنكار للحقائق الروحية، إذ ينتج عنه الباطل والظلم والاستعباد والحقد والعنف وكلها منافية للروحيات. وإنما تكون روح الاله حيث يكون الحق والعدل والحرية والحب والرحمة. والنظام الاستعماري يهدم الحقائق الروحية بإفساده الطبع البشري السليم، وقضائه على مواهب الخير والاستعدادات للصلاح، وتوجيه الإنسان نحو الشر والعدوان.

وقد امتاز الوضع الاستعماري بتدبير المؤامرات لسفك الدماء، ودوس الكرامة الإنسانية، وإثارة الأحقاد، وهدم التعاليم السماوية، بوضوح يغني عن الشرح.

3) من الوجهة المدنية النظام الاستعماري "إنكار" للمدنية. وذلك بتعطيل المواهب وسد أبواب التقدم والرقي في كل الميادين، ومحاولة القضاء على المدنية الأهلية بمحو معالمها، وطمس آثارها، وتشويه تاريخها. والقضاء على القيم الإنسانية العليا، بتنظيم نشر الأمية، والضغط على حرية التفكير والتعبير، وإفساح المجال للخيانة والتدجيل. وكفى دليلا على معاكسة المدنية أن 90 في المائة من الجزائريين يمضون بالبصمات.

4) من الوجهة القانونية إنه "إنكار" لحرمة القانون (مع شهرة اللاتينيين بشدة الحرص على مراعاة القانون إلى حد التقديس). وذلك لأنه يدوس القوانين التي يضعها هو بنفسه. فإنه مثلًا يرخص بتشكيل جمعيات وأحزاب سياسية وحرية الانتخابات ثم يعرقلها، فتصادر

صحفها، ويعتقل مشرحوها للنيابات، ويقع التزوير في الانتخابات، وقد يطلق الرصاص على الناخبين (دشميه) وتلغى نيابات الفائزين الحقيقيين، وتحارب الحصانة البرلمانية (فرحات عباس، أحمد مزغنة ومحمد خيضر، الخ.) ولا حرمة لديه للقوانين الدولية والمواثيق العالمية.

وكفى دليلًا على معاكسة القانون والمنطق اعتبار الجزائر ثلاث عمالات فرنسية مع وضع دستور خاص بها. وهل هناك شيء أشد سخفًا من هذا؟

إن نظامًا كهذا لا يمكن أن يفرض نفسه على العقول، ولا يمكن أن يثبت أمام المنطق النزيه. فلا غرابة أن يثير استنكار العقلاء ذوي الضمائر الحرة، وأن يتسبب في أزمة خطيرة. وهو الواقع في الجزائر.

وقد حكم الضجر العالمي بوجوب زوال هذا النظام الاستعماري لمنافاته لمبادئ احترام حرية الإنسان. واشتد هذا الحكم إثر الحرب التي هبت معها روح التحرير فغمرت الأمم المستضعفة وزادتها تمسكًا بحقها في الحرية والاستقلال الذي تنشده بجميع الوسائل. فتحررت سوريا ولبنان وتحررت الهند والباكستان، وتحررت برمانيا وأندونيسيا، وتحررت ليبيا. ولا تزال الهند الصينية تجاهد في سبيل استقلالها.

وقررت المواثيق الدولية الاعتراف للشعوب بحقها في تقرير مصيرها بنفسها. وأعلنت بوجوب احترام كرامة الإنسان.

وتكوّن مؤتمر الشعوب ضد الاستعمار. فهذه الأحداث كلها هزت أقطار المغرب وزادتها تمسكًا بمطامحها القديمة إلى حياة حرة مستقلة. فلا غرابة إذن أن تشتد الأزمة حين تجد هذه المطامح آذانا صماء لدى الحكومة الاستعمارية إذ لا مفاهمة بين إرادة الحرية والاستقلال، وإرادة الإذلال والاستغلال.

في جو كهذا جاء م. ليونار إلى الجزائر. ولعله يعلم أن الجزائر أمة لها خصائصها ومميزاتها. وهي خصائص ومميزات العرب. ولها روحانيتها المطبوعة بالطابع الإسلامي. وبين الإسلام والطبع العربي انسجام تام في إباء الضيم وحب الحرية. وهذا من الحقائق الساطعة في الأمة الجزائرية. تربطها بالعالم العربي وحدة جنسية، وبالعالم الإسلامي وحدة روحية،

وتعزز ذلك وحدة تاريخية. جنس، ودين، وتاريخ، وقيم، كان لها أحسن أثر في تقدّم الحضارة الإنسانية. ولذا يجب أن ينظر إلى مستقبلها باعتبار ماضيها المجيد لا حاضرها التعيس. وفي الجزائر جالية "متفرنسة" دخيلة تتركب من مالطيين وإسبانيين وإيطاليين وكورسيكيين وغيرهم ممن يستظلون بالجنسية الفرنسية لملء جيوبهم وبطونهم، وبـ"السيادة" الفرنسية لمحاربة النزعة التحريرية المتفقة ومبادئ "الثورة" الفرنسية و"المقاومة" الفرنسية.. ولا صلة لهم بالدم والتاريخ والقيم الفرنسية أصلًا. وهذا من الحقائق التي لا جدال فيها... وفي الجزائر طائفة إسرائيلية تمتع بقرار كريميو الذي يخوّلها الحق في تولي الوزارة ومناصب الحكم، وفيها صهيونيون لا يشيرون إلا بما توحيه عنصريتهم وبغضهم للعرب. وتجمعهم بالطائفة السابقة عنصرية بغيضة وروح استغلالية جشعة. ويستثنى من الطائفتين الديمقراطيون وهم أقلية. وهذا من الحقائق التي لا جدال فيها...

وكل برنامج سياسي لا يراعي هذه الحقائق كلها ويبتعد عن الواقع لا يزيد الأزمة إلا شدة.

فبأيّ برنامج جاء الوالي الجديد؟ لم يبينه الآن. وإنما صرح باهتمامه بالعظمة الفرنسية. وكل إنسان يعمل لعظمة أمته يستحق التمجيد. ونحن أيضًا نهتم بعظمة أمتنا الجزائرية كما يهتم م. ليونار بعظمة الأمة الفرنسية. ونريد أن يحظى شعورنا هذا بنفس الاحترام الذي نحمله لمن يحمل هذا الشعور نحو أمته. ولا نريد أن تفسر غيرتنا على عظمة أمتنا بالحقد على غيرنا، إذ لكل إنسان الحق الطبيعي في أن يغار على عظمة أمته. وهل تقوم "العظمة" على الظلم والاضطهاد ودوس الكرامة الإنسانية؟ ومن الأسف أن هذا هو الأساس الذي بني عليه الاستعمار (العظمة الفرنسية) في الجزائر. ويكفي دليلًا على ذلك تفسير هذه العبارة من طرف جريدة "صدى الجزائر" باستمرار "سياسة الماضي"، زاعمة أن تلك رغبة "الأغلبية الساحقة" من الجزائريين، وفي إجراء استفتاء عام نزيه في الجزائر يظهر مدى صحة هذا الزعم، وعقلاء الفرنسيين لا يقبلون هذا الزعم. غير أنهم أقلية ولكن لو عددنا كل عاقل نزيه بألف من المتفرنسين المغرضين لانقلبت الوضعية والشعب الجزائري العربي المسلم قد بيّن موقفه من هذه السياسة كلما سنحت الفرصة معلنًا استنكاره للوضع الاستعماري ورغبته في تقرير مصيره بنفسه حسب المواثيق الدولية، من غير معاداة ولا حقد، بواسطة نوابه الأحرار... وإنها [***] تتفق و"العظمة الفرنسية" القائمة على مبادئ "الثورة" و"المقاومة".

فهل جاء الوالي الجديد ببرنامج يحقق هذه الرغبة ويبني العلاقة بين الأمة الجزائرية والأمة

الفرنسية على أساس جديد؟

فإن العلاقة بين الأمتين قائمة على قاعدة لا يمكن أن ينتج عنها إلا سوء العواقب. وإليها يرجع أصل الأزمة وهي مستوحاة من روح الغلبة والاحتلال وفرض السيادة وإنكار الكيان الجزائري (وهذا ما لا تزالون تذكروننا به كلما هبت على العالم نسمة من نسمات الحرية تداعب أحلامنا في استرجاع المجد المفقود) إذ أن العلاقة قامت على عدوان مسلح عقبته حرب طويلة دافعت فيها الأمة الجزائرية عن نفسها بكل قواها. فلم يقدر لها أن تحفظ استقلالها وسيادتها. وعرفت الاحتلال والسيادة المفروضة. ولكنها لم تقطع الأمل في استرجاع سيادتها المفقودة فظلت محافظة على تقاليدها ومقوماتها، مؤمنة بالحق واثقة بالله الذي يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، وهي تنتظر الفرص لتحقيق مطامحها إلا أن إرادتها للحرية والاستقلال وجدت دائمًا أمامها إرادة الإذلال والاستغلال. ولا تزال الإرادتان إلى يومنا هذا متقابلتين ويحدث عن ذلك أحيانًا حوادث أليمة.

ومع ذلك فقد مر من الزمن والأحداث والتطورات ما يستوجب مراجعة العلاقات ويقضي بإقامة المعاهدات التعاونية مقام الاستحواذات الاستغلالية. ومن الفرنسيين المنصفين من يرون هذا الرأي. ولكن رجال السياسة "الخبراء" بزعمهم يعتبرونه من النزعات "المثالية" وينظرون إليه نظرهم إلى أوهام الأدباء وخيال الشعراء. وهذه نظرة رجعية تقهقرية مخالفة للواقع معاكسة لسنّة التطور. ومن المعلوم أن عواقب هذه المعاكسة لا تكون إلا وخيمة. وفي مآسي الهند الصينية بيان الحقيقة من الخيال، إذ لئن لم تجد الأمم المستضعفة العزلاء اليوم الوسائل لتحقيق مطامحها فلا بد أن تجدها يومًا ما، وويل يومئذ لمن يقف في طريقها! وتلك سنّة الله في خلقه لأن التاريخ في تطور مستمر والإنسان في تقدم مطرد. وعليكم بالنظر في خاتمة خطاب م. دبرو في البرلمان في المناقشة حول الدستور الجزائري...

وقد أدركت الأمم "الواقعية" هذه الحقيقة فبادرت إلى مراجعة العلاقة بينها وبين الأمم المستعمرة، وأقدمت على ذلك بشجاعة وحكمة تجلت في اعترافها بالحق، وأمكنها أن تحافظ على الفوائد التي كانت تستفيدها قديمًا بإقامة العلاقة على أساس جديد يضمن مصالح الجميع في دائرة الاحترام. فماذا خسرت بريطانيا في مراجعة علاقتها بالهند والباكستان؟ وماذا ربحت فرنسا في حرب الهند الصينية؟ وهل دلت بذلك إلا على أنها لا تفهم تطور التاريخ ولا تؤمن بالتقدّم البشري؟

والجديد الذي جاء به م. نيجلان هو "الدستور" الذي وقع إجماع الجزائريين على رفضه. ومع ذلك فإنه لم يطبق كما زعم، حتى صدق فيه تساؤل العربي البدوي "أحشفًا وسوء كيلة؟" وقد رفضت الأمة الجزائرية هذا الدستور لأنه مناف لمطامحها منكر لقيمها مثبت للوضع القديم الذي تستنكره. وهي تريد شيئًا جديدًا يمحو هذا القديم محوًا ويكون مناسبًا لتطور الزمن ومقتضيات العصر الحديث طبق الاعتراف بحق الشعوب في تولي شؤونها بنفسها الذي اتفقت عليه الدول ومنها دولتكم. فهل من جديد أيها الوالي الجديد؟

متى يُنتخب البرلمان الجزائري؟

محمود بوزوزو

جريدة المنار، السنة الأولى، العدد الخامس،
الجمعة 11 رمضان 1370، 15 جوان 1951

نواب جزائريون في البرلمان الفرنسي؟ لا شك أن من يسمونه "رجل الشارع" يدهش ويتساءل عن معنى هذه الوضعية، لأن منطقه الذي يضم إلى البساطة والسذاجة سلامة الفطرة لا يستسيغ تمثيل الأمة الجزائرية في برلمان الأمة الفرنسية، ولا يستطيع أن يتصور أيّ معنى لوجود "الجزائريين" في برلمان يضع القوانين "للفرنسيين"، ولا يقتنع بمغزى لهذا "الخلط" اقتناعًا تام الاطمئنان لأنه مما لا يرتضيه الطبع السليم، ولا يقبله العقل السديد، ولا ذكر له في التاريخ. فهو "بدعة" من البدع التي يتمخض عنها من حين إلى حين التناقض والغموض اللذان امتازت بهما السياسة الفرنسية في المستعمرات واستطاعت أن تجمع بينهما وتثبت بهما ببراعة نادرة... ولا شك أن أصحاب هذه السياسة لا يعوزهم التأويل حتى في حال وضوح التناقض والغموض ومخالفة الواقع. وخلاصة التأويل في هذا المقام أن الجزائر "ثلاث عمالات فرنسية"، وبمقتضى "الإنصاف" فلها "الحق" في أن ترسل ممثلين لها "منتخبين" انتخابًا شرعيًا "ديمقراطيًا" إلى البرلمان "الفرنسي" كسائر العمالات الفرنسية...

وتقابل هذا التأويل حقائق من الواقع الذي لا تغيره السفسطة والتدجيل منها:

1) اعتقاد الجزائريين أنهم أمة لا يربطها بالأمة الفرنسية إلا ما يربط المستضعف بالمستبد والمظلوم بالظالم؛

2) الوضع الجغرافي الذي جعل الجزائر جزءًا لا يتجزأ من المغرب وهو مفصول عن التراب الفرنسي باعتراض البحر الأبيض بينهما كاعتراض بحر "مانش" بين فرنسا وانكلترا؛

3) الحقائق الجنسية والتاريخية والتقاليد القومية التي تلحق الجزائر بالعالم العربي والإسلامي لا بالعالم اللاتيني الذي تنتمي إليه الأمة الفرنسية؛

4) اعتراف الحكومة الفرنسية بهذه الخصائص إذ وضعت للجزائر دستورًا خاصًا لم تضعه للمقاطعات الفرنسية المتصلة بالتراب الفرنسي مثل"نورمنديا" و"بورقونيا" وغيرهما... ومن محتويات هذا الدستور إنشاء "مجلس جزائري" شبه برلمان.

وبناءً على هذا كله فمن الطبيعي أن يستغرب "رجل الشارع" هذا الشذوذ ويتساءل عن معنى هذه الوضعية المخالفة لأبسط قواعد المنطق... ومن الطبيعي أن يستثقل تدخل "الجزائريين" في شؤون الأمة "الفرنسية" وأن يعده "تطفلًا" ممقوتًا لا "حقًا" مشروعًا... ومن الطبيعي أن يستنكر هذا التدجيل الذي يجعلهم نوابًا شرعيين في برلمان أمة مستقلة يقررون مصيرها بينما هم محرومون من الحق في تقرير مصيرهم وإدارة شؤون وطنهم الحقيقي... وهل هذا إلا سخرية بالعقل وأهله، وبالحكمة وأربابها، وبالعدل وأصحابه، وبالحق ومحبيه، وبالتاريخ وكاتبيه؟! وأكبر منه سخرية أن يعتبر هذا "منة" تمتنها الحكومة الفرنسية على الأمة الجزائرية..! ويا لها من منة ترفع الجزائري إلى درجة "مشرع" للأمة الفرنسية" وهو ممنوع من حق التشريع لأمته الجزائرية!.. ومع ذلك فالتسوية بين الأمة الجزائرية والأمة الفرنسية في حق تقديم النواب وانتخابهم للبرلمان الفرنسي دليل على الاعتراف "بالنضوج السياسي" الذي يصر الاستعماريون على نفيه عن الأمة الجزائرية..! وبما أن في إمكان هذه الأمة أن تقدم نوابًا للبرلمان الفرنسي أليس في إمكانها أن تقدم نوابًا للبرلمان الجزائري..؟ وإذا كان الجزائري قادرًا على التشريع للأمة الفرنسية فكيف لا يكون قادرًا على التشريع للأمة الجزائرية التي لا تجاوز الربع من الأمة الفرنسية..؟ وعليه أليس كل هذا مما يبرر تحويل "المجلس الجزائري" إلى "برلمان" ديمقراطي ينتخب بالتصويت العمومي من دون تقسيم، ومن دون ميز عنصري، ويكون له الحق المطلق في التشريع للأمة الجزائرية، ووضع الدستور الملائم لها، وتقرير مصيرها، وتحديد العلاقة بينها وبين الأمة الفرنسية..؟

هذا ما يطمح إليه الشعب الجزائري. وهذا بعض ما يفسر قلة تحمس الجزائريين لهذه الانتخابات.

فإنهم لا يرون في المشاركة فيها إلا وسيلة لإبلاغ مطامحهم وإرسال صوت الجزائر إلى الخارج لأن في البرلمان الفرنسي منصة يرجو الجزائريون أن يجدوا فيها الحرية للتعبير عن مطامحهم والمطالبة بحقوقهم. أما التدخل في شؤون الأمة الفرنسية فلا يريدونه لأن هذه الأمة في غنى عنهم ولا يتدخلون إلا فيما يمس وطنهم أو العالم العربي الإسلامي الذي ينتمون إليه أو القضية الاستعمارية بصفة عامة لأنها تشملهم، وهذا ما يلاحظ فيما قام به النواب الجزائريون الشعبيون من الأعمال في البرلمان الفرنسي في السنين الماضية وفائدة هذه الأعمال إطلاع الرأي العام الفرنسي والرأي العالمي على أحوال الجزائر وإبطال الدعايات الاستعمارية المضللة وبيان الحقيقة عسى أن يهتز الضمير الفرنسي والضمير العالمي إلى العطف على القضية القومية الجزائرية.

وبهذا الوجه فقط يمكن تبرير المشاركة في الانتخابات البرلمانية وحمل الشعب على التحمس لها بصفتها سلاحًا من أسلحة الكفاح القومي التحريري يجب استعماله لكن دون الاكتفاء به وحده ودون الاعتقاد بأنه الوسيلة الوحيدة للتحرير، لأن العطف الخارجي لا يتحرك إلا إذا برهن الراغب فيه على الوعي القومي والنضج السياسي وذلك بتوحيد الأهداف ووسائل العمل والقيام الجدي إلى أخذ الحق، وهذا لم يتحقق الآن في الجزائر مع أن الاتفاق في المسائل الجوهرية واقع وما الخلاف إلا لفظي وفي جزئيات قليلة الأهمية في الإغضاء عنها تحقيق الاتحاد المنشود ولو تحقق لأمكن اتخاذ موقف عظيم الشأن أمام هذه الانتخابات... ولكن لا يزال تحقيقه بعد الانتخابات مأمولًا، ومما يزيدنا أملًا في ذلك عدول المترشحين الأحرار عن الأساليب الموروثة عن الغرب المثيرة للأحقاد ومراعاة الأدب في الدعاية واكتفاؤهم بشرح برامجهم للجمهور في دائرة احترام الخصم، والتسالم يمهد السبيل إلى التفاهم ثم إلى الاتحاد الذي يؤدينا إلى البرلمان الجزائري المنشود حيث يقرر الشعب الجزائري مصيره بنفسه.. فمتى ينتخب البرلمان الجزائري؟

خطوة كبيرة في سبيل تحقيق الاتحاد القومي

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الأولى، العدد السادس،
الاثنين 27 شوال 1370، 30 يوليو 1951

إنها لبشرى تشرح الصدور وتنعش الآمال، وتقوي التفاؤل بمستقبل هذا الوطن، بشرى تشحذ العزائم وتذكي الهمم، وتدفع بالعاملين إلى مضاعفة الجهود، وبالمكافحين إلى مواصلة الكفاح في سبيل تحقيق المطامح القومية.

بشرى تهز الضمائر الجامدة، وترعب الضمائر الخربة، وتهيب بالضمائر الحرة الطاهرة إلى بناء النضال التحريري على أساس متين ليكون أثره نافذًا ولتؤتي التضحيات ثمارها المرجوة.

بشرى تبين أن قادة الحركة العامة التحريرية في الجزائر يعرفون كيف يستغلون دروس التاريخ، وكيف يحبكون من حبال الاستعمار شباكًا للقضاء عليه.

هذه البشرى هي تكوين "لجنة إنشائية لتأسيس جبهة جزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها".

نستبشر بهذا العمل ونحن نعلم أنه قليل جدًا بالنسبة لما نريده ولما يحتاج إليه الشعب غير أنه عمل جليل بالنظر إلى تحقيقه رغم عسر الوصول إليه وبالنظر إلى ما يهدف إليه من توحيد الحركات القومية التحريرية حول شيء هام، وبالنظر إلى استجابته لحاجة ملحة في الظروف الحاضرة الناشئة عن السياسة الاستعمارية والحالة الدولية.

فإن الذي نريده هو توحيد السياسة والعمل في جبهة قومية تمثل فيها مطامح الشعب إلى الحرية والاستقلال.

والذي وقع هو الاتحاد على محاربة المظالم واحترام الحريات الأساسية.

وهو خطوة عظيمة نرجو أن يتبعها توحيد البرامج السياسية في برنامج عام واحد يعبّر عن أماني الأمة الجزائرية القومية، التي تهدف إلى استرجاع سيادتها واستقلالها.

خطوة عظيمة دفعت إليها المظالم الاستعمارية وسياسة القمع الخاصة التي تسود الجزائر والتي لم تميز بين الأحزاب والهيآت القومية التحريرية وبها أدركت هذه الأحزاب والهيآت أن الاستعمار يعتبرها في درجة واحدة من الخطورة وإن تخالفت في محاربته وبهذا عرفها كيف تجتمع لصد عدوانه.

فليكن الاتحاد على دفع المظالم الحجرة الأولى في أساس الاتحاد على أخذ الاستقلال. وليكن الاجتماع العام الذي سيضم مختلف الشخصيات والهيئات الجزائرية المتعلقة بالحرية والديمقراطية نواة للجبهة القومية في سبيل حق تقرير المصير الذي نصت عليه المواثيق الدولية والذي تريده الأمة الجزائرية.

فإن المظالم التي وقع الاتفاق على محاربتها لا تزول إلا بزوال الوضع الاستعماري وتولي الشعب شؤونه بنفسه، فعسى أن يهتدي قادة الحركات القومية التحريرية إلى توحيد صفوفهم في سبيل ذلك في أقرب وقت.

"لو اتحدت أهدافنا وتوحدت * صفوف لناقدنا النجوم بأصبع"

مرحبًا بالفجر الصادق

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الأولى، العدد السابع،
الأربعاء 13 ذي القعدة 1370، 15 أوت 1951

ما كاد المولود الجديد يستهل حتى تهللت وجوه ترى فيه بشير خير، وقطبت وجوه ترى فيه نذير شر وهو لم يعد طور الاستهلال.

من المتفائل؟ وما دواعي التفاؤل؟ ومن المتشائم؟ وما دواعي التشاؤم؟

المتفائل هو الشعب الجزائري المسلم الذي كان ينتظر هذا المولود بفارغ صبر. وكان يرى في العامل الأكبر في تحقيق أمانيه، لأنه أحس في أعماق قلبه بمرارة الشقاق، وقاسى جروحًا أليمة من جراء الفراق.

المتفائل هو كل طامح إلى عهد تسود فيه الحرية يتمتع بها كل إنسان فلا تكون وقفًا على قوم ولا على عنصر خاص ولا على طبقة معينة بل تكون حقًا مشاعًا للجميع.

أما دواعي التفاؤل فهي تحقيق أمنية غالية بصفة تبشر بقرب بزوغ فجر الفرج من الشدة التي يعانيها عشرة ملايين من البشر لا يعرفون من معاني الحياة إلا ما يحوم حول البؤس والشقاء، ولا يشاهدون من مشاهد الوجوه إلا ما يصوّر الحزن والألم ولا يذوقون من لذات العيش إلا الخصاصة والحرمان.

ولا ذنب لهم إلا حبهم للحرية وتعلقهم بالديمقراطية وطموحهم إلى أن يروا وطنهم يتمتع بالسيادة والاستقلال ويتخلص من ربقة الإذلال والاستغلال. ويسير في ركب الحضارة الإنسانية مشاركًا مشاركة فعلية في بناء عهد يسود فيه الخير والحب والسلام.

وأما المتشائم فهو الاستعمار الذي ألف العيش باضطهاد الأبرياء العزل، واحتقار الكرامة الإنسانية، ودوس كل مبدإ من المبادئ السامية التي جاءت بها الشرائع السماوية واتفقت عليها العقول الراجحة والضمائر الطاهرة.

المتشائم هو كل من بنى حياته على قواعد منافية للقيم الإنسانية الكاملة. ففسدت فطرته وساء مزاجه واختل طبعه فأصبحت قيم الأشياء في نظره مقلوبة مشوهة وصارت حياته متوقفة على هذه المغالطة التي هي له بمثابة الماء للسمك إذا خرج منه مات.

المتشاءم هم الخونة المجرمون الذين ألقوا بضمائرهم في الأسواق الاستعمارية يبيعونها بأبخس الأثمان.

المتشائم هم المفرقون المغرضون الذين يظنون أن أساليبهم ناجعة على الدوام فكانوا مطمئنين إلى ذلك ولكن خاب ظنهم وزال اطمئنانهم.

المتشائم هم الدجالون المستغلون الذين كانوا يظنون أن الجو قد خلا لهم وأن العيش قد حلا لهم وأن هذا الشعب سيظل غافلًا إلى الأبد ويبقى فريسة لخداعهم ولقمة سائغة لأطماعهم.

أما دواعي التشاؤم فهو زوال الأوهام اللذيذة والأحلام الحلوة التي كان الشيطان يعلل بها هذه النفوس المريضة وهذه الطباع المعتلة وهذه العقول المختلة.

فشتّان ما بين محب النور وأليف الظلام.

لقد بزغ الفجر الصادق بالبشرى للأخيار! مرحباً بالنور يطارد الظلام!

الجبهة الجزائرية حجة على أنّ الاستعمار عدوّ الديمقراطية
أين أنصار الديمقراطية؟

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الأولى، العدد الثامن،
الجمعة 29 ذي القعدة 1370، 31 أوت 1951

لا شك أن "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها" ضربة قاسية للسياسة الاستعمارية الفرنسة في الجزائر وتكذيب علني صريح للدعاية الفرنسية الرسمية خارج الجزائر.

فإن هذا الحادث العظيم سيحمل النزهاء من الفرنسيين الحريصين على سمعة أمتهم وعظمتها على التفكير في الأسباب التي أوجدته وفي العواقب التي تتبعه، وعلى التأمل في الحل المعقول لتلافي سوء العواقب.

وسيحمل المستهينين بمطامح الأمة الجزائرية على الالتفاف إليها والاهتمام بها والعدول عن الأنانية العمياء التي يعيشون فيها.

وسيحمل الديمقراطيين الحقيقيين على شن الغارة على السياسة الاستعمارية الاستعبادية التي تدوس حقوق الإنسان بدون اكتراث.

وسيحمل المغرضين على التفكير في الدسائس والمكائد لحفظ أغراضهم ومنافعهم الخاصة، وقد يجعلون من وجود العنصر الشيوعي في "الجبهة" مادة غزيرة لدعايتهم المغرضة ليوهموا أن الأمة الجزائرية متأثرة بكتلة معينة.

وسيحمل الواثقين بالعهود الفرنسية على مراجعة موقفهم إزاء الحكومة الفرنسية وتحديد

ثقتهم بها بسياج من الاحتراز...

علينا أن نفهم كل هذا وأن نستفيد منه للسير بقضيتنا إلى النجاح، وعلينا قبل كل شيء أن نظهر هذه القضية بمظهرها الصحيح.

فإن ما حظيت به "الجبهة" من العناية في الخارج وما أحدثته من شروح وتعاليق في الإذاعات والصحافة الأجنبية يدل على الأهمية الكبيرة التي يعطيها الأجانب لهذا "الاتحاد" الميمون. فإنهم يرون في "الجبهة" عزم الأمة الجزائرية على استرجاع سيادتها واستقلالها. وما رأينا شيئًا وما سمعنا شيئًا مما بلغنا عن التعاليق الخارجية يدلّ على حصر مهمة "الجبهة" في "الانتخابات" فقط وإبطال سياسة "القمع" فقط.

فإن هذا الحصر لا يعبّر في الحقيقة إلا على جزء قليل من مطامح الأمة.

والوعي القومي عندنا قد بلغ من النمو والاتساع مستوى لا يسمح بهذا الحصر، فالأمة تنظر إلى الجبهة نظر الأجانب إليها أي ترى فيها آلة للتحرير. فعلينا أن نعطي للخارج صورة حقيقية لمطامحنا الحقة، التي هي مطامح كل الأمم المتعلقة بتولي شؤونها بنفسها.

ومما ينبغي التأكيد عليه هو أن الأمة الجزائرية تطمح إلى تولي شؤونها بنفسها من غير انحياز إلى إحدى الكتلتين المتقابلتين، وهي تستند في ذلك على المواثيق الدولية الناصة على حق الشعوب في تقرير مصيرها، ولا يتصور أن تكون إلا بجانب من يساعدها مساعدة فعلية على تحقيق مطامحها وخدمة الديمقراطية بإخلاص. وقد أكد الاستعماريون منذ زمن طويل أن الجزائر توجد في منطقة "النفوذ الأمريكي" ولكن قلوب الأمة الجزائرية لا نفوذ فيها إلا لمن يؤيد مطامحها إلى الحرية والاستقلال.

وإذا كانت مناطق النفوذ الأمريكي كلّها عبارة عن جهنم للحرية وللديمقراطية والمتعلقين بها فكيف تحظى "السمعة" الأمريكية بالثناء؟ وكيف تحظى" المصالح" الأمريكية بالضمان؟ وكيف تحظى"العهود" الأمريكية بالثقة؟ وكيف تحظى "الروح الديمقراطية" الأمريكية بالتصديق؟ كل هذا يخطر بذهننا حين نتساءل: ماذا عمل في سبيل الديمقراطية أنصار "النفوذ الأمريكي"في الجزائر؟..

إن أعظم شيء برهنت عليه "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها" هو أن الاستعمار الفرنسي عدو للديمقراطية. فهل من نصرة الديمقراطية أن يجد هذا الاستعمار أنصارًا؟ وأن يجد مؤيدين له بالسلاح في جهة وبالسكوت والإغضاء في جهة أخرى؟ ولئن وقع فلنا الحق في البحث عن النصير المخلص شرقيًا أو غربيًا، متدينًا أو ملحدًا، روحانيًا أو ماديًا. حسبنا منه أن يكون محبًا للديمقراطية، مؤمنًا بها، طائرًا لنصرتها بدون مساومة وبدون قيد أو شرط... والاستعمار الفرنسي قد أقام الدليل على أنه عدو للديمقراطية، وكل مؤيد له فهو عدو للديمقراطية وعدو لنا إذ نحن نعتقد أن صديق العدو عدو وأن عدو العدو صديق؟ لسنا نبحث عن أي "نفوذ" بل نبحث عن تطبيق المواثيق الدولية وعن الديمقراطية. أين أنصار الحق؟ أين أنصار الديمقراطية؟

سلاح مفلول

محمود بوزوزو

جريدة المنار، السنة الأولى، العدد التاسع،
الجمعة 4 محرّم 1371، 5 أكتوبر 1951

إن السياسة في الجزائر تكاد تكون انتخابية بحتة حتى ليخيل أن ذلك مقصود وأن الإدارة ترمي إلى حصر النظر فيه وإلى صرف الهمم عن التفكير في السياسة بمعناها الحقيقي. والدليل على ذلك أننا قلما نشاهد نشاطًا "سياسيًا" في غير ظروف الانتخابات التي تكاد تكون الفرصة الوحيدة لإثارة المشاكل السياسية تظهر فيها تصريحات وكتابات متنوعة حاملة دعاوى وشهادات بالحب وحسن النية واتهامات بالبغض وسوء الطوية، كل ذلك في قالب الغيرة على مصلحة الوطن والنصح للمواطنين. ومن هذا النوع مقال نشرته "صدى الجزائر" بعنوان"اليد ممدودة ولكن..." جاء فيه بأحرف مكبرة: "لا تنس أن الشيوعيين قد توصلوا إلى إنشاء الجبهة الجزائرية أي الاتحاد ضد فرنسا".

وجاء فيه التذكير بالمبدإ الأساسي للخطة السياسية التي رسمها الذين سموا أنفسهم "التحريريون" وهو:

"نريد للجزائر رفض:
- كل فكرة وطنية ترمي إلى عدم الاعتراف بحقوق الجزائريين الأوربيين؛
- كل نظام استعماري يرمي إلى احتقار حقوق الجزائريين المسلمين؛
- كل تدخل "سياسي" من طرف دولة غير فرنسا لمساعدة المجتمع الجزائري على وجود نفسه، الأمر الذي يدل ضمنًا على المحافظة بمزيد الغيرة على السيادة الفرنسية".

في الجزائر استعمار قائم على الباطل والظلم، فكيف لا توجد فيها "وطنية" قائمة على نبذ الباطل والظلم؟ الاستعمار قائم على البغض العنصري، فكيف لا يتولد عند ضحاياه

كراهية العنصرية؟ الاستعمار قائم على إنكار حقوق مشروعة وإثبات حقوق غير مشروعة. فكيف لا ينشأ عند ضحاياه حب الحقوق المشروعة وبغض العكس؟ لقد علمتنا السياسة الاستعمارية النفور من الباطل والظلم والتعلق بالحق والعدل ولا يمكن أن توجد في الجزائر "وطنية" تبرر العنصرية وإنكار الحقوق. وإلى الآن لا يوجد في الجزائر حزب"متطرف" يحمل نزعة عنصرية رغمًا عن كثرة الدواعي لذلك من المظالم والتحديات التي تبث الأحقاد وتبغض أهلها وتقتضي تطهير الأرض منهم (ولا ننس مناداة جاك شوفاليي بالجهاد...) أما الحزب المتهم بالتطرف وبالعنصرية وحب "إلقاء الفرنسيين إلى البحر" وتخييرهم بين "الحقيبة أو النعش" فإنه يؤكد أن مبدأه الأساسي هو مجلس تأسيسي جزائري لا فرق فيه بين الجنسيات والأديان..

فمن أين استوحى "التحريريون" المزعومون "وطنية" عنصرية في الجزائر؟

إنها مستوحاة من خزائن المعمرين الذين يظهر أن أمخاخهم نزلت من رؤوسهم إلى بطونهم، وأن وطنيتهم انتقلت إلى جيوبهم، فأصبحت كل صيحة تهدد هذه البطون والجيوب "خطرًا" عل "السيادة الفرنسية". وهذا اعتراف منهم بأن سياستهم تخلق الوطنية الضيقة ولا يستبعد أن توجد هذه الوطنية في المستقبل إن لم تبادر فرنسا بمراجعة علاقتها بالأمة الجزائرية.

وما الجهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها إلا من نتائج هذه السياسة، هي التي أوجدتها لا الشيوعية.

أما دعوى أن الشيوعية هي التي تسير الجبهة الجزائرية، فيكفي لدحضها "موقف الجبهة" و"التصريح المشترك" من أعضاء الجبهة المسلمين غير الشيوعيين فيما يخص الانتخابات العمالية الآتية.

ومن المعلوم في الجزائر وفي الخارج أن الاستعمار أصبح أعزل أمام الروح التحريرية التي تهز الشعوب المرهقة به، فلجأ إلى الاتهام بالشيوعية كلّ حركة تحمل هذه الروح ولو كانت الشيوعية ضامنة لامتيازاته لاستعمل لغة أخرى...

ألم يأن للظالمين "المتمدنين" أن يتركوا السفسطة؟ فإنها سلاح مفلول.

بريطانيا ومصر

محمود بوزوزو

جريدة المنار، السنة الأولى، العدد العاشر،
الإثنين 21 محرّم 1370، 22 أكتوبر 1951

اعترفت بريطانيا باستقلال الهند وباستقلال باكستان وباستقلال برمانيا كما أيّدت قبل ذلك سوريا ولبنان في حقهما في الاستقلال وأيّدت ليبيا في مثل ذلك. فأحدثت هذه المواقف في نفوس الأمم المصابة بالاستعمار الغربي آمالا كبارًا في التحرّر لأنّ هذه المواقف تؤذن بزوال الاستعمار ورأت فيها فاتحة عهد جديد لها وللعالم. ورأى الكثير في مواقف بريطانيا هذه دليلًا على مراعاتها للمواثيق الدولية المعترفة بحق الشعوب في تقرير مصيرها، ودليلًا على أنّ بريطانيا تفهم تطوّر التاريخ وتتحرز من معاكسته، وتؤمن بسنّة التقدّم البشري وتتحاشى معارضتها إذ لا جدوى في مغالبة السنن الإلهية، ولهذا جنحت للحلول السلمية وتجنّبت حلول العنف إذ في المسالمة حفظ للمودّة وضمان للمصلحة، وفي التنازل عن الامتيازات الجائرة إبقاء للعلاقات الطيبة، ورفعة للمركز الأدبي وفوز بالأسبقية في المعاملات الاقتصادية والتعاون الستراتيجي والأدبي في الميدان الدولي.

وجاءت بعد ذلك قضية النفط الإيراني فجنحت بريطانيا في النهاية للمسالمة وانسحبت من "عبدان" دون إراقة دماء وهي خاسرة خسارة كبيرة، وبدلًا من أن يُحلّ النزاع بالمدفع فإنه أوثر رفعه أمام محكمة عالمية.

والمتبادر إلى الذهن هو أن تسلك بريطانيا مسلكًا يميل إلى مصادقة إيران والتعاون معها بدل التعادي والتحارب الذي يؤدي إلى تألب جميع الأمم الإسلامية عليها ولا ربح لبريطانيا في هذه العداوة، ولا فائدة للكتلة الغربية في ذلك وهي حريصة على تقليل الأعداء وتكثير الأنصار، لمجابهة العدو الأحمر الذي تمتد أقدامه إلى حدود إيران...

وها هي قضية قناة السويس بدورها تختبر من جديد حكمة بريطانيا الدبلوماسية وتدبيرها السياسي. فإن المعهود في السياسة البريطانية هو البعد عن الطيش والحمق وعن ارتجال الحلول وعدم التأثر بعاطفة عنصرية أو دينية تزيغ بها الأبصار والبصائر. وكان يتوقع من بريطانيا أن تستمر في سلوكها السياسي الجديد الذي شرعت فيه بعد الحرب العالمية الثانية فحفظ لها صداقة الهند وباكستان وبرمانيا وخفف كثيرًا من الأحقاد وإن أثار سخط الاستعمار الفرنسي بوجه خاص...

ومن المعلوم أن العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ما حقدوا إلا على من أراد إهانتهم وإذلالهم واحتل بلادهم واستأثر بثرواتهم ومراكزهم الحربية. ونحن في عصر أصبحت فيه مصالح الأمم مرتبطة متشابكة، وليست الأحقاد هي التي تضمنها، وطريق تحاشي الحقد واضحة للمبصرين. ومما علمناه الاستعمار الغربي هو اعتبار حقد الشعب الأعزل حقدًا عقيمًا. وقد زال هذا الاعتبار بفضل التطور والتقدم الذي لا يرى في التحاكم إلى القنابل الحل الوحيد للنزاع فإن هناك حلولًا أسمى وأعلى تضمن الشرف وتثمر الخير للمتنازعين. وكان المتوقع من بريطانيا إيثار هذه الحلول في نزاعها مع مصر نظرًا للسوابق التي بدرت منها نحو الأمم الآسيوية السالفة الذكر، ولكنها لجأت إلى حل كان يتوقع رفضه من طرف مصر التي لا يتصور أن تتحمل استعمار دول عديدة في حين أنها قلقة من تسلط دولة واحدة عليها، ثم لجأت بريطانيا إلى التهديد بالقوة بل وقع إطلاق النار من جنودها على جنود مصريين فكان جرح وقتل واعتقال من دون إعلان حرب ولا إنذار...

فهل هذا من الحكومة البريطانية تطمين للرأي العام البريطاني المتأثر بالنزعة الاستعمارية حتى لا يقلق من سياستها في التنازل عن الامتيازات ورد الحقوق إلى أهلها؟ أي هل هذا الموقف ليس إلا صونًا للمظاهر وهو يخفي وراءه إرادة التفاهم وإلغاء المعاهدة وإرضاء مطلب مصر؟ أم هو موقف حربي صريح؟ لئن كان فإن بجانب مصر ملايين من العرب والمسلمين مستعدين لمؤازرتها. وهل يترددون في الاستعانة بمن يؤيدهم أيًا كانت صبغته ولو كانت شديدة الحمرة...

العرب والاستعمار في هيأة الأمم

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الأولى، العدد الحادي عشر،
السبت 9 ربيع الأول 1371، 8 ديسمبر 1951

في هيأة الأمم المتحدة ست دول عربية: مصر، والعراق، والمملكة السعودية، واليمن، وسوريا، ولبنان وهذه الدول تجمعها رابطة فرضتها الطبيعة من جهة والظروف من جهة تحت اسم الجامعة العربية التي تشكلت للدفاع عن حقوق الشعوب العربية في الحرية والاستقلال وصد عدوان الدول الغربية الاستعمارية. وعلى هذا المبدإ الأساسي تقوم مطالب العرب ومبادئ الجامعة العربية. ليست من وحي عنصرية عدوانية أو روح استعمارية أو عصبية اعتزالية. وقد أعربت في عدة مناسبات عن مقاصدها السلمية ورغبتها في التعاون مع أمم العالم على نشر السلام والوئام. وكررت مرارًا بأن إدراك هذه الغاية لا يتصور ما دام قسم كبير من البشر يرزح تحت نير العبودية مصابًا بالشلل من جراء الاستعمار الاستغلالي الاستعبادي وأول خطوة في سبيل تحقيق السلم في العالم زوال الاستعمار من العالم فبانطلاق الأيدي المغلولة وانشراح الصدور المغظية واحترام الكرامة الإنسانية تتطهر العلائق من السموم التي دافها الاستعمار، ويسير العالم في طريق التقدم نحو السلام.

وإلى جانب الدول العربية توجد أربع أمم إسلامية: إيران، وأفغانستان، وباكستان، وأندونيسيا. وهي تعرف معنى الاستعمار وتعرف عواقبه في تعطيل القوى البشرية عن التقدم وتسميم الجو وخلق الخطر على السلام. فمن الطبيعي أن تشاطر هذه الأمم سائر الدول العربية في تفكيرها ومساعيها.

ومن الطبيعي أن تشاطرها كذلك كل أمة غير إسلامية مثل الهند وبرمانيا من الأمم التي تجرعت غصص الاستعمار وأدركت خطره على السلم العالمي. ولا يعقل أن لا تنضم إليها

الأمم الديمقراطية الحرة البعيدة عن كل نزعة استعمارية الحريصة بكل إخلاص على تحقيق السلام. وما معنى وجودها في هيأة الأمم المتحدة؟ أليس من أجل تحقيق السلام تشكلت هذه الهيأة؟ أليس لهذه الغاية انخرطت تلك الأمم فيها؟

ولكن يظهر أن هذه الغاية السامية لم تحظ بالإجماع المرجو إذ توجد أمام الأمم السالفة الذكر أمم أخرى لا تتحرج في دوس كل ما يتصل بمعنى السلام أو يؤدي إلى تحقيقه. وهي الأمم الاستعمارية الجشعة التي لا تزال تريق الدماء وتدوس الكرامة الإنسانية وتشدد الخناق على حقوق الإنسان. ولو كان للعدل معنى لطردت هذه الأمم من الهيأة حينًا، اللهم إلا أن يكون للسلام معان متعددة أو معنيان متناقضان فيدرج في قاموس الأضداد... وبما أننا أخذنا نفسنا بالصراحة التي لا غبار عليها فإننا لا نكتم دهشتنا من رؤية أمة من أعضاء الهيأة الأممية تريق الدماء في مصر، وأخرى تزهق الأرواح في الهند الصينية وتدوس المواثيق الدولية في المغرب الأقصى وتونس والجزائر، وفي غيرها من الأقطار والجزر. فهل هذا السلوك يتفق ومبادئ الهيأة ويؤدي إلى تحقيق السلام؟ وهل صاحب هذا السلوك جدير بالعضوية في هيأة أسست للسلام؟ وهل يشرّف الهيأة أعضاء يدرسون مبادئها؟ أم نحن في عصر بلغ فيه التسامح أن تقابل الجرائم الاستعمارية بالإغضاء فتهضم الحقوق وتراق الدماء وتضطهد الشعوب ويجد المجرم مبررًا ويرفع صوته محتجًا ولا يتردد في دعوى احترام مبادئ الهيأة وخدمة السلام!؟

صيحة الكاشاني

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الأولى، العدد الحادي عشر،
السبت 9 ربيع الأول 1371، 8 ديسمبر 1951

"اخرجوا يا كلاب من إيران!"	يا لها صيحة من الكاشاني!
إنها ثورة الحمية ثارت	من هزبر على الحمى غيران
رام أن يستبيح غيله جان	فانبرى زائرًا لطرد الجاني
هكذا الضيغم الأبي إذا ما	حبسه الظلم فار كالبركان
إنما الحر من إذا سيم خسفًا	جاء منه الإباء بالبرهان
شعب إيران شعب أسد أباة	عز ميدانها على الفرسان
آه! مَن لي مِن وليّ بمثله مهما	يدع للمجد يهف كالظمآن!
يبذل النفس والنفيس ليحيا	سيدًا في الحمى رفيع الشان
"اخرجوا من إيران" صيحة شعب	صادق العزم في إباء الهوان
فهي للمعتدين أمر صريح	خالص من شوائب الروغان
فهموها وبالجلاء أبانوا	عن مدى فهمهم لبعض المعاني
لا يعي الغرب في الخصومة إلا	"اخرجوا من هنا بدون توان"!
اطرد الغرب أيها الشرق تطرد	عنك داء شرًّا من السرطان
فهو بئس العشير إن جاء "يحمي"	وهو بئس الخصيم في الشنآن
شرع الشر والعداء فأودى	بالكمالات والهدى والحنان
ورمى بالجمال والخير والحق	– بدعوى التمدين – في النيران

أيها الغرب من أراد ودادًا   هل ينال الوداد بالطغيان ؟
أيها الغرب إن في الشرق ودًّا   فاخطب الودّ منه بالإحسان
فهو نعم الوفيّ بالعهد حرًّا   لا بما أوثقت يد العدوان
وإذا رمت فيه للضيم غرسًا   لم تجد غير صيحة الكاشاني!

أيها الغرب جرت في الأرض جورًا   مذ حباك العرفان بالسلطان
فجعلت الحياة فيها جحيمًا   للملايين من بني الإنسان
ما أتاك العرفان للجور هلّا   صنتَ يا غربُ حرمة العرفان ؟
إنما جاء للأنام شفاء   من سقام الأرواح والأبدان

إن غدا الكون غابة ليس فيها   غير ضار يصول أو ثعبان
ينعم الباطل المسلح والحق   ضعيف النصير في حرمان
وتبارى الأنام في البغي دومًا   فمآل الأنام للخسران
أيها القوم توبة! فتفوزوا   وتنالوا ما ليس في الحسبان

فابذروا الخير تحصدوا الخير صرفًا   فهو نعم الجنى مدى الأزمان
وانشروا الحب في سلام ورحمى   إنما الحب شرعة الرحمان
إنما العيش في الضغينة سجن   ضيق فوق أفسح الاكوان
وإذا الحب ساد في الكون أضحى   به سم الخياط كالميدان

متى يفصل الحكم الاستعماري عن الجزائر؟

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الأولى، العدد الثاني عشر،
الجمعة 22 ربيع الأول 1371، 21 ديسمبر 1951

إن أهداف "المنار" تتضمن – كما يعلمه القراء من البرنامج المسطر في العدد الأول – تطبيق مبدإ "حق الشعوب في تقرير مصيرها".

وتستند في ذلك على المواثيق الدولية من جهة، ومن جهة أخرى على الاعترافات الضمنية من الحكومة الفرنسية بخصائص الأمة الجزائرية ومقوماتها وبأهليتها لتولي شؤونها بنفسها: فوضع "دستور" خاص بالجزائر، وإنشاء مجلس جزائري، وإشراك الجزائر في البرلمان الفرنسي وتسوية الشعب وإنشاء مجلس جزائري، وإشراك الجزائر في البرلمان الفرنسي وتسوية الشعب الجزائري بالشعب الفرنسي في ذلك – كل هذا اعتراف بالشخصية الجزائرية من جهة، وبنضوج الشعب الجزائري سياسيًا من جهة أخرى.

و"حق الشعوب في تقرير مصيرها" مبدأ صادقت عليه الدولة الفرنسية مع سائر الدول في وثيقة الأطلنطي ووثيقة الأمم المتحدة ووثيقة حقوق الإنسان. وتطبيق هذا المبدإ يقتضي – فيما يخص الجزائر – مراجعة العلاقة بين الأمة الفرنسية والأمة الجزائرية. وهو ما دعت ولا تزال تدعو إليه هده الجريدة. وذلك منها:

أولًا – اعتقادًا بأن إقامة العلاقات بين الأمم على التعاون في دائرة احترام متبادل تؤدي إلى نتائج غير التي تنجر عن الاضطهاد والاستعباد.

ثانيا – اعتقادًا بأن تطبيق المبادئ السامية ومراعاة العهود والمواثيق الدولية أو الفردية عامل من عوامل التقدم الخلقي والتوجيه السياسي السديد البعيد عن الماكيافلية التي

دلت التجربة على ضررها بالبشرية.

ثالثًا – اعتقادًا بأن تطبيق هذا المبدإ يؤدي إلى تحقيق الحرية والعدالة اللتين أنجر عن فقدهما شر كبير. وفي إقامتهما خطوة هامة في طريق تحقيق السلم وازدهار المدنية.. وأما دعوى كون تطبيق هذا المبدإ عند الشعوب "المتأخرة" خطرًا لتوقّع سوء تصرفها فيه فإنها دعوى ماكيافلية بحتة لم تظهر إلا عند الاستعماريين الفرنسيين مع أنهم هم المسؤولون الحقيقيون عن "تأخر" الشعوب التي يمصّون دماءها ويعرقلون سيرها، إذ لهذه الشعوب شواهد من التاريخ ناطقة بحسن استعدادها وبخدماتها للمدنية. ولا ازدهار للمدنية إلا في جو الحرية واحترام الكرامة الإنسانية.

رابعًا – اعتقادًا بان الوضع الاستعماري مناف لمبادئ السلم والمدنية. فإنه من أكبر العوامل في اختلال التوازن بين الأمم، وخلق التنافس في سبيل التوسع والاستغلال، والتحارب من أجل الاستئثار بالمواد الأولية والأسواق التجارية والمراكز الحربية. والاستغلال يستدعي استعباد الشعوب المغلوبة والحيلولة بينها وبين النور، فيبقى بذلك قسم كبير من البشر معطلًا عن مسايرة ركب المدنية. وهو ما يشاهد اليوم في سائر المستعمرات. فالوضع الاستعماري أكبر خطر على السلم والمدنية. وبزواله تزول العرقلة الكبرى من طريق السلم والمدنية.

خامسًا – اعتقادًا بأن أسباب المشاكل المتعددة – التي يتحدث عنها بعض الساسة الفرنسيين بالتهويل ويظهرون نيتهم في إيجاد الحلول لها للوصول إلى خلق جو صالح للحياة الطيبة في الجزائر– ترجع كلها إلى فساد العلاقة بين الأمتين من أساسها. وتلك هي الأزمة المزمنة في هذا الوطن. وما دامت هذه العلاقة لم تراجع على الوجه الذي يضمن احترام الشخصية والكيان والسيادة فإنه لا يمكن أن تنقطع المشاكل وأن تزول الأزمة.

ويؤيدنا في ذلك أن المطالبة بحق تقرير المصير محل اتفاق جميع الأحزاب التقدمية التحريرية في الجزائر.

ونظرًا لهذه الاعتبارات كلها فإن تطبيق مبدإ "حق تقرير المصير" أمر ضروري في الجزائر وفي غيرها من أقطار المغرب وبلاد الدنيا.

وبناء على هذا فإن ما يسمونه بالدستور الجزائري الذي وضعه البرلمان الفرنسي في 20 سبتمبر1947 يعتبر منافيًا لمبدإ "حق الشعوب في تقرير مصيرها". فهو في نظر هذا المبدإ باطل. وبطبيعة الحال فإن كل ما تولد عن هذا "الدستور" باطل. فالمجلس الجزائري من منشآت هذا «الدستور»... وعلاوة عليه فإن الانتخابات التي أبرزته للوجود لم تخل من تزوير. فهل يتصور أن يعتبره العاقل المنصف ترجمانًا صادقًا عن إرادة الشعب الجزائري أو ممثلًا حقيقيًا لمطامحه؟

وسيتولى هذا المجلس عن قريب تطبيق مادة هامة من مواد "الدستور" المفروض على الأمة الجزائرية فرضًا. وهي المادة 56 الناصة على فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية في القطر الجزائري. وهي قضية تهم جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، لأن المسلم أينما كان لا يرضى أن يُهان الإسلام في أي مكان، كما أن المسيحي لا يرضى أن تُهان المسيحية في أي مكان، وقس على ذلك أصحاب العقائد الدينية والسياسية. وما أهين الإسلام في أرض مثلما أهين في الجزائر. ولا توجد في العالم أمة محرومة من التصرف في شؤون دينها غير الأمة الجزائرية المسلمة. هذا مع دعوى فرنسا صداقتها بل "تبنيها" للإسلام!... وقد لمسنا هذه الصداقة وهذا التبني لمسًا حين شاهدنا أوقافنا تُنهب، ومساجدنا تُحال كنائس ومستشفيات، وأبواب ما بقي منها مغلقة في وجوه العلماء الأحرار، وغير ذلك مما يطير منه الضمير الحر استنكارا... وهذا شأن الأمة التي تفقد سيادتها: يُهان دينها، وقضاؤها، ولغتها، وسائر مقوماتها. ولا يمكنها أن تحصل على الاحترام التام إلا إذا عادت إليها سيادتها وأصبح بيدها الحق المطلق في تقرير مصيرها.

وهذا ما تدعو إليه هذه الجريدة. وباعتبار أهدافها الواضحة فإن فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية، وتنظيم القضاء الإسلامي، ونظام التربية والتعليم، ورسمية اللغة العربية، ونشر الثقافة الإسلامية وما أشبه ذلك من القضايا الخاصة بالجزائر لا تعد إلا جزئيات تنحل مشاكلها بحل المشكلة الرئيسية التي هي مصدر جميع المشاكل ألا وهي مراجعة العلاقة بين الأمة الفرنسية والأمة الجزائرية بتطبيق مبدإ "حق تقرير المصير" وإرجاع هذا الحق كاملًا غير منقوص إلى يد الشعب الجزائري فيكون له التصرف المطلق في تنظيم شؤونه الدينية والدنيوية من غير تدخل يد أجنبية في أي شأن منها.

ولهذا نتساءل عند ذكر فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية، متى يفصل الحكم الاستعماري عن الجزائر؟...

نتساءل عن هذا وهيأة الأمم المتحدة عاقدة جلستها السادسة في باريس وهي المسؤولة عن السهر على تطبيق مبدإ "حق الشعوب في تقرير مصيرها". والدولة الفرنسية عضو في هذه الهيأة. وقد برهنت هذه الدولة عن مدى مراعاتها لهذا المبدإ بسلوكها في الهند الصينية... وفي إغضاء الهيأة الأممية عن هذا السلوك تشجيع الاستعماريين المعتدين على التمادي فيه، وعلى السير عليه في بقاع أخرى، ومن جهة أخرى فإن فيه تحذيرًا للمظلومين من المطالبة بحقوقهم، وإهمالًا لمطامحهم المشروعة، وإرابة لهم في صدق الهيأة، وتخييبًا لرجائهم فيها. وفيه كذلك تهاون لا مبرر له من الهيأة في القيام برسالتها السامية في سبيل تحقيق السلم وحفظ الأمن ونشر المدنية. وإنه لتهاون يتنافى والشرف الإنساني الذي نعتقد أن الهيأة أحرص من في الأرض على تمثيله، وهي في غنى عن التذكير به.

وما ذكر الهند الصينية إلا مثال سقناه للاستدلال بالمحسوس على أن الوضع الاستعماري يتنافى ورسالة الهيأة لأنه لا يتحرج في إراقة الدماء ودوس التعاليم السماوية والمبادئ الإنسانية العليا التي استوحت الهيأة منها رسالتها. وإنه لمؤسف أن يهون على الهيأة شرفها إلى هذه الدرجة من الإغضاء عن دوس مبادئها واحتقار رسالتها.

هل مما يشرف هيأة الأمم أن توجد اليوم في العالم مشاكل كالمشكلة المصرية ومشكلة الأقطار المغربية؟ وأن تعرض للأنظار المشاهد الاستعمارية المخجلة التي يكفيها فظاعة أن يرى فيها ملايين من البشر في أغلال العبودية أو في مشاجرات عنيفة دامية؟ أليس من مقتضيات المدنية والسلم أن يكون العالم اليوم قد جاوز طور هذه المشاكل والمشاهد وجميع المخجلات من صور الماضي البشع؟

لقد كنا نرجو ذلك وزادنا تمسكًا بهذا الرجاء ما سمعناه وما لا نزال نسمعه من الخطب العلنية الحاملة من الوعود ما يجعل السامع على قاب قوسين من الفردوس أو أدنى...

ولكن سرعان ما فاجأتنا أحداث قاسية بتكدير هذه الآمال الصافية وأصبحنا نتساءل: هل يظل الباطل المسلح يعيث في الأرض بكل اطمئنان؟ وهل يظل الحق الأعزل يئن في حرمان؟ فمتى إذن يتحقق السلام؟ نتساءل لأننا معشر العرب نحبّ السلام ونريد أن تتطهر الأرض من العداوة والبغضاء ويسود فيها الوئام. والاستعمار من أكبر العوامل في تعكير الصفو بين الأنام. وهو أكبر سبب في التأخر والانحطاط في البلاد العربية شرقًا

وغربًا في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ومن منتهى الرقاعة أن بعض الدول الاستعمارية لا تتردد في أن تعيب العرب بهذا الانحطاط متناسية أنها هي المتسببة فيه... وكل من يتسبب في انحطاط قسم من البشر فهو عدو للبشر، عدو للمدنية، عدو للسلام، ولا حق له في العضوية في هيأة تحمل مبادئ احترام الإنسان وخدمة المدنية والسلام. هذا ما يقتضيه العدل والمنطق السليم ولكن المبادئ شيء والتطبيق شيء آخر.

وهذه حقيقة عرفناها من سلوك الأمم الغربية والأمم المساومة المتاجرة بالمبادئ الإنسانية العليا. والشواهد قائمة ناطقة إلى الآن تنطق بالخزي للاستعماريين المجرمين وأعوانهم المتاجرين المساومين وكلهم أعداء الإنسانية والمدنية.

وإن أكبر شاهد تقدمه الهيأة الأممية على إخلاصها لرسالتها في تحقيق السلام هو إلى جانب نزع السلاح إلغاء الاستعمار من العالم.

قضية المغرب واحدة وكفاحه واحد!

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الأولى، العدد الثالث عشر،
الجمعة 6 ربيع الثاني 1371، 4 جانفي 1952

لا شك أن القراء لاحظوا سكوتنا عن القضية التونسية لاسيما بعدما أعلنا في العدد الأول من "المنار" أننا نعتبر المغرب كلًا لا يتجزأ ودعونا إلى توحيد السياسة والعمل في جبهة واحدة تهدف إلى غاية واحدة بوسائل متحدة. وهذا يستدعى من الصحيفة اهتمامًا بسائر أقطار المغرب دون تمييز باعتبار قضيتها قضية واحدة، كما يستوجب الإلحاح لدى الحركات التحريرية المغربية في توحيد كفاحها، ونبذ النزعة الانفرادية التي تؤدي إلى تجزئة القضية المشتركة تجزئة تعد اعترافًا بالحدود التي أقامها الاستعمار بين أقطارنا لابتلاعها قطرًا قطرًا، وإقرارًا للأوضاع الاستعمارية فيها، وطعنة في صميم الوحدة الطبيعية التي تربط هذه الأقطار... واعتبار قضية المغرب قضية واحدة إنكار للأوضاع الاستعمارية، ونبذ للوهم بأولوية قطر من المغرب على شقيقه بالاستقلال، وإعلان لأهلية سائر أقطاره لذلك. وهذا الاعتبار يستند على أسباب واضحة منها:

1) إن الأوضاع الاستعمارية المفروضة على سائر بلاد المغرب فرضًا تهدف إلى غاية واحدة، وتعتبر قضية المغرب قضية واحدة. ولئن ظهر بينها شيء من الفرق فهو نتيجة أساليب ترمي إلى القضاء على أقطارنا واحدًا واحدًا. فالسياسة الاستعمارية في "الحمايات" تشعر بالنية في تدريجها إلى "مستعمرات" لا إلى دول ذات سيادة مطلقة. يدل على ذلك وحدة السلوك السياسي المتجلية في نكث العهود، والقمع النازل علينا جميعًا، والمؤتمرات التي يعقدها ممثلو الحكومة الثلاثة في بلادنا لتوحيد سياستهم، والحكم المباشر الذي يرمي إلى إحالة ملوك البلاد المحمية رموزًا لا نفوذ لها، والتصرف المطلق في اقتصاد البلاد ومواقعها الإستراتيجية، وسياسة تفقير الأهالي ماديًا ومعنويًا، والقضاء على كل نزعة تحريرية، وغير ذلك مما يشعر بأن الاستعمار يعتبر المغرب كله "مستعمرة"

واحدة اختلفت طرق احتلاله لأقطاره ولم تختلف أهداف نياته، وتنوعت الأوضاع مظهرًا واتحدت جوهرًا.

2) إن مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها يشمل جميع الشعوب دون تمييز. فمصيبة الشعوب المستمرة واحدة، وغايتها واحدة، وكفاحها واحد. وعلى هذا المبدإ تشكل "مؤتمر الشعوب ضد الاستعمار" وفيه ممثلو الحركات التحريرية الاستقلالية لبلاد المغرب، وكل ما قرره هذا المؤتمر عن أقطار المغرب صريح في اعتبار مطامح الشعوب المغربية واحدة وقضيتها واحدة ولا يفرق بينها في حقها في تقرير مصيرها بنفسها.

3) إن "لجنة تحرير المغرب العربي" التي تكونت في القاهرة من ممثلي الحركات التحريرية الاستقلالية للأقطار الثلاثة تعتبر قضية المغرب واحدة وكفاحه واحدًا. وتؤكد أن الحق في الحرية والاستقلال واحد للأقطار المغربية دون تمييز ولا تفضيل.

ولا حاجة إلى ذكر الأسباب الأخرى المتعلقة بالوحدة الجغرافية، والموقع الاستراتيجي، ولا ما تمليه الروابط الجنسية واللغوية والدينية والتاريخية.

لهذه الأسباب كلها نعتبر قضية المغرب واحدة وكفاحه واحدًا. أما مراعاة وضعيات "شرعية" أقامها الاستعمار لا يراعي الأوضاع "الشرعية" الدولية فكيف تعقل حين تتعلق بحياة شعوب يُراد إبادتها بقوانين سنها السيف؟ أليست الأوضاع "الشرعية" الاستعمارية إنكارًا للشرع؟ أيّ شرع يبيح لأمة استعباد أمة أخرى اللهم إلا أن يكون للعدوان مبرر شرعي أو أن تعتبر القوة الوحشية شريعة؟ ومن جهة أخرى فإن الأوضاع التي اصطلحت على "شرعيتها" دول استعمارية لاستغلال الشعوب المستضعفة قد ألغتها المواثيق الدولية الناصة على حق الشعوب في تقرير مصيرها؛ والمصادقة على هذا المبدإ معناها إبطال "شرعية" الأوضاع الاستعمارية وحكم عليها بالإعدام. والدولة الاستعمارية التي يخاصمها المغرب أمضت بيدها هذا الحكم على أوضاعها فيه. فلم يبق لدوامها أي مبرر شرعي. والاستعمار نفسه لا يراعي الأوضاع "الشرعية" التي يضعها بيده: فالقمع الشامل لبلاد المغرب، ومرابطة الجيش فيها منذ الاحتلال، والنظام البوليسي الواسع الناطق المطلق النفوذ، دليل واضح على أن الاستعمار يعتبر نفسه في حال حرب دائمة مع أهل المغرب الذين لا يفتأون يطمحون رغم ذلك إلى استرجاع سيادتهم، ويقاومون الأوضاع الاستعمارية باستمرار حسب طاقتهم، ودليل واضح على على عدم اطمئنان الاستعمار

على هذه الأوضاع (التي فرضها عليهم فرضًا) لأنه يرمي من ورائها إلى إبادتهم جميعًا... وهذا الموقف منه يبطل الاعتقاد بأن اختلاف الوضعيات "الشرعية" المفروضة على أقطار المغرب له أثر في تقسيم قضيتها المشتركة بتقريب بعضها وإبعاد بعضها من الاستقلال، ويبطل الوهم بإمكان تحقيق المطامح القومية في دائرة اعتبار هذه الوضعيات الماكيافلية إذ في اعتبارها اصطدام بمن هو الخصم والحكم في آن واحد، ويبطل كل رجاء في إصغائه إلى مطامح مناقضة لبرنامجه الرامي إلى ابتلاع كافة أقطار المغرب (اللهم إلا أن أكره على الإصغاء إكراهًا كما وقع في سوريا ولبنان). وهذا البرنامج المختلف مظهرًا المتحد جوهرًا يدل على وحدة السياسة الاستعمارية في الأقطار الثلاثة. ورد الفعل الطبيعي يقتضي توحيد السياسة التحريرية وهو ما ندعو إليه.

وهو ما حاولت تحقيقه "لجنة تحرير المغرب العربي" التي نشأت في القاهرة باتفاق الحركات التحريرية الاستقلالية المغربية وعلى رأسها سمو الأمير عبد الكريم الخطابي. ونشأة هذه "اللجنة" حادث تاريخي فريد في تطور الكفاح التحريري بالمغرب أنعش الآمال في صدور أهل المغرب قاطبة، فضرب بالأوضاع الاستعمارية عرض الحائط، وزاد فكرة الوحدة المغربية رسوخًا وضرورة توحيد العمل تأكيدًا، ودفع بالكفاح التحريري إلى الأمام بخطوة هامة في طريق تحقيق غايته، إذ أصبحت مطالب أقطار المغرب كلها تحوم حول "محور" واحد: الاستقلال التام قبل كل مفاوضة. فلا إصلاحات، ولا مراحل، ولا تفاوض في نطاق الوضع الاستعماري. وكل تفاوض على غير هذا "المحور" يعد تراجعًا وتقهقرًا. فعلى الحركات التحريرية أن تتضامن وتثبت على المبدإ المقرر، ومن يتخل يصبه ما يصيب القاصية من الغنم. ومن المعلوم أن الطريقة العملية لتحقيق النجاح تستوجب توحيد السياسة والعمل على هذا الأساس في كل قطر مغربي وهو أمر يظهر عسيرًا نظرًا لتعدد الأحزاب في كل قطر إلا أنه أمكن تحقيقه في المغرب الأقصى – بعد أمد طويل (رجب 1370 – أفريل 1951) وفي ظروف خاصة معروفة – بتكوين جبهة قومية كنا نرجو أن يكون لها صدى ملموس في الجزائر وتونس. وبعد مدة (شوال 1370 – جوليت 1951) تشكلت في الجزائر جبهة لكن – يا للأسف – على غير هذا الأساس ولا على أساس "أحباب البيان والحرية" المأسوف عليها (ولا نزال نرجو أن تتطور وتتقدم). وأما تونس فإنها اجتمعت من قبل حول "ميثاق ليلة القدر" (أوت 1946) إلا أنه لم يدم ومن الأسف أنه لم يعوض بأية صورة من صور الاتحاد، وذلك لتغيير الحزب الحر الدستوري الجديد خطة كفاحه وانتهاجه سياسة منحرفة عن هذا الميثاق وعن "ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي" إذ ترك "المحور" المذكور وتنازل إلى التفاوض في نطاق الوضع الاستعماري

طالبًا "إصلاحات" تؤدي بعد "مراحل" إلى الاستقلال الداخلي وتخليص السيادة التونسية. وبهذا أصبح عضو من أعضاء "اللجنة" منفصلًا عنها وأصيبت السياسة التحريرية في وحدتها إصابة قاسية. ومن الطبيعي أن يثير ذلك استنكار التونسيين الثابتين على ميثاق ليلة القدر وجميع المكافحين من أهل المغرب الثابتين على ميثاق "اللجنة" والمتخوفين من سوء أثر هذا التراجع في القطرين الآخرين، فصدرت بيانات استياء مثل بيان حزب الاستقلال المراكشي، وبيان يوسف الرويسي ممثل الحزب الحر الدستوري التونسي بدمشق، وبيان الأمير عبد الكريم الخطابي، ولكن لم تصادف هذه البيانات آذانا واعية لدى الحزب الحر الدستوري الذي تعرض بانفصاله عن الكفاح المشترك إلى ما تتعرض له القاصية فعبث به الاستعمار عبثه المعهود في تقاليده. وقد كنا نتوقع هذا لعلمنا بمرامي البرنامج الاستعماري الفرنسي لا في الأقطار المغربية فحسب بل في كل قطر حل به، وفي درس الهند الصينية غنى عن كل درس... كنا نتوقع هذه النتيجة بناء على المألوف من سياسة نكث العهود عند المستعمرين. وكنا نتتبع سير التجربة آسفين على الانفصال الذي أحدثته، ساكتين لا عن رضى بل انتظارًا لما ستسفر عنه، موقنين بإخفاقها سلفًا، واكتفينا بالإشارة إلى ذلك في بعض المناسبات من غير مس بكرامة إخواننا التونسيين، محسنين الظن بإخلاصهم في إقدامهم على تجربة كانوا يعتقدون نجاحها. ولعلهم كانوا يتصورون هذا النجاح من أحد وجهين: إما نيل المطالب وإما إقامة الحجة على سوء نية الاستعمار. وها هي النتيجة تبرز بعد سنة ونصف بصورة أشنع مما كان يتوقع إذ لم يكتف الاستعمار بالتصميم على إبقاء ما كان على ما كان (وهو المتوقع) بل ذهب إلى أبعد من ذلك فأصبح يطالب بإشراك الدخلاء في تدبير الشؤون التونسية وأصبحت السيادة التونسية التي كانت التجربة ترمي إلى تخليصها مهددة بالخطر، وترقت معاهدة الحماية إلى "ما أفره حمارنا! " فهل لتونس أن تقول لها: "زولي قبل أن تقولي: ما أفره حماري"...؟

فإن رد الفعل التونسي أمام هذا الموقف الجديد بدأ بإضراب عام نال إجماع الأمة التونسية ونجح نجاحًا باهرًا. والشيء الذي يهمنا هو إجماع الأمة التونسية على مقاومة الموقف الاستعماري الجديد الذي لا يخلو من التأثر بالخشية من عواقب استقلال ليبيا في تونس وشقيقتيها وبالحذر من خلق سوابق تكون حجة للمغرب الأقصى الذي انتقلت قضيته إلى الميدان الدولي. ومع ذلك فهذا الموقف حجة للمغرب الأقصى يمكنه أن يعتمد عليها لرفض المفاوضة مع خصم هو الحكم لا سبيل إلى الحصول منه على حق بطريق التفاهم المباشر! وهل يتصور النجاح حيث خاب الصبر واللين والتنازل الذي أظهرته

تونس؟ وهل هناك تنازل أكثر من هذا؟

فالدرس الذي نستخلصه من التجربة التونسية هو أن سياسة المفاوضات في نطاق الوضع الاستعماري غير مجدية. فإخفاق هذه السياسة في تونس (الذي تلقى مسؤوليته على الاستعمار) قد بين سداد الخطة التي خطتها لجنة تحرير المغرب العربي: الاستقلال التام قبل كل مفاوضة... فهو يتطلب من إخواننا التونسيين العودة إلى هذه الخطة السديدة. وسيجدون بجانبهم إخوانهم الجزائريين والمراكشيين الثابتين على هذه الخطة. وللاستعمار جزيل الشكر على هذا الإخفاق الذي تتلقى منه أقطار المغرب كلها درسًا جديدًا أفهمها أهدافه المكيافلية ونبهها إلى بناء كفاحها على الأساس المتين الذي وضعته لجنة تحرير المغرب العربي، وبين لها سداد هذه اللجنة فيما قررته من أن قضية المغرب واحدة فيجب أن يكون كفاحه واحدًا.

من وحي استقلال ليبيا: إننا بكِ لاحقون!

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الأولى، العدد الرابع عشر،
السبت 21 ربيع الثاني 1371، 19 جانفي 1952

كلما تحرّر من الاستعمار شعب هزتنا نشوة طرب، وابتسمت لنا الآمال في قرب الفرج الذي ننشده، وازددنا حماسًا في الكفاح في سبيل ما نصبو إليه من حرية واستقلال.

ولا نفرّق في هذا السرور بين المسلم وغير المسلم، والعربي وغير العربي من الشعوب التي تتحرر من النير الأجنبي، لأنّ مصيبتنا واحدة و"المصائب يجمعن المصابينا"، وغايتنا واحدة والغاية تجمع المكافحين في سبيلها. فقد طربنا لتحرّر شعوب سوريا، ولبنان، وباكستان وأندونيسيا، التي تجمع بيننا وبينهم روابط جنسية ولغوية، أو روابط دينية وتاريخية؛ كما طربنا لتحرّر شعوب برمانيا، والهند، وسيلان، التي يجمع بيننا وبينهم حب الحرية والاستقلال؛ ولا نزال نرجو أن يكلّل كفاح الهند الصينية في سبيل استقلالها بما كلّل به كفاح جاراتها؛ كما أننا نرجو انتصار الشعب المصري الشقيق في جهاده في سبيل الاستقلال التام وما النصر ببعيد.

وها هو اليوم شعب آخر يسترجع سيادته واستقلاله، وهو شعب ليبيا الشقيق، الذي نستقبل استقلاله بمثل ما استقبلنا به استقلال الشعوب المذكورة من الابتهاج. بل إنّ ابتهاجنا باستقلاله يمتاز امتيازًا خاصًا، وذلك لمتانة الروابط التي تربط شعوب المغرب به، والمغرب كما ذكره ابن خلدون يمتدّ إلى الإسكندرية، وعليه فليبيا تعتبر قطرًا مغربيًا، فهي همزة وصل طبيعية بيننا وبين الشرق العربي والإسلامي. وستدخل ليبيا في هيأة الأمم المتّحدة فيصبح للأمم العربية والإسلامية وللأمم المتحرّرة من الاستعمار وأنصار الحرية صوت زائد، كما أنّ ليبيا العربية ستنخرط في حضن الجامعة العربية فيزداد نفوذها، وستنضم ليبيا المسلمة إلى المؤتمر الإسلامي العالمي فتتعدّد مراكزه... ونبتهج ابتهاجًا خاصًا

لأنّ الاستقلال قد دخل الآن أبواب المغرب وسينتشر فيه من ليبيا إلى المحيط الأطلسي...

وقد كنّا نأمل أن يجيء هذا الاستقلال على أكمل صورة وأتمّ شكل فلا تثقل كاهل ليبيا مؤونة الجنود الأجنبية، ولا تدوس ترابها أرجل الذئاب الاستعمارية، ولا تسدّ ثغورها قراصنة الاستعمار... وليتها وجدت بين يديها من الوسائل ما يغنيها عن الذي يقول فيه الشاعر العربي:

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى * عدوًّا له ما من صداقته بدّ

ولا نزال نرجو أن تستخلص شقيقتنا حقّها في الحرية والاستقلال كاملًا غير منقوص وذلك مرهون قبل كل شيء بمساعيها، ومساعي إخوانها العرب والمسلمين، وموقف أنصار الحق والعدالة إن كان لهما أنصار مخلصون... فإنّ الاستقلال الذي ننشده هو سلامة السيادة من كل قيد أجنبي، وسلامة الاقتصاد والمالية من كل احتكار أجنبي، وسلامة الثغور من كل أسطول أجنبي، وسلامة التراب من كل جند أجنبي، وسلامة السياسة الداخلية والخارجية من كل أثر أجنبي...

الآن يا ليبيا تدركين ويدرك إخوانك المجاورون حقيقة الاستعمار في أجلى مظاهرها... الآن يظهر لك وجهه السافر البشع... لقد نتف موسوليني أجنحتك ليضاعف قوة أجنحته فيطير على حسابك حتى إذا انكسر لم تجدي ما يرفعك إلى السماء وأصبحت لا غنى لك عن الغير... هذا دأب الاستعمار واللاتيني منه بوجه خاص... ولكنه وقع في الحفرة التي حفرها لضحاياه، وأقام على نفسه الحجّة حين أراد أن يقيمها عليهم... فمن المسؤول عن حاجتك إلى غيرك بعد أن نلت استقلالك؟.. أين جيشك؟ أين أسطولك؟ أين الفنيون الاختصاصيون من أبنائك؟.. إنه – والله – لظلم كبير أن يوجّه السؤال لك...

وإنه لمن أكبر الظلم أن يوجّه هذا السؤال إلى شقيقاتك تونس والجزائر ومراكش. ومَثَلُ الاستعمار في هذا السؤال كَمَثَلِ الغاصب الذي يجرّد ضحيته من كلّ مالها ثم يسألها: أين مالك الذي منه تكتسين ومنه تقتاتين؟...

معذرة أيتها الشقيقة، فإنك إذ تلتفتين يمنة أو يسرة لا تجدين سوى صيحات الجهاد الذي

تعرفينه في سبيل العزّ تعلو من صدور أشقائك الأباة؛ هدير النيل الفائض شرقًا، وزئير الأمازيغ المكتبلة الثائرة غربًا؛ ومع ذلك فإنهم لم يشغلهم عن الابتهاج بنصرك والاهتمام بكمال عزّك ما هم فيه من غلاب ليدخلوا مثلك في صميم الحياة؛ وإنّ هذا الابتهاج وهذا الاهتمام جهد المقلّ...

فمَن المسؤول عن حالٍ لا تخوّلنا أن نمدّك إلا بالشِعر وزخرف القول، وأنتِ أغنى ما تكونين عنهما، وأحوج ما تكونين إلى غيرهما، بعد أن دخلتِ من هامش الحياة إلى صميمها، وأصبحتِ تتجاذبك مطالب وتكاليف تنوء بها الجبال!؟...

الآن تدركين ويدرك الغالطون معنى "رسالة" الاستعمار الحقيقية والآن يتجلّى لك ولغيرك "إشفاق" الاستعمار على ضحاياه من "العجز" عن القيام بتكاليف الحياة الاستقلالية. والآن تظهر "الأسباب" الحقيقية، وينكشف المجرم الحقيقي فيما يسمّونه "تأخّر" الشعوب، ولا يخجلون من ذكره، وكتابته، ثم التنويه برغبتهم في "علاجه"...

باسم هذه "الرسالة"، وهذا "الإشفاق"، وهذا "التأخّر"، وقف الاستعمار الفرنسي موقفه من مطامحك في هيأة الأمم، وانفرد بالتعرّض لاستقلالك ووحدتك! يا لها من حكمة! يا له من منطق! يا له من سموّ إنساني! وباسم هذه كلها لا يزال يقترف الجرائم والآثام في الأقطار المجاورة لك، ويُنزل ألوان الاضطهاد بشعوبٍ من أشقّائك، ويتفنّن في نتف ريشهم حتى "يعجزوا" عن الارتفاع إلى السماء إذا انكسر... وسينكسر لأنه يحاول أن يغالِب إرادة الله، وهي لا تغالَب، وأن يوقف سير التاريخ وهو لا يوقَف!

يقولون أنّ في عددك قلّة، وقد جهلوا أو تجاهلوا أنّ سموّ العزة العربية وعلوّ الهمّة الإسلامية يأبيان على كلّ عربيّ مسلم إلا أن يجسّم قاعدة "رجل كألف"! فأقيمي لهم على ذلك الدليل الذي يزيل الشكّ، ويقيم الحجّة، ويقطع الألسنة!... طيري مع الزمن الطائر إلى حيث تنظر إليك الأعين بالإجلال، وتنطلق عنك الألسنة بالأمثال، ويعلو بناء العزّ فيك مفاخرًا بالبناة. يعزّ على مطامع البغاة، وتنبو عنه سهام الغزاة!...

أدخلي في صميم الحياة، حياة الحقائق لا الشقاشق، وانفضي عنك غرور الألقاب الفارغة، وخداع الإمارة "المسترقة"، وقد نصحكِ ونصح جميع العرب شاعر الحكمة شوقي بقوله:

فمن خدع السياسة أن تغروا * بألقاب الإمارة وهي رقّ

إنك حطّمتِ أغلال العبودية بإرادتك وإرادة الله. آمنتِ بالحياة فآمنت بكِ، وأردتِ العزّة فانساقت لكِ، ورفعتِ رأسكِ إلى الكواكب فابتسمت لكِ، وهي فاتحة لكِ أجواءها لتحتضنكِ، فطيري نحوها طير النسر، فارتاشي وهزّي أجنحتكِ والله عونك، وإننا لاحقون بكِ.

نعم إننا بكِ لاحقون لأننا نؤمن بالحياة! وسنرفع هذا المغرب الجليل إلى أوج سماء العزّ، وستهتزّ لأجنحته الأفلاك، وسيكون لها على صفحة هذا البحر المتوسّط تموّجات تنسي المدهوشين بماضيه الجليل ما كان له من دويّ مهيب.

نعم، إننا بكِ لاحقون وجميع الشعوب لاحقة! فهذه بوادر عهد جديد تمخّضت عنها الحرب العالمية الثانية حرب التحرير، بوادر جاءت معلِنة نهاية عهد الاستعباد والاستغلال، وبداية عهد الحرية والاستقلال؛ تلك إرادة الله، وسنّة التاريخ؛ فويلٌ لمن يحاول معاكسة السنن الإلهية، وإيقاف سير التاريخ! وبشرى للمجاهدين المؤمنين الأبطال!

يوم تونس

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الأولى، العدد الخامس عشر،
الجمعة 6 جمادى الأوّل 1371، 1 فيفري 1952

يوم تونس يوم التضامن في المحنة، تضامن للدفاع عن الكرامة المهانة، والعدالة المداسة، والمطالبة بالحق المهضوم، والحرية المسلوبة؛ تضامن لصد العدوان والطغيان، وإنهاء عهد الظلم والاضطهاد؛ انه تضامن أنصار الحق لإيقاف الباطل وحقن الدماء البريئة.

علت في تونس صيحة مقدسة، صيحة شعب مهضوم الجانب يطالب بحقه في حياة كريمة فأجابه صوت الرصاص يريد إسكاته، ويريد إرغامه على الرضى والاستسلام للظلم والاضطهاد: جيوش جرارة وطائرات ودبابات ورشاشات تزحف على شعب لا ذنب له إلا انه يريد حياة حرة كريمة.

من أرسل هذه القوة وأمر بهذه القوة؟ إنها الدولة التي ملأت السماء والأرض بدعواها حماية حقوق الإنسان والسعي في تحقيق الحرية في كل مكان.

ومن هذا الشعب "المذنب" الذي استحق هذا العقاب؟ إنه الشعب التونسي الأعزل إلا من إيمانه بحقه في الحرية والاستقلال.

الدماء! الدماء! تلك صيحة الاستعمار "الظمآن". الدماء هي التي ترويه وتطفئ لهيب غلته، تلك هي الصيحة التي تعلو من الأجواف الاستغلالية من الدار البيضاء إلى الإسكندرية. وماذا عسى يخرج من هذه الأجواف الممتلئة دماء، المتكونة لحمًا وشحمًا من دماء الأبرياء العزل؟ وإلى هذه الصيحة، صيحة الوحشية الضارية، استجابت الحكومة الفرنسية الحريصة على نشر "السلم"... الغيورة على "المدنية"، وهل سجل لها التاريخ الاستعماري

استجابة لغير هذه الصيحة؟ وهل عرف لها التاريخ الاستعماري قِيَمًا روحية غير ما اشتق من "القوة الوحشية" وما يتبعها من "قمع" و"ظلم" و"عنف" و...؟ لا نذهب بعيدًا، ولنسأل التاريخ القريب، تاريخ العهد الجديد الذي يبتدئ من الحرب العالمية الثانية، تلك الحرب "التحريرية". فماذا يجيب؟ إنه يضع أمام أنظارنا تلك السلسلة من المؤامرات الدامية التي تبتدئ من 8 ماي 1945 في الجزائر وتمتد إلى المغرب الأقصى، إلى مدغشقر، إلى أفريقيا الغربية، إلى الهند الصينية، إلى تونس،... أما لهذه الفظائع من نهاية؟ بلى! فإن لكل شيء نهاية. هكذا يقول التاريخ. فلنسأل سوريا ولبنان، والهند وباكستان، وبرمانيا وسيلان، وأندونيسيا وإيران، وليبيا... فستجيبنا بأن إرادة الله فوق إرادة الاستعمار وأن سنّة التطور لا يغيرها تشبث الاستعمار بالتقاليد البالية وأن النصر للحق على الباطل ما دام الحق صامدًا ثابتًا...

لقد جهل الاستعمار الفرنسي أن الزمان قد تغير، وأن عهد الإذلال والاستعمار قد انقضى، وأن عهد الحرية والاستقلال قد سطعت أنواره، وان الظلام لا يثبت أمام النور.

وما زال الاستعمار الفرنسي يجهل أن الحياة الحاضرة تتطلب قِيَمًا جديدة لا يعرفها ولا يشعر بها، وإنما يشعر بها العالم المظلوم، عالم الشعوب المستضعفة، ذلك العالم الذي أصبح اليوم يطالب بحقه في الحياة دون هوادة وأصبح يتقارب ويتضامن، والعالم الإسلامي جزء من هذا العالم المستضعف، وقد تحرر بعضه فما زادته حريته إلا حماسًا في الدفاع عن حرية إخوانه المجاهدين في سبيل التحرر، وما إن علت صيحة الجهاد في تونس حتى أجابها من كراتشي صوت يهيب بالمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلى التضامن مع إخوانهم المجاهدين في تونس.

حقًا، إن هذا التضامن لا يتجاوز نطاق العاطفة. ولكنه كافٍ لتحطيم الحدود والسدود الوهمية التي أقامها الاستعمار الغربي بين الشعوب الإسلامية وإشعاره بأن بنيان الكذب والباطل في انهيار.. وسيصبح هذا التضامن حقيقة مادية وحينئذ سيكون لصوته وقع آخر في الآذان المتصامة. لقد جاءت نكبة تونس وليس لشقيقاتها الجزائر ومراكش وليبيا المجاورة لها ما تمدها به لصد العدوان الاستعماري المسلح غير الاستنكار الصارخ؛ والاستعمار لا يذعن إلا عند مقابلة السلاح بالسلاح، والعنف بالعنف، والقوة بالقوة، ولا يفهم غير لغة القوة والجبروت. ومع ذلك فإن هذا التضامن تضامن مهيب لأنه يستمد قوته وهيبته من الحق، والحق من أسماء الله، وهو يعلو ولا يعلى عليه، وستتراجع أمامه

جنود الباطل المغرورة، تلك التي تغتر بالعَدد والعُدد ولا تؤمن بغيرها وتستهدين بمن لا يملكونها، وتحتقر سلاحهم المستمد من الحجة السديدة والبرهان الصحيح والحكمة القويمة، وهذا ما تجلى في الاستعمار الفرنسي الذي غره ما شاهده في تونس من لين وتعقل أثناء المفاوضات وظن ذلك منها غباوة وضعفًا: ظنه غباوة فأراد أن يحتال فمطط المفاوضات طيلة ثمانية عشر شهرًا، وهو يبيت في ذلك ما يبيت من المكر والكيد والاحتيال، فانتهت التجربة بخيبة ظنه فيما كان يحسبه غباوة، وأفهمته تونس الفرق بين الغباوة والتغابي. وظن فيها الضعف فأتاها من هذه الناحية فإذا به يجد أمامه أسودًا تزأر لا نعاجًا تكسر وإذا به يسمع الصيحات تعلو من مشارق الأرض ومغاربها مدوية بالاستنكار، وإذا بالأقلام تخط في الصحف بمختلف اللغات أنهرًا تزخر بالاستياء والاحتقار، وإذا بالشعب التونسي الأعزل المستضعف يرى قوته أضعافًا مضاعفة بتضامن أشقائه وأنصار الحق معه، وإذا بالاستعمار يرى نفسه غارقًا في حمأة الخزي واللعنات بما أظهر من نفاق ولؤم، نفاق تجلى في نقض العهود، ولؤم تجلى في الاعتداء بالسلاح على العزل، ثم أنه مع هذا لا يخجل من استئجار الأقلام المسخرة لاختلاق المبررات، ولا تخجل هذه الأقلام من الدعوة إلى "التضامن" الاستعماري للدفاع عن "المدنية" المهددة من طرف الشعوب "المتوحشة".

فمن المتوحش يا ترى؟ إن القسم الأعظم من شعوب العالم ساخط على الاستعمار، فلماذا يسخط ولا يبتهج؟ وفي هذا القسم الساخط توجد شعوب المغرب. ولهذه الشعوب علاقة "متينة" بالدولة الفرنسية. وهي علاقة المظلوم بالظالم... وقد قامت هذه الشعوب تطالب بمراجعة هذه العلاقة حتى تستحيل إلى علاقة الند بالند، قائمة على التعاون المثمر، والاشتراك في بناء الحضارة، وحفظ السلم، وإبعاد خطر الحرب... فهذه المطالبة يعتبرها الاستعمار الفرنسي "همجية" و"توحشا". وكلما علا صوتها، وظهر التضامن بين هذه الشعوب حولها، قام الاستعمار الفرنسي يتهمها بالتعصب ويرميها بالتوحش والهمجية، زاعمًا أنه بذلك يدافع عن "قيم روحية" إذا زالت زالت المدنية. نعم إن له "قيمًا روحية" لا تنكر ويا ما أسماها قيما!! وهل هناك أسمى من الظلم والبغض العنصري والحقد الديني والأنانية العمياء والمادية الطاغية والاستغلال اللانهائي؟ نحن كافرون بهذه القيم وهذه المدنية ونريد أن تزول وتحل محلها قيم أخرى هي: العدل والحب والرحمة وما يحوم حول هذا المعنى. فنحن في نظر الاستعمار متوحشون لتعقلنا بهذه القيم، ونحن متعصبون عنصريون لتضامننا في الدفاع عنها والمطالبة بتحقيقها!

ألا فليعلم الاستعمار الفرنسي أن السياسة القائمة على الباطل والقوة الوحشية قد أفلست، ولتعلم تونس الشقيقة أن النصر حليفها وأنها ستتحرر بعون الله من الظلم والطغيان، وستتحرر معها الجزائر ومراكش! وما علينا إلا أن نوحد صفوفنا ونتعاون جميعًا في سبيل التخلص من العدو المشترك، فإن قضيتنا واحدة، وعدوّنا واحد، فيجب أن يكون كفاحنا واحدًا..

رحم الله شهداءك يا تونس الشقيقة! الثبات! الثبات! ما ضاع حق وراءه طالب ثابت! فإن يومك هذا يوم التضامن الإسلامي والديمقراطي في استنكار العدوان! فليكن هذا اليوم بداية خطة موحدة بين شعوب المغرب في الكفاح في سبيل الحرية الاستقلال!

هل يتحقق توحيد الكفاح المغربي؟

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الأولى، العدد السادس عشر،
الجمعة 20 جمادى الأوّل 1371، 15 فيفري 1952

إن الظروف التي تسود البلاد المغربية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية مليئة بالمآسي. ومصدر هذه المآسي يتلخص في اصطدام إرادة التحرر القومي بإرادة الاستعباد الاستعماري.

أما إرادة التحرير فإنها تجلت بصفة واضحة في الأقطار المغربية بأسرها غير أنها جاءت متفاوتة في التعبير وأسلوب التحقيق. ولو تم لها الانسجام في ذلك لأسفرت المآسي عن نتائج تقرب الأقطار المغربية قاطبة من أهدافها ولأثمرت التضحيات المغربية الجسيمة أطيب الثمار في القريب العاجل.

فإن وحدة الإرادة لا تغنى عن وحدة العمل للتعجيل بتحقيقها. ولو أن الحركات التحريرية المغربية وحدت عملها داخل كل قطر مغربي لتقدمت تقدمًا سريعًا نحو غايتها ولو تم هذا التوحيد في الكفاح التحريري المغربي العام لكان اليوم لأقطار المغرب كلها رأس مرفوع وصوت مسموع في الميدان الدولي ومن المؤسف أن فاتت الفرص المواتية لذلك أو فُوِتت لأسباب تعود تبعتها على الحركات التحريرية المغربية، الأمر الذي عاد بالفائدة على الاستعماريين الجادين في اغتنام الفرص وتفويتها على ضحاياهم: ألم يبذلوا كل ما في وسعهم لتفويت الفرصة على القضية المراكشية لدى هيئة الأمم؟ ألم يسعوا في تمطيط المفاوضات التونسية الفرنسية لتفويت فرص رفع القضية التونسية إلى الهيئة الأممية؟ ألم ينجحوا في إسدال ستار الصمت على القضية الجزائرية مع أن دواعي رفعها إلى الميدان الدولي ليست بالهينة ولا بالقليلة؟ ولو وجدوا أمامهم كتلة مغربية منسجمة قائمة البنيان تدافع عن قضية واحدة بلسان واحد لما استطاعوا أن يمثلوا حكاية الثيران الثلاثة في بلادنا. ولكن لا يزال

في الإماكن خلق الفرص المتواتية لنا من جديد. ولا مجال لليأس من روح الله إذا جد المؤمن في التعرض لنفحاته فإن العهود المظلمة قد انقشعت غياهبها والنشاط التحريري آتى خير الثمار في كثير من الأقطار: فتحررت شعوب رزحت أكثر منا وقاست مثلما قاسينا من الظلم والاضطهاد. كما أن الكفاح التحريري في العالم المستضعف قد خطا خطوات واسعة في التنظيم والتعميم، والوعي القومي ينتشر بسرعة مدهشة في الأقطار المغربية انتشارًا لم تزده الاعتقالات والاغتيالات إلا امتدادًا واتساعًا، وأصبح في إمكان الشعوب المضطهدة أن ترفع قضيتها إلى مجالس دولية كثيرًا ما يجيء حكمها موافقًا لمطامح الشعوب المظلومة، ولنا في ليبيا مثال كاف. وأصبح كذلك لهذه الشعوب أنصار مخلصون في مقدمتهم الدول العربية والدول الإسلامية والدول الديمقراطية المتحررة من الاستعمار... كل هذه دواعي تفاؤل لا تزيدنا إلا أملًا في التحرر العاجل. غير أن هذا التحرر مرهون قبل كل شيء بمساعينا. فالواجب علينا أن نوحد كفاحنا وقد تحدثنا عن موجبات هذا التوحيد في أعداد ماضية. والظروف الحالية تستوجب الإسراع بتوحيد الكفاح المغربي الذي هو في الإمكان بصفة غنية عن البيان فإن تحقيقه يتوقف على توفّر الشروط الآتية عند الحركات التحريرية المغربية:

1) الإيمان بوحدة القضية المغربية وعدالتها؛

2) الثقة المتبادلة المترتبة على ثبوت الإخلاص عند قادة الحركات التحريرية؛

3) عدم اعتبار أي قانون غير المواثيق الدولية الناصة على حق الشعوب في تقرير مصيرها: لأن القوانين الاستعمارية إنما شرعت لفائدة الاستعمار وهي مناقضة لهذه المواثيق.

وفي اعتقادنا أن تمام الانسجام في الناحية النظرية ينتج حتما الانسجام في الميدان العملي وبذلك يتحقق توحيد الكفاح في سبيل الغاية المنشودة. وسنتوصل إلى ذلك بعون الله فإن الاتفاق الأخير الذي وقع بين الحركات القومية المغربية التحريرية في بلدة شانتيي بفرنسا والذي أعلنّا عنه في العدد الماضي من "المنار" جدير بالاعتبار، فهو بادرة خير للمغرب المجاهد في سبيل الحرية والاستقلال نرجو أن تواصل الجهود لتحقيقه حتى تزداد الشعوب المغربية يقينًا في إخلاص قادتها وحصافتهم السياسية وتزداد حماسًا واستماتًا للالتحاق بالشعوب المتحررة؛ وما ذلك على إرادة الله وإرادتنا بعزيز.

يومان!

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الأولى، العدد السابع عشر،
الجمعة 4 جمادى الثانية 1371، 29 فيفري 1952

يومان في تاريخ الكفاح التحريري المغربي يسجلان بأحرف من نور: الأول يوم الجمعة 5 جمادى الأولى 1371 بزغت شمسه على عالم إسلامي متضامن لاستنكار البغي النازل على جزء من جسمه في المغرب وتحقيق التناصر الوارد في الآية القرآنية الكريمة المغفول عنها منذ عهد طويل: وإذا أصابهم البغي ينتصرون.

هذا التضامن حقيقة روحية يستهين بها المعتدون الذين لا يقدّرون إلا الحقائق المادية لأنهم لا يعتبرون إلا التضامن الذي يخشون منه أضرارًا مادية عاجلة فلو أن صوت كل مسلم ومسلمة انطلق مصحوبًا بقنبلة تصيب البنيان الاستعماري في الصميم لكان لهذا التضامن معنى آخر عند الاستعمار الفرنسي الطاغي في تونس.

ومن المعلوم أن التضامن الروحي بين أنصار الحق أول خطوة في طريق انتصارهم لأن الحقائق الروحية لا تفتأ تحرص على إثبات وجودها حتى تظهر آثارها في الحياة المادية بالنفع والضر إيجابا وسلبا؛ ومن السلب ما هو إيجاب ففي قطع الفوائد المادية المتنوعة عن الظالمين المعتدين أثر لا يقل عن أثر القنابل المدمرة لبنيانهم؛ وبهذا الاعتبار يعد التضامن الإسلامي لاستنكار العدوان الاستعماري في تونس حقيقة مادية وإن لم تصحبه أساطيل بحرية وجوية وقوات برية مرهبة...

وسيعرف الغرب ذلك يوم يحتاج إلى المسلمين وإلى الأمن في البحر المتوسط فيخيب، ولات حين ندم...

وإلى جانب العالم الإسلامي يقف العالم العربي المنتصر في الشرق كالبنيان المرصوص مناصرًا مؤازرًا، كما يقف قسم كبير من العالم الديمقراطي معززًا ومواسيًا.

ويستنتج من هذا التضامن الإنساني العام عزم الأغلبية الساحقة من البشر على وضع حد للاستعباد الاستعماري الغربي، وإقامة مبادئ السلم والمدنية التي لم تر خطرًا عليها شرًا من الاستعمار. ولهذا كله يعتبر يوم الجمعة 5 جمادى الأولى يومًا تاريخيًا عظيمًا في الكفاح التحريري المغربي خاصة والعالمي عامة.

اليوم الثاني هو الذي تلاه، وهو يوم السبت 6 جمادى الأولى لم تغرب شمسه حتى شاهدت اجتماع كلمة الحركات التحريرية المغربية على توحيد كفاحها في سبيل الخروج بالأقطار المغربية كلها من العبودية إلى الحرية ومن الحجر إلى الرشد. وقد جاء هذا التوحيد مجسمًا لرغبة ملحّة عند شعوب المغرب قاطبة ومحققًا لأمنية غالية عند كل عربي مسلم ومستجيبًا لحاجة أكيدة في نفوس المجاهدين الذين يحاربون ظلمًا واحدًا ويقصدون هدفًا واحدًا ومثبتًا لحقيقة طبيعية في هذه الأقطار المتحدة حسًا ومعنى، ماديًا وروحيًا، آلامًا وآمالًا.

فالجبهة المغربية إعلان مجسّم بأن قضية المغرب واحدة وكفاحه واحد وتكذيب صريح لدعوى الاستعمار الفرنسي إلحاق جزء من المغرب ببلاده زيادة على تكذيب الطبيعة له باعتراض البحر واختلاف اللسان وتباين الطباع وتكذيب السياسة له باختلاف الأوضاع، وإنكار علني للحدود والسدود التي أقامها الاستعمار بين أقطار متصلة جغرافيًا مرتبطة جنسيًا ودينيًا وتاريخيًا وإقرار لحقها في حياة حرة مستقلة تمكنها من التعامل مع جيرانها على قدم المساومة، والخروج من حالة البضاعة المزجاة والمشاركة الواسعة في نشر مبادئ السلم والمدنية التي يزعم خدمتها العالم الحر (؟) وفي مقدمته الدولة الفرنسية.

لم تنشر إلى حد الآن تفاصيل عن نظام هذه الجبهة وبرنامجها العملي ونحن في انتظار هذه التفاصيل حتى يستنير بها الرأي العام وينهض المجاهدون إلى العمل في الاتجاه المتفق عليه.

فإنشاء هذه الجبهة يسجل تطورًا جديدًا في السياسة القومية المغربية أملته الحوادث وفرضته العواطف وحتمته الضرورات وأكدته التجارب فقد عرفت الأقطار المغربية معنى

الانقسام ودفعت ثمنه غاليًا وشاهدت عند غيرها فوائد الانسجام فإرادته لنفسها متينًا قويًا فتحققت إرادتها وعند الصبح يحمد السرى.

وعلى التاريخ أن يسجل بأحرف من نور يومين تجلى فيهما عزم المسلمين على تغيير ما بأنفسهم من تخاذل وانقسام ليغير الله ما بهم من ضعف إلى قوة ومن عبودية إلى حرية ومن هوان إلى عزة.

الاعتبارات الإستراتيجية والاعتبارات الإنسانية

محمود بوزوزو

جريدة المنار، السنة الأولى، العدد الثامن عشر،
الجمعة 19 جمادى الثانية 1371، 14 مارس 1952

الغرب يستعد للحرب كأنها ستقع في القريب العاجل. محالفات عسكرية تعقد، وميزانيات ضخمة تخصص للتسلح، وإحصائيات مروعة تنشر عن العتاد الحربي بأنواعه الجوي والبحري والبري، وعن الجيش بنوعيه الأمامي والاحتياطي ومناورات حربية جوية وبحرية وبرية تجرى، وقواعد إستراتيجية تحتل في بلاد الغير باستشارة أو دون استشارة أهلها.

والحرب حامية الوطيس في كوريا والهند الصينية والملايو ومصر وتونس. والحرب الباردة ثائرة في الإذاعات والصحف والمعاملات.

كل هذا واقع في جد وحزم لا يتركان مجالًا للشك في العزم على الحرب، وسواء كانت النية الهجوم أو التحصن للدفاع فإن في هذا الاستعداد وهذه المواقف دليلًا على أن شبح الحرب ماثل للعيان.

وأول ما يستنتج من هذا أن الاعتبارات الإستراتيجية تتقدم الاعتبارات الإنسانية. ولا يسع الشعوب المتصلة بالغرب إلا أن تفكر – بعد هذا الاستنتاج الأليم – في اتخاذ الموقف الملائم حتى لا تذهب ضحية للأهواء. وهل لها مندوحة عن التفكير في ذلك وأنظار الغرب متجهة إلى أهمية بلادها الاقتصادية والإستراتيجية؟ بل إن منها من أقحم إقحامًا في الجهاز الحربي الغربي. فالجزائر مقحمة في الحلف الأطلسي دون أخذ رأي الشعب الجزائري، والمغرب الأقصى محتل القواعد الإستراتيجية دون استشارة الشعب المراكشي. وها نحن اليوم نفاجأ بشيء جديد: هو عزم الغرب على نقل معامل حربية إلى

أفريقيا الشمالية.

لم يبق بعد هذا أدنى شك في عزم الغرب على استعمال بلادنا في مصالحه الحربية. بأي حق وبأية شريعة؟ سؤال أصبح محل سخرية ودليلًا على السذاجة منذ أن صارت القوة الوحشية صاحبة الأمر والنهي. ومن المؤسف أن تكون علاقتنا بالغرب قائمة على تسلطه علينا بالقوة الوحشية. ومن المؤسف أن يكون الأمر كذلك في القرن العشرين. ومن المدهش أن يزعم الغرب مع ذلك إيثار العلائق الروحية على غيرها ولكن الأسف والدهشة كالسؤال السالف محل سخرية ودليل سذاجة.

والشيء الذي يجب الاهتمام به هو الموقف اللازم أمام عزم الغرب على اتخاذ بلادنا مركزًا استراتيجيًا له دون اعتبار وجودنا، كأن هذه الملايين من البشر التي تعمر الأقطار المغربية ليست من بني الإنسان، ولا حق لها في بلادها. وكأن صاحب الحق المطلق فيها هو الاستعمار الفرنسي الذي له أن يساوم ويتاجر بالبلاد حسب هواه. وكأن الصرخات المتكررة من الشعوب المغربية بإنكار هذا الحق على الاستعمار الفرنسي ليست إلا حفيف أوراق الخريف.

إنها لنظرة مؤلمة حقًا. ولكنها لا تستغرب من طرف الغرب الاستعماري. إنما يستغرب أن لا نحمله على تغيير هذه النظرة بموقف يفرض عليه مراجعة اعتباره لنا. وذلك في إمكاننا إذا نحن استفدنا من التجارب الماضية. فإن شعوب المغرب شاركت في الحرب العالمية الماضية بجانب الحلفاء فلم تجن من تضحياتها أي خير بل كان جزاؤها شر جزاء: فظائع إجرامية في الجزائر ومراكش وتونس. والنتيجة الحتمية لهذا "الجزاء" هي عدم الانخداع بوعود الغرب وعدم الثقة في أقواله، وبالتالي عدم مشاركته في أي شيء ما دام متغافلًا عن تحقيق مطامح الشعوب المغربية إلى حقها في تقرير مصيرها. ولا يتصور أن تكون هذه الشعوب بجانب من يتهاون بهذا الحق أو يعارض فيه. وقد برهنت عن إرادتها في الحصول عليه بمواقف جليلة. فثبات الشعب الجزائري أمام القمع الاستعماري، وسلطان مراكش أمام المقيم الفرنسي، والشعب التونسي أمام العدوان الاستعماري أدلة واضحة على هذه الإرادة، وإنها لتبعث على الأمل في أن يكون موقف الشعوب المغربية جديرًا بحمل الغرب على اعتبار مطامحها قبل الإقدام على أي عمل في بلادها.

ولا شك في أن مصلحة الشعوب المغربية في توحيد موقفها. وهذا مما يؤكد ضرورة

التعجيل بإبراز الجبهة المغربية إلى الوجود والمبادرة بالعمل الموحد الذي يؤدي إلى النجاح في القريب العاجل.

ولا شك في أن هذا الموقف سيزيد إخواننا الشعوب العربية والإسلامية والمؤيدين لنا من الشعوب الديمقراطية ثقة في كفاحنا، ويقوي حجتهم في تأييدهم لنا، وذلك كفيل بترجيح كفة الحق، وتقريبنا من الغاية المنشودة، لا سيما وهذه الشعوب مرموقة من طرف الغرب بعين الرجاء، ومن فائدته إرضاؤها؛ ولا يكون ذلك إلا إذا برهن بصفة فعلية عن احترام المبادئ الديمقراطية، ولا يتصور هذا الاحترام مع إقرار النظم الاستعمارية والحروب الاستعمارية، ومعارضة مطامح الشعوب المستضعفة نحو حقها في تقرير مصيرها بنفسها الذي هو المبدأ الأساسي للديمقراطية. والشعوب المغربية إنما تطالب بهذا الحق، والغرب يزعم أن كل هذا الاستعداد الذي يستعده للحرب إنما هو في سبيل صيانته، أليس هذا الزعم يقتضي تقديم الاعتبارات الإنسانية على الاعتبارات الاسراتيجية؟ وبعبارة أوضح اعتبار مطامحنا قبل اعتبار مواقع بلادنا ؟ وإذا غفل الغرب عن ذلك فهل نحن مستعدون لتنبيهه أو حمله عليه بما يذكره بأن في بلاد المغرب ملايين من البشر يجب أن يقرأ لهم حساب، وأن يسمع لصرخاتهم التي ليست كحفيف أوراق الخريف؟...

"المنار" تنهي سنتها الأولى

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الأولى، العدد التاسع عشر،
الجمعة 2 رجب 1371، 28 مارس 1952

بهذا العدد تنتهي السنة الأولى لجريدة "المنار" حسب تاريخ نشأتها ولم يبلغ ما صدر من أعدادها المجموع الموعود به لأسباب لا تخفى عن كل من مارس الصحافة في هذا القطر ومعظم هذه الأسباب مادية وفنية.

فقد نشأت هذه الجريدة في ظروف حرجة وقضت المرحلة الأولى من حياتها في ظروف حرجة تمتاز بالاضطراب الناتج بطبيعة الحال عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التابعة للنظام الاستعماري المفروض على أمة عربية مسلمة تكافح في سبيل استرجاع سيادتها واستقلالها كفاحًا متنوعًا يتمثل في تعدد الأحزاب والهيئات التي تتقاسم الشعب وتتنافس في إنجاح برامجها لديه من جهة وتهاجم المظالم والمكائد الاستعمارية من جهة أخرى.

في هذه الظروف الخطيرة ولدت جريدة "المنار" كنتيجة طبيعية لها وثمرة من ثمار الجهاد الفكري الذي قام به المخلصون من أبناء الجزائر في سبيل القضايا العادلة.

ومن مقتضى ذلك أن تكون خطتها المساهمة في خدمة القضية القومية العادلة والعمل بجانب العاملين في سبيل الحق، الأمر الذي يدعو إلى تعزيز جانب المجاهدين لا محاربتهم، وإلى تشجيع الطامحين إلى إنشاء المشاريع المستقلة لا تثبيطهم، وإلى تقديم المصلحة العامة على كل اعتبار حزبي أو شخصي بالعدول عن نزعة الاحتكار والاستحواذ القاضية على المواهب وعلى روح الإنشاء والابتكار عند الموهوبين، تلك الروح التي يرجع إليها الفضل في بناء الحضارة الإنسانية، وهل الحضارة إلا مجموع أعمال الموهوبين.

ولا غرابة أن ينظر إلى هذه الخطة بعين الغرابة من لا يعرفون للصحافة رسالة إلا الترويع وإثارة الأحقاد والفتن وأن ينظر إليها بعين الغيظ من ألفوا الصيد في الماء العكر، والمحتكرون الذين يضيّقون مجالًا واسعًا يتطلب كثرة العاملين. ولئن شاركت هذه الجريدة في الكفاح الثوري فليست "ثورية" بالمعنى الجاري ولكنها ثورية بالمعنى الذي عبّر عنه أحد العصريين وهو أن كل عمل يرمي إإلى إحياء القيم الخالدة فهو ثورة (Qui dit restauration des valeurs permanentes dit révolution). و"المنار" تدعو لإحياء هذه القيم اعتقادًا بأن فيها نجاة الإنسان وتخفيفًا لآلامه، وإيقانًا بأن الطبيعة البشرية – رغمًا عما فيها من ضعف – لا تخلو من قوة في جانب الخير. ورسالة الصحافة في نظرنا هي المساهمة في الدعوة إلى رفع هذا الجانب ولذا كانت خطتنا البناء لا الهدم والتوحيد لا التفريق، والإفادة لا الاستغلال، والإيجاب لا السلب، والإنتاج لا العقم كل ذلك خدمة للسلم والمدنية.

ومن هذه الاعتبارات استوحت "المنار" أهدافها؛ وهي – كما يعلم القراء – أهداف سياسية وثقافية ودينية. وأهم الأهداف السياسية الدعوة إلى توحيد السياسة والعمل في القطر الجزائري. وإلى نفس التوحيد في سائر الأقطار المغربية. فدعونا إلى ذلك مرارًا مبينين موجبات التوحيد بكل وضوح. وقد تحقق هذا التوحيد عندنا (لكن في دائرة محدودة) بإنشاء الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، تلك الجبهة التي رحبنا بها ونوّهنا بشأنها باعتبارها "خطوة" إلى التوحيد الذي ندعو إليه، كما تحقق – بحمد الله – توحيد السياسة والعمل القومي في الأقطار المغربية الثلاثة على الوجه الذي يسرنا؛ و"المنار" مسرورة بهذا التوحيد الذي ساهمت في الدعوة إليه مساهمة خالصة، وترجو أن يتجاوز الحدود الإقليمية إلى الوحدة الإسلامية. وقد ثبتت "المنار" على هذا المبدإ كما ثبتت على خدمة بقية الأهداف السياسية التي منها المطالبة بتطبيق مبدإ حق تقرير المصير وإقامة المبادئ الديمقراطية. فحملت على الاستعمار حملة صادقة في دائرة الخطة التي رسمتها، فكانت هذه الحملة بعيدة عن كل بغض عنصري أو حقد ديني أو انتقام شخصي، واتسمت بالدعوة إلى مراجعة العلاقة بين الأمة الفرنسية والأمة الجزائرية وبنائها على أساس التعاون المثمر في دائرة احترام الذاتية والسيادة، محتجة باتفاق أمم العالم حتى الاستعمارية منها على نفس الدعوة، إلا أن مخالفة الأعمال للأقوال عند بعض الدول الغربية أثار استنكارًا لسلوكها وأدى بنا إلى الحملة على هيئة الأمم المتحدة في بعض الأحيان ومناقشة حق العضوية فيها للدول الهدامة لمبادئها.

ولم تقتصر حملتنا على الاستعمار في بلادنا بل شملت سائر الأقطار الإسلامية كالمغرب الأقصى وتونس ومصر وإيران، وغير الإسلامية كالهند الصينية والملايو ومدغشقر وأفريقيا السوداء. ومن الطبيعي أن تحملنا الفظائع الاستعمارية إلى طلب إلغاء الاستعمار من العالم، كما إنه من الطبيعي أن نبتهج بتحرر الشعوب من ربقة الاستعمار؛ فأعلنّا ابتهاجنا بتحرر الشعوب الإسلامية وغيرها، وشرحنا كيف نفهم التحرر بمناسبة استقلال ليبيا الشقيقة ثابتين على المبدإ الذي شرحناه في العدد الأول فيما يخص معنى الاستقلال "الحقيقي" وأيدنا قضايا جميع الشعوب المجاهدة في سبيل استقلالها أمام المجالس الدولية كالشعب المراكشي والتونسي تأييد الأخ لأخيه.

وكان موقف الجريدة من الأحزاب والهيآت الجزائرية موقف احترام وإنصاف، وازنة الرجال بالمبادئ والأعمال لا بالدعاوى والأقوال، داعية إلى الاتحاد بإخلاص، مبينة أن الأحزاب متفقة غاية مختلفة لفظًا، مؤكدة ضرورة توحيد برنامج العمل مع مراعاة المطامح القومية والقيم الروحية إشارة إلى أن وجهتنا الطبيعية هي الشرق العربي والإسلامي، مبطلة دعوى الاستعمار الرامية بالشيوعية كل حركة تحريرية لأن روح المقاومة عند الشعب الجزائري موجودة منذ الاحتلال أي قبل ظهور الشيوعية والفاشستية والأحزاب الحالية. وهذا لا ينافي احترام حرية الفكر والاستعانة بمن يؤيد مطامحنا أيًا كانت صبغته إن هو احترم كياننا.

أما الأهداف الثقافية والدينية فقد خدمناها بقدر الإمكان من غير أن نوفيها كل حقها، فكشفنا الغطاء عن أثر الاستعمار في الإنتاج الثقافي في الجزائر وما زلنا نسعى في نشر ما تنتجه قرائح الكتاب والشعراء في مختلف المواضيع وقد نشر فتاوى دينية كان لها أكبر الأثر عند القراء في بيان ما تحتاج إليه الشعوب الإسلامية المجاهدة في سبيل تحررها من توجيهات إلهية يتحتم العمل بها على كل مسلم غيور. وكل ما كتبناه في شتى المواضيع يصطبغ في الواقع بصبغة ثقافية كما يحمل روح التعاليم الإسلامية الأمر الذي جعل الجريدة "توجيهية" أكثر منها إخبارية.

وقد طرقنا جميع ما طرقناه بكل حرية من دون تقيد أو تعصب، ودعونا الشباب إلى العمل الجدي المثمر، ودعونا الكتاب إلى الإنتاج الحر وإنشاء الصحف في خدمة الحق، ودعونا العمال إلى الدفاع عن حقهم في الحياة بالتكتل وإنشاء جامعة النقابات المغربية إلى

جانب جبهة سياسية مغربية، واهتممنا بالتربية والتعليم اهتمامًا خاصًا؛ وما زالت أمامنا مواضيع وعدنا بها ولم نطرقها لأسباب قاهرة.

وقد حرصنا على أن نجعل كل ما نطرقه من المواضيع في متناول القارئ المتوسط تعميمًا للفائدة مؤثرين الصراحة على طريقة "ما بين السطور" فكان الإقبال على الجريدة بحمد الله فوق المتوقع حتى صارت الرسائل والبرقيات تنهال علينا من كل مكان بطلب زيادة الكمية المرسلة.

ولم تسلم الجريدة من السهام الاستعمارية فجاءتنا الرسائل من المتعهدين بالمغرب الأقصى تخبر بمنع بيعها هناك، وجاءتنا الشكايات من عدة مدن القطر الجزائري كبسكرة والميلية والبيض وحمام بوحجر ووهران وغيرها مما لا يحضرني اسمها الآن تستنكر اعتداء الشرطة على الباعة، ولا يستغرب مثل هذا العدوان من طرف أعداء النور.

ولا يفوتنا أن نكرر شكرنا لجميع أصدقائنا الذين ساعدونا ماديًا على مواصلة نشر الجريدة، فلهم علينا فضل لا ينسى ونشكر "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" على تأييدها لنا ونرجو أن لا تحول الحزبية دون تأييد المشاريع التي تخدم المصلحة العامة مستقلة عن الأحزاب والهيآت ما دامت المصلحة العامة غاية الجميع. فإن فكرة "من ليس معي فهو ضدي" لا تأتي بخير عند شعب في حاجة أكيدة إلى التآلف. كما أننا نشكر جميع المشتركين على ثقتهم وإعانتهم ونشكر الباعة الأمناء والكتاب الذين تفضلوا بمقالات لها أثر كبير في تنوير الأفكار، والشعراء الذين كان لشعرهم أحسن وقع في القراء. ونشكر صحافة القطرين لا سيما جريدة "الصباح" و"الإرادة" و"النهضة" التونسية، و"العلم" المراكشية على تضامنها معنا.

وبعد فقد قامت "المنار" في سنتها الأولى بخدمة الرأي العام الجزائري قيامًا لا ترجو عليه أجرًا إلا من الله راجية منه تعالى التوفيق إلى السير في طريق رضاه.

"المنار" على أعتاب السنة الثانية

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثانية، العدد الأوّل،
الجمعة 16 رجب 1371، 11 أفريل 1952

بهذا العدد تدخل المنار في سنتها الثانية. وما زالت الظروف على حالها من الاضطراب: فالقمع الاستعماري سائد في القطر الجزائري، والسجون ملأى بالمعتقلين السياسيين، والإحكام القاسية صادرة عليهم، والمضايقات البوليسية جارية على كل متهم بحب الحرية، والحريات الأساسية لا سيما حرية التعبير مخنوقة: يضايق باعة "المنار"، وتصادر الصحف الديمقراطية؛ والثالوث الرهيب (الجهل والفقر والمرض) يفتك بالشعب الجزائري فتكًا ذريعًا فاتحًا الأبواب لكل تطرّف.

ومازال الجهاد القومي الجزائري لم يوحد في برنامج واضح يضم الجهود المتفرقة، ويوجه العاملين المخلصين إلى وجهة واحدة. ليتمكن الشعب الجزائري من اتخاذ مواقف نافذة في سبيل تحقيق مطامحه المشروعة ومناصرة المظلومين من جيرانه وأشقائه.

وما زالت الجبهة المغربية في طور الاستهلال لم تبرهن عن قوة حيويتها بصورة تستفز الحماس العام.

والاستعمار يريق الدماء في تونس، والمغرب الأقصى، وأفريقيا الجنوبية، والهند الصينية، ويحاول تبرير جرائمه بشتى الوسائل.

والعالم المسيحي مازال ينظر إلى هذه الجرائم الاستعمارية بعين الإغضاء الشبيه بالإغراء وهو من جهة أخرى يعاني من عواقب خيانته للتعاليم المسيحية الصحيحة ما يعاني.

والعالم الصهيوني يعمل في الخفاء لخراب البشرية، وقد ظهرت آثاره في إفساد العلاقات بين الأمم وفي خراب بعض الدول.

والعالم الإسلامي الحر يسعى في ضم أجزائه وتمتين بنيته كيلا يلدغ من جحر المطامع الاستعمارية مرة ثانية. وكي يتوصل إلى تحرير ما بقي من أعضائه في الأغلال، ويخرج للعالم كتلة ذات أثر في إقرار السلام، وإن كانت مساعيه محاطة بمكائد شتى من أعدائه.

والعالم المستضعف يهتز اهتزاز الأسد المكبل ليحطم الأغلال وينطلق إلى ميدان الأحرار.

وفي الميدان الدولي مازال الاضطراب يسود علاقات الأمم فيما بينها حتى كأنها لم تقنع بحرب كوريا فأصبحت تتنافس في التكتل والتسلح لحرب عالمية لا تبقي ولا تذر.

وما تزال المعركة بين الشرق والغرب ثائرة باردة وسخينة نتيجة خيانة الغرب للمبادئ المتفق على قداستها.

وما زالت المواثيق الدولية المجمع فيها على رفع الكرامة الإنسانية حبرًا على ورق، والإخلال بها يشجع كل طاغية على التمادي في طغيانه.

هذه الظروف كلها لا بد من ذكرها لعلاقتها بمصيرنا، إذ أصبح العالم متقاربًا يؤثّر بعضه في البعض الآخر، ولا تسلم من هذا التأثر أية أمة.

وفي هذه الظروف تستقبل "المنار" سنتها الثانية. وإنها لظروف كثيرة الدواعي للعدول عن الخطة التي خطتها هذه الجريدة. فالذكاء والعلم والدين في معظم العالم في انحراف عن الخطة التي تشجع المؤمنين بالمثل العليا.

وقد يعتقد بعض"الأذكياء" أن هذه الخطة لا يرضاها في مثل هذه الظروف إلا "الأغبياء" أو الخياليون أو المجانين. وبهذا الاعتبار يصبح الكذب والخيانة والتدجيل من علامات الذكاء، ويصبح الصدق والأمانة والنصح أدلة على الغباوة. ولا يخفى أن هذا الاعتقاد إذا ما فشا بطلت قداسة الأنبياء وعظمة العظماء وعري التاريخ من كل جمال ومن كل معنى إذ يصبح بناة المدنية محكومًا عليهم بالجنون، وتصبح كل تضحية في سبيل المثل العليا

عديمة التقدير، ويبطل التنافس في إحياء القيم التي تقوم عليها المدنية الإنسانية.

وكثرة "الأذكياء" بهذا المعنى مغرية حقًا... ولئن كان في نجاح بعض الدجالين باسم السياسة أو الدين أو إغراء بالتدجيل ففي سرعة انهيارهم وسوء عاقبتهم عظة، وكفى بنهاية مسيلمة وراسبوتين عبرة لمن يعتبر...

فستظل "المنار" إذن ثابتة على خطتها في سبيل تحقيق الأهداف التي اقتنعت بصحتها وستبذل كل ما بوسعها لتكون في هذه السنة أحسن من سالفتها. وستعنى عناية خاصة بالاتحاد القومي وبالمساهمة في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية. وتكون هذه العناية مسخرة في خدمة المصلحة العامة للأمة الجزائرية والعالم الإسلامي دون عداء لأي جنس أو دين.

فالأمة الجزائرية جزء لا يتجزأ من العالم البشري. وهي بهذه الصفة مسؤولة عن المساهمة في التقدم البشري العام الذي يعبرون عنه اليوم بخدمة السلم والمدنية. ولن تحصل هذه المساهمة – طبعًا – إلا إذا كانت هذه الأمة حرة تتصرف بنفسها في شؤونها. والرغبة في الاستقلال دافع طبيعي تشترك فيه سائر الأمم. ولا يوجد على وجه البسيطة أمة ترضى لنفسها العبودية وتنفر من الحرية. ولا يتصور أن يتقدم العالم ونصفه مكبل.

والأمة الجزائرية بحكم تقاليدها وقيمها الروحية جزء من العالم العربي الإسلامي يرتبط مصيرها بمصيره. وعلاقتها بالغرب علاقة جوار صارت بحكم الاستعمار الفرنسي علاقة مظلوم بظالم أي علاقة عداء تنفرها من الغرب ومما يزيدها نفورًا منه تسلطه على العالم العربي والإسلامي وعلى الشرق كله بالإذلال والاستغلال، إذ علاقة الغرب بالشرق كانت إلى الحرب العالمية الأخيرة علاقة ظالم بمظلوم نتج عنها حرمان قسم كبير من البشر من المشاركة في التقدم العالمي، وكفى بهذه الجريمة تنفيرًا من الغرب.

ولا يزال الغرب مبتعدًا عن التعاليم الإنسانية التي يدعيها لأنه يعمل بقاعدة استغلال الإنسان للإنسان، ويعتبر إراقة الدم البشري ثمنًا للحرية، ويعتبر الحرب حلًا للنزاع. ومادام متماديًا في هذا التفكير وهذا السلوك فلن تعرف البشرية هناءً ولن يكون للسلم قرار ولا للمدنية ازدهار.

ولا شك في أن هذا السلوك سيؤديه إلى الدمار وليس من فائدتنا ربط مصيرنا به. فويل

لمن يربط مصيره بمصير الغرب فإنه خاسر دنيا وأخرى.

و"المنار" تعتقد أن المسلمين بحكم دينهم يتحملون قسمًا كبيرًا من المسؤولية عن مصير البشرية. ولذا وجب على المستضعفين منهم أن يسعوا في التحرر وعلى الأحرار منهم أن يحرروا إخوانهم وعلى الجميع أن يتكتلوا دفاعًا عن أنفسهم أولًا وإنقاذًا للبشرية ثانيًا.

فليست دعوتنا إلى التكتل الإسلامي مستوحاة من عصبية دينية عدائية للأديان الأخرى. حقًّا إننا نعتقد أن الإسلام دين الله الذي ارتضاه للعالمين وأنه مكمل للأديان الأخرى التي اعترف بها ودعا أهلها للدخول تحت لوائه؛ ونعتقد أن هذه الأديان منحرفة عن أصلها، ولولا ذلك لما عارضت الإسلام؛ ولكن بما أن أهلها يعتقدون أنهم على حق وبما أن ديننا أوصى بالتعاون على البر والتقوى فلا يضيرنا أن يتكتل أهل الأديان الأخرى وأن يتعاون الجميع على ما يعود بالخير على البشرية، ويزيل ما نشاهده من الاعتداء على العالم الإسلامي... نريد أن يتحرر العالم الإسلامي كله وأن يسير جنبًا إلى جنب مع العاملين في سبيل إحياء القيم الخالدة التي تكفل ازدهار المدنية واستقرار السلام. فإن بناء العلاقات بين الأفراد والأمم على التعاون في سبيل رفع الكرامة الإنسانية خير وسيلة لبناء السلم المنشود. وإذا سخر الذكاء والعلم والدين في هذا السبيل لم تجن البشرية إلا الخير. وتلك خطة "المنار".

إن المغالطة لا تحل الأزمات

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثانية، العدد الثاني،
الجمعة 30 رجب 1371، 25 أفريل 1952

"مات الاستعمار" كلمة قالتها ملكة هولندا في حين تحققت عدم الجدوى في مقاومة روح التحرر التي تهز الشعوب المستضعفة المجاهدة في سبيل استقلالها، وأيقنت بالخسران لمن يعاكس سنّة التطور التي تفرض في هذا العصر على جميع الأمم بناء علاقاتها على التعاون في دائرة الاحترام المتبادل للذاتية والسيادة؛ فلم تجد بدًا من مراجعة علاقتها بأندونيسيا والاعتراف بحقها في الحرية والاستقلال. وهكذا "مات الاستعمار" في أندونيسيا حسًا ومعنى بعد ثلاثة قرون من سيطرته عليها، ولكن الكلمة التي قالتها تلك الملكة ليست خاصة بأندونيسيا بل إنها عامة تعبّر عن حقيقة من حقائق التاريخ في هذا العصر وهو زوال عهد الاستعباد والهمجية وإقبال عهد الحرية والمدنية. وإنها لحقيقة ساطعة أدركتها هولندا وغيرها وأدركتها الشعوب الناهضة التي تحررت والتي مازالت تكافح للتحرر، غير أن بعض الدول لم تدركها أو لم ترد أن تدركها أو هي تتجاهلها، ومن بين هذه الدول فرنسا التي كان يتوقع أن لا يسبقها الغير إلى فهم هذه الحقيقة وإعلانها نظرًا لمزاعمها في بلوغ الدرجة العليا في الذكاء من جهة، والحرص على خدمة المبادئ الإنسانية من جهة أخرى. وقد أبطل هذه المزاعم سلوكها الاستعماري الدال على تجاهلها الحقائق وعنادها في معاكسة سنّة التطور. وقد كلفها ذلك خسائر مادية ومعنوية فادحة تستوجب الرجوع إلى الحق، ولكن هيهات... وستتولى الظروف إفهامها إياها عن قريب. والأمر الذي لا شك فيه هو أن الاستعمار مات ولن تستطيع فرنسا إحياءه، فإنه مات حسًا ومعنى في جهات، ومات "معنى" في العالم بأكمله. وإنها لتعلم ذلك وإنها لتلمسه لمسًا في جميع مستعمراتها، وهي تغالط نفسها بالاعتماد على القوة الوحشية التي وضعت فيها ثقة عمياء، ومتى كانت المغالطة علاجا ناجعا؟ وبهذه المغالطة تريد أن تعالج الأزمة التي تعانيها في الأقطار المغربية. وتجلى ذلك بوضوح في تونس حيث أقبلت بالعَدد والعُدد لقهر الشعب التونسي وعقابه

على المطالبة بحقه في حياة كريمة. ولكن الشعب التونسي المؤمن بحقه في هذه الحياة برهن لها عن خطإ حسابها كما برهن عن ذلك شعب "فيتنام" في الهند الصينية. ولا شك أن هذه المغالطة التي كبدتها ما كبدتها من الخسائر والفضائح ما كانت لتستمر لو لم تجد ما يمدها بالغذاء من إغضاء دول "العالم الحر" فإن هذا الإغضاء الذي استنكرناه مرارًا عن إراقة الدم البشري في الهند الصينية هو الذي جرأها على نفس الإجرام في تونس، وكنا نتوقع ذلك. وقد وقع في الهند الصينية بدعوى صد الخطر الشيوعي حفظًا للمراكز الإستراتيجية في الشرق الأقصى، ووقع في تونس بدعوى حفظ الأمن في المراكز الإستراتيجية على البحر الأبيض المتوسط طبقًا للحلف الأطلسي. وإنها لدعاوى لا تتفق والمواثيق الدولية الناصة على حق الشعوب في تقرير مصيرها وعدم التدخل في شؤونها الداخلية. وفي اعتبار الدعاوى خيانة للمواثيق الدولية المذكورة ولا أحد يجهل الآن بعد انقسام الأمم إلى الكتل المعروفة أن المصالح الإستراتيجية قضت عند الكتلة الغربية على هذه المواثيق، فلا يتصور أن يكون لها اعتبار في المجالس الأممية من طرف الدول المرتبطة بهذه المصالح. ولذا كان موقف دول الحلف الأطلسي في مجلس الأمن عند عرض القضية التونسية في فائدة الاستعمار الفرنسي الذي يعتبر حارسًا للمصالح الإستراتيجية الغربية في البلاد المغربية. والأمم الوفية للمواثيق الدولية وفي مقدمتها الأمم العربية والإسلامية التي تبنت القضية التونسية تطالب الآن بعقد جلسة فوق العادة للجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة عسى أن تحظى فيها بالفوز في تسجيل القضية التونسية في جدول الأعمال. وقد حظيت في مجلس الأمن بتأييد دول غير إسلامية ولا شك أن هذه الدول ستثبت في موقفها هذا وتبرهن مع الدول العربية والإسلامية عن إيمانها بأن "الاستعمار قد مات" الأمر الذي لم تبرهن عنه أمريكا ذات العلاقة المتينة بفرنسا الاستعمارية لا بالمواثيق الدولية القاضية بموت الاستعمار. وماذا عسى أن تفعل الدول المناصرة لتونس إن لم تحظ ببغيتها؟ فلنترك التكهن جانبًا. فالجواب للشعب التونسي وشقيقيه في الجزائر ومراكش. على هذه الشعوب أن توحد موقفها في مناهضة الاستعمار وتبرهن على أنه "مات" في بلادها حسًا ومعنى. وإن المغالطة لا تضمن له الدوام لأنها لا تحل المشاكل والأزمات.

8 ماي

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثانية، العدد الثالث،
الجمعة 13 شعبان 1371، 9 ماي 1952

يوم أفراح لقوم يتغنون فيه بحسن حظهم، ويوم أتراح لقوم يندبون فيه سوء حظهم، ويوم اعتبار لآخرين فيه دروس للاهتداء في سلوكهم.

في مثل هذا اليوم يفرح صاحب الغنم ويترح صاحب الغرم، وبين الرجاء المحقق والأمل الخائب مجال للعظة ونعم الواعظ الدهر.

في 8 ماي 1945 خمدت حرب طلق نيرانها على العالم غرب محموم، لا تهدأ حماه إلا بالسباحة في بحر الدماء.

فكأن هذا الغرب هذا ما خلق إلا ليذكر البشرية التائهة في الأحلام السلمية، والظنون الحسنة، بأن لا مقر فوق الأرض للأخوة البشرية، ولا ملجأ فيها للحرمة الإنسانية، ولا قرار فيها لحسن الجوار، ولا شريعة بها إلا الحديد والنار.

وكأنه ما وجد إلا ليبرهن عن غلبة الوحشية في الإنسان، ويكذب ما جاءت به الأديان. فما تحررت الطبيعة البشرية من ظلمات الوثنية بفضل الأنوار السماوية إلا لترجعها الفلسفات العلمية إلى وثنية "راقية" تستمد غذاءها من "العلم" الذي يطعمها بغذاء من نوع "الجنس الأعلى" و"القومية الضيقة" و"المجال الحيوي" و"التفوق الغربي" و"النظام الجديد" وما أشبه ذلك مما يكسب الآلهة الجديدة ضخامة تسترخص لها القرابين. ولا بد للقرابين أن تكون "عصرية" تناسب ضخامة الآلهة الحديثة فلا يكون القربان من الحيوان ولكن من بني الإنسان، ولا يكتفي بذبح أفراد بل يتطلب شعوبًا بتمامها.

ذلك دين الغرب، وفلسفة الغرب، وحضارة الغرب، وحمى الغرب، ومن أكبر المصائب على البشرية أن تمده الأقدار بالمعاول لهدم شريعة السماء شريعة الرفق بالإنسان. تلك الشريعة التي أصبحت ضحيته العظمى يئدها كما تأكل الهرة بنيها حنانًا وإشفاقًا.

في سبتمبر 1939 جن جنون الغرب بعدما هدأ عشرين سنة إثر خروجه من بحر الدماء الذي غمر به الأرض، وعاودته الحمى طالبة بحرًا جديدًا فلم يسعه إلا أن يستجيب لها ويعالجها بدوائها، ولكل داءٍ دواء. فقدمت القرابين لإسكان غضب الآلهة وغمر الأرض بحر من الدماء واستراح الكون من أكبر جراثيم الحمى: هتلر وموسوليني، وهدأت الحمى وظن الناس أن الشفاء قد تم وأن الهدوء قد عم.

ولكن ما كادت تلك الجراثيم تزول حتى ظهرت جراثيم أخرى. وها هو الغرب يتوعك بحمى متجددة تطلب بحرًا من الدماء، وها هو الكون لا تغيب عنه الشمس إلا وهو يتوقع أن تستحيل حمرة الشفق بحرًا يغمر الأرض من أقصاها إلى أقصاها.

لو كانت الفتنة لا تصيب إلا الظالمين، ولو كانت النار لا تحرق إلا الموقدين، لاستراح العالم من الظلم والحرائق. ولو كان الإنصاف في المغانم والمغارم لاستراح العالم من القلاقل والزلازل. ولكن الفتنة تتعدى صاحبها، والنار تتجاوز موقدها، وليس للضعفاء حق في المغانم، وإن كان لهم سهم في المغارم. تلك حقيقة يعرفها الشعب الجزائري معرفة مجمة، وقد لمسها لمسًا يوم 8 ماي 1945.

أقدم الغرب على الفتنة يوقظها، وعلى النار يوقدها، منشدًا أناشيد الحرية والتحرير، ليسوق عشاق الحرية معه. فانطلق الجزائريون باذلين النفس والنفيس في سبيل العهد المنشود عهد التحرير. فكان النصر حليف الحلفاء الذين انساق معهم الجنود الجزائريون. وجاء وقت اقتسام المغنم بعد دفع المغرم فادحًا. فما كان حظ الجزائريين؟ أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي نيرانًا أبادت ما يجاوز أربعين ألف مسلم، فكان يوم 8 ماي 1945 للجزائريين يوم أتراح يندبون فيه سوء حظهم، يتوالى المدى وجرحه باق، ولكنه إلى جانب ذلك يوم درس وعبرة. ونعم الدرس ما جاء من الجراح والآلام.

فإن الغرب اليوم قد عاودته الحمى المشؤومة، وسيجد لها أناشيد حول ما يصبو إليه

الجزائريون من آمال سامية، فهل يلدغ المؤمن من جحر مرتين؟ فإن اتقاء اللدغ يقتضي من الجزائريين جمع الكلمة وتوحيد الموقف لتحقيق مطامحهم قبل كل شيء عملًا بقول القائل "عصفور في اليد خير من عشرة في الغد"، بل على الشعوب المغربية كلها أن توحد موقفها لكيلا تذهب مطامحها للأهواء الاستعمارية المشؤومة.

فإن الاستعمار يضربها بدون تمييز فعليها أن تقاومه بدون تمييز. وإنه يجعل من فرص تحررها فرصًا لتشديد خناقه عليها، أليس في إمكانها قلب الوضعية لنجاتها؟...

القمع لا يفل إرادة الحياة

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثانية، العدد الرابع،
الجمعة 28 شعبان 1371، 23 ماي 1952

تجتاز الجزائر اليوم ظروفًا عصيبة تمتاز باشتداد القمع الاستعماري المتزايد يومًا فيومًا بصورة تؤذن أن هناك مؤامرة تحاك لإيقاف التيار التحريري الجارف الذي يكتسح العالم ويدفع بالشعوب المستضعفة – ومنها الجزائر – إلى السعي في سبيل حياة حرة كريمة. وقد أصبح من المألوف في وطننا أن يعتقل كل مشبوه بنزعة التحرر، وتصدر عليه الأحكام القاسية، وتضايق حرية التعبير، ويعتدى على كل شخصية مهما كانت منزلتها في الأمة أو في العالم. ويستعمل الرصاص ضد المسلمين في المظاهرات السلمية التي يقومون بها احتجاجًا على عدوان، أو مطالبة بحق، أو استقبالًا لزعيم، وقد يطلق الرصاص حتى على الصبيان... كما أصبح من المألوف أن يسلح أشخاص مدنيون من الفرنسيين باسم "المليسية" ليقوموا بأعمال القمع تعزيزًا للشرطة والجند مثلما وقع ذلك في ماي 1945، واكتشف في العام الماضي بفج مزالة، وجبال أوراس، وشوهد على ما قيل في الأيام الأخيرة في خميس مليانة حتى إنه صار غير مستغرب أن يقدم الاستعمار على أشنع الجرائم بل يستغرب منه الاستنكاف على العدوان...

يفعل هذا وأكثر من هذا حرصًا على إبقاء نظام استعبادي حكم عليه التطور التاريخي بالإعدام وسعيًا في تحطيم الحركة التحريرية التي تزداد انتشارًا في كل مكان: فها هو ذا يريد أن يطبق على الجزائر بل على الأقطار المغربية كلها المادة 80 من القانون الجنائي الفرنسي ويضيف إلى المادة 86 منه فقرة ليبرّر سياسة القمع ويكسوها صبغة "قانونية" وها هو ذا لا يتورع عن سفك دماء الأبرياء في مدينة الأصنام ليختلق مبررًا يبعد به عن الجزائر الزعيم مصالي الحاج غير مكتف بتقييد حرية تنقله في القطر الجزائري.

بمثل هذا يعتقد الساسة الفرنسيين إمكان حل المشاكل القائمة بينهم وبين الشعوب الرازحة تحت نير استعمارهم ناسين أن تلك المشاكل ما هي في الواقع إلا نتيجة لهذه التصرفات الجائرة... وبمثل هذا يعتقدون أنهم يوصدون أبواب الحقد ويفتحون أبواب التفاهم، كأن من مبادئهم أن العدوان مفتاح الصداقة، وأن الطغيان مفتاح السلام، وأن القمع يمهد الطريق إلى الهدوء والسكون. مع أن الواقع الساطع للعيان ينطق بخلاف ذلك إذ أن عواقب هذا السلوك الخطير المنافي لأبسط المبادئ الإنسانية جاءت وخيمة تكلف أصحابه خسائر مادية ومعنوية فادحة. ومازالت السياسة الفرنسية رغم هذا تعتمد على القمع والمؤامرات غير مبالية بما يسفر عن ذلك من نتائج معاكسة للمقصود، وإن نظرة سطحية على آثار ذلك في فيات نام، وتونس، ومراكش، والجزائر، تكفي للدلالة على مدى جدوى هذا السلوك الذي لم يزد شعوب هذه الأقطار إلا تمسكًا بمطالبها وثباتًا في سبيل تحقيق مطامحها، ولم تجن منه "السمعة" الفرنسية إلا خسارة إثر خسارة، لأن السمعة الطيبة التي كانت تتمتع بها فرنسا إنما ربحتها بصفتها "أم الحرية" كما تزعم ولكنها انقلبت إلى "جلاد الحرية" بمواقفها ضد الحرية في المجالس الدولية ومحاولتها دفن المطامح التحريرية عند الشعوب التي تحت "رحمتها" بسياسة الإذلال والاستغلال والمؤامرات الإجرامية والقمع الوحشي. ومع ذلك فهي لا تتردد في التشكي من تكتل بعض الدول ضد سياستها هذه، وكان أولى بها أن تكون في طليعة الدعاة والسعاة لحرية الشعوب الأمر الذي كان يعود على فرنسا بعوائد لا تحصى. فإنها خسرت صداقة الأمم العربية والآسيوية وبعض الدول الديمقراطية كما أنها في طريق خسران صداقة الولايات المتحدة الأمريكية... ومازال الباب مفتوحًا لها لتتلافى ما فات وتربح ربحًا عظيمًا. ومهما يكن فإن القمع لم يزد الشعب الجزائري إلا صلابة وثباتًا في سبيل الحق. وهو يقابلها بمقاومة مستمرة تعبّر عن إرادة التحرر والتي لم تثنه عنها أية مؤامرة استعمارية إجرامية، وما المظاهرات السلمية العامة التي يقوم بها في الجزائر وفرنسا يوم الجمعة 23 ماي إلا تعبيرًا عن إرادته الصارمة لحياة حرة كريمة. ورحم الله من قال:

إذا الشعب يومًا أراد الحياة * فلا بد أن يستجيب القدر!

على الباغي تدور الدوائر

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثانية، العدد الخامس،
الجمعة 27 رمضان 1371، 20 يونيو 1952

يجد القارئ في الصفحة الرابعة من هذا العدد رسالة مفتوحة وجهها نواب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في المجلس الجزائري إلى وزارة الداخلية الفرنسية، وهيأة الأمم المتحدة، والمجلس الجزائري يلفتون فيها الأنظار إلى حوادث وقعت في بعض قرى جبال أوراس بسبب تصرفات بوليسية جائرة نتج عنها ترويع المسلمين وإهانتهم والإضرار بهم ذكورًا وإناثًا ضربًا لهم وإتلافًا لأثاثهم حسبما هو معهود من تصرفات الشرطة في بعض الأحيان. ولم تذكر الرسالة سبب هذا العدوان الجديد. ولم تجد له باعثًا إلا "بغض العرب". وليست هذه المرة الأولى التي تقع فيها حوادث من هذا النوع إلا أن المخيلة الاستعمارية لم يكن يعوزها إيجاد مبرر للعدوان في كل زمان ومكان. أما في هذه المرة فكأن المخيلة المذكورة أصيبت بخلل أو أنه ريء أن لا حاجة إلى إجهادها، فما دامت البندقية والرشاشة في اليد الاستعمارية فلا حرج في مضايقة العرب العزل، ولا حرج في ترويعهم وأهانتهم واعتبارهم كالحشرات حتى يعرفوا معنى المدنية والتمدين على الوجه الصحيح، ويعرفوا قيمة الإنسان تحت الحكم الاستعماري، ويعرفوا معنى الديمقراطية الغربية، فتمتلئ بذلك قلوبهم "حبًا" و"ولاءً" للاستعمار الفرنسي الذي يعلمهم بالسياط معاني الصداقة والأخوة. وحين تصبح "أم الوطن" في خطر فما على الفرنسيين إلا أن يستنجدوا "إخوانهم" المسلمين في سبيل "تحرير" الوطن وصد "العدو" المهدد للحرية والمدنية والديمقراطية التي يتمرغ فيها "إخوانهم" المسلمون الجزائريون...

لو كانت هذه التصرفات البوليسية شذوذًا في السلوك الاستعماري الفرنسي لكان في الإغضاء عنها مبرر بصفتها "غلطة" وخطأ من رئيس الشرطة فلان في المكان الفلاني. ولكنها تصرفات متكررة تظهر من حين إلى آخر في أنحاء القطر الجزائري بصورة لا تدع

مجالًا للشك في وجود برنامج مسطر لتشديد الخناق على المسلمين الجزائريين. وما إرسال قوات هائلة من الشرطة إلى الجزائر، وتعيين وال عام كان بارزًا في الشرطة، وتخصيص ميزانية ضخمة للشرطة، وتوسيع نطاق النشاط الشرطي إلا شواهد على ما للنظام الشرطي من المكانة في البرنامج الاستعماري. ولا مبالغة أن يظن الظان أن النظام الشرطي في الجزائر أقوى مما هو عليه في فرنسا. فكأن الأمن الفرنسي مهدد لا في فرنسا لكن في الجزائر. ومن طرف المسلمين وحدهم. لأن لهم معامل لصنع القنبلة الذرية مخبوءة في جبال أوراس، وسيدي علي بوناب وفج مزالة وغيرها. سيهاجمون بها المعتدين انتقامًا حين يحين الحين...

إن هذه السياسة إن دلت على شيء فإنما تدل على "قلق" الاستعمار الفرنسي وعدم اطمئنانه وشعوره بالخطر حتى أصبح يخاف من دبيب النملة ورفرفة البومة. ويظن الساسة الفرنسيون أن الوسيلة الوحيدة لقطع هذا القلق هي إقلاق المسلمين. ولا يكلفون أنفسهم عناء البحث عن أسبابه ووسائل إزالته بأعصاب هادئة وعقول صافية ونيات صادقة. ولعلهم فهموا الأسباب فتجاهلوها والتجاهل ليس علاجًا. وإلى الآن لم يقوموا بعمل ايجابي للعلاج ما عدا التصرفات البوليسية الجائرة التي لم تأت إلا بنتائج معاكسة للمراد. وهل نحن في حاجة إلى شرح عواقب العدوان الطبيعية؟ وهل نحن في حاجة إلى الكشف عن أن الاستعمار يحمل في نفسه شرارة الحرب؟ وأنه ما قام في أرض إلا قامت بينه وبين ضحاياه حرب مزمنة سخينة وباردة لا تنتهي إلا بزواله؟ وزواله محقق لا محالة كما دل عليه التاريخ وهدت إليه الفطرة السليمة. ولهذا لا يجدي الاستعمار الفرنسي أن يلجأ إلى النظام الشرطي، وإلى النفاق والتناقض ظنًا منه أن ذلك يضمن له الخلود. فقد شاهدنا أممًا عريقة في الاستعمار أصيلة في الدهاء لم تستطع أن تغير مجرى التطور التاريخي وأن تعطّل سير السنن الإلهية والنواميس الكونية. وإن من يفهم هذا ويعترف به دون مغالطة لنفسه ولا مخادعة لغيره يستطيع أن يدفع عن نفسه "القلق" ويستريح ويريح... وقد فهمته الأمة الجزائرية المكافحة في سبيل تحقيق مطامحها المشروعة وآمنت به إيمانها بالله وبنصره لمن ينصره. فهي سائرة السير الطبيعي الذي لن يوقفه القمع البوليسي مهما تكن شدته.

فلم تثنها عن سيرها الطبيعي نحو غايتها تلك المجازر البشرية الشنيعة من نوع مجزرة 8 ماي 1945 ولا ما تتابع بعدها من المؤامرات الشيطانية المتنوعة. وأخيرًا برهنت عن ثباتها في سيرها بالإضراب العام الذي شاهدته الجزائر لأول مرة في تاريخ كفاحها في تاريخ كفاحها

السلمي يوم الجمعة 23 ماي المنصرم وبالمظاهرات الهائلة التي قام بها في نفس اليوم الجزائريون المهاجرون في فرنسا احتجاجًا على إبعاد الزعيم مصالي الحاج وعلى سياسة القمع البوليسي.

كل هذا يدل دلالة واضحة على إخفاق هذه السياسة مع أنها في الواقع منافية للتقاليد الديمقراطية التي تزعمها الحكومة الفرنسية، منافية لمقتضيات العقل والشرائع، منافية لروح المدنية، وإن هذه السياسة لا تنتج إلا الأحقاد. ولكن الاستعمار الفرنسي لا يزال يعتقد أن حقد الشعوب العزلاء حقد عقيم. وقد دلّ التاريخ على خلاف ذلك، وعلى أن الحقد العقيم هو في الحقيقة حقد المستعمر المسلح على ضحيته العزلاء لأنه لا يثمر إلا الوبال لصاحبه في النهاية وإن غرّه التسلط في البداية، والعبرة بالخواتيم. وقديمًا قال المثل السائر: "على الباغي تدور الدوائر".

هل تُعرض القضية الجزائرية على هيأة الأمم المتحدة؟

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثانية، العدد السادس،
الجمعة 12 شوال 1371، 4 يوليو 1952

في 14 أكتوبر 1952 ستعقد هيأة الأمم المتحدة جلستها الاعتيادية في نيويورك. وهي الجلسة العادية السابعة التي تعقد منذ نشأتها، وتكاد لا تخلو جلسة من جلساتها من شكوى يقدمها العرب والمسلمون مطالبين بحقوق مهضومة، ذلك لأن بروز هذه الهيأة للوجود كان باعثًا للتفاؤل بحلّ المشاكل الدولية بالطرق السلمية وإزالة المظالم وأسباب الحروب والفتن من وجه البسيطة. وفي طليعة من حق لهم أن يرحبوا بها جميع الأمم العربية والإسلامية وجميع الشعوب المستضعفة المستعمرة التي تجرعت من المظالم الاستعمارية الغربية ما جعلها تتعطش إلى انتشار العدل والحرية والسلم فوق الأرض. وقد تخلص بعضها من هذه المظالم، وما زال البعض يعاني منها الأمرّين من بينهم هؤلاء الثلاثون مليونًا من العرب المسلمين الذين يعمّرون الأقطار المغربية الثلاثة مراكش والجزائر وتونس. فإنهم رازحون تحت نير الاستعمار الفرنسي الذي تسلط عليهم بالإذلال والاستغلال معتمدًا على القوة الوحشية تعزز سياسة الاستبداد والقمع والتفقير المادي والأدبي الأمر الذي يعرقلهم عن مجاراة الأمم المتقدمة، ومسايرة التطور البشري العام، والمشاركة في بناء المدنية الإنسانية التي هي حق مشاع لجميع البشر، والتي هي مُدينة للمسلمين بشيء غير قليل. ومن الطبيعي أن تنصرف أنظارهم إلى هيأة الأمم المتحدة التي أنشئت لنشر ما يصبون إليه من حرية وعدل وسلم ومدنية، بعد أن لم يجدوا من الدول الاستعمارية المتسلطة عليهم إلا القيود والسدود التي تعطلهم عن التقدم والرقي. وكذلك كان: فحظيت قضية مراكش بحق التسجيل في جدول أعمال الهيأة الأممية بفضل سعي الدول العربية والإسلامية بعد جدال شديد في الجلسة السادسة انتهى بتأجيل مناقشتها. وقد تُناقش في الجلسة المقبلة. وستُثار من جديد قضية تونس التي حاولت وتحاول

المناورات الاستعمارية بكل الوسائل إبعادها عن الميدان الدولي والتي تسعى الأمم العربية والإسلامية بإعانة الدول الآسيوية والديمقراطية في إنجاحها. وهي ترجو عقد جلسة عمومية فوق العادة، أما الجزائر فلا تزال مسكوتًا عنها. وكان ينبغي أن تُعرض قضايا الأقطار الثلاثة دفعة واحدة، لأنها في الواقع قضية واحدة، وهي في حقيقة الأمر قضية أمم عربية إسلامية تريد من الدولة الفرنسية المتسلطة عليها بالإذلال والاستغلال أن تراجع علاقتها بها فتتحول علاقة الظالم بالمظلوم إلى حسن الجوار والتعاون المثمر في دائرة الاحترام المتبادل للذاتية والسيادة. غير أنه لم يبق للأمة الجزائرية رمز سيادتها كما بقي لتونس ومراكش. ولكن هذا النقص لم يهدم كيان الأمة الجزائرية، ولم يمح ذاتيتها ولم يوقفها عن المقاومة والكفاح في سبيل حقها بصفتها أمة من الأمم لها حق العضوية في العائلة الدولية ولها من الحق في الحياة الحرة الكريمة ما لسائر الأمم وأوضح برهان على ذلك كفاحها بالسلاح يوم أن كانت مسلحة، ثم كفاحها السلمي الذي اضطرت إليه، وهو من مميزات العصر الحديث، يتجلى في الأحزاب السياسية والهيآت التقدمية التحريرية. وقد برهنت الأمة الجزائرية عن وجهة مطامحها بإعلان ثقتها في الحركات الساعية في سبيل استرجاع حقها وإن لم يبق لسيادتها رمز "رسمي" يمثلها. وقد أحسنت "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" بعد أن حصلت على ثقة الأغلبية الساحقة من الأمة الجزائرية – إذ رفعت مذكرات إلى هيأة الأمم المتحدة في شأن القضية الجزائرية ولكن الاستعمار لا يعوزه أن يزعم أن ذلك رأي خاص لطائفة خاصة ليست إلا "شرذمة من المشوشين"وأنه ليس رأي جميع الجزائريين. فالأمر المحقق هو أنّ ما تحتوي عليه تلك المذكرات لا يجادل فيه منصف غير أنه لا يسع الناظر إلى القضية الجزائرية بعين التجرد إلا أن يلاحظ هذا التفرد بتقديم المذكرات التي ينبغي أن تكون محل إجماع الجزائريين، حتى لا يجد الاستعماريون حجة للتكذيب ولذا لا يسع كل من يضع المصلحة العامة فوق كل اعتبار إلا أن يتأسف على الإبطاء في تحقيق وحدة وسائل الكفاح السلمي التي منها الإجماع على رفع القضية الجزائرية لدى هيأة الأمم المتحدة، ولذا دعونا ولا نزال ندعو إلى إنشاء جبهة جزائرية تحريرية كما ندعو إلى تكوين جبهة مغربية متينة تخدم قضية الأقطار المغربية الثلاثة باعتبارها قضية واحدة.

إما مراعاة رد الفعل من الحكومة الفرنسية الاستعمارية فأمر غير معقول، فإن رد الفعل هذا معلوم من السوابق التي بدرت منها في مواقفها من القضايا العربية والإسلامية بوجه عام في المجالس الدولية (بحيث ظهرت فرنسا كالعدو الأكبر والأول للعرب والإسلام) كموقفها في قضية فلسطين ثم في قضية ليبيا. ويلخص رد الفعل هذا في نقطتين: معارضة

وتدليس في الخارج، قمع واضطهاد في الداخل. وتونس تشهد. ومراكش تشهد. وأخيرًا ها هو رد الفعل يتجلى في الخارج على صورة جديدة: إن الحكومة الفرنسية "تهدد" هيأة الأمم المتحدة بالانسحاب منها إذا ما وافقت على مناقشة قضية الأقطار المغربية التي تريد فرنسا أن تعتبرها "مشكلة داخلية لا حق لأحد أن يدس أنفه فيها"، مع أن عجزها عن حل هذه المشكلة بنفسها (لكونها خصمًا وحكمًا ولسوء نيتها) هو الذي أخرجها إلى الميدان الدولي. وما كان لها أن تلجأ إلى هذا التهديد لو كان "الملف" الاستعماري "أبيض". فكأنها تريد أن تسجن هذه الشعوب العزلاء وتقيم فيها مجازر كمجزرة 8 ماي 1945 ثم لا تجد هذه الشعوب من ترفع إليه شكواها إلا جلادها "العادل الرحيم". إن هذا التهديد يدل على التهرب خوفًا من ضعف الحجة وتحقيق الخيبة. وهو من جهة أخرى ينافي التقاليد الديمقراطية الفرنسية. وكأن فرنسا تريد أن تجرّ هيئة الأمم إلى خيانة المواثيق الدولية وتتحوّل هيأة استعمارية تقرّ المظالم والجرائم ضد المدنية وتدفن مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها.

فهل يهون على الهيأة الأممية شرف المبادئ التي أسست لأجلها إلى درجة أن تصبح إرادتها تبعًا للأهواء الاستعمارية الهدامة للمبادئ المقدسة؟ وباختصار إن هيأة الأمم المتحدة أنشئت لحفظ السلم والمدنية، والاستعمار هدام للسلم والمدنية، فكيف يتفقان؟

ومهما يكن فإن أملنا في الحق والعدل لم ينقطع رغمًا عما في الهيأة الأممية من نفوذ لبعض الدول الاستعمارية المساومة بالمواقع الإستراتيجية التي تحت سلطتها... فعليها أن تفهم أن وراء هذه المواقع حقوقًا مهضومة ومطامح مشروعة يجب اعتبارها وإرضاؤها... وعلى أصحاب هذه الحقوق وهذه المطامح أن يحملوا الظالمين والمتجاهلين على تقدير قضيتهم العادلة باعتبارها قضية ملايين من البشر يريدون أن يعيشوا أحرارًا في أوطانهم، أندادًا لجيرانهم، مسالمين لإخوانهم في الإنسانية، مشاركين في بناء عهد السلم والمدنية...

فإن لدينا من الوقت قبل حلول 14 أكتوبر 1952 ما يمكن فيه بذل جهود إيجابية في سبيل رفع قضيتنا العادلة إلى الضمير العالمي الذي لا نزال نعتقد بحساسيته لصوت الحق رغمًا عن تأثره بالتضليل الاستعماري الذي لم يكن لينجح لو قمنا بواجبنا التام في إنارة الرأي العالمي بإبانة المظالم التي نعانيها والمطامح التي نهدف إليها بصورة تبرهن على أن ذلك صوت الأمة قاطبة. وحينئذٍ تحظى قضيتنا بالاعتبار ويثمر كفاحنا في الداخل والخارج خير الثمار.

الذكرى الأليمة

محمود بوزوزو

جريدة المنار، السنة الثانية، العدد السادس،
الجمعة 12 شوال 1371، 4 يوليو 1952

في 14 يونيو 1830 نزل الجيش الفرنسي بشاطئ سيدي فرج بالقطر الجزائري على حين غفلة من الجزائريين حكومة وشعبًا. وشرع في الزحف على البلاد دون إعلان حرب خارقًا القوانين الجاري بها العمل بين الأمم. وأمام هذه المباغتة أرسلت الحكومة الجزائرية ما كان حاضرًا من الجنود لصد الهجوم. وجرت معارك عنيفة دامت عشرين يومًا انتهت بتغلب الجيوش المكتسحة التي لم ينقطع عنها المدد من فرنسا.

وفي 5 يوليو 1830 أمضيت اتفاقية بين الجنرال دي بورمون والداي حسين يتعهد فيها الممثل الفرنسي باحترام حرية الجزائريين في جميع شؤونهم الدينية والدنيوية. ولكن لم يمض إلا وقت قليل حتى داس الجنود الفرنسيون تلك الاتفاقية وشرعوا في احتلال القطر الجزائري معلنين حربًا شعواء لا تبقي ولا تذر، ليست حربًا نظامية وإنما هي حرب إبادة وإتلاف. فاحرقوا مزارع وحصائد، ودمروا مدنًا، وأبادوا قبائل، ومثّلوا بالرجال والنساء والأطفال، حتى أن الذين كتبوا من الجنود والضباط الفرنسيين رسائل ومذكرات حول ما عملوه يشهدون بفظاعة ما ارتكبوه، وما على الباحث إلا أن يطالع ذلك في مظانه.

وقد قابلت الأمة الجزائرية هذا الاكتساح بمقاومة شديدة لم تنقطع طيلة نصف قرن كامل. ولا تزال مقاومة الأمير عبد القادر ماثلة في الأذهان، وكذلك الثورات التي كانت تحدث من حين إلى آخر كثورة المقراني والشيخ ابن الحداد، وأولاد سيدي الشيخ، مما يدل على عدم رضوخ الجزائريين للاحتلال الأجنبي.

وقد انتهت المقاومة المسلحة وخلفتها المقاومة السلمية التي تتجلى اليوم في المعارك

الانتخابية والأحزاب السياسية والهيئات المتنوعة المحافظة على الشخصية الجزائرية ومواقف المقاومين أمام الشرطة والمحاكم والسجون الاستعمارية.

هذه كلها حقائق لا ينكرها من ينظر إلى الحوادث بعين التجرد ويكتب للحقيقة والتاريخ بكل أمانة ونزاهة.

والناظر إلى ما وراء هذه الحوادث لا يسعه إلا أن يلاحظ بكل دهشة هذا الاكتساح المباغت الذي لم يسبقه إنذار من طرف الحكومة الفرنسية إلى الحكومة الجزائرية. ويلاحظ أيضًا إقدام الحكومة الفرنسية على إفساد العلاقة بين فرنسا والجزائر بهذا العدوان. فهل لذلك مبرر؟ وما هو؟ إنهم يقولون إن فرنسا أرادت أن تثأر لشرفها الذي داسه الداي حسين بمروحته إذ خفق بها قنصل فرنسا. ولا حاجة إلى بيان ضعف هذه الحجة التي تثير سخرية كل عاقل يرى أفعال الرجال والأمم بعيدة عن العبث. ولكن على فرض كون ذلك باعثًا على اكتساح الجزائر فأين البواعث "التمدينية"؟...

الحقيقة التي لا مراء فيها أن هناك أسباب سياسية واقتصادية وصليبية، داخلية وخارجية، دفعت الحكومة الفرنسية إلى الهجوم على الجزائر ويطول ذكرها. وهي كافية لدحض دعوى "الرسالة التمدينية"... وطريقة التمدين لا تكون بالذبائح والحرائق وغيرها من الجرائم. ويكفي الاستعمار الفرنسي شناعة أنه أقام سلطته في الجزائر على نحو مليونين من جثث الجزائريين الأبرياء الذين دافعوا عن بلادهم الدفاع الواجب. وذلك يكفي برهانًا على سوء نية الحكومة الفرنسية وعلى فظاعة الاستعمار وبُعده عن المدنية. وهو في الأصل تنافس في سبيل التوسع الحيوي وفتح الأسواق التجارية والحصول على المواد الأولية. وفي احتكار المعمرين الفرنسيين للأراضي والموارد الاقتصادية في الجزائر أوضح شاهد بذلك.

ولكن العصر قد تطور وأصبحت النظريات الاستعمارية ممقوتة تكسو أصحابها ثوبًا من الرجعية والتقهقر ومنافاة التمدن، إلا أن الحكومة الفرنسية لا تزال متشبثة بها. فنحن اليوم نعيش في جو من الظلم والقمع يزداد كل يوم ثقلًا. وكل من يدعو – بنزاهة ونصيحة – لمراجعة العلاقة بين الأمة الفرنسية والأمة الجزائرية وإقامتها على أساس التعاون والاحترام يُستهدف للمضايقة والعقاب والزجر بدعوى "المس بالسيادة الفرنسية"...

وقد مضت على الاحتلال الفرنسي للجزائر مائة واثنتان وعشرون سنة أي قرن وربع

قرن، والأمة الجزائرية في حالة لا تمكنها من مجاراة الأمم المتقدمة ومسايرة ركب المدنية في سائر الميادين الصناعية منها والثقافية. بل إن الاستعمار هدم بنيان المدنية الإسلامية فلم يبق منها إلا صُوَرًا ورموزًا وأصبحت الأمة الجزائرية محرومة من مدنيتها الموروثة ومن المدنية الحديثة في آن واحد، غير أنها رغم ذلك ما تزال حافظة لكيانها ولشخصيتها غيورة على حريتها، ولقد تجرعت في سبيل بقائها ويلات فلم تستسلم، وظلت معتقدة اعتقادًا جازمًا برجعة حقها في حياة حرة كريمة، عاملة في سبيل حقها في تقرير مصيرها بنفسها، وما زادتها سياسة الاضطهاد والتفقير المادي والأدبي إلا تمسكًا بالرجاء في نصر الله واليقين بأن الوضع الاستعماري وإن طال ما هو إلا محنة عابرة لأن من سنّة الله أن بنيان الظلم والباطل لا يدوم، وأن الأيام دول. ومما يغذي هذا الاعتقاد – زيادة على العقيدة الدينية والعبرة بالأمم السالفة – ما جاء مصداقًا لذلك في هذا العصر من زوال الاستعمار عن أغلب الأقطار، والإجماع على وجوب زواله من الأرض، وإقرار الأمم كلها باحترام حق الشعوب في تقرير مصيرها. بواعث للتفاؤل بعهد جديد تنقلب فيه العلاقات العدائية بين الأمم إلى حسن جوار وتعاون، وإن كان الاستعماريون الفرنسيون لا يزالون متأخرين في هذا الميدان. فإنهم لن يمنعوا السنن الكونية من تحقيق سيرها، وبمعارضتهم لا يزيدون الأزمة الجزائرية إلا استفحالًا. والأمر الواقع هو أنه مضى على احتلال الجزائر قرن وربع قرن والأزمة ما تزال قائمة...

فهل هناك مندوحة عن مراجعة العلاقة بين الأمة الفرنسية والأمة الجزائرية؟ فالجواب عند الأمة الجزائرية. عليها أن توحد كلمتها، وتستخلص الدروس من الذكرى الأليمة ذكرى الاكتساح الاستعماري لأرضها الذي لم يكن ليتم لو كانت الأمة متيقظة، متسلحة بتوقع كل حادث، موحدة الكلمة غير متخاذلة، وكم للتخاذل من أثر في مصير الأمم! وقد عانى منه الأمير عبد القادر لدى إخوانه الجزائريين، ولدى جيرانه المراكشيين ما ساعد المكتسحين على التغلب. وإنه لدرس ملموس يجب الاعتبار به حتى تسير الأمة الجزائرية نحو غايتها السامية بإرادة واحدة. فإن إرادة الحق من إرادة الله وإرادة الله لا تغالب.

عرس في مأتم!

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثانية، العدد السابع،
الجمعة 26 شوال 1371، 19 يوليو 1952

عنوان غريب لأن الجمع بين النقيضين عجيب. قد يطرب له الأدباء والشعراء ويكسونه من الأخيلة الجميلة ثوبًا يبهر القراء. والدارسون للأدب العربي يعرفون مواقف الأدباء والشعراء في ظروف تتطلب الجمع بين العزاء والهناء أمام الأمراء كقول القائل:

هناء محا ذاك العزاء المقدما * فما عبس المحزون حتى تبسما

وأي مجال للبلاغة في هذا الميدان الغني بالمرقص المطرب من المطابقات والمحسنات البديعية التي انفردت بها اللغة العربية! ومن هذا القبيل ما ورد في أحد الموشحات الأندلسية في شأن روضة تحت المطر:

إذ يقيم القطر فيها "مأتمًا" * وهي من بهجتها في "عرس"

فالعنوان أعلاه إذن ليس من مبتكراتنا فهو من هذا البيت. ولم نورده لنلهي القراء بحديث عن الأخيلة الشعرية، والمحسنات البديعية، في البلاغة العربية. وإنما أوردناه لوصف واقع مر، له من المرارة ما للعنوان من البلاغة. يعرف مرارته كل غيور على الإنسان ومصيره، وكل محب للبشرية حالم بسعادتها. هذا الواقع المر تعيش فيه شعوب تعد عشرات الملايين من بني الإنسان ومنها الشعب الجزائري.

أما العرس فهو عرس الحرية. وأما المأتم فهو مأتم الحرية. ومحل العرس في فرنسا. ومحل المأتم في فيات نام، وتونس، والجزائر، ومراكش، وغيرها حيث يوجد من بني الإنسان من

يئن تحت نير العبودية، ويندب حظ الحرية، مخاصمًا فيها فرنسا التي حرمتها عليه.

ويرجع تاريخ العرس في فرنسا إلى 14 يوليو 1789

ويرجع تاريخ المأتم في الجزائر إلى 14 يونيو 1830

فبين التاريخين 41 سنة، أي ما يقارب نصف قرن.

ويا لضعف الذاكرة!.. قوم يحطمون في بلادهم أغلال العبودية، ويرفعون أعلام الحرية، ويعلنون قداسة حقوق الإنسان، ثم لا تمضي على ذلك غير أربعين سنة حتى يهاجموا الشعوب الحرة، فيخنقوها بأغلال العبودية ويمزقوا في أرضها أعلام الحرية، ويدوسوا فيها حقوق الإنسان!...

لو لم تكن لفرنسا سابقة في تقديس الحرية لقلّ الاستغراب من إقدامها على دوس الحرية. أمّا وقد كانت السابقة فكل سلوك معاكس لها جناية.. ومن هنا يفتح باب الريب في الإخلاص للحرية والصدق في حبها... لأن الحرية لا تتجزأ، فإما أن تكون محبوبة، وإما أن تكون غير محبوبة، وليس هناك منزلة وسطى. ومن أحب الحرية لنفسه وحرمها على غيره فهو جاهل لمعنى الحرية، مخطئ في تقديرها، غير متشرب بها، بعيد عن إدراك العدل الذي هو أساس نظام الحياة الاجتماعية والدولية.

فأي معنى إذن للاحتفال الذي يقيمه للحرية جلاد الحرية؟..

فإن من يقيم في بلاده عرسًا للحرية، ويقيم في بلاد غيره مأتمًا للحرية، ما هو إلا ساخر بالحرية، أو أحمق جاهل لقدرها فلا حق له في دعوى حبها، ولا في طلب ثقة أنصارها، ولا في الانتساب إلى الأحرار فإن دعوى نصرة المبادئ المقدسة لا تثبت بدون برهان. ولأمر ما أقامت الشرائع في وجه المدعين القاعدة المستوحاة من العدل القائلة: "هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"!

أما برهاننا على مأتم الحرية في الجزائر فانه ساطع كالشمس في رابعة النهار، فإن وصف محنة الحرية في بلادنا وصفًا مفصلًا يتطلب مجلدات. وكفانا أن ننبه على ذلك بكلمة جامعة

شاملة لأنواع الحريات، ألا وهي: لا حرية للأمة الجزائرية في تقرير مصيرها.

وما على الحكومة الفرنسية إلا أن تأتي بالبرهان الدال على العكس، وعلى أن الحرية أصبحت بفضلها في كل مكان في عرس...

وبعد أليس من الفائدة لفرنسا والأمم التي صيّرتها خصومًا لها بالقضاء على حريتها أن تراجع علاقتها بها على أساس احترام حرية تقرير المصير، والتعاون المثمر؟

أليست في حالة تتطلب كثرة الأنصار لا كثرة الأعداء؟ أيرضيها أن تكون الحرية في عرس في بلادها، وفي مأتم في بلاد غيرها بسبب ظلمها؟..

ومهما يكن فإن تعطش الأمة الجزائرية إلى الحرية لابد له من شفاء وفي التاريخ دروس ساطعة البرهان على انتصار إرادة الحرية على إرادة الإذلال. وكما انتصرت إرادة الحرية على "الباستيل" في فرنسا، فإنها ستنتصر على "الباستيل الاستعمارية" في الجزائر. وإذاك ستصبح الحرية في الجزائر في عرس زاهر وتصبح العبودية في مأتم قاتم. تلك سنّة الله. ولن تجد لسنّة الله تبديلا...

الفتنة الاستعمارية محنة عابرة، لنوحد صفوفنا ولننظم كفاحنا

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثانية، العدد الثامن،
الجمعة 10 ذي القعدة 1371، 1 أوت 1952

في القرآن الكريم نور يهتدي به المؤمنون في ظلمات المشاكل والمصائب فيه بيان سر الفتن التي تصيبهم والمواقف الملائمة لهم في حالة الضعف عن دفعها وفي حالة القدرة على درئها. من ذلك فاتحة سورة العنكبوت "الم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ".

والدارسون لأسباب النزول يعلمون أن خباب بن الأرت كان يلاقي من التنكيل ليفتن عن دينه ما لم يطق دفعه. وقد طالت الفتنة، وبعُد الفرج، فنفذ الصبر. فطلب من الرسول أن يدعو الله يخفف عن المؤمنين العذاب فنزل الوحي الإلهي بالجواب.

ولم يكن ذنب خباب وبلال وغيرهما من المؤمنين – من نجا منهم ومن قضى – إلا أن قالوا: "آمنا بالحق" فجاءهم من الفتن ما لم يكونوا يتوقعون قسوته. فنبّه الوحي إلى أن السر في الفتنة وضع معيار للصدق في التعلق بالحق. فإذا بها قاعدة عامة في كل زمان ومكان ولم تكن الفتنة التي قاساها خباب والمؤمنون إلا محنة عابرة. فجاءهم النصر في النهاية إذ هاجروا إلى المدينة فجمعوا صفوفهم ونظموا كفاحهم في سبيل حياة حرة كريمة في وطنهم.

وأشد ما عرفه المسلمون بعد ذلك في تاريخهم فتنة الاستعمار الغربي الذي استولى على بلادهم بوسائل شتى.

وقد غفل المسلمون عن سر الفتنة، ووسائل دفعها وأهمها الاتحاد والنظام.

ولكن في السنين الأخيرة هبت ريح اليقظة على العالم الإسلامي.

فالذين اهتدوا إلى سر الفتنة ووسائل دفعها جمعوا كلمتهم ونظموا كفاحهم فاستعادوا حقهم، كالباكستان وأندونيسيا وتجلى عندهم أن الفتنة الاستعمارية – وقد طالت في الأول قرنين وفي الثانية ثلاثة قرون – ليست إلا محنة عابرة يطول أجلها أو يقصر حسب يقظة المفتون بها وعزمه على الخروج منها.

والشعوب الإسلامية الأخرى كالمغرب العربي المسلم قد تيقظت ولكن مازالت مترددة في الأخذ بالوسائل الناجعة لبلوغ مرادها، وأهمها الاتحاد والنظام لأن اليقظة وحدها لا تكفي لنيل المراد.

وهذه اليقظة وإن روعت الاستعمار الفرنسي فوسائل تحقيقها في الواقع في يد المسلمين. فلن يستطيع صرفهم عن الأخذ بها مهما يحاول ذلك. فهو يسلك سياسة القمع والاضطهاد لهذه الغاية، إذ يخشى من تحقيق الوحدة والنظام عند ضحاياه التي فطنت إلى أن الفتنة الاستعمارية محنة عابرة.

فهو في الجزائر مثلًا لم يكتف بملء السجون، وإصدار الأحكام القاسية وإزهاق الأرواح. لم يكتف بذلك لعجزه عن انتزاع الروح التحررية من القلوب. فذهب مذهبًا آخر، وهو ترويع المسلمين في القرى من حين إلى آخر تذكيرًا لهم بأنه قوي وأنه على استعداد دائم للقمع والاضطهاد، كما فعل بسيدي علي بوناب، وجبال أوراس، وكريستل كأنما يتوقع ثورة. فهو يتنقل من عمالة إلى عمالة كأنه يتجسس موضع الصدق والثبات فيوجه له قواه وكلما أقدم على الترويع لم يراع القانون الذي وضعه بنفسه ففي قرية كريستل بعمالة وهران وفيها 1600 ساكن مسلم بلغنا أن أكثر من 300 من رجال الدرك والحرس المتنقل مدججين بالسلاح هاجموا المسلمين على الساعة الثانية ليلًا يوم 19 يوليو (أي 5 أيام بعد الاحتفال بذكرى الحرية وإعلان حقوق الإنسان في فرنسا) فحاصروا المنازل والضياع ودخلوها وفتشوها دون مراعاة للنساء، ويقال إن امرأة حبلى كادت أن تشرف على الهلاك، واعتقلوا عشرات من الشبان وساقوا عددًا منهم إلى السجن ولا حاجة إلى التفاصيل لأن الجزائريين ألفوا هذا النوع من العمليات التي يتمرن فيها رجال الأمن على "البطولة" ويؤدون "رسالة التمدن" ويشعرون المسلمين بأنهم في "أمن" تحت "رعاية" الاستعمار الفرنسي.

فإن كان مقصود الاستعمار من هذا أن يقضي على الروح التحررية فقد أخطأ في التقدير وإن كان مقصوده تحبيب الحكم الاستبدادي فقد ضل الطريق. وإن كان مقصوده الإرهاب فقد أخطأ الحساب. إذن فما هي النتيجة؟ النتيجة تمكين الحقد في القلوب، وإزالة الحجاب عن أعين محسني الظن بالنيات الفرنسية وإقامة الحجة على سوء السياسة.. خسران في خسران في خسران... وبئس المصير مصير الظالمين!

إن أجل الظلم قصير. ولذلك كانت الفتنة الاستعمارية محنة عابرة. وستنتهي يوم تتجسم يقظتنا في توحيد صفوفنا وتنظيم كفاحنا، وإذاك تمكن مراجعة العلاقة بين الأمة الفرنسية والأمة الجزائرية فتتحول علاقة الظالم بالمظلوم إلى علاقة الجار بالجار قوامها حسن الجوار والتعاون المثمر.. وإذن فلنوحد صفوفنا ولننظم كفاحنا، ولنلحق بإخواننا المتحررين الذين قالوا مثلنا: "آمنا بحقنا في حياة حرة كريمة" فجاءتهم الفتنة فصبروا وثبتوا وكافحوا بنظام حتى انجلت المحنة العابرة، وزالت الفتنة القاهرة.. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

حاجتنا إلى جبهة تحريرية

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثانية، العدد التاسع،
الجمعة 24 ذي القعدة 1371، 15 أوت 1952

ما كادت "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها" تبرز للوجود حتى بادرت جريدة "المنار" إليها بالترحيب والإشادة بإخلاص باعتبارها خطوة في طريق "توحيد السياسة والعمل" الذي دعت إليه" المنار" أول صدورها ولم تفتأ تدعو إليه في كل مناسبة حاثة "الجبهة" الناشئة على التقدم في هذا الاتجاه الذي يستوجبه الوعي القومي والتطور العالمي. فسرور "المنار" بالجبهة – إذن – طبيعي إلا أنه محدود لأن أهداف الجبهة محدودة لا تعبّر إلا عن بعض ما تدعو "المنار" إليه من التوحيد الكامل. ولذا صرحت "المنار" كعادتها بنقصان برنامج الجبهة في حين إشادتها بها بدون تناقض لأن البرنامج وإن كان ناقصًا، ففي الإمكان تكميله والذي يستحق الإشادة هو وصول الأحزاب "التحريرية" إلى التفاهم والتقارب وإن كان ذلك على أساس "التعاون في المتفق عليه والتغاضي عن المختلف فيه". وكان يرجى أن يؤدي "التعاون في المتفق عليه" إلى زوال "المختلف فيه" شيئًا فشيئًا. وهذا ما جعل "المنار" تؤيد الجبهة وتدافع عنها بما حسبه البعض مبالغة في حسن الظن.

فهل حققت الجبهة حسن الظن فيها؟ هل تم "توحيد السياسة والعمل" في الجزائر بفضل الجبهة؟ لا. وقد يقال إن الجبهة لم تؤسس لذلك وإنما أسست لأهداف خمسة محدودة. وهذا حق. ولكن هل بلغت الجبهة أهدافها؟ لا، لم يتحقق منها هدف واحد.

إن هذا ينتج أحد أمرين: إما ضعف الثقة في الجبهة وإما السعي في تقويتها، والثاني أحسن لمن يريد الإيجاب لا السلب ويعتقد أن الحياة كفاح متواصل لا يؤتي ثماره عاجلًا. ولذا

وجب البحث عن سبب ضعف الجبهة وعن وسائل تقويتها. ويمكن التماس العذر من الزمن مع الرجاء في الزمن. فإنه لم يمض على نشأة الجبهة غير عام واحد. وهو في كفاح الأمم كالساعة في كفاح العامل في المعمل تمر كلمح البصر لا يرجى فيها نتائج كبار. والنتائج إنما تحصل بطول الزمن. ولعل السبب الرئيسي في ضعف الجبهة عدم وصولها إلى إزالة "المختلف فيه". فإن أعضاءها تمسكوا بحريتهم التامة وحافظوا على برامجهم الخاصة. وجاءت الظروف لتكشف عن نتيجة ذلك فتجلت في إضراب 23 ماي 1952 وفي الانتخابات التي لم تصل الجبهة إلى توحيد موقفها فيها. وعاقبة ذلك وخيمة غير أنه – عملًا بمبدإ "التغاضي عن المختلف فيه" – ظلت الجبهة قائمة.

ولنعتبر ذلك عرضًا طارئًا. ولنقل "عفا الله عما سلف" ولننظر إلى ما تتطلبه الحالة الراهنة بعد الاستفادة من التجربة في العمل المشترك مدة السنة الماضية:

لا جدال في أن الأمة الجزائرية تريد "حق تقرير المصير".

ولا جدال – كما نبهنا عليه في مقال بمناسبة انتخابات يونيو 1951 (المنار، عدد 6، السنة الأولى، ص 3)[1] في أن الأحزاب التحريرية متفقة على مبدإ "حق تحرير المصير" ولا خلاف إلا في التعبير.

ولا جدال في أن ذلك من صميم المواثيق الدولية.

ولا جدال في أنه يتفق والتقاليد الديمقراطية في فرنسا والعالم.

فهذا المبدأ "المتفق عليه" ألا يصلح لأن يكون أساسًا لجمع الكلمة؟ لا نظن أن يستدبره أي ديمقراطي حر الضمير.

والمطالبة بتطبيق هذا المبدإ في الجزائر المحرومة منه معناه مراجعة العلاقة بين الأمة الفرنسية والأمة الجزائرية.

[1] كنا أعددناه ليكون افتتاحية، ولكن ما طبع حتى برزت الجبهة للوجود فآثرناها بالتقديم.

والمعلوم من التقاليد الاستعمارية الفرنسية أنها تحارب هذا المبدأ بكل شدة ولا تعترف به وإن أقرته شرائع السماء والأرض. فلا يمكن إقناعها بوجوب احترامه بواسطة الأساليب التي تقتضيها روح السلم والمدنية. وذلك لسبب بسيط هو منافاة الاستعمار للسلم والمدنية إذ أنه قائم على ثلاث دعائم: استغلال الإنسان للإنسان بلا حد، اعتبار إراقة الدم البشري ثمنًا للحرية، اعتبار الحرب الحل الوحيد للنزاع.. وإن من يفكر هذا التفكير لبعيد – طبعًا – عن الاقتناع بالمعقول من الحجج المستوحاة من روح العدل الذي هو أساس السلم، وبعيد عن تصور مقتضيات المدنية. وماذا يفهم من السلم والمدنية من أفسد الجشع فطرته فانقلبت عنده القيم واختلت المقاييس؟ فلا يمكن الإقناع إلا بحركة شعبية منظمة تحمل الاستعماريين على مراجعة سلوكهم المنافي لأبسط المبادئ الإنسانية.

فلو سارت الجبهة في هذا الاتجاه لكانت الجزائر اليوم بجانب مراكش وتونس أمام المجالس الدولية...

ولا فائدة في اتفاق يكون عبارة عن "هدنة مؤقتة" بين الأحزاب أهدافه قاصرة عن الوعي القومي والتطور العالمي.

فنحن في حاجة إلى جبهة تحريرية تمثل إرادة الأمة الحقيقية قادرة على إثارة الحماس الذي يخلق الظروف الموجبة لمراجعة العلاقة بين الأمة الفرنسية والأمة الجزائرية على ضوء المواثيق الدولية والتقاليد الديمقراطية المقرة "حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها" والتعاون على خدمة السلم والمدنية...

الذكرى السابعة لميثاق الأمم المتحدة: يوم الأمم المتحدة

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثانية، العدد العاشر،
الجمعة 4 صفر 1372، 24 أكتوبر 1952

اليوم يوم الأمم المتحدة. والاحتفال به احتفال بحادث تاريخي فريد من نوعه يعد أعظم حادث عرفته البشرية، وأعظم حادث يجب أن ترحب به الإنسانية كلها على اختلاف معتقداتها وألوانها ولغاتها وتباين حالاتها. فإن الدواعي التي أبرزت الهيئة الأممية إلى الوجود من أشرف الدواعي. وهل أشرف من حب السلام والدعوة إليه؟ والمبادئ التي أسست عليها من أسمى المبادئ التي جاء بها الدين وأقرها الخلق وارتضاها العقل السليم: تحرير الأفراد والجماعات من الفقر والخوف والجهل والمرض والذل، والسعي في رفع مستوى الإنسانية ثقافيًا واجتماعيًا واقتصاديًا.

ومن العلوم أن البشرية إذا اتفقت على هذه المبادئ وهذا السعي والتعاون فيه عمت السعادة كل المعمورة. ولذا يجب على كل مخلص للمبادئ الإنسانية العليا أن يرحب بهذه الهيئة ويحتفل بيوم نشأتها.

فرسالة الهيئة الأممية إذن رسالة سامية إلا أنها شاقة، لأن إحقاق الحق وإبطال الباطل محاولة عسيرة في عصر اختلط فيه الحابل بالنابل والتبس الحق بالباطل.

وفي طليعة المتأثرين بهذه الرسالة السامية الشعوب العربية والإسلامية التي تجد فيها صدى لما تدين به من التقاليد والعقائد كما تجد فيها إجابة لمطامحها نحو التحرر من الآفات التي أصابها بها الاستعمار الغربي.

وترحب بهذه الرسالة أيضًا جميع الشعوب التي تحمل نفس العقائد وتعاني نفس المصائب

وذلك معقول لتعطش هذه الشعوب إلى التخلص من العبودية وتوابعها والمشاركة الفعالة في بناء المدنية على أسس أسمى مما وضعها عليه الغرب الاستعماري الذي يدفعه الجشع إلى هدم المثل العليا التي تحتفظ للإنسانية سموها وتضمن لها السعادة.

والرجوع إلى إثبات هذه المثل ونشرها هو مضمون رسالة هيئة الأمم المتحدة، ومعناه إثبات أفضل الأسس للمدنية الحقة.

فمن الوجهة المبدئية إذن تعتبر نشأة الأمم المتحدة حادثًا هامًا كفيلًا بتغيير مجرى التاريخ وتوجيهه في أحسن طريق.

أما من الوجهة العملية فما هو مدى أثر هيئة الأمم المتحدة في أداء رسالتها؟

إن أول ما سيلفت النظر هو أنه رغم وجود هيئة الأمم المتحدة لا تزال الدماء تراق فوق البسيطة: في كوريا، في الهند الصينية، في الملايو، في كينيا. كما لا تزال بعض الشعوب تعاني الآفات الاستعمارية الشنيعة في القرة الأفريقية بأكملها من أفريقيا الشمالية إلى أفريقيا الجنوبية، وتضم إليها جزيرة مدغشقر التي عانت من الذبائح وتعاني من المظالم ما لا يخفى عن كل مهتم بمصير البشرية. وفي فلسطين ومصر وإيران مشاكل أخرى محزنة. وإذ نذكر كل هذا نذكر ما أمام الهيئة الأممية من المشاكل التي تتطلب الحل السريع. فإن حقن الدماء في كوريا والهند الصينية وكينيا وتحرير الشعوب الأفريقية والآسيوية وحل المشاكل التي تهدد حسن العلائق بين الدول، كل ذلك من الأعمال التي لا بد للهيأة الأممية أن تعجل بانجازها.

وإلى جانب هذه المناظر المحزنة يتجلى لنا انقسام الأمم إلى كتلتين بينهما حرب باردة تؤذن بالخطر على إقامة السلام العالمي المنشود. ولا يخفى أن بسط السلام في العالم لا يتأتى إلا إذا كانت جميع القلوب مشربة بحبه حريصة على تحقيقه. والأمر هنا راجع إلى مدى إخلاص أعضاء الهيئة لرسالتها. ومعلوم أن استقرار الأمن والسلام في العالم يتوقف على إلغاء الاستعمار ونزع السلاح ونشر ثقافة مبنية على احترام الإنسان. وهذه أمور لم تتحقق للآن. فما زالت أسباب سوء التفاهم قائمة.

وليس معنى هذا أن الهيئة الأممية لم تعمل شيئًا. فإنها قامت بأعمال جليلة تبعث على

التفاؤل. لقد كان تدخلها في قضايا سوريا ولبنان وليبيا وأندونيسيا – مثلًا – سببًا في تعجيل تحرر هذه الأمم تحررًا كان العرب والمسلمون أول من فرح به. وعسى أن توفق الهيأة إلى نفس الحلول في المشاكل الأخرى حتى تسود العالم بأجمعه حرية حقيقية وتعاون مثمر.

وإننا إذ نضع جميع مشاكل الإنسانية على قدم المساواة لإيماننا بالأخوة الإنسانية فليس من الأنانية أن نهتم قبل كل شيء بأمسّ هذه المشاكل بنا. وهي المشاكل العربية والإسلامية وفي مقدمتها قضيتا القطرين الشقيقين تونس ومراكش. فقد سررنا كثيرًا بتسجيلها في جدول أعمال الدورة الحالية للهيأة الأممية ووضعها في الصدارة مع أسفنا عن غياب القضية الجزائرية ورجائنا أن تحظى عاجلًا بالحل العادل هنا أو هناك. ونحن لا نستطيع أن نتكهن بمصير القضيتين التونسية والمراكشية. فهل الهيأة تكتفي بتوصيات للحكومة الفرنسية التي بلغ غضبها أن صارت تهدد بالخروج من الهيأة؟ وهو تهديد لا يتصور صدوره عن أية دولة متشبعة بمبادئ الهيأة، حريصة على أداء رسالتها، وتقوية أركانها. فالدول العربية والإسلامية وأحلافها لا تزال في الهيئة وإن لم تنصفهم في فلسطين...

ومهما يكن فإننا – رغم ما يبدر من جنون بعض الدول وما بنا من حب التعجيل بحل المشاكل الدولية حلًا عادلًا – لا نزال نتفاءل بالهيأة الأممية ونحتفل بيوم نشأتها احتفال الحالمين بعهد الحرية والعدل والسلام في العالم.

قمع فظيع... وغضبة مقدسة

محمود بوزوزو

جريدة المنار، السنة الثانية، العدد الحادي عشر،
الجمعة 26 صفر 1372، 14 نوفمبر 1952

بينما يخطب رئيس الجمهورية الفرنسية بمناسبة الذكرى السابعة لميثاق الأمم المتحدة معلنًا أن فرنسا "وطن حقوق الإنسان" إذا بنا نرى الشرطة الفرنسية في الجزائر تحرص بنشاط متزايد على إقامة الدليل على صدق الخطيب وتبين للعالم بالمحسوس الملموس أن حقوق الإنسان في أمن وسلام وتحت حماية السلطة الفرنسية وأن الإنسان يمرح في نعيم مقيم في ظل الاستعمار الفرنسي. فالجهاز الشرطي الفرنسي في الجزائر لا يألو جهدًا في هذا السبيل فهو في حركة مستمرة ساهر على حفظ هذه "الحقوق" سهر الأم الحنون على ولدها العزيز ومن أجل ذلك يقوم بعمليات واسعة النطاق في القطر الجزائري لقمع الشعب الذي بلغ تعلقه بحقوق الإنسان درجة "خطيرة " جدًا على هذه الحقوق.

وليس القارئ في حاجة إلى أن نعيد عليه ما سجلناه وسجلته الصحف الديمقراطية من هذه العمليات البوليسية سواء منها ما يمس الجماعة أو الأفراد فالجزائريون كلهم ما زالوا يستحضرون ما جرى لسكان سيدي علي بوناب وأوراس وكرستل، ومغنية، وما جرى للصحف الديمقراطية ومديريها ومحرريها وباعتها ومناضلي الحركات التحريرية ومسيريها، كل هذه العمليات تنزل على الجزائريين كالوبال لا لشيء إلا لتعلقهم بحقوق الإنسان التي يفخر بإعلانها الساسة الفرنسيون فتجيء الشرطة بالعمليات الزجرية للجزائريين تطبيقًا منها لتصريحات الساسة الفرنسيين وتمكينًا لمعاني حقوق الإنسان في نفوس الجزائريين.

إنه ليسوءنا أن تحملنا الشرطة الاستعمارية على التنديد بسلوكها بقدر ما نرى واجبًا علينا أن نثبت الحق أمام الادعاءات الرسمية التي تتحطم أمام هذا السلوك كالأمواج على الصخور.

فالسلوك البوليسي في الجزائر سلوك قاس إلا أنه يزري بأصحابه بقدر ما يؤلم ضحاياه ويغضب المنصفين، لكن السلوك في ذاته قد يكون هينًا لو لم يكن ينم عن روح عريقة في الشر عراقة الشيطان في العصيان. روح عدوانية بحتة تلفح بغضًا وحقدًا عنصريًا ناريًا، روح لا أثر فيها لأي داع من العدل. وكثيرًا ما تُنزل الشرطة ببعض الأفراد سوط العذاب المميت من غير أن تجد بعد ذلك أي رد فعل، وقد جرأها ذلك على التمادي في الطغيان فتفاقم الأمر، وأخيرًا قام الشعب برد الفعل لكن بصفة سلمية دفاعًا عن الحق المداس والكرامة المهانة دفاعًا عن "حقوق الإنسان" وإنها لغضبة مقدسة أوحتها روح لا تعرفها الشرطة ولا السلطة الاستعمارية، روح العدل المقدس.

وهذا معنى ما جرى في هذه الأيام في سوق اهراس وعنابة والغزوات وسكيكدة وقسنطينة ووهران والعامرية والحروش والصومعة والجزائر العاصمة. لقد كانت الشرطة قبل اليوم تعتدي على الجزائريين فيتحملون صابرين كاظمين الغيظ والشرطة تظن بذلك أنها ناجحة في تعويدها الشعب الأعزل السكوت تحت سياطها استكانة وهوانًا.

لم يكن سكوت الشعب هوانًا ولا موتًا معنويًا إنما كان كبتًا فانفجر، ومن حسن حظ الشرطة أن كان الإنفجار بدون فرقعة ولا قعقعة وإن قابلت هذا الإنفجار السلمي بإطلاق الرصاص الذي أصاب فقتل وجرح. وبذلك أصبحت الحياة في الجزائر تزداد سوءًا مع أن هذه السياسة الحمقاء هي التي أوصلت الاستعمار الفرنسي إلى قفص الإتهام أمام الضمير العالمي في قضيتي تونس ومراكش. ولا شك أن الاستمرار على هذه السياسة سيلحق الجزائر بشقيقتيها. فإن الشعب الجزائري مصمم على أن يجعل "حقوق الإنسان" في وطنه حقيقة حية. وإن ما قدمه من التضحيات في الحربين العالميتين دون جدوى، وما لا يزال يقدمه من التضحيات بمقاومة الاستعمار في سبيل حق تقرير المصير لأوضح دليل على ذلك وهل أدل عليه من هذه الغضبة المقدسة؟ فهل تستمر الإدارة الفرنسية على مقابلة ذلك بالقمع القاسي الذي لا يؤدي إلا إلى ما أدى إليه في الهند الصينية وتونس؟

إلى الكمال أيها المسلمون!

محمود بوزوزو

جريدة المنار، السنة الثانية، العدد الثاني عشر،
الجمعة 11 ربيع الأوّل 1372، 28 نوفمبر 1952

يحتفل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها كل عام بذكرى مولد محمد ﷺ وقد مر على الرسالة المحمدية نحو أربعة عشر قرنًا. ولم تمح هذه القرون ذكر الرسول ولا تعاليمه. بل ما زاد مر السنين إلا ثباتًا وانتشارًا لما جاء به من الحقائق الإلهية. فخرجت دعوته من المحيط المحدود الذي برزت فيه، وانطلقت تجوب الأقطار وتنفح الأرواح بنسيمها المنعش حتى عمت المعمورة، فلم تبق أرض إلا وفيها لمحمد ﷺ ذاكر، ولدينه حافظ؛ ولم يبق لسان إلا وهو باسم محمد ﷺ ناطق، وبتعاليمه لاهج؛ ولم تبق لغة إلا والقلم بها لحياة محمد ﷺ كاتب، ولدينه شارح؛ ولم يبق فكر نير إلا ومحمد ﷺ له شاغل، ودينه له باهر. فمن مقر صادق، وتابع حاذق، إلى ناقص ضال، ومناهض مغرور، لا سلاح له سوى الغرض المضل، والهوى المفرط، وبين احتكاك الفريقين يشرق دين محمد ﷺ كالشمس لا تشعر بنفثة النافث وتثبت حجة محمد ﷺ كالصخرة لا تحس بقرن الوعل، ويعلو ذكر محمد ﷺ يملأ الآفاق رنينًا تتجاوب أصداؤه على مر الزمان! ألا إنه الخلود الذي سطر على صفحة الوجود بنور الحق الخالد! نور الله الذي هو "نور السموات والأرض"، نور الله المتجلي في الإسلام دين الكمال!

ولن يزال الدهر إلى الأبد يشاهد كل عام ملايين من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يحتفلون بذكرى مولد نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام. ويقيمون بذلك الدليل على تعلقهم بالحقائق الخالدة التي أقرها الدين الإسلامي الحنيف، الذي أكمل به الله تعالى دينه مختتمًا ما أنزله من الوحي على الأنبياء وعلى محمد ﷺ بقوله: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا".

تلك هي خاتمة الوحي الإلهي. بها ختمت النبوة وبها انقطعت الحجة المشار إليها في آية "لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل".

وقد أشهد خاتم المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين كل المسلمين أمام الله على تبليغه رسالته إذ سألهم: "ألا هل بلغت؟" فأجابوا: "اللهم نعم" فقال: "اللهم اشهد" وذلك في الظروف التي نزلت فيها آية إكمال الدين.

تفيد الآية أن الدين بلغ الكمال فلا يحتاج إلى زيادة. وبذلك تنقطع الحاجة إلى رسول. وتفيد الآية أن الدين قبل ذلك "اليوم" لم يكن كاملًا، وهو فيما يخص الدعوة المحمدية إعلان عن تطورها باجتياز مراحل معلومة عند المطلعين على السيرة النبوية الشريفة. وفيما يتعلق بالدين عامة إقرار بأن ما جاء به الأنبياء قبل محمد ﷺ هو من صميم الدين الإلهي إلا أنه لم يكن كاملًا فأرسل محمد ﷺ مكملًا.

واختيار الله "الإسلام دينًا" لا يتقيد بالزمان. فالإسلام هو الاسم الذي اختير للدين الإلهي. وهو ما أنزل على إبراهيم "هو سماكم المسلمين من قبل". فعدم إكمال الدين على يد الأنبياء السابقين لا ينفي وحدته كما تشير إليه آية "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه". وبيان ذلك أن جوهر الدين الذي جاء به جميع الأنبياء تصريحًا يتلخص في توحيد الله بالعبادة، والإيمان بالبعث والجزاء، والتحلي بالفضائل، وهي الناحية الروحية الخالصة في الدين. وهي مضمون الدعوة المحمدية في طورها الأول كما يستخلص من جواب محمد ﷺ لسعيد بن العاص أوّل سائل له عن دعوته، ويستخلص من أول ما نزل من القرآن بعد آيات سورة العلق وهو أوائل سورة المدثر فدعوة محمد ﷺ هي دعوة عيسى وموسى وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ولكن ما السر في إرسال محمد ﷺ بعد الأنبياء السابقين؟

1. إن الأنبياء السابقين أرسلوا إلى أقوامهم لا عموم البشر، فأرسل محمد ﷺ للعموم.

2. يروي القرآن أن من الأنبياء من قتل ومنهم من رفع قبل إتمام التبليغ، فأرسل محمد ﷺ مؤيدًا بنصر الله إلى تمام التبليغ...

3. لم تكن الحياة الروحية منظمة بصفة عملية بكامل الدقة، فجاء محمد ﷺ لتنظيمها بطريقة عملية مدققة كاملة.

4. كان الدين في عهد محمد ﷺ قد اعتراه التشويه لقدم العهد ولتغلب الحظوظ النفسية التي توحي بالتحريف والمسخ والتشويه في سبيل الأغراض الدنيوية. فكانت الحاجة إلى التطهير أكيدة، فأُرسل محمد ﷺ مطهرًا.

5. لم ينزل من الدين على الأنبياء السابقين إلا ما يخص الحياة الروحية، أمّا ما يتعلق بالحياة العملية المدنية فلم يظهر إلا بعد على يد محمد ﷺ الذي أرسل بتمم نظم الحياة العملية بكامل الدقة في جميع المعاملات في الحياة الاجتماعية والسياسية.

فكمال الدين في شمول الحياة الإنسانية باستجابة مطالب الروح والجسم وذلك لأن اتجاه الإنسان أول أمره سد حاجة الجسم. ولكنه بعد إرضائها يتجه إلى التفكير في الكون وفي نفسه. وقد اقتضت حكمة الله أن لا يترك الإنسان في حيرة أبدية فقصر الإرشاد أول الأمر على صرف الإنسان عن الانغماس في مطالب الجسم وتوجيهه إلى الحياة الروحية والإنسان في حاجة إلى الحياة الاجتماعية، فأكمل الله تعالى ذلك بإرسال محمد ﷺ موحيًا إليه بالأسس التي تبني الحياة الإنسانية بناءًا كاملًا. ولا ينكر منصف أن خضوع الحياة المادية للحياة الروحية سر المدنية والنجاة وأن في العكس الخراب والوبال.

وكمال الإسلام أنه يحمل ذاك السر.

فالاحتفال بذكرى مولد نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام احتفال بهذا الكمال.

ويا ما أجمل هذه الاحتفالات لو كانت مصحوبة بالعزم الصادق على إقامة الدين الكامل إقامة كاملة: فالنبي ﷺ إنما يريد العمل بتعاليمه والتحلي بفضائله والتأسي بجهاده لا التغني بها دون عمل.

فإلى الكمال أيها المسلمون!

حوادث تونس ومراكش: المؤامرات الدامية لا تحل المشاكل

محمود بوزوزو

جريدة المنار، السنة الثانية، العدد الثالث عشر،
الجمعة 26 ربيع الأوّل 1372، 12 ديسمبر 1952

في حين يستعد العالم للاحتفال بذكرى الإعلان الدولي لحقوق الإنسان ينطلق الرصاص للاغتيال في تونس ومراكش معلنًا عن استمرار سياسة المؤامرات الدامية التي ذهبت ضحية لها قبل اليوم عشرات الآلاف في الجزائر، ومدغشقر، وفيات نام، والرأس الصالح، ويذهب ضحية لها اليوم فرحات حشاد في تونس، ورجال أبرار في مراكش، بعدما وقع الفتك ببعض الأبرياء في بعض مدن الجزائر منذ أيام.

وكان المظنون أن الاقتناع بوجوب العدول عن هذه السياسة قد تم، وأن الاعتقاد بوجوب مراجعة العلاقات بين الحكومة الفرنسية والشعوب المغربية راسخ في القلوب والعقول. لاسيما والأصوات الفرنسية الناصحة ترتفع معلنة عن ذلك. وإلى جانبها الأصوات الرسمية في فرنسا وفي البلاد المغربية. والأقلام الديمقراطية تحبر المقالات الطويلة في الموضوع. وما هذه الأصوات والأقلام إلا صدى وشرح لمضمون الدستور الفرنسي فيما يتعلق بتعهد فرنسا بمساعدة الشعوب التي تحت حمايتها على تدبير شؤونها بنفسها.

ومما أكد هذا الظن ما كان لسياسة العنف من سوء العواقب في فيات نام حيث تكبدت فرنسا ولا تزال تتكبد خسائر فادحة في الأموال والرجال. ويؤكده أيضًا ارتفاع الشكوى من الشعوب المغربية إلى هيأة الأمم المتحدة حيث تقف فرنسا اليوم موقف المجرم المتهم في سلوكها بتونس والمغرب الأقصى (وليس غياب الجزائر عن جانبيها دليلًا على بياض ملف الاستعمار في هذا القطر). ولا شك في أن افتضاح هذا السلوك ليس مما يكسو "السمعة الفرنسية" بما يرجوه لها أهلها من الجمال. وإذا ضحيت السمعة في سبيل المصالح المادية فالصفقة خاسرة في الميدان المادي إذ أن ما يجري في فيات نام لا يبعد أن يتكرر في

أماكن أخرى. وليس ذلك مما يعود بالفائدة على مدبري المؤامرات المسببة له. فإن عواقب هذه المؤامرات وخيمة في جميع الميادين. فهي التي أوصلت فرنسا إلى قفص الإتهام أمام الضمير العالمي. فشاهت سمعتها لأنها أبطلت مزاعمها الرسمية بأنها وطن حقوق الإنسان، وأمة حقوق الإنسان، ومعلنة حقوق الإنسان، وما أشبه ذلك من التعابير الدالة على احترام فرنسا للكرامة الإنسانية. فإن من يحرص على حقوق الإنسان لا يُقدم على إغراقها في بحر الدماء البشرية. وإن من يحب "التفاهم" مع غيره على أساس احترام حقوق الإنسان لا يفاوضه بلسان الحديد والنار. وإن من يريد بناء حصن السلم والمدنية لا يعجن لبناتها بالظلم والدم. وإن من يحرص على الحرية لا يحفر لها القبور ولا يلاقي طلابها بالرصاص. إنما يسلك هذا السلوك من لا يملك مثقال ذرة من الصدق في مزاعمه. ومثل هذا لا يستطيع أن يحفظ سمعة. ولا أن يرجو ثقة، ولا أن ينال صداقة، ولا أن يتقي عداوة، فأي وخامة شر من هذه الوخامة؟

ليت شعري بأي وجه سيشارك مثل هذا في الاحتفال العالمي بذكرى الإعلان الدولي لحقوق الإنسان؟

وكم كان ينتظر من "أم حقوق الإنسان" أن تتعهد شجرة الحرية بالتنمية في كل أرض. وإذا أصبحت أم الحرية جلادًا للحرية فكبّر أربعًا على الحرية وعلى أمها في أرضها. وتلك عاقبة لا نريدها لأية أمة على وجه الأرض، وإن كانت من أشد الأمم عداوة لنا. فالذي نريده هو إنشاء عهد جديد تكون فيه حقوق الإنسان حقيقة حية وتكون فيه الحرية باسقة الأشجار وارفة الظلال يستظل بها جميع بني الإنسان على اختلاف الألوان واللغات والأديان. فمتى يفهم الساسة الفرنسيون أن التعاون الصادق في إنشاء هذا العهد أولى من سياسة المؤامرات الدامية الوخيمة العواقب؟ ليت شعري كيف تبرر الحكومة الفرنسية هذه السياسة أمام الشرع وأمام العقل وأمام الفضيلة إن كانت هذه مقاييس لسلوك الأفراد والأمم. وكيف تبررها أمام الظروف الراهنة إن كانت الانتهازية هي المقياس للسياسة "الرشيدة".

فإن مثل هذه السياسة في مثل هذه الظروف ليست مما يقوي حجة الدول التي تميل إلى التوصيات باستئناف المفاوضات بين الحكومة الفرنسية والدولتين التونسية والمراكشية المخاصمتين لها أمام هيئة الأمم المتحدة. بل إن ذلك يقطع كل حجة عمن لا يزال يعتقد حسن النية لدى الحكومة الفرنسية التي تجني على نفسها بنفسها في حين هي أحوج ما

تكون إلى إقامة البرهان على الحكمة منها إلى إثبات العكس حتى تسلح أنصارها بالحجج القاطعة وتشجع الآملين في تحسين العلاقة بينها وبين العالم الإسلامي وتغسل "سمعتها" أمام الضمير العالمي. وإذا كانت ترى هذه الاعتبارات عديمة الأهمية ظنًا منها أن الأهم هو القضاء على المطامح المغربية مقدرة أن في الإمكان قتل إرادة الحق بالرصاص فقد أفن رأيها وخاب ظنها وأخطأ تقديرها، فالرصاص يصيب الأشخاص ويحيي المبادئ: لقد سقط غاندي فاستقلت الهند؛ فإن نار الظلم تذكي الأمل وتحرق الفشل وإنها ستفرض على الشعوب المغربية أن تنظم كفاحها في سبيل تحقيق مطامحها المشروعة، وتوحد كلمتها في السلب والإيجاب حتى تقنع الاستعماريين بعقم سياسة الإذلال والاستغلال والمؤامرات الدامية وبوجوب الاعتراف بالحق وبأن الحل الايجابي لسوء التفاهم والوسيلة الوحيدة لإنهاء التناحر إنما هو في التسالم والتعاون الصادق على الحياة الحرة الكريمة التي تكون فيها حقوق الإنسان حقيقة حية.

وبعد، أليس أحق الناس بأن يلتفت إليهم العالم في هذا الميدان هم هؤلاء الشعوب الذين قدموا أضاحي في سبيل التحرر من الظلم والطغيان؟ أليس في سبيل إقامة حقوق الإنسان في أوطانهم دفعوا الثمن من دمائهم؟

ألا إن من سنن التاريخ أن لا يظل هذا الثمن بدون عوض. فإن هذا الدم الزكي سينبت غرس الحرية يعلو باسقًا في الأقطار المغربية "كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون".

الخسران المبين

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثانية، العدد الرابع عشر،
الجمعة 11 ربيع الثاني 1372، 26 ديسمبر 1952

إن الرصاص الذي لم يتحرج الاستعمار الفرنسي من إطلاقه في تونس والجزائر ومراكش للقضاء على المطامح المغربية إلى التمتع بحق تقرير المصير قد أخطأ الهدف وأصاب المصالح الفرنسية في الصميم دون أي إضرار بالمطامح المغربية التي لم يزدها إلا قوة وانتعاشا...

وأول ما أصابه من المصالح الفرنسية هو "السمعة" الفرنسية في العالم المتمدن، ثم "النفوذ الأدبي" الفرنسي في الشرق، ثم "الصداقة" التي تزعم الألسنة الرسمية الفرنسية إحكامها بين فرنسا والعالم الإسلامي، ثم إمكان" التفاهم" بين فرنسا والشعوب المغربية.

قد يقال: هذا يعني فرنسا وحدها. فلها أن تختار بين الربح والخسارة فهي حرة فيما ستختاره إن ربحت فلنفسها وإن خسرت فعليها، وماذا يعنيكم من ذلك؟ "عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم".

– إنه لمنطق معقول لو لم يكن هذا الرصاص موجهًا إلينًا وإلى مطامحنا.

– إنه لمنطق معقول لو لم نكن مرتبطين بفرنسا بحكم الإذلال والاستغلال لا الصداقة والوداد. وهذا الرباط الفاسد هو الذي أوجد عندنا المشاكل.

– إنه لمنطق معقول لو لم تصبح هذه المشاكل عالمية. فصار لزامًا علينا الخروج من الأنانية إلى ميدان الشؤون الدولية لكسب الأنصار المؤيدين لمطامحنا وإحباط مؤامرات خصومنا.

حقًّا إن هذه الخسارة الأدبية إنما تعني فرنسا قبل كل أحد لأنها تعرض مصالحها هي للخطر. ولكنها تعنينا كذلك لأن الكثير من هذه المصالح مستقى من سياسة الإذلال والاستغلال التي نعانيها فهذه الخسارة تهمنا بقدر ما تؤثر في إزالة هذه السياسة وإدناء أجل تحقيق مطامحنا.

ومن العلوم أن المكانة الأدبية التي كانت تتمتع بها فرنسا ترتكز على إقامة الديمقراطية في بلادها، ثم وقوفها دائمًا إلى جانب الدول الديمقراطية، وعدم ترددها في إمضاء المواثيق الدولية المقرة للديمقراطية. وبذلك أوهمت أنها تبث روح الديمقراطية وتقيم نظمها في مستعمراتها حتى أن بعض الشرقيين المغترين رحبوا بانتدابها عندهم... وهذه المكانة الأدبية هي التي ساعدت الاستعماريين الفرنسيين على ارتكاب الجرائم إذ تيسر لهم أن يرموا كل من يحتج عليهم بأنه مشوش مغرض أو بوق لدولة منافسة أو آلة لعدو متربص. وساعدهم على ذلك عجز ضحاياهم عن جزاء السيئة بمثلها وعن وجود النجدة لدى الإخوان في الدم والدين والإنسانية كما ساعدهم عدم وجود مرجع دولي يمكن الأمم المظلومة من أن ترفع إليه ظلامتها إذ هم الخصم والحكم.

وقد تغيرت الأحوال بفضل سنّة التطور، فتأسس المرجع الدولي المنشود وظهر إمكان النجدة السياسية لديه، فأصبحت المكانة الأدبية الفرنسية التي تستر الجرائم مهددة بالخطر. وأول إصابة جاءتها من فرنسا بإنكارها على المرجع الدولي حق النظر في المشاكل الاستعمارية. فثبت بذلك الحق عندما تجلت المكانة الأدبية الفرنسية بتخوفها افتضاح التضليل والتدجيل، وجاء الرصاص الاستعماري فلم يزدها إلا سقوطًا إذ أثبت أن ما تسميه بالديمقراطية والتمدن في المستعمرات يستر وراءه سياسة الإذلال والاستغلال بقوة الحديد والنار..

فهذه الخسارة الأدبية تضع فرنسا بين أمرين: إما مراجعة هذه السياسة واعتبار المطامح المغربية المشروعة، وفي ذلك استرجاع المكانة الأدبية، وإما تجاهل الرأي العالمي والاستياء الشرقي والاستنكار الإسلامي، وفي ذلك الخسران المبين...

ومهما يكن فقد تبين للعالم أن الاستعمار الفرنسي خطر على السلم والمدنية، وما موقف الدول العربية والآسيوية إلا نتيجة حتمية لتوقع هذا الخطر وللنفور من إراقة الدماء ظلمًا وعدوانًا. وقد يضر بالمصالح الفرنسية أي إضرار إن أصرت فرنسا على المظالم. وبما أن

سياستها مرتبطة بالسياسة الغربية ففي إقرار الغرب لها خطر على السلم لأنه تشجيع للعدوان والاستعباد ودفع للضحايا إلى أحد موقفين: إما الانكماش وتنظيم المقاومة سلبًا وإيجابًا، وإما البحث عن الأنصار أيًا كان لونهم وذلك في حال عدم التوصل إلى إنشاء كتلة ثالثة تخدم السلم والمدنية بإخلاص.

ولنا أمل في هذه الأمم التي تحررت من الاستعمار وهذه الأمم الحرة التي آمنت بكرامة الإنسان في أن تتعاون على تحقيق الحرية فوق الأرض.

وقد أظهرت هذه الأمم عناية بنا ولكن يجب أن نعنى بأنفسنا أكثر مما يعنى بنا إخواننا في الدم والدين وإخواننا في الإنسانية وحب الحرية. ومعنى عنايتنا بأنفسنا الاهتمام بمصيرنا الجماعي. فتقاعد أحد شعوب المغرب عن مشاركة شقيقه في كفاح إيجابي أو سلبي قد يؤخر أجل النجاح للقضية المشتركة. والفرص لإظهار هذا الوعي الجماعي ليست قليلة. إننا كوّنا جبهات محلية كما كوّنا جبهة مغربية إظهارًا لهذا الوعي، ولكن أين العمل؟ أين الكفاح المغربي المنظم؟ فإذا ما قررت مثلًا الدول المناصرة لنا موقفًا ضد خصومنا فهل نحن مستعدون لتنفيذ المقررات في الميادين التي بين أيدينا؟ فهل يكفي أن نعنى بالخسارة الأدبية الفرنسية ونتفلسف حول أسبابها ونتائجها دون تنظيم العمل لتحقيق مطامحنا؟

الانبعاث الإسلامي في الجزائر محل اتهام وهدف للسهام

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثانية، العدد الخامس عشر،
الجمعة 22 ربيع الثاني 1372، 9 جانفي 1953

التعليم العربي الحر في الجزائر قائم على كواهل الأمة الجزائرية العربية المسلمة. وهو من أبرز مظاهر تمسك هذه الأمة بمقوماتها، واقتناعها بأن في حفظها حفظ كيانها وإثبات وجودها بين الأمم ولهذا تبذل في سبيل ذلك من التضحيات ما يكفي لدحض مزاعم الذين يروجون الأباطيل حول موت هذه الأمة وبعدها عن الأخذ بأسباب المدنية في الماضي والحاضر؛ وذلك يكفي لبيان عجز أولئك الذين يحاولون القضاء على القيم الروحية التي تدين بها هذه الأمة.

وقد أصابها الاستعمار في الصميم باستيلائه على مساجدها وأوقافها، ومحاولة مسخ قضائها وشريعتها، وتعطيل الأحكام الإسلامية بين أهلها، وتشديد الخناق على الثقافة الإسلامية في أجمل مظاهرها ونشر الجهل والأمية والإلحاد وغير ذلك مما يؤدي إلى ابتعاد هذه الأمة عن القيم الروحية الإسلامية.

ولكن الأمة الجزائرية – رغمًا عن ذلك – لا تزال متعلقة بهذه القيم. وفي الزوايا والكتاتيب القرآنية والمدارس العصرية التي تستمد كلها حياتها من الأمة وحدها أوضح دليل على صدق هذا التعلق. وما الزوايا والكتاتيب القرآنية إلا معاقل للقوة الروحية كانت تخرج في الماضي رجالًا يمثلون الإسلام أصدق تمثيل كالأمير عبد القادر بن محي الدين.. ولكن فيما بعد ضل بعضها وعجز بعضها لأسباب يطول شرحها وليس الاستعمار أقلها. غير أن من مظاهر صدق الوعد الإلهي بحفظ "الذكر" هذه النهضة التعليمية الحديثة التي برزت فيها للوجود مدارس عصرية على نظام جديد.

والتعليم الذي تلقيه هذه المدارس لا يزال في المرحلة الأولى المنحصرة في مكافحة الأمية: تلقين مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وفي النهاية بعض مبادئ الإنشاء والجغرافية والدين والتاريخ الإسلامي بصورة بسيطة. وليست جميع المدارس العربية الحرة حظية بهذه الدرجة الأخيرة. ثم إن التعليم العربي الحر لا يسد حاجة الطفولة الجزائرية المشردة التي لا تجد مأوى ولا بقعة في المدارس الفرنسية الرسمية والعربية الحرة. ومع ذلك فإن الاستعمار لم يتردد في تسديد سهامه إلى التعليم العربي الحر، زيادة على أن المتخرجين منه لا يستطيعون أن يجدوا مهنة تخولهم من الحق في كسب العيش ما تخوله الشهادة الابتدائية الفرنسية ولو كان منهم من يذهبون إلى الكليات الإسلامية في تونس ومراكش ومصر ويعودون بالشهادات العليا من المعاهد الإسلامية الكبرى. وليس في هذه المدارس الابتدائية من العلوم الرياضية ما يخرج أمثال "جوليو كوري" حتى يخشى منها أن ترسل القنبلة الذرية، وليس فيها من مخابر الكيمياء والطبيعة وما أشبهها لصناعة الغازات المخنقة والجراثيم الفتاكة. ورغم ذلك فإن الاستعمار يضطهد هذا التعليم وهو يزعم أنه يخدم المدنية من جهة، وأنه صديق الإسلام من جهة أخرى... فإذا ذكرنا أن التعليم المسيحي الحر والتعليم الإسرائيلي الحر يتمتعان باحترام تام فهمنا تقدير الاستعمار لثقافة الإسلام.

ولسنا في حاجة للرجوع إلى قرار "شوطان" القاضي بمنع تعليم التاريخ والجغرافية والحساب في المدارس العربية الحرة بالجزائر لنبين مدى احترام الاستعمار للثقافة الإسلامية الحرة. فلنا فيما يصيب التعليم العربي الحر في هذه الأيام غنى عن ذلك.. ومن عادة الاستعمار أن لا تعوزه الدعاوى والأسباب عند العدوان (طبعًا) فقد نشرت "المنار" ما أصاب مدرسة الحراش التي أغلقت ولا تزال تنتظر الترخيص لها في التعليم، ومدرسة مغنية التي روع تلاميذها وحوكم رئيسها وأقلق معلموها، ومدرسة مستغانم التي أُغلقت وحكم على مديرها بأربع سنين سجنًا وهو اليوم أمام محكمة الاستئناف.. ولا تزال الإصابات تنزل على بعض المدرسين والأئمة الأحرار كالذي وقع في نواحي غرداية لأحد الأئمة.

فما هو المراد من هذا الاضطهاد؟ فإن كان هو صرف الأمة عن مقوماتها فمحاولة فاشلة. وإن كان القضاء على القيم الروحية الإسلامية فمهاجمة خاسرة، فهذه القيم تنبعث من جديد في الشرق، ولهذا الانبعاث صدى يرن في جميع أنحاء العالم الإسلامي، والأمة الجزائرية قد تمسكت بها في حال ركود الشرق وأوج قوة الاستعمار، فكيف بها اليوم والشرق ناهض والاستعمار محتضر؟ وإن كان المراد نشر المدنية فهل هذه سبيلها؟ وإن كان المراد تمتين

عرى الصداقة بين فرنسا والعالم الإسلامي فهل هذا هو حبلها المتين؟ أيًا كان مراد الاستعمار فالأمة الجزائرية سائرة في طريق الحياة إلى الأمام، وللإسلام وقيمه الروحية حافظ لا ينام، هو الله الملك العلام! وفي الانبعاث الإسلامي في الشرق (باكستان، أندونيسيا، مصر) عبرة لجميع الأنام. ولن يوقفه في الجزائر أن يكون محل اتهام وهدفًا للسهام!

سيف دامكلس

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثانية، العدد السادس عشر،
الجمعة 8 جمادى الأوّل 1372، 23 جانفي 1953

سيف دامكلس (بضم الميم وسكون الكاف وكسر اللام) مثل من الأمثال لمن يغتر بمظاهر النعمة الدائمة التي تهددها نقمة دائمة. كان دامكلس في القرن الرابع قبل الميلاد نديمًا لأمير يوناني تظهر عليه آثار سعادة شاملة. فأراد الأمير إنقاذ دامكلس من الاغترار بالمظاهر، فاستخلفه في حفلة وأمر خدمه أن يخدموه خدمتهم أميرهم. فشعر دامكلس بسعادة غامرة انتشى منها أي انتشاء. ولكن عندما رفع بصره رأى فوق رأسه سيفًا حاد المضاء معلقًا لا تمسكه إلا شعرة من ذيل فرس. فما أن رآه حتى سقطت من يده الكأس وهي مملوءة، وفهم حينها معنى سعادته.

فالديمقراطية في الجزائر تعيش وفوق رأسها سيف القوانين القاسية. والديمقراطيون الجزائريون حين يكتبون أو يخطبون لا يشعرون بأن المادة 80 من قانون العقوبات الفرنسي معلقة فوق رؤوسهم كالسيف الماضي لا تمسكه إلا شعرة دقيقة. وهم كلما هزتهم نشوة الحرية وعبروا عن أمانيهم بصراحة النشوان لا يلبثون أن يحسوا بالضربة تنزل على رؤوسهم..

أما سبب نشوتهم؟ الصحافة حرة، الخطابة حرة، الانتخابات حرة، الاجتماعات حرة، التنقلات حرة، كلمة الحق حرة، جميع الأنظمة الديمقراطية حرة.. تلك هي مظاهر السعادة التي تبعث النشوة في الرؤوس. وهذا ما يشعر به قارئ الدستور الفرنسي وسامع الخطب الرسمية الفرنسية فيهيم به وإذا رامه ألفاه "كسراب بقيعة يحسبه الضمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا" ووجد سيف دامكلس معلقًا فوق رأسه مكتوبًا عليه رقم 80.

ترى ماذا يكون في هذه الوضعية موقف المسلم المؤمن بالله العالم بأن "أفضل الجهاد كلمة حق عند أمام جائر"؟

وماذا يكون موقف الديمقراطي المؤمن بأن الحرية كلٌ لا يتجزأ وأن الحق واحد لا يتعدد، وأن الكرامة الإنسانية مقدسة لا تمتهن؟

وماذا يكون موقف الشعب الطامح إلى حكم نفسه بنفسه، المتعطش إلى الديمقراطية الحقة، المؤمن بحقه في حياة الحرية والكرامة؟

أسئلة تخامر كل ضمير حي، وكل نفس شاعرة بوجودها، حريصة على عزتها تعرف ما لها وما عليها، وتقف في الدين والدنيا عند حقوقها وواجباتها.

وليس الجواب عسيرًا. إنه ميسور باللسان والقلم، لكن في غير الجزائر وفي غير مناطق الاستعمار الفرنسي، لأن له "منطقة حرامًا" لا يطرقها اللسان والقلم، وهي محاطة بسور حديدي طوله 80 ميلا... وفي المنطقة الحرام سجنت كل العبارات الجميلة التي تداعب الأحلام الديمقراطية وتجيب عن كثير من الأسئلة، وتزيل كثيرًا من الحيرة، وتعالج كثيرًا من المصابين بحب الحرية... يحرم على القلم واللسان الجزائري طرقها كما حرم "طل" على الجارية التي يروى أنها كانت تحب غلامًا اسمه "طل" فمنعها الأمير من ذكر اسمه فكانت حين تصل في قراءة القرآن إلى آية "فإن لم يصبها وابل فطل" تقرأ "فإن لم يصبها وابل نهى عنه أمير المؤمنين".. فهل على الجزائريين أن يقولوا أو يكتبوا.. "إننا نطمح إلى ما نهت عنه المادة 80 من قانون العقوبات الفرنسي"؟

إن هذه المادة تسقط على رؤوسهم ولكن دون أن تسقط الأقلام من أيديهم ودون أن تنال من حب الديمقراطية في قلوبهم.. ولئن اغتروا بالدعاوي الكاذبة فالإفاقة من الاغترار لا تزيدهم إلا تمسكًا بمبادئ الديمقراطية الحقة. لأن الاغترار بالدعاوي الكاذبة لا يزعزع الإيمان بالمبادئ الصحيحة.

ولو كانت القوانين الجارية عليهم تعبر عن إرادتهم لكان لهم شأن آخر. ولكنها من وضع غيرهم. وما قيمة القوانين التي يضعها الظالم للمظلوم؟ وأي صلاح ينتج عن حالة كهذه؟ متى كان الظلم رباطًا متينًا بين فردين وأحرى بين شعبين وأمتين؟ ألا أن الرباط المتين

هو الاحترام والتصادق والتعاون مع مراعاة الوضع الطبيعي للأوطان والشعوب. وما قام على خلاف ذلك فلا خير فيه ولا دوام له. ولئن كانت آذان الظالمين صماء، فإن أجل الظلم يطول أو يقصر حسب مقاومة المظلومين وثباتهم في مكافحته، ولا يتصور زواله إلا بتكتلهم وتناصرهم، فعلينا إذا أردنا رفع الظلم عنا وإبطال القوانين الجائرة أن نوحد صفوفنا وننظم كفاحنا حتى يأتي النصر المبين الذي وعد به الله تعالى في قوله "وكان حقًا علينا نصر المؤمنين".

هذا الاستفتاء

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثانية، العدد السابع عشر،
الجمعة 23 جمادى الأوّل 1372، 6 فيفري 1953

هذا الاستفتاء هو الأول من نوعه في الصحافة العربية الجزائرية. وهذه الطريقة لفهم المشاكل وبسطها والبحث عن حلولها جديرة بالاعتبار لما فيها من إزالة اللبس والغموض وتلقيح الأفكار بتعميم السؤال. وقد وعدت "المنار" قراءها في أول عدد برز منها بأنها تسلك الطريقة الموضوعية "بعرض المسائل عرضًا مجردًا من كل غرض وهوى وفتح أبحاث ودراسات وسط المشكلات المتعلقة بكل ميدان بسطًا واضحًا والبحث عن الحلول المعقولة بحثًا واسعًا".

والموضوع الذي تطرقه اليوم من أهم المسائل الحيوية للجزائر. وهو الاتحاد، الاتحاد الذي كلٌ يدعو له والذي لم يتحقق رغم الاتفاق العام على ضرورته ووجوبه، فظهر من هذا أن تحقيق الشيء الذي ثبتت ضرورته وتأكد وجوبه منوط بالإمكان. فإذا كان الاتحاد ضروريًا واجبًا فلماذا لا يتحقق؟ أليس ذلك في الإمكان؟ أم هو في الإمكان لكن دونه موانع؟ ما هي هذه الموانع؟ لا شك أنها في اختلاف الآراء على أساس الاتحاد أي البرنامج الذي يبنى عليه. فعلى أي أساس يبنى الاتحاد؟ فإن وقع الاتفاق على أساس معين فما هي الوسائل لجمع الكلمة حوله للتنفيذ؟ هذا موضوع الاستفتاء الذي تقوم به "المنار" لأول مرة في تاريخ الصحافة العربية الجزائرية. وهو موضوع – كما يعلم القراء – من صميم برنامج "المنار" التي وعدت الأمة بالسعي في توحيد الكلمة ودعت إلى ذلك مرارًا بعبارات متنوعة حتى لا يكاد يخلو عدد منها من الدعوة إلى توحيد الصفوف وتنظيم الكفاح وقد نادت في فاتحة سنتها الأولى "بوجوب توحيد سياستنا حتى نكون جبهة واحدة ترمي إلى غاية واحدة بوسائل متحدة"، وفي فاتحة السنة الثانية وعدت بأنها "ستعنى عناية خاصة بالاتحاد القومي وبالمساهمة في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية،

وستكون هذه العناية مسخرة في خدمة المصلحة العامة للأمة الجزائرية والعالم الإسلامي دون عداء لأي جنس أو دين".

وبذلك تعهدت "المنار" بشيء هام عسير، غير أنها لا تراه مستحيلا لأن ما تطلبه قد حصل بالفعل في الماضي: فالمحاولات التي وقعت قد نجحت ولكن لم يطل نجاحها، ولا تزال عالقة بالأذهان منظمة "أحباب البيان والحرية" ثم من بعدها "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها" وكل هذا يدل على أن الاتحاد ليس من المستحيل وأنه ممكن الحصول غير أنه عسير الدوام. فمن أين جاء العسر؟ تلك هي النقطة الغامضة التي نرجو بهذا الاستفتاء الوصول إلى توضيحها. والجزائر في حاجة إلى جميع أبنائها لحل المشكل. ولذا كان هذا الاستفتاء موجهًا إلى كل جزائري حي الضمير حر التفكير قادر على التعبير. وعلى كل ذي رأي أن يدلي برأيه دون اعتقاد أن رأيه صواب يؤخذ وأن رأى غيره خطأ ينبذ. ولو كان كل رأي مصيبًا لتعدد الحق، وهو محال، وباجتهاد جميع المخلصين يمكن تجلي الحق.

وإنا لنرجو من المفكرين المخلصين أن يشاركوا بآرائهم في هذا الموضوع الحيوي ولئن لم تنجح المحاولات الماضية فلا داعي إلى اليأس "إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون"، ولا مانع من محاولة جديدة بطريقة جديدة. فإن نجحت هذه المحاولة فذاك المبتغى وإلا فكما قال الشاعر: وعليّ أن أسعى وليس عليّ إدراك النجاح.

و"المنار" تشكر جميع الجزائريين الذين تفضلوا ويتفضلون بالإجابة عن أسئلتها مبرهنين بذلك على ما لديهم من مزيد العناية بمصير هذه الأمة، وترجو أن تخرج من هذا الاستفتاء نتيجة إيجابية تدفع بالأمة إلى الأمام وتعدّها لاستقبال الأحداث إعدادًا تخرج به ظافرة سالمة.

الذكرى الأولى لتأسيس جبهة الاتحاد والعمل المغربية

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثانية، العدد السابع عشر،
الجمعة 23 جمادى الأوّل 1372، 6 فيفري 1953

في السادس من جمادى الأولى من السنة الماضية سطعت في الأفق المغربي أنوار انبثقت من بلدة"شانتيي" بفرنسا حيث اجتمعت الأحزاب القومية التونسية والمراكشية والجزائرية لتبرز للوجود "جبهة الاتحاد والعمل المغربية" فتهللت الوجوه، وانتعشت الآمال، وانطلقت الألسنة بالبشرى، وجرى القلم في "المنار" بوحي تلك الأشعة يسجل ولادة ذلك الحلم السامي الذي تحقق بعد طول الانتظار ثم توقف القلم ينتظر ما يمليه عليه المولود الجديد من جليل الأعمال ودواعي الآمال. وانقضت سنة كاملة وهو لا يزال في انتظار... وقد آن الأوان للإحتفال بالذكرى الأولى لنشأة هذه "الجبهة" ويا ما أكثر عندنا الاحتفالات بالذكريات! وإنا لا ندري أيكون احتفالنا اليوم بهجة وأفراحًا، أم غمة وأتراحًا. أنحتفل بكائن حي، أم نندب ميتًا نسي؟ أنحتفل باجتماع حول مائدة عامرة، أم بتكتل حول قضية مشتركة عادلة؟ أنحتفل بجماعة نائمة، أم بكتلة قائمة؟ أنحتفل بأعمال أم بأقوال؟ أما الرجال الذين اتفقوا على الاجتماع في هذه الجبهة فلا يزالون بحمد الله أحياء يرزقون، أما الأحزاب والهيئات التي يمثلونها فلا تزال بقيد الحياة. أما برنامج العمل، أما النشاط، أما الدعاية لدى الشعوب الغربية وتكوين فروع بكل قطر مغربي، أما العمل في الميدان الخارجي باسم هذه الجبهة أو بما يدل على وجودها وحياتها فلا أثر له. لماذا؟ العلم لله ولأعضاء الجبهة، تلك الجبهة التي صفقنا لها ورحبنا بنشأتها الترحيب اللائق بالمشاريع الجليلة، وكيف لا و"المنار" في طليعة الدعاة لها؟ ولكن حين رحبنا بها سرورًا بتحقيق دعوتنا لها، كنا ننتظر ظهور برنامج واضح لخدمة القضية المغربية ونحن نعتقد أن "قضية المغرب واحدة وكفاحه واحد" كما أشرنا إليه مرارًا وأفردنا له مقالًا، وكما تساءلنا في مقال آخر "هل يتحقق توحيد الكفاح التحريري المغربي". وقد جاء الإعلان عن نشأة هذه الجبهة تأييدًا لاعتقادنا، وجوابًا عن سؤالنا، ومنعشًا لآمالنا، ومحققًا لرغبة عميقة في

نفوسنا، بصفتنا مصابين باستعمار واحد يستمد قوته من انقسامنا، وبصفتنا مسلمين نطمح إلى الوحدة الإسلامية في بلادنا، وفي عالمنا. ولكن "الاجتماع" وحده لا يكفي في ميدان يتطلب الكفاح المنظم والنشاط المتواصل والحركة الدائمة المستمرة. ولم يظهر بعد هذا "الاجتماع" أو "الاتفاق" شيء في الميدان العملي: فلا "الاتحاد" الحقيقي تكوّن، ولا "العمل" المثمر تبيّن، وإن وُجدت "جبهة الاتحاد والعمل". وأقل ما كان يُرجى منها من الثمار أن يحصل الاتحاد في الجزائر مثلًا بين الأحزاب المتفقة في حضنها إذ لا يعقل أن تجتمع هذه الأحزاب هناك ولا تجتمع هنا... وتلك هي الثمرة الأولى التي كانت ترجى من "الجبهة المغربية" ولكن لم نذق لها طعمًا ولم نر لها بدوًا... وقد يبرر ذلك كون الاتفاق المذكور لا ينافي احتفاظ كل حزب ببرنامجه، واستمرار كل حزب في نشاطه، مع كف كل حزب عن مخاصمة الآخر، وجنوح الجميع للسلم... ولكن هناك فرصًا كان يمكن فيها إظهار "وجود" هذه الجبهة وهي عرض القضية المغربية على الأمم المتحدة كمشكلة واحدة، وقد عرضت بالفعل قضيتا تونس ومراكش ولم تعرض قضية الجزائر... ولم يظهر للجبهة في ذلك أثر. ثم جاءت فرصة ثانية وهي حوادث تونس الشقيقة التي كانت تتطلب من الشعوب المغربية كلها موقفًا تاريخيًا حاسمًا، فلم يظهر فيها للجبهة أثر... ثم جاءت فرصة ثالثة وهي حوادث الجزائر الدامية والعدوان الفظيع في الأصنام وغير الأصنام، فلم يظهر للجبهة أثر... ثم جاءت فرصة رابعة وهي حوادث مراكش الدامية وما أصاب زعماءها من تشريد واعتقال ومنع للدخول في وطنهم، فلم يظهر للجبهة أثر...

فهل الجبهة المغربية لم تكن إلا لقاء حول مائدة انفض الجمع بعده يحيي بعضهم بعضًا تحية طيبة على موعد لقاء آخر أو على غير موعد؟ وإلى الآن لم نسمع بلقاء ثان لأعضاء الجبهة التي داعبت أحلامنا حينًا من الدهر وأنعشت آمالنا، والتي ما نزال نحلم بها ونأمل فيها.. فما سبب جمودها؟ الجواب عند أعضائها... أما نحن فحسبنا أننا دعونا لتأسيس جبهة عاملة، ثم رحبنا بنشأتها، ولنا الحق في أن نتساءل عن نشاطها بل عن "وجودها" تنفيذًا لخطتنا التي أخذنا على عاتقنا العهدة بسلوكها وإبراءً لذمتنا أمام أمتنا. إننا لا نريد أن نضلل أحدًا ولا أن يضللنا أحد، كفانا ما قاسينا وما نقاسيه من جراء التضليل. ولا فائدة الآن في إضاعة الوقت بمناقشة أعضاء الجبهة المحترمين. فقد يكون لهم من الأعذار ما لا يرد، وهم أعلم الناس بأن أفعال العقلاء تصان عن العبث... إننا نريد أن تكون أعمالنا جدية تنعش الآمال وتبعث الثقة عند أنصارنا، وتحبط المناورات وتبعث الهيبة عند خصومنا. وحاشا زعمائنا أن لا يكونوا رجال جد وهم يعلمون أن الأنظار في كل مكان ترمقهم بصفتهم قادة شعوب في أيديهم مصائر أقطارهم، وأن زلة منهم لنكبة مودية وكارثة قاضية.

ولذا نرى – إذا ما حالت اليوم موانع دون اتصالهم – أن الفكرة يجب أن تتجسم في تكتل ممثليهم وخلفائهم ليبعثوا الجبهة من مرقدها، ويظهروا نظامها، ويبرهنوا عن حيوية مشاريعهم، وينفخوا روح الوحدة في هذا المغرب المنكوب وإن كانت لها حياة في القلوب، لتتحرك النفوس إلى الجد المنعش، والنشاط المستمر، والعمل المثمر!

ولئن لم تتحرك الجبهة في مغربنا وخارج مغربنا، ولم تحقق أحلامنا فالفكرة لا تزال تتحرك في رؤوسنا، ومعانيها تسري في عروقنا، والأمل يهتز في قلوبنا.. وما تذكيرنا بالذكرى الأولى لإعلان نشأة الجبهة – وإن كانت سقطا – إلا تذكير بتلك الفكرة الحية التي دفعت إلى الاجتماع والتأسيس والتي نرجو أن تدفع إلى العمل لأن الحياة عقيدة وعمل.

نريد حلولًا إيجابية لبناء وحدة دائمة

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثانية، العدد الثامن عشر،
الجمعة 13 جمادى الثانية 1372، 27 فيفري 1953

شرحنا في العدد الماضي غاية الاستفتاء بدقة. ومن الضروري – احتياطًا من الجدل العقيم – أن ننبه المجيبين الأفاضل إلى ما يقينا الخروج عن المقصود. فالأسئلة واضحة تتطلب أجوبة واضحة. ومن الخطإ اعتبار هذا الاستفتاء "محاكمة" لأن هذا الاعتبار لا يجدي. وكل ما يحصل منه شفاء ما في بعض الصدور وإغاظة بعض الصدور. وليس ذلك حلا للمشكل الذي يتطلب دراسة جدية بأعصاب هادئة. وما مرادنا تأييد رأي ولا نقض رأي ولا تضييق حرية الرأي. ففي إقامة هذا المنبر برهان ملموس عن احترامها. وما عمم السؤال إلا لأن المشكلة لا تهم طائفة أو فرد بل تهم جميع الجزائريين. فلنبحث جميعًا عن أمراضنا ولنسع جميعًا في علاجها. ويؤدنا أن تشفى الصدور وتلفظ أمراضها لأنه لا يمكن حصول الحماس المطلوب إلا من صدور سليمة. فلكلٍ أن يدلي برأيه دون تعرض لرأي غيره بما يؤدي إلى عكس ما نرجوه من النتائج. وقد تتوافق آراء كثير قبل اطلاع بعضهم على رأي البعض وهو من توارد الخواطر. والمطلوب أن تصدر الآراء عن محض الاجتهاد الخاص والتفكير المجرد والبحث الخالص الذي ينتج جوابًا إنشائيًا يساعد على بناء صرح الوحدة متينًا. ولا يتأتى ذلك إلا إذا جعل كل واحد رائده المصلحة العامة واتقاء الفتنة. فمرادنا الوصول إلى إبراز كتلة متراصة قوية الحيوية تسعى قدمًا إلى غاية معينة ولن تقوم هذه الكتلة إلا على أسس علمية متينة لا على أعصاب معرضة للانهيار. ولذا ينبغي أن نعالج مشاكلنا معالجة علمية فنكتب بعقولنا لا بأعصابنا. ولا يضير تعدد الآراء. فالمهم أن تصدر عن اجتهاد عقلي وتفكير علمي وإخلاص في البحث. وقد يأتلف المعقول بالمعقول فيتولد رأي جامع يجعل الأمة كتلة واحدة تكون دائمًا على كلمة واحدة وتكون مواقفها الإيجابية والسلبية مستوحاة من إدراك صحيح يوجب الإجماع. فمن أراد لذلك مثلًا

محسوسًا فليفكر في الانتخابات البلدية المقبلة. فهل في الإمكان أن تجتمع الأمة على كلمة واحدة في المشاركة أو المقاطعة، بحيث إذا شاركت لم تترشح إلا قائمة واحدة وإذا قاطعت لم تترشح قائمة؟ هذا مثل محسوس يقرب من الأذهان صورة للإتحاد المنشود. وليست الانتخابات المقبلة هي التي تهمنا، إنما نريد اتحادًا "دائمًا" يؤدينا إلى التحرر وبناء العزة لا اتحادًا "مؤقتا" يزول بزوال حاجة الوقت. نريد اتحادًا لا يترك واحدًا من أبناء الجزائر حائرًا في معنى الكفاح، أو متشككًا في النجاح، أو متخوفًا من العواقب، أو منزويًا دون أن يشعر بوخز الضمير. نريد اتحادًا يجعل الجميع مقتنعين بمصير مشترك، رابطين المصير الفردي بالمصير الجماعي، شاعرين بوجوب الكفاح المشترك في سبيل القضية المشتركة. نريد اتحادًا يبرز أمة مجمعة على إرادة التحرر لا طوائف وأشخاصًا متطاحنين على النفوذ لدى الشعب، أو لدى الإدارة الاستعمارية على حساب الشعب، يستمد الاستعمار قوته من تطاحنهم فيقضي على المخلصين الواحد تلو الآخر. ويستغل المغرضين لإطالة سيطرته. نريد اتحادًا يبرز أمة صادقة العزم في إرادة الحرية وحبها مستعدة لبذل كل شيء في سبيلها لا يشذ عن ذلك فرد واحد من أبنائها. تلك هي الغاية المنشودة من هذا الاستفتاء. ولذا نريد حلولًا إيجابية نلمس فيها أمراضنا بأيدينا ونعالجها بأيدينا بوحي من عقولنا وضمائرنا. نريد البناء لا الهدم، والإنتاج لا العقم، والتوحيد لا التفريق، للخروج من الضيق والتضييق. والله ولي التوفيق.

إنها دعوة للحق

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثانية، العدد التاسع عشر،
الجمعة 27 جمادى الثانية 1372، 14 مارس 1953

لم يكن يتوقع لهذا الاستفتاء الأثر العظيم الذي أحدثه في الجزائر وخارج الجزائر. فقد انتعش الأمل وتحرك الحماس وأصبح الناس ينتظرون بفارغ صبر النتيجة المنشودة: تحقيق الاتحاد المجمع على ضرورته ووجوبه، الأمر الذي سرنا كثيرًا.

والشيء الذي يسرّ أكثر من هذا هو أن يعتاد الشعب التفكير في حل المشاكل والنظر إليها بمنظار العقل في أناة وروية لا بمنظار الأعصاب في تسرع واضطراب، وإذا سلمت الأعمال من الارتجال آتت خير الثمار. وهذا ما دعانا إلى التوسع في الاستفتاء حتى تدرس المسألة دراسة كاملة تنتهي ببناء ثابت الأساس. فرأينا أن نبدأ البناء في الميدان النظري فنجمع آراء أهل العلم والدين والاقتصاد والسياسة من ذوي النزعات التحررية المتنوعة. لا نطلب منهم اليوم إلا إبداء الرأي. ثم تأتي المرحلة الثانية وهي التنفيذ والتطبيق وفيها يقع تنظيم العمل تنظيمًا يفرض نفسه على العقول والضمائر. ولذا ينبغي أن نتوسع في الميدان النظري توسعًا ينتهي بنا إلى جمع كل الآراء المتنوعة كي نغربلها ونوفق بينها توفيقًا يقبله الجميع. وإذا تم التوحيد النظري سهل الاتحاد في العمل، ومما يجدر التنبيه عليه هو أن المشاركة في الميدان النظري لا تستوجب المشاركة في الميدان العملي إلا فيما يناسب الفرد إذ "كل لما يُسّر له". فلا ينبغي إذن أن يتخلف عن إبداء الرأي كل من آتاه الله نورًا لهداية إخوانه إلى الحق بحجة أنه يخشى أن يُكلف بما لا يطيقه، فإنه مسؤول أمام الله عن سكوته. وأي مؤمن يرضى بأن يحشر في زمرة "الذين يكتمون" ما آتاهم الله من البينات والهدى؟ ومن يمسك عن المشاركة ظنًا أن في دعوة "المنار" ضلالة أو غرضًا دنيويًا فهو مخطئ. إنها دعوة إلى الحق لا غرض وراءها إلا خدمة الصالح العام. وصاحبها مقتنع بأنه يخدم أمته في دائرة الحق والعدل، ويعمل في سبيل قضية إنسانية عادلة هي قضية أمة تعد

عشرة ملايين من البشر لها حق في الحياة مداس لا يمكن استرجاعه إلا بتوحيد كلمتها، ولها رسالة في الوجود سامية لا يمكنها القيام بها إلا بالتحرر من العبودية، وإن هذا التحرر لا يأتي على يد فرد أو طائفة وإنما يتحقق بتكتل الأمة كلها في سبيله.

ومما يجدر التنبيه عليه أيضًا هو أن لنا في الشرق إخوانًا يعطفون علينا ويتبنون قضيتنا فعلينا أن نسلحهم بالحجج الدامغة التي يقطعون بها مزاعم خصومنا فلا يجدن الاستعمار في تفرقنا حجة يكذب بها إخواننا.

وإن لنا في العالم أنصارًا يؤيدون مطامحنا ويرون فيها معاني الشرف والإباء في نفوسنا فهل لنا أن نقدم البراهين الساطعة التي تجسم تلك المعاني وتقوي حسن ظنهم بنا وتبرر تأييدهم لنا؟

وإن في العالم شعوبًا تقاسي ما نقاسه وتكافح في سبيل ما نكافح لأجله من حياة كريمة وهي تنظر إلى كفاحنا نظرها إلى كفاحها فهل لنا أن نجعل جهودنا تتجاوب مع جهودها؟

وهل أدركنا أن السبب في عدم وصول قضيتنا إلى الميدان الدولي هو عدم اتحادنا؟

هذه تنبيهات ضرورية لمن يظنون أن لهذا الاستفتاء ظاهرًا وباطنًا. إن هو إلا دعوة للحق، دعوة قديمة لا جديد فيها إلا وضعها في الميدان العمومي تنويرًا للرأي العام، وإنعاشًا للضمير القومي، وتشريكًا لجميع أفراد الأمة في بناء الوحدة اللازمة لنجاتها. إنها دعوة للحق وكفى بهذا شرحًا لطالب القصد الحق.

"المنار" تستمر في أداء رسالتها

محمود بوزوزو

جريدة المنار، السنة الثانية، العدد العشرون،
الجمعة 11 رجب 1372، 27 مارس 1953

بهذا العدد تسلخ "المنار" سنتها الثانية وما زالت الظروف لم تتغير. لاسيما فيما يخص حرية التعبير المقيدة بالمادة 80 من قانون العقاب الفرنسي التي تطبق في الجزائر تطبيقًا ظاهر المبالغة يجد فيه هواة الظلم والاستبداد سلاحًا لخنق الأصوات وتكميم الأفواه وحبس الأقلام عن الدعوة للحق والعدل أيًا كانت اللهجة المستعملة ولا غرابة في ذلك ما دام الوضع الاستعماري قائمًا في هذا الوطن على الحالة الرجعية القديمة التي تذكر بما يروى عن النظام الإقطاعي في القرون الوسطى. فإن الظروف التي يخلقها هذا الوضع لا يمكن أن تكون منبتًا للتقدم المادي والأدبي، والاتساع الفكري والخلقي، والسمو الروحي، وما إلى ذلك من مظاهر الرقي البشري وأسباب المدنية الإنسانية الصالحة.

وفي مثل هذه الظروف تشتبه رسالة الصحافة برسالة النبوة تنير الطريق وترشد للحق وتخرج العقول والضمائر من الظلمات الحالكة والغواية المهلكة دون اعتبار لشيء غير القيام برسالة سامية. والإيمان بهذه الرسالة هو مصدر الدوام والاستمرار ومواصلة السعي في غمار المشاق المادية والمعنوية التي لا يعلمها إلا الله والتي اقتضت سنّة الحياة أن تحيط بالدعوة للحق وتلازمها ملازمة الظل منذ ارتفع صوت الحق على وجه الأرض.

وبهذه الرسالة اضطلعت "المنار" مقدرة خطوتها في وسط طغت عليه الأهواء فأضلت الحاكم والمحكوم، وأفسدت الظالم والمظلوم، وقليل من سلمت فطرته وظهرت عقيدته، وأخلصت في العمل نيته، حتى عمت الفوضى باختلال المقاييس أذ أصبحت الأهواء مقياس الخير والشر، والحق والباطل. وفي ظروف كهذه لا يرجى أي تقدم. ولذا كان لزامًا على "المنار" أن تدعو إلى خلق الظروف الملائمة للمدنية الصالحة. ولا يتأتى ذلك إلا

بزوال هذه الظروف الفاسدة الناتجة عن الوضع الاستعماري، والأسباب مرتبطة بالمسببات تدور معها وجودًا وعدمًا. فكان أول شيء نبهت "المنار" عليه هو أصل الداء وعلة العلل ألا وهو أن القضية قضية علاقة بين أمتين مختلفتين ثقافة: أمة غربية لها قيم خاصة، وأمة شرقية ذات قيم يجمعها "الإسلام". ولم يكن تمازج الثقافتين لأن العلاقة بين الأمتين قائمة على الظلم والطغيان لا على التعاون وحسن الجوار ومن هنا جاء الداء ولا دواء إلا في مراجعة هذه العلاقة وتجديد بنائها على أساس الاحترام والتعاون. ولا شك في أن هذه الدعوة المبنية على الواقع وهذا العلاج المعقول لا يصادف آذانا واعية من الذين أصمتهم الأهواء، وما دام هذا الصمم فلا تحسن يرجى للحالة. وهذا الصمم ذاته هو الذي يوحي للأفكار بسنّ القوانين الجائرة ويحرك الأيدي بإجراء العمليات الدامية ويبعث في النفوس روح العداوة والبغضاء، وسلوك كهذا يستدعي بطبيعة الحال رد الفعل وماذا عسى يكون رد الفعل منا غير التكتل والتآزر والاستنجاد بإخواننا في الإسلام وأهل الحق والعدل من بني الإنسان؟ يدفعنا إلى ذلك وضع الاستعمار للقضية في ميدان الوحشية لا في ميزان العدالة السامية. وهو هنا الخصم والحكم. لا يرجى لديه حق ما لم يجبر عليه. فكان المرجع الدولي محط آمالنا في العدل، ولكن لم تصل قضيتنا إليه. والسبب في ذلك عدم اتحادنا الذي نبهنا عليه، وقد دخلت "المنار" في السنة الثانية بالعزم على تحقيق هذا الاتحاد فدعت إليه مرارًا، ثم فتحت هذا الاستفتاء بصفة واسعة داعية الشعب إلى أن ينظر المشكلة بعينيه لا عيني غيره. ويعالجها بيديه لا يدي غيره، حتى يحقق الاتحاد الذي يخلق الظروف الملائمة لمراجعة العلاقة المذكورة وتجديد بنائها على أساس يكفل أسباب المدنية الصالحة، وذلك لأن "المنار" تعالج القضية باعتبارها قضية إنسانية عادلة. ونظرًا لارتباط هذه القضية بقضيتي القطرين الشقيقين تونس ومراكش اللذين تربطهما بالجزائر وحدة جغرافية واستراتيجية يستغلها الخصم، زيادة على الوحدة الدينية والجنسية واللغوية، كان لزامًا على "المنار" أن تعنى بتوحيد الكفاح في الأقطار الثلاثة حتى نصل في أقرب وقت ممكن إلى زوال الاستعمار وإقامة العلائق على التعاون وحسن الجوار ليس بين فرنسا والمغرب فحسب بل بينها وبين العالم العربي والإسلامي الذي نرجو له أن يتحرر من جميع الأوضاع الاستعمارية وميراثها الثقيل وقد عنيت "المنار" بما جد فيه من أحداث هامة في هذا السبيل.

وبما أن الاستعمار يفسد الطباع ويعطل البشرية عن المدنية فلا غرو أن ندعو إلى زواله من العالم لا قصد لنا من وراء ذلك إلا صلاح الإنساني وخير البشرية جمعاء الأمر الذي يفرضه علينا ديننا الإسلام الذي تستمد "المنار" روحها من روحه. ولها مواقف معروفة في

إزالة اللبس عنه والدفاع عن حوزته وبث عقيدته باقتناع من صحتها مع الدعوة إلى الوحدة الإسلامية والتعاون مع أهل العقائد الأخرى في سبيل خير الإنسانية.

ورغمًا عما تتسم به "المنار" من روح إنسانية بعيدة عن كل عنصرية وعن كل أغراض عدائية ودعائية، وعن كل تهويل وترويع، فإنها لم تسلم من العدوان الاستعماري فنال باعتها كثير من المظالم في كثير من الجهات نخص بالذكر منها "أولاد جلال" حيث بلغ جنون الطغيان بالحاكم الاستعماري إلى أن اعتدى على بائع "المنار" هناك اعتداءً يترفع عنه أقل الناس شعورًا بالكرامة. ونذكر كذلك "الواد" حيث طار جنون السلطة إلى ارتكاب ما لا يوصف من المظالم على بائع "المنار" هناك، وقد ذكرنا في أوانه اعتداء الشرطة على صاحب الجريدة نفسه، ولكن في سبيل الحق ما لقينا، ولم يصدنا عن الاستمرار في أداء رسالتنا أي شيء ما دمنا مقتنعين بخدمة الصالح العام في دائرة العدل.

وقد حرصت" المنار" على إقناع الشعب بسمو هذه الرسالة بأسلوب سهل لا تعقيد فيه ولا تأنق يبعدانه عن الفهم، يرمي إلى استيعاب المعاني دون إيجاز مخل ولا إطناب ممل متوخيًا الصراحة التامة مع تكرار بعض الحقائق لإقرارها في الأذهان، فجاء في متناول كل قارئ. وكانت المواضيع المطروقة مما يهم أغلب القراء، ورضى الناس غاية لا تدرك.

هذا ولم تأت "المنار" بشيء جديد وليست بدعًا في الصحف، إن هي – كما كررناه – إلا ثمرة من ثمار الجهود التي بذلها السابقون والمعاصرون لنا من العاملين في سبيل القضايا العادلة من بني جنسنا وديننا ومن إخواننا في الإنسانية جعل الله أعمالنا خالصة لوجهه ووفقنا إلى ما يرضيه.

الاستفتاء والانتخابات

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثالثة، العدد الأربعون،
الجمعة 25 رجب 1372، 10 أفريل 1953

في افتتاحية العدد 18 من السنة الثانية ورد ذكر الانتخابات على وجه التمثيل للاتحاد المنشود بالصورة التالية: "فمن أراد لذلك مثلًا محسوسًا فليفكر في الانتخابات البلدية المقبلة. فهل في الإمكان أن تجمع الأمة على كلمة واحدة في المشاركة أو المقاطعة، بحيث إذا شاركت لم تترشح إلا قائمة واحدة، وإذا قاطعت لم تترشح قائمة؟ هذا مثلٌ محسوسٌ يقرب من الأذهان صورة للاتحاد المنشود، وليست الانتخابات المقبلة هي التي تهمنا، إنما نريد اتحادًا 'دائمًا' يؤدينا إلى التحرر وبناء العزة، لا اتحادًا 'مؤقتًا' يزول بزوال حاجة الوقت".

وهي كلمة تحدد بوضوح كاف علاقة الاستفتاء بالانتخابات حتى يقتنع المؤولون – الذين قد يرون في هذا الاستفتاء مناورة انتخابية أو أغراضًا شخصية – بأنه لا علاقة بينه وبين الانتخابات أصلًا. ولو كان شيء من ذلك لتم الاستفتاء بحلولها. ومن المؤسف أن يصادف الاستفتاء ظروف الانتخابات مصادفة قد تجعله محل الريبة. وكان يحسن أن يقع قبلها بكثير حتى إذا آن أوانها كانت الأمة قد حصلت على النتيجة المنشودة فتواجه الانتخابات بموقف متحد. ولم يمكن – من جهة أخرى – إرجاء الاستفتاء إلى ما بعد الانتخابات نظرًا لتطبيق الجريدة برنامجها بإنجاز وعدها الذي قطعته في مستهل سنتها الثانية. ولو أرجأته لفاتت السنة دون تحقيق الوعد. وإذن فالاستفتاء جاء في الأوان الذي اقتضى سير الجريدة أن يجري فيه دون اعتبار للانتخابات. ولذا فإنه لا ينقطع بحلولها ولا بانتهائها، فهو مستمر ولو انقضت الانتخابات. ولا ينتهي إلا بعد أن تستوفي الأمة دراسة المشكلة استيفاءً كاملًا لا يبقى بعده إلا تحقيق الأمل. ثم لا تكون على الجريدة حجة فيما يتعلق بهذا المشكل وهي تشهد الله على أنها قامت بواجبها وأبرأت ذمتها في الدعوة إلى

توحيد الكلمة. والله يشهد أن ليس لصاحبها وراء هذا أي غرض "وإنما الأعمال بالنيات". وعسى أن تكون الخاتمة بشرى تبتهج لها الأمة كلها ويكون يومها من الأعياد القومية الكبرى فتتظافر حينئذ الجهود، وينظم العمل، وتسير الأمة إلى تحقيق مطامحها على بصيرة من أمرها. وسداد في سيرها، وحكمة في مواقفها الإيجابية والسلبية، تعرف متى تقول بإجماع عام: "نعم" ومتى تقول بإجماع عام: "لا". وتتوافق أقوالها وأعمالها، وتثمر جهودها وتضحياتها، ويزداد حماسها ونشاطها، وتتأكد الثقة بها داخل البلاد وخارجها. والحكمة ضالة المؤمن، والله يؤتيها من يشاء من الأمم "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا". فمتى يشرق علينا ذلك اليوم المشهود؟ الأمر مرهون بإرادة الأمة بعد إرادة الله الذي إذا أراد شيئًا هيأ له أسبابه.

الصالح العام فوق كل اعتبار

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثالثة، العدد الواحد والأربعون،
الجمعة 10 شعبان 1372، 24 أفريل 1953

جاء في العدد 111 (ص10) من "الدعوة" – لسان الإخوان المسلمين بمصر – تحت عنوان "أخبار منوعة":

— تقدمت الأحزاب المراكشية الثلاثة الموجود زعماؤها بالقاهرة بمذكرات ثلاث إلى مجلس الجامعة العربية وكان المفروض أن تتقدم كلها بمذكرة واحدة لأن هناك ميثاقًا وطنيًا يجمعها في جبهة وطنية!

— تقدم السيد صالح بن يوسف وزير العدل في حكومة السيد شنيق التونسية مطالبًا الجامعة العربية بالاعتراف به وبزميله الأستاذ محمد بدرة كحكومة شرعية في المنفى. ولكن الدوائر التونسية الجديدة علقت على ذلك بأن الحكومة الشرعية هي التي يعينها ممثلو الشعب فهل عين الشعب حكومة شنيق؟

وهكذا حار ممثلو الدول العربية في تعليل هذه الخلافات القائمة بين ممثلي أحزاب وهيئات شمال أفريقيا.

من الطبيعي أن يحار كل عاقل في تعليل هذه الخلافات، خصوصًا في هذه الظروف التي يتوقف فيها انتصار قضايا الأقطار المغربية الثلاثة على اتحاد مواقف هيئاتها وشعوبها داخل البلاد وخارجها. وهو ما لم تفتأ "المنار" تنبه عليه في كل مناسبة، وقد كتبت في العدد الماضي تعليقًا على موقف فضيلة الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أمام الجامعة العربية: "واتحاد مواقفنا ضمان لانتصار قضيتنا في الميدانين المحلي

والعالمي".

كما كتبت في العدد 2 من السنة الأولى مرحبة بالجبهة القومية المراكشية:

"وإذا كان قسم من الأمة يحارب الاستعمار والقسم الآخر يواليه فالخلاص بعيد، وكذلك الأمر إذا اختلفت أساليب التحرير بأن يلجأ قسم إلى المطالبة بإصلاحات معينة يتدرج بها إلى الاستقلال الداخلي ثم الاستقلال التام، ويطالب القسم الآخر بإقامة نظام على مبدأ الاستقلال التام.."

وكتبت في العدد 6 من السنة الثانية تحت عنوان "هل تعرض القضية الجزائرية على هيأة الأمم المتحدة":

"وقد أحسنت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية إذ رفعت مذكرات إلى هيأة الأمم المتحدة ولكن الاستعمار لا يعوزه أن يزعم أن ذلك رأي خاص لطائفة خاصة ليست إلا 'شرذمة من المشوشين' وأنه ليس رأي جميع الجزائريين ولذا لا يسع كل من يضع المصلحة العامة فوق كل اعتبار إلا أن يتأسف على الإبطاء في تحقيق وحدة وسائل الكفاح السلمي التي منها الإجماع على رفع القضية الجزائرية لدى هيأة الأمم المتحدة..."

وما إلحاح "المنار" في طلب توحيد مواقفنا إلا من البديهيات الغنية عن التعليل والشرح والتحليل، فلا شيء أشد ضررًا بقضيتنا من مناقضة بعضنا بعضًا في مواقفنا. ولا شيء أعظم فائدة لقضيتنا من اتحادنا في مواقفنا، وقد أصبحت قضيتنا ذات أهمية واعتبار في الميدان العالمي. ولمواقف ممثلي هيآتنا المدافعة عنها أثر عظيم في تقديمها وإنجاحها وعكس ذلك، ولذا يجب أن تتحد مواقفنا في صالح قضيتنا إذ بذلك تزداد اعتبارًا وتكسب أنصارًا وتأمل انتصارًا. أما المواقف المتناقضة فلا تنتج إلا أضرارًا، ولذا نأسف على مواقف إخواننا ممثلي الهيآت المراكشية لدى الجامعة العربية، كما نأسف على مواقف إخواننا من تونس الذين ينكرون شرعية الوزارة المشردة ظلمًا وعدوانًا. كما أننا من جهة أخرى نستنكر على مؤتمر الطرق "السياسي"(!) الذي انعقد أخيرًا بفاس جامعًا ممثلي الطرق "الصوفية"(!) بأفريقيا الشمالية لأغراض "سياسية" يستنكرها الشرع والعقل لأنها لا ترضي الله ولا تنفع الأمة الإسلامية الطامحة إلى التحرر من الأوضاع الاستعمارية المنافية للتعاليم السماوية، وما هذا المؤتمر إلا تأييد لسياسة مبنية على الظلم والحكم بغير ما

أنزل الله، وأولى الناس باستنكارها دعاة التصوف والتفاني في الله! كيف وقد أصبحوا من أعوانها؟!

نأسف على مواقف تضر بالصالح العام، ونستنكر مواقف تنافي المطامح القومية المشروعة والتعاليم الدينية الصحيحة، ولا يحار أحد في أسفنا واستنكارنا اللذين يحس بهما كل طامح إلى خلاص شعوبنا عاجلًا من الاستعباد، وإلى احتلالها مكانة تدنيها في أقرب وقت من أسباب التقدم ووسائل المشاركة في خدمة السلم والمدنية.

وأما المواقف المستنكرة والخلافات المأسوف عليها التي "حار ممثلو الدول العربية في تعليلها" فإنه يحار فيها كل عاقل ينزه ممثلي هيآتنا السياسية والدينية عن العبث بالمصلحة العامة والتضحية بها لأغراض خاصة، ومما يزيد حيرة في التعليل وصول قضيتي مراكش وتونس إلى المراجع الدولية الأمر الذي لا يسمح بأي خلاف في الأوساط القومية المراكشية والتونسية داخل البلاد وخارجها لأن أدنى خلاف يعتبر تراجعًا مزريًا، وعبثًا صبيانيًا، ونكوصًا خطيرًا، بل هزيمة منكرة!

وإذا نحن تركنا التعليل ونظرنا إلى نتائج "هذه الخلافات" وجدناها ظلمات في ظلمات تنشر على الشمال الأفريقي حدادًا مرعبًا.

فأول ما ينتج عن ذلك "انتحار" الحركات التحررية التي تقضي على نفسها بيدها لأنها تفقد الثقة لدى شعوبها ولدى أنصارها فتصبح محل التهمة في "إخلاصها" والريبة في "نضوجها" وتضر بذلك شعوبها التي يقاس نضوجها بنضوج مسيريها. وإذا زالت الثقة زال كل شيء: تثبط المساعي وتعطل القضية، وينتصر الخصم ويصعب فيما بعد خلق الحماس الشعبي اللازم للكفاح. ومن ذا الذي يتولى خدمة القضية بعد ذلك في الميدان المحلي؟ ومن ذا الذي يتبناها في الميدان الدولي؟ أما وقد وجدت قضايانا هذه الكتلة العربية الآسيوية التي تبنتها بالجد والاهتمام، فمن الإجرام أن نعطل سيرها بالخلافات وأن نضع في طريقها عراقيل من الغموض والتناقضات. ومن البديهي أن نمدها بالحجج الدامغة والأسلحة الصارمة التي تتلخص في كلمة واحدة: "اتحاد مواقفنا".

ولن يكون هذا الاتحاد قويًا إلا إذا بني على برنامج موحد. فالخلافات أعلاه – أيا كانت علتها – تدل على أن الاتحاد المبني على "اتفاق" الأحزاب مع احتفاظ كل حزب ببرنامجه

ونشاطه لا يكون فيه من القوة ما يضمن طول الأمد والدوام على موقف متحد. وهذا ما يؤيد دعوة "المنار" إلى بناء الاتحاد على برنامج جامع تذوب فيه جميع البرامج. وما فتحنا الاستفتاء في الموضوع إلا بعدما أدركنا قيمة الاتحادات "المرتجلة" المعرضة للانهيار فأردنا أن نبني اتحادنا بناءً محكمًا لا يزعزعه أي إعصار. وفي تجاربنا الماضية وتجارب إخواننا التونسيين والمراكشيين ما يهدينا إلى الأساس المتين الذي يضمن للاتحاد الثقة والاستقرار ويضمن لقضيتنا العادلة ما تستحقه من الاعتبار وما نرجوه لها من الانتصار.

وبقدر ما نأسف على الخلافات الطارئة عند إخواننا المراكشيين والتونسيين، وبقدر ما نستنكر مؤتمر الطرقيين، وبقدر ما نألم من الإبكاء في تحقيق الاتحاد الجزائري فلنا بارقة أمل فيما وقع أخيرًا في القاهرة من السعي المشترك لدى الجامعة العربية من ممثلي الهيآت الجزائرية التي نرجو أن تتحد اتحادًا صحيحًا دائمًا في الخارج والداخل. وتحقيق هذا الرجاء رهن إرادتنا إذا عرفنا كيف نطهر نفوسنا من حب الاحتكار ونضع الصالح العام فوق كل اعتبار.

وعسى أن تكون الانتخابات البلدية درسًا زائدًا لهيئاتنا وأمتنا تتبين فيه طريق الانتصار.

بعد الانتخابات

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثالثة، العدد الثاني والأربعون،
الجمعة 24 شعبان 1372، 8 ماي 1953

انتهت الانتخابات البلدية وهدأت أعصاب الناخبين والمترشحين وسكن روع الإدارة الاستعمارية وأصبح في الإمكان أن يدرس العقل الاتجاه السياسي في الجزائر على ضوء الحوادث الانتخابية ونتائجها. وأول ما يتبادر إلى الذهن معرفة القيمة السياسية لهذه الانتخابات وبعبارة أوضح الجواب عن السؤال: هل هذه الانتخابات تعتبر معيارًا للاتجاه السياسي الجزائري؟ أم أن ذلك من خصائص الانتخابات "التشريعية" دون "البلدية"؟ وبالنظر إلى القوائم وبرامجها ورجالها يتضح الأمر.

فالقوائم تحمل عناوين "سياسية" والبرامج تتضمن مع الإصلاحات المحلية نقطًا "سياسية" هامة والشخصيات التي ترشحت تنتمي إلى أحزاب "سياسية" محضة أو هيئات غير بعيدة عن "السياسة" والدعاية التي تقدمت تشكيل القوائم دعاية "سياسية" تحوم حول جمع الشخصيات المعروفة بحب "الديمقراطية" والروح "التقدمية". وكان محور الدعاية ضرورة "الاتحاد" ضد الاستعمار وفي سبيل الحريات الديمقراطية. والمساعي التي صحبت هذه الدعاية كانت نتيجتها تشكيل قوائم بين الأحزاب والشخصيات التقدمية تحت عنوان "الاتحاد". إلا أن هذا الاتحاد جاء متنوعًا. فهناك اتحاد بين جميع الأحزاب"التقدمية"، وهناك اتحاد بين حزبين، وهناك انفراد كل حزب بقائمته. وقد جاءت في عناوين القوائم عبارات "ديمقراطية" و"حريات ديمقراطية" و"ضد الاستعمار" وما قاربها من النعوت "السياسية"...

ومن جهة أخرى حاولت الإدارة الاستعمارية أن توحي إلى بعض من تثق بولائهم بتشكيل قوائم "مستقلة". وهذه المظاهر كلها – من موقف الأحزاب وموقف الحكومة

وأعوانها – تصبغ هذه الانتخابات بصبغة "سياسية" محضة. ومما يزيد هذه الصبغة وضوحًا تدخل الإدارة الاستعمارية في أغلب الجهات بالتزوير بل باستعمال العنف لمقاومة القوائم التقدمية. وبهذه الاعتبارات كانت الانتخابات البلدية ذات قيمة "سياسية" هامة.

فما كان موقف الشعب من هذه الانتخابات؟ فهل كان ينظر إليها هذه النظرة؟ الواقع أن الشعب الجزائري يعتبر كل انتخاب "سياسيًا" سواء كان تشريعيًا أو بلديًا، أو جماعيًا (انتخاب الجماعات). وذلك لسبب بسيط وهو أنه شعب مستعمر يريد التخلص من الاستعمار ويرى في الانتخابات – دون تمييز – وسيلة للتعبير عن إرادته وفرصة لإعلان مطامحه وأسلوبًا من أساليب الكفاح السلمي في سبيل تحقيقها.

وهذه النظرة الطبيعية تجعله – طبعًا – يصوت على القوائم التي تعبر عن إرادته تعبيرًا صادقًا. ولكن هذا التعبير لا يمكن أن يتضح جليًا إلا إذا كان التصويت حرًا وليس الأمر كذلك في الجزائر حيث تتدخل الإدارة الاستعمارية تدخلًا يفقد الانتخابات صفتها "المعيارية" للاتجاه السياسي. ولا تتحرج حتى من الاغتيال! وقد ارتكبت في وهران خاصة منكرات فظيعة وجرائم شنيعة ضد الحرمة الإنسانية والقوانين "الفرنسية" نفسها. ويحار العقل في هذا التدخل مع أن الوضعية القانونية للانتخابات في فائدة الاستعمار إذ المسلمون الذين هم الأكثرية ليس لهم في التمثيل ما يجعل لهم الغلبة على الأقلية الاستعمارية التي لها من المقاعد ضعف ما للمسلمين.

وهذا ضمان للاستعمار لا يبرر له الخوف المزمن الذي يبعثه على ارتكاب الجرائم ضد الحرمة الإنسانية وضد القانون الذي هو من وضعه لا وضع الشعب، والغريب أن يكون الاستعمار في خطر تحت ضمانات قوانينه!.. فلا يطمئن بها. ويلجأ إلى التدخل المزري الذي أصبح من التقاليد "الديمقراطية" الفرنسية في الجزائر يبرر المطالبة بإلغاء الانتخابات في عدة جهات وإعادتها تحت إشراف لجنة نزيهة تراقب التصويت.

ودوس الحريات – من وجه آخر – من دواعي رفع القضية إلى الميدان الدولي.

وبناء على هذا التدخل فلا يمكن للباحث عن الحقيقة أن يجد بغيته في الاعتماد على الأرقام الرسمية لنتائج التصويت وذلك لأن التدخل الاستعماري يحدث أمرين: أولا- مقاطعة عدد كبير من الناخبين وعدم تصويتهم. ثانيا- تزوير التصويت. غير أن في هذا

التدخل دليلًا على خوف الإدارة من حرية التصويت لأنها تتيقن أن النتيجة تكون خلاف مرادها بإبطال دعايتها حول رضى الشعب باستعمارها.. فالمقاطعة والتزوير حجة عليها لا لها....

وهناك أمر ثالث ناتج عن الوضع الاستعماري وهو معرفة القراءة من كثير من الناخبين المسلمين الأمر الذي لا يخلو من بعض التأثير في تضليلهم.

هذه العوامل الثلاثة: المقاطعة، التزوير، الأمية، ينبغي أن يستحضرها الدارس للانتخابات عندنا. وهي كما لا يخفى من آثار سياسة القمع. وقد وقعت المقاطعة بالفعل في هذه الانتخابات بنسبة 40 في المائة. كما وقع التزوير في أغلب الجهات، وشيء من التضليل تداركه حزم المترشحين. ورغمًا عن ذلك فإن الأرقام المعلنة للنتائج يتراءى خلالها أن الاتجاه السياسي الجزائري يهدف إلى التحرر من الاستعمار. إذ جرى التصويت – بوجه عام – في فائدة القوائم التحريرية رغم القمع الذي ما يزال يشتد منذ 8 ماي 1945 خاصة. وهذا انتصار على الاستعمار... وقد سجلت الإرادة القومية – من جهة أخرى – انتصارًا لدى الأحزاب، وذلك بدفعها إلى نوع من "الاتحاد". ولا نبحث عن قوة كل حزب ولو بالتقريب لرغبتنا في الاتحاد الذي لا قوة مثله. ولا يخفى أن بعض أسباب المقاطعة يعود إلى عدم تحقيق الاتحاد التام الذي يطمح إليه الشعب الجزائري. وهو الإتحاد على برنامج سياسي عام يعبر عن الإرادة القومية ولئن لم تتحقق البغية اليوم فستتحقق غدًا. ونوع الاتحادات الواقعة في هذه الانتخابات – رغم ما فيه من الغموض والتناقض – سينتج عنه لا محالة، سعي جدي في بناء الاتحاد على أسس صحيحة، وخطة واضحة المعالم مستوحاة من وعي سليم وإدراك صحيح يشترك فيهما الخاص والعام لا مجال معهما للغموض والتناقض المضرين بالبلاد في الداخل والخارج؛ وبهذا الإجماع يمكن أن نحقق مطامحنا.

8 ماي 1945 – 8 ماي 1953

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثالثة، العدد الثاني والأربعون،
الجمعة 24 شعبان 1372، 8 ماي 1953

يوم بيننا وبينه 8 سنوات، ولذكراه في النفس حسرات، وفي العين عبرات.. يوم فيه أُزهقت أرواح بريئة، وأُريقت دماء زكية، وعقلت ألسنة فصيحة، وملئت سجون ومحتشدات فسيحة، ونكثت عهود وثيقة، وزلزلت آمال وطيدة، ونثرت عقود نضيدة، وفصمت وحدة فريدة...

يوم تراءت فيه للأمة الجزائرية من مطامحها قطوف دانية، فسارت أفواجًا إلى شجرة الحرية، تحث سيرها الآمال المعقودة على العهود الموثوقة من رعاة الشجرة المنشودة التي سقتها بدمها في "كاسينو" وغيرها مشاركة في الغرم، لتشارك في الغنم، بموجب العدل، ومقتضى العقل، ووحي الضمير، ومشروع الدين... ولم تكن تتوقع أن سيرها إلى النعيم، ينتهي بها إلى الجحيم، وأن يوم المغنم، أشأم من يوم المغرم، تجني فيه الشوك بدل الحب، وتصحح المثل "إنك لا تجني من الشوك العنب"...

تلك هي المفاجأة القاسية، والمصيبة الداهية، نزلت على الجزائر بحسرات وأتراح، بينما "أحلافها" في مسرات وأفراح، وليتها لم تدفع في الحرب إلا ثمن الذهاب، ولم تنل من الغنيمة إلا سوى الإياب، ومن العهود إلا السراب، ولم تجد في استقبال العهد الجديد نارًا بالباب، تلتهب وعيدًا، وتطلب مزيدًا.. فبذلت للحيف، مثلما بذلت للسيف، ولم تجن سوى العلقم المر، بدل العسل الحر..

فإن قيل: "ثورة أخفقت!" قلنا لبعض: "ما الداعي لها؟ هل يثور إلا المظلوم، وهل يئن إلا المكلوم، وهل الثورة إلا حجة على الحاكم للمحكوم!"

وقلنا لآخرين: "ما سبب إخفاقها!"وذكرنا قول القائل: "العاقل لا يقاتل من غير عدة، ولا يخاصم بغير حجة، ولا يصارع بغير قوة"...

أو قيل "مؤامرة دبرت!" قلنا "هل غير الخوف حاك حبالها، وهل سوى الغدر جر وبالها؟ ولا يخاف الوفي، ولا يغدر السخي، وإلا فأين الدين والعقل والضمير؟ أين الحق والخير والجمال؟"

وأدهى الدواهي بعد الدم المسفوك، والعهد المنكوث، انفصام العروة الجامعة "أحباب البيان والحرية". هنا محل العبرة، تثور فيه الحسرة، وتنزف العبرة، ولكن العبرات لا تتدارك ما فات، فهل للوحدة رجوع فتنضم الجموع، ويجدد البنيان على خير الأركان سالمًا من الصدوع؟ أساسه وعي عميق يجد فيه الكفاح معناه، وتجد فيه التضحية غذاءها؟ وعي يستمد من الإيمان القوي قوته، ومن الحق الخالد قداسته..

أيها الشعب! استجل العبر من مختلف الغير، واستقبل الغد بالحزم والحذر! فبوادر الفتن تلوح في الآفاق وتعلو، فتحتجب وتبدو، وتبتعد وتدنو، لا تدري متى تطير الشرارة، وللمفاجأة مرارة، وكل آت قريب، ووعد الخصم مريب.. إنك تستقبل من الهول شرًا مما استدبرته، فهل أعددت للمستقبل عدته، وأخذت من الماضي عبرته، أم لا تبالي أن تعثر عثرتين، وتلدغ مرتين؟

فالتفت إلى ثامن ماي 1945، وانظر ثامن ماي 1953 تجد المظالم موصولة الحلقات منوعة الأشكال مرتبطة الأوصال، فالسياسة سخافة، والديمقراطية خرافة، والحرية سخرية، والانتخابات انتحابات، والقوانين للمظلوم أغلال وللظالم ضمانات، بها يتحصن دون أن يطمئن، شأن المجرم عديم الأمان رغم الضمان! والظلم ليس له قرار، والعدل الإلهي بالمرصاد وأنت له في انتظار.. خذ بالأسباب، وائت البيوت من الأبواب، تجد الوعد الحق بالاستخلاف والتمكين، والأمن بعد الخوف في الدنيا والدين. واذكر: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" ولن تجد لسنة الله تبديلا.

نهاية الاستفتاء

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثالثة، العدد الثالث والأربعون،
الجمعة 23 رمضان 1372، 5 يونيو 1953

مما لا شك فيه أن القراء والمتبعين سير هذا الاستفتاء يتساءلون عن أجل انتهائه وعن نتائجه. وقد يرى بعضهم تعميمه مدًا في أجله وتوسيعًا لحدوده بحيث يتوهمون أن ذلك يؤدي إلى إبطال ثمرته وعقم نتيجته. وإنه لتساؤل طبيعي عند من ألفوا التسرع في الأمور دون تمييز بين درجاتها في الأهمية. والاستعجال من صفات عصرنا عصر السرعة الذي لم نستطع أن نوفق فيه بين حاجاتنا ومقتضياته لأنه حيل بيننا وبين ذلك منذ زمان، وما زال يحال بيننا وبينه حتى الآن، ونحن كالمحجور عند الوصي المحتال. ألمّا نبلغ الرشاد؟ الجواب في الاتحاد، وهل يفيد في بنائه الاستعجال إن كان في أساسه اختلال يعرضه للانحلال؟

وقد يتأثر آخرون بالحوادث الانتخابية السالفة التي لم تجر حسب مقاصد الاستفتاء فيبادرون بالحكم بعقم النتيجة وهذا أيضًا من آثار الاستعجال وهو ما كان متوقعًا فسبق البيان عن علاقة الاستفتاء بالانتخابات قبل وقوعها دون الوقوف عند حلولها ولا بعد انتهائها. وقد جاءت الحوادث الانتخابية – عكس ما يعتقدونه – مبررة لهذا الاستفتاء الذي أبدى بعض المجيبين دهشتهم أمام أسئلته. فالاتفاقات "المرتجلة" في هذه الانتخابات بعيدة عن الاتحاد المنشود وعن تشجيع دعاته لما فيها من غموض وتنوع وتناقض، وإن كانت دليلًا على قدرتنا على البناء "الناقص"، فهي بذلك قريبة من المهزلة تضحك الخصم بدل أن تبعث فيه الهيبة، وتحير الصديق بدل أن تبعث فيه الطمأنينة. وأعظم من هذا أنه ما أن انتهت الانتخابات حتى جد الجدل الحزبي بصورة تبرر قيام حركات جديدة على ضلال أو هدى بدعوى التطهير وإنقاذ الأمة من التضليل والسير بها في الطريق القويم. وماذا جنت الأمة من تعدد الأحزاب سوى الشعور بضرورة الاتحاد؟ وهذه الاعتبارات تؤكد وجوب الاستمرار في الاستفتاء الذي لو لم يقع قبل الانتخابات لتأكد وجوبه بعدها

لعجز الأحزاب قبل وبعد عن الاتحاد التام عجزًا يستوجب تعميم البحث عن العلاج وسد باب العبث بالصالح العام. فالحوادث الانتخابية – خلافًا لما قد يتوهمه المستعجلون – درس زائد لمن يعالج المشكل بعقله لا بأعصابه، وبدل أن نستسلم بعدها لليأس فلنواجه المشكل بعزم صادق على العلاج الحاسم، وبدل أن نضيع وقتنا في التحسر فلنغتنمه بالتدبر، وبدل أن تضيع قوانا في تحطيم بعضنا بعضًا فلنبذلها في تحطيم أغلالنا وبناء وحدتنا. لقد بيّنا في الانتخابات قدرتنا على البناء "الناقص" فلنجرب بعدها قدرتنا على البناء "الكامل" ولن يتم ذلك إلا بتعاون الجميع قولًا وعملًا.

ولا تزال أعمدة الجريدة مفتوحة لجميع الجزائريين ذوي النزعة التحريرية. وما زالت الأجوبة ترد إلى اليوم، والاستمرار في نشرها سائر. غير أنه يجب أن يتنبه المجيبون الأفاضل إلى أن آخر أجل لقبول الأجوبة هو يوم 31 يوليو المقبل. فمن كان له جواب فليرسله قبل آخر شهر يوليو، وكل جواب يأتي بعد ذلك التاريخ لا ينشر وبهذا تبرئ الجريدة ذمتها، وتؤدي شهادتها.

وبعد ذلك يأتي دور"السعي" في التحقيق. وهو – كما أشير إليه في عدد سابق – المرحلة الثانية بعد جمع الآراء والنظريات في الموضوع.

وعسى أن يثمر "السعي" الثمرة المنشودة خصوصًا والقضية الجزائرية في الطريق إلى الميدان الدولي...

تجاهل الواقع لا ينفي وجود الواقع

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثالثة، العدد الرابع والأربعون،
الجمعة 15 شوال 1372، 26 يونيو 1953

سقطت حكومة روني ماير كما كان متوقعًا مثلما سقطت الحكومات الفرنسية التي تعاقبت على كرسي الحكم في فرنسا دون استقرار بعد الحرب العالمية الثانية.

وعدم استقرار الحكم بهذه الصورة من علامات الضعف والعجز أمام المشاكل التي تتطلب الحل السريع. ومن هذه المشاكل ما هو داخلي وما هو خارجي. وقد تقدم كل ممن حاولوا تشكيل هذه الحكومة – دون نجاح – بحلول لهذه المشاكل والتي تهمنا منها هي المشكلة الاستعمارية التي نعبر عنها بالافراد لأن الاستعمار الفرنسي واحد وإن تعددت مناطقه وتنوعت أشكاله. إنه واحد وإن حاول السلوك الرسمي الفرنسي أن يفرقه ويقسمه تقسيمًا لا يمكن أن يغير الواقع الناطق بالأحدية، ويتجلى هذا التفريق والتقسيم في التقديم والتأخير لمشاكل المناطق الاستعمارية التي تتحد في الشكوى وتتحد في حب التحرر وفي معاناة القمع رغم تجاهل المترشحين للحكومة الفرنسية الجديدة تجاهلًا يتجلى في محاولتهم تجزئة المشكل بعرض حلول لبعض المناطق مع إغفال الأخرى. فجميع من توالوا على منصة البرلمان الفرنسي من المترشحين لخلافة روني ماير قدّموا حلولًا لقضية الهند الصينية ولقضيتي تونس ومراكش وأغفلوا الباقي كأنه لا وجود له وكأنما هذه الملايين من البشر التي تعاني الإرهاق في ظلمات الحرمان والجور وتتطلع إلى الهواء والنور في الجزائر ومدغشقر وأفريقيا السوداء خارجة من الحساب وليس لها فصل في الباب.

حقًا إن حرب الهند الصينية تكلف الحكومة الفرنسية تكاليف فادحة في الأموال والرجال والشرف وقد أصبحت فيات نام مقبرة لهذه الثلاثة. فلا مندوحة في التعجيل بتخليص ما بقي قبل أن يدفن الكل هناك...

حقًا إن القضية التونسية وصلت إلى هيئة الأمم المتحدة. ولا تزال في تونس المآسي الدامية جارية. ولو كان للتونسيين من وسائل الكفاح ما للفياتناميين لتغير وجه المأساة وعلا في تونس صدى رهيب لفياتنام.. ومهما يكن فالمشكل خطير لصدوره عن وعي ونظام يجب أن يقرأ لهما حساب فيما يستقبل من الأحداث في البحر المتوسط. والتعجيل بالحل أجدى من تجاهل الواقع.

حقًا إن القضية المراكشية ارتفع صوتها في الميدان الدولي.. وظهر بعد ذلك من المنكرات الاستعمارية في مراكش ما لم يترك للدولة الفرنسية ما به ترفع رأسًا أو تنال ثقة أو تحرز صداقة أو تحفظ مصلحة ما لم تعجل بمراجعة موقفها وتعديل سلوكها وتغيير سياستها.

والمترشحون للحكومة الفرنسية قد أدركوا كل هذا ولمسوه وعرضوا حلولًا رأوها ضرورية لا بد منها. غير أنهم حصروا الشمال الأفريقي في تونس ومراكش فحسب وتجاهلوا الجزائر ونظروا إلى وحدة الامتيازات الاستعمارية في الشمال الأفريقي وتجاهلوا وحدة المطامح القومية فيه، واستندوا إلى تعدد الوضعيات المفروضة فيه وتجاهلوا وحدة المشكل في جوهره.. فتجاهلوا الجزائر كأن ليس فيها مطامح جديرة بالاعتبار تطالب بمراجعة العلاقة بين الجزائر وفرنسا، وكأن ليس فيها سجون ملأى بالمعتقلين المطالبين بذلك، ولا رجال منفيون عنها لمطالبتهم بذلك، ولا مآس ذهبت فيها عشرات الآلاف من الأنفس في سبيل ذلك، ولا عسف ولا جور ولا مؤامرات ولا محاكمات من أجل ذلك، ولا عهود ولا قانون ولا دستور ولا أوضاع تشهد بأن الجزائر ليست فرنسا وأن العلاقة بينهما سيئة وأن هناك مشكلًا يتطلب الحل العاجل.. فهل ينتظر أن تصبح الجزائر مثل فيات نام أو أن تصل قضيتها إلى المراجع الدولية كي يعترف بأهمية مشكلها أو وجوده؟ مهما يكن فإن تجاهل هذا المشكل لا ينفي وجوده بجانب المشكلين التونسي والمراكشي. فقضية الشمال الأفريقي واحدة وعلاجها واحد يتلخص ليس في مراجعة العلاقة بين فرنسا والأقطار المغربية فحسب بل في تعديل السياسة الفرنسية إزاء العالم العربي والإسلامي – كما ذكرناه مرارًا – وبنائها على أساس من الصدق يضمن الثقة والصداقة والتعاون المثمر. وبهذا الاعتبار كانت المشكلة الاستعمارية في المغرب العربي المسلم مشكلة العلاقة بين فرنسا والعالم العربي والإسلامي الذي يعتبر المغرب جزءًا طبيعيًا منه. فإن لم تفهمها الحكومة الفرنسية هذا الفهم فقد بينت لها الأمم العربية والإسلامية أنها تفهمها هذا الفهم وذلك بتضامنها مع الشعوب المغربية في عدة مناسبات وبتبنيها للقضايا المغربية في الميادين

الدولية. فحكومة روني مايير الساقطة كسالفتها تجاهلت الأمر وتركت الميراث السياسي في هذا الميدان كما أخذته دون تغيير اللهم إلا في تقديم بعض الكلمات المعسولة التي برهنت عن صدقها الإجرامات الشنيعة في تونس والمناورات المزرية في مراكش والاغتيالات والتعسفات في الانتخابات في الجزائر زيادة على فضائع تطبيق المادة 80 من قانون العقوبات الفرنسي وغير ذلك من المبررات المخترعة للقمع والاستبداد وقد يقال أن روني مايير صهيوني وموقف الصهيونية الاستعمارية إزاء العرب والمسلمين معروف... ونحن غير متحققين من صهيونية روني مايير إلا أننا نعرف موقف الحكومات الفرنسية السالفة من قضايا البلاد العربية والإسلامية ذلك الموقف المنافي لمقتضيات الصداقة التي تدعيها فرنسا للعرب والإسلام وإنه لميراث سيء ورثه مايير وخلفه لمن بعده. فهل يكون الخلف خيرًا من السلف في إزالة ما في هذا الميراث من سوء؟ ذلك ما نرغبه. ونرغب في أكثر من هذا وهو إلغاء الاستعمار في العالم.

وعلى الأمم المستعمرة التي يتجاهل خصومها كيانها أن تردهم إلى الصواب وتبين لهم أن تجاهل الواقع لا ينفي وجود الواقع.

متى تصحيح هذا الغلط التاريخي؟

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثالثة، العدد الخامس والأربعون،
الجمعة 29 شوال 1372، 10 يوليو 1953

5 يوليو ذكرى داهية دهياء وطعنة بجلاء أصابت الحرية في الصميم، وجاءت فاصلة بين تاريخين عن علاقة بين أمتين متجاورتين مع تباين في الطبع والوضع والاختلاف في الحكم والشرع، بينهما بحر زاخر وضعته المقادير إقرارًا لحكمة تفرد بها العلي القدير...

من الطاعن؟ وما دواعي الطعنة؟ وما عواقبها؟

في 14 يونيه 1830 سددت الحكومة الفرنسية سهامها نحو الجزائر فأصابت في الصميم العلاقة بين الأمتين الفرنسية والجزائرية.

وفي 1830 جاءت شروط الظالم بالعقد المختوم تحيل علاقة الند للند إلى علاقة الظالم بالمظلوم.

ما دواعي العدوان؟

أطماع استعمارية قديمة، وأحقاد صليبية دفينة ومنافسة دولية حثيثة، ومكيدة يهودية خبيثة، اجتمعت كلها تحت ستار. خفقة خفيفة بمروحة لطيفة على رأس قنصل فاقد الود والثقة عند أهل الصدق والأمانة، فثار ثائر الانتقام للشرف المضام فهبت نيران المدافع لسد المطامع ويا لها فرصة سانحة.. إنها خطة من قديم مدبرة، كلف بخطها الجاسوس"بوتان" فخط منذ اثنتين وعشرين سنة، ومهد لتدبيرها اليهوديان "باكري" و"بوشناق" بمطل الديون الثقيلة، وجاء بتبريرها القنصل "دوفال" عند تمام العدة.. وقد

جاء الهجوم على غرة خارقًا قوانين الشرف المتعارفة، فدافع المظلوم بكل ما لديه من قوة، فلم تقدر له الغلبة.. ولكن لم يذعن لحكم الحديد والنار وآلى على نفسه أن يمحو عنه الشنار، وكلما سنحت له فرصة ثارت في نفسه ثائرة لإرجاع الحق المغصوب والشرف المسلوب والخروج من حالة المغلوب.. فهذا عبد القادر وهذا المقراني وهذا ابن الحداد وهذا سيدي الشيخ توالوا على قيادة المقاومة. وأخمدت النيران ومرت الأيام والأعوام وكمنت روح المقاومة في النفوس ووسائلها تشغل الرؤوس.. وتطور الزمان وحلت الحرب الفكرية محل الحرب النارية وجاءت السياسة بالمنطق والحجة تغزو الأمم "الراقية" وانقلبت الأوضاع الدولية والتقت الثقافات البشرية واتسعت المبادلات المتنوعة وانتظمت المؤتمرات العالمية وانجلت هذه الاحتكاكات عن نشأة هيئة أممية تربطها مواثيق سامية لحفظ السلم والمدنية. واستحالت بحكم هذا التطور كثير من العلاقات العدائية إلى علاقات ودية.. وهبت الأمة الجزائرية للمكافحة السياسية تطالب بمراجعة العلاقة بالأمة الفرنسية، إذ أصبح العصر غير العصر والفكر غير الفكر، وزالت أسباب بقاء الحال على حاله والشيء يزول بزوال أسبابه ودوام الحال من المحال، فلا داعي لبقاء حال الاحتلال في عصر الحرية والاستقلال.

وهل كانت عواقب الاحتلال إلا الإذلال والاستغلال. جاءت بعوامل جبارة لمحو الشخصية وهدم الكيان في الأمة الجزائرية. لكن لا يزال البنيان ثابت الأركان، يقول الظالم المعتدي للجزائر: "إنك مخلوقتي، فأنت مدينة بوجودك لي، أنت تحت مطلق تصرفي، إنك قطعة مني"، ويقول التاريخ ماضيه وحاضره: "كذب فظيع وبهتان شنيع وهل تنكر الشمس في رابعة النهار"، ويقول لسان العصر ومنطق المصالح: "اعدلوا عن الجدل والمراء ودعوا الكذب والافتراء، وردوا الحق إلى نصابه، وإن أردتم الخير فابحثوا عن أسبابه..."، ويقول لسان حال الأمة: "أريد الخروج من الديجور، إلى الهواء والنور ولن أبرح طالبة حقي حتى أناله أو أهلك دونه." وما ضاع حق وراءه طالب.

أيها الشعب المطالب بحقه معتمدًا على نفسه وعلى ربه... إن ثبات الحق نعمة وفقده نقمة، وإنما تنزل السقم تعريفًا بالنعم، والشيء يتميز بضده، وتعرف قيمته بفقده، وهل يقدر الدينار حق قدره إلا الغني المحروم من نقده.. وهل يتوق إلى الاستقلال إلا من تجرع مرارة الإذلال والاستغلال. ولفقد النعمة واسترجاعها أسباب، سنها المنعم الوهاب الذي "لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم". إن تغير ما بك من تخاذل إلى وئام ومن تباين إلى انسجام، ومن تهاون إلى اهتمام، ومن فوضى إلى نظام، ومن فردية إلى عمومية، ومن

طائفية إلى أخوة عامة، ومن إثارة الفتن إلى إنارة الفطن، ومن جلب الإحن إلى دفن المحن، يغير الله ما بك من ضعف إلى قوة ومن هون إلى عزة، ومن شقاء إلى سعادة...

إن 5 يوليو ذكرى فقد الاستقلال ونزول الإذلال والاستغلال. فمتى تصحيح هذا الغلط التاريخي؟ متى الاحتفال بالتحرر من الأغلال؟

مأساة الحرية في "بلاد الحرية"

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثالثة، العدد السادس والأربعون،
الجمعة 14 ذو القعدة 1372، 24 يوليو 1953

للحرية في فرنسا يوم خاص تحتفل فيه الأمة قاطبة حكومة وشعبًا أكثر من احتفالها بالأعياد الدينية، هو يوم 14 يوليو عيد الحرية. وإجلال هذا العيد أوضح دليل على ما للحرية من قيمة وتقدير عند الفرنسيين. ويرجع تاريخ هذا العيد إلى سنة 1789 حيث ثار الشعب الفرنسي على الوضع السياسي تحت شعار "الحرية، المساواة، الأخوة" وهاجم السجون والمعتقلات وحطم أسوارها وأخرج منها المساجين ضحايا الوضع السياسي المغضوب عليه. فطار صوت الثورة وارتفع صيت أصحابها وعلا اسم الحرية مخترقًا الآفاق شرقًا وغربًا وأصبحت فرنسا معتبرة من أكبر أمهات الحرية حتى أنه لا يخطر ببال أحد ممن درسوا تاريخها أن يكون الفرنسي من القاعدين عن نصرة الحرية وأحرى من جلاديها.. ولكن كم من صفحات سود جاءت فيما بعد تتكدس على هذه الصفحة البيضاء! والتاريخ الاستعماري الفرنسي ماضيه (في سوريا ولبنان) وحاضره (في الهند الصينية ومدغشقر وأفريقيا الغربية والشمالية) شاهد ناطق بما للحرية من قيمة عند أحفاد رجال ثورة 1789...

والغريب مع هذا أن عيد الحرية مازال يحتفل به في فرنسا، ودعوى تحرير الشعوب لا تزال تنطلق من الألسنة والأقلام الفرنسية... ولك أن تبحث عن البراهين الدالة على صدق هذه الدعوى فستجدها بكل سهولة عند الشعوب التي"حررتها" فرنسا من شقاء الاستقلال كي تمتعها بنعيم الإذلال والاستغلال... ابحث عن الحرية "الفرنسية" في مجازر الهند الصينية ومدغشقر، والجزائر، وتونس، ومراكش، وابحث عنها في السجون والمعتقلات المنتشرة في هذه الأقطار وإذاك تستطيع أن تصفق بكل جهدك حين تسمع خطيبًا فرنسيًا رسميًا ينوّه بالحرية... وأن تحفظ كل كلمة تقرأها في الصحف الفرنسية الرسمية عن الحرية. ولكن حذار أن تهتف بالحرية، حذار أن تكتب عن الحرية، حذار أن

تشارك في مظاهرة للحرية، ولو في عيد الحرية! فالواقع الأليم يحذرك هذا التحذير، ويزيل عنك ما أصابك من التخدير بما تسمعه وتقرأه عن الحرية والتحرير. إذ قد تتعرض لما تعرض له أمثالك من الهائمين المخدرين الذين قاموا يشاركون يوم 14 يوليو 1953 في عيد الحرية في باريس، من أولئك الشبان الجزائريين المهاجرين للعمل والعيش حيث قاموا يبرهنون على أنهم يطلبون في الحياة شيئًا آخر غير الخبز، يطلبون ما به يكون الإنسان إنسانًا، يطلبون "الحرية"... وقد ساروا بجنب العمال الفرنسيين حاملين لافتات تعلن عن مطالبهم، وكلها تحوم حول الحرية التي تحتفل بها فرنسا حكومة وشعبًا، وسار الموكب الجزائري هادئًا ولكن ما كاد يخطو خطوات حتى فاجأه البوليس الفرنسي وأقبل على اللافتات الجزائرية يريد افتكاكها بإطلاق الرصاص... فسقط ستة من الجزائريين المتظاهرين ضحايا دفاعهم عن لافتاتهم... أنهم لم يدافعوا عن الورق أو القماش ولكن دافعوا عن المعاني التي يحملها الورق أو القماش، تلك المعاني التي خطت في كلمات تعبّر عما تكنه صدورهم وصدور جميع إخوانهم وأمهاتهم وآبائهم، وتكنه صدور الآلاف من المساجين الجزائريين، وكانت تكنه وتهتف به ضحايا 8 ماي 1945... تلك المعاني التي تحطمت من أجلها أسوار "الباستيل" في 14 يوليو 1789 والتي تحتفل بها فرنسا في 14 يوليو 1953 إقرارًا لها في نفوس أبنائها، وإشهادًا للعالم أنها "أم الحرية"، تلك المعاني التي شارك الجزائريون في الاحتفال بها إعرابًا عن إرادتهم تحطيم "الباستيل الاستعمارية" ولا سلاح لهم إلا لافتات من ورق وقماش أودعوها بعض ما يصبون إليه من نور... ولئن تمزقت اللافتات وسقط حاملوها فإن تلك المعاني لا تزال حية في القلوب لا يزيدها البغي والعدوان إلا قوة ووحدة ستنبتان النبات الطيب نبات الحق والنور من ذلك الدم الذي يقول فيه المرحوم أحمد شوقي:

دم الثوار تعرفه فرنسا * وتعلم أنه نور وحق

قال ذلك في شأن عدوان فرنسي على سوريا، وها هي قد تحررت كما تحرر لبنان... وكفى بهذا عبرة للطغاة الظالمين، وكفى به حافزًا لطلاب الحرية المحرومين.

الحقد العقيم

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثالثة، العدد السابع والأربعون،
الجمعة 28 ذو القعدة 1372، 6 أغسطس 1953

لقد كررنا وأكدنا في عدة مناسبات أن الأزمات في العلاقات بين الدول الاستعمارية والمستعمرات لا تحل بالمغالطات ولا بالقمع ولا بسفك الدماء. وتأكيدنا هذا ليس من وحي الخيال، إنما هو من وحي الواقع. فالشواهد من الماضي والحاضر ناطقة بتصديقنا. فما على المرتاب إلا أن يلقي نظرة إلى فيات نام أو تونس أو مراكش أو الجزائر أو غيرها من المستعمرات التي شاهدت أنواعًا من المغالطات والقمع وسفك الدماء فهل انحلت فيها الأزمات؟ وهل تحسنت العلاقات؟ الحقيقة أن العكس هو الواقع فلم تزدد الأزمات إلا استفحالًا بالوسائل التي ظن الاستعمار فيها الحل الحاسم...

فمن أين جاء هذا؟! إنه جاء من كون الاستعمار ينظر إلى الحل نظرة غير طبيعية، فهو يبحث عنه من غير الطرق الطبيعية. ينظر إلى الحل على أنه وجوب بقاء الحال على حالها أو بقاء ما كان على ما كان ولا يعترف بأن دوم الحال من المحال ولا يؤمن بسنّة التطور إلا فيما يخص تضخم ثرواته، وتزايد امتيازاته، وضمان أرباحه ودوام استغلاله لغيره. فإذا ضمنت له سنّة التطور ذلك فهي موجودة وإلا فلا وجود لها. لا وجود لها حيث لا ينمو الوعي الإنساني، وينتعش الضمير العالمي، وينبثق الإيمان بحرية الإنسان. لا وجود لها حيث يعلو صوت المساواة، والأخوة، والحرية وتحريم الاستغلال. فما هذه إلا عبارات تلوكها ألسنة الخياليين الواهمين الذين يتعللون بالأحلام في اليقظة ويسيرون في الكون نيامًا واضعين أرجلهم في الهواء لا فوق الأرض.. وما دام هذا الصنف من الخياليين موجودًا فلا ضير من إمداده بما يغذي أحلامه من العهود والمواثيق والكلمات المعسولة تلقى في الخطب وتخط فوق الورق وتنشر في الصحف وتوضع الدساتير لكن دون أن تخرج من هناك.. فإن حاول الخياليون إخراجها للوجود وتحويلها حقائق حية فالرصاص لهم

ولا ضير مادام الرصاص في اليد الضاربة وما دامت يد المضروب خالية لا تستطيع رد الفعل.. وما دام رد الفعل هذا لا يتعدى الاحتجاج باللسان أو الأقلام فلا ضير إذ هناك ألسنة وأقلام مأجورة للرد تقابل ذلك. وللمنكوب أمام كل هذا أن يحقد. فليأكل الحقد رئتيه. وليأخذه السل من الحقد عند عجزه عن الانتقام. فلا ضير من الحقد "العقيم".

تلك فلسفة الاستعمار الفرنسي حين يسجن ويعتقل وينفي ويقتل. وبتلك الفلسفة يظن أنه بمنجاة من السقوط.. وما درى أنه إنما يسجن نفسه، ويعتقل نفسه، وينفي نفسه، ويقتل نفسه. وما درى أنه كلما اقترف جريمة خلق أعداءً جدًا، وكثر عدد خصومه، بدل أن يكسب الأنصار، ويقلل من الأعداء... وأنه حيث تسقط ضحية لعدوانه تسقط لبنة من بنيانه. وهل يعد ذلك ربحًا له؟ ألا إنه لم يربح إلا الموت. إنه قتل نفسه بيده، إنه مات في قلوب جميع البشر، إن الحقد العالمي على الاستعمار حكم عليه بالإعدام، وهذا الحكم قد أصدره الضمير العالمي واتفقت عليه العقول والشرائع والأديان.. ولم يبق إلا التنفيذ. وقد بدأ.. فوقع التنفيذ في سوريا ولبنان والهند، وباكستان، وبورما، وأندونيسيا.

هذه كلها شواهد حية بأن حقد المستضعف الأعزل على المستبد المسلح ليس بالحقد العقيم.. إنه حقد خلاق لو لم يكن كذلك لدام الاستعمار إلى الأبد في هذه البقاع..

أليس الحقد "العقيم" هو الذي أخرج الاستعمار من هذه البقاع؟ هل أفادته المغالطات والقمع وسفك الدماء؟ هل ضمنت له البقاء؟ هل حلت الأزمات حسب مراده؟ وهل حفظت له كل امتيازاته؟ وهل أبقت ما كان على ما كان؟ وهل أبطلت سير سنّة التطور؟

ألا إن الاستعمار لا يعجز عن تبرير جرائمه، ولا يعجز عن تخدير الأغرار بمقاصده، ولا يعجز عن مقابلة السنن الكونية بالإنكار، ولا يعجز عن النظر إلى حقد ضحاياه بالاحتقار، ولكنه يعجز عن إبطال العدل الإلهي، وعن حفظ ثقة الأغرار، وعن إيقاف سير السنن الكونية، وعن النجاة من نيران الحقد "العقيم" حسب ظنه السقيم...

فإن كان الاستعمار الفرنسي يظن أن في المغالطة والقمع وسفك الدماء حلًا لأزماته فقد أخطأ في حسابه. وإن كان يعتقد أنه بهذا السلوك يحل المشكل الجزائري أو يقضي على المطامح الجزائرية المشروعة فقد ضل في اعتقاده ولا ينال إلا عكس مراده. فإن غضبة

الشعب الجزائري في حوادث 14 يوليو 1953 مثل غضبته في الحوادث المتعاقبة منذ فاتح ماي وثامنه 1945 إلى يومنا هذا متنقلة بين الدشيمة وبني بويعقوب والعزيب وأوراس وكرشتل والأصنام والغزوات ومغنية، ووهران وفرنسا؛ مثل غضبته على علاقة الاستعمار به القائمة على الظلم يظنها الاستعمار حقدًا عقيمًا سيقضي على صاحبه بذات الصدر.. ألا إنها لهب مكبوت، ويل لمزدريه يوم ينطلق عليه!

إن هذا الحقد "العقيم" في ظن الاستعمار الفرنسي بركان يا له من بركان! هو اليوم هادئ لا يقذف بالحمم ولا يفور ذلك الفوران الذي طرد الاستعمار من سوريا ولبنان والهند وباكستان، وبورما وأندونيسيا، ويطارده في فيات نام الآن، ولا بد للمصدور أن ينفث! لا بد لهذا البركان من فوران يطرد الاستعمار من كل مكان حتى يتنفس بعده ملايين المخنوقين به من بني الإنسان.

على هذا الحقد "العقيم" أقام الاستعمار الفرنسي بنيان الظلم والطغيان ظانًا أنه ثابت الأركان، ألا إنه فوق بركان. وهل من قرار على بركان؟ يا ويل مزوديه يوم ينفجر عليه! وفي المثل الفرنسي: "من يزرع الريح يحصد العاصفة". ولحصد الزرع إبان...

أزمة المنار

محمود بوزوزو

جريدة المنار، السنة الثالثة، العدد الثامن والأربعون،
الجمعة 29 صفر 1373، 6 نوفمبر 1953

احتجبت "المنار" مدة جاوزت الشهرين احتجابًا حيّر القراء في حين أصبح تعلقهم بها في ازدياد مطرد خصوصًا بعدما فتحت الاستفتاء في قضية الاتحاد القومي الجزائري وأعلنت عن قرب إعلان النتيجة المرجوة منه، ومما زاد الحيرة شدة أن هذا الاحتجاب طرأ في ظروف عامرة بأحداث هامة في المغرب والمشرق من عادة "المنار" أن تشرح مدى خطورتها بصورة تزيد قراءها شغفًا بحقائق الأمور وتعلقًا بالحق، وربما امتزجت الحيرة بالتشكك في مصير هذه الجريدة إذ من المألوف أن تحتجب الجرائد احتجاجًا لا إسفار بعده في هذا العصر، عصر التقلبات والتطورات الفجائية. وليس الأمر خاصًا بالجزائر بل هو من الظواهر المعتادة التي تحدث لأسباب سياسية أو لأسباب مادية أو لأسباب مادية وسياسية معًا. والأمثال لذلك كثيرة في الشرق والغرب. فالأزمات الصحافية أصبحت من الأمراض المألوفة في عصرنا عندنا وعند غيرنا. وليس من الغريب أن تصيب "المنار" أزمة بل من الغريب أن تسلم منها فتكون بدعًا في الصحف البارزة في هذه الظروف. فصدور "المنار" في هذا الحجم الصغير بعد هذا الاحتجاب الطويل من أوضح الأدلة على سوء حالتها المادية. ولولا مساعدة من بعض الفضلاء الأخيار من هذه الأمة لطال احتجابها إلى أمد بعيد أو لكان هذا العدد يحمل إلى قرائها تحية الوداع الأخير... غير أنه حال دون ذلك عزم صادق لدينا في مواصلة خدمة قضيتنا العادلة، وحب عميق للحق الخالد، وإرادة صلبة في سبيل تحقيق المثل العليا التي تهفو إليها قلوبنا وسعي جدي في إثبات حقوق الفكر الحر في هذه الأرض التي أنزل بها الاستبداد والطغيان ألوانًا من الأمراض الفتاكة بجميع أنواع الحرية. ولكن العزم الصادق والحب العميق والإرادة الصلبة والسعي الجدي ألفاظ جوفاء ما لم تعززها الوسائل اللازمة لتحقيق معانيها. وهذه الوسائل موجودة بحمد الله لدى كثير من الجزائريين وإننا على يقين من توفرها لدينا إن عرف

إخواننا قيمة الجهاد الصحافي في هذا العصر وأدركوا أن القلم كالسيف سلاح بتار. وقد يفعله ما لم يفعله السيف. وقد أدرك هذه الحقيقة الاستعماريون فهم لا يفتأون يدرون على صحفهم الأموال الطائلة خدمة للباطل، ولهم في الجزائر نحو عشرة صحف يومية فضلًا عن الأسبوعية وهم لا يعدون مليون نسمة ونحن عشرة ملايين لا نملك صحيفة يومية واحدة بينما صحفنا الأسبوعية مهددة بالموت في كل شهر، وإنها لظاهرة مؤلمة جدًا مخزية جدًا، لأننا إن عجزنا عن الدفاع عن حقنا في حياة حرة كريمة بواسطة القنبلة الذرية ووجدنا مبررًا لعجزنا عن ذلك فأين المبرر لتقاعدنا عن الدفاع بالقلم؟ فما المانع من أن نواجه عشر صحف استعمارية بعشر صحف تحريرية بل بصحيفة واحدة يومية بل بصحف أسبوعية منظمة قوية؟....

لقد كان في قصد "المنار" أن تتدرج شيئًا فشيئًا في الصدور من نصف شهرية إلى أسبوعية إلى نصف أسبوعية، إلى يومية ولكن..! وكان في قصد "المنار" أن تنشئ مجلة شهرية لتوحيد الثقافة الجزائرية، ولكن..! فالمقاصد لا تزال حية في قلوبنا وأما تحقيقها فإنه يتوقف على تعاون جميع الجزائريين ذوي الغيرة على تحرير وطنهم من الأوضاع الاستعمارية وتحرير عقولهم من الأخلاط المزرية. فهل تتحرك الهمم إلى نصرة القلم؟ هذه صرخة نصرخها في آذان الشعب الجزائري فإن سمعها فذلك ما نرجو وإلا فلا لوم علينا إن وضعنا أقلامنا وانطوينا على أنفسنا ومن أنذر فقد أعذر.

وبعد فلو كان احتجاب "المنار" ضربة استعمارية لهان الخطب إذ من عادة الاستعمار أن يضايق حرية التعبير ولأقمنا الدنيا وأقعدناها وبرهنا له أننا نصمد لضرباته. ولئن لم نفعل وسكتنا لوجدنا مبررًا للسكوت في اتقاء ضربة ثانية. أما أن تحتجب "المنار" بتفريط من قرائها ومشتركيها ومقدري مهمتها خصوصًا في وقت الكفاح وهي تخدم القضية القومية بنزاهة وإخلاص، فذلك ما لا يمكن تصوره والصمت عنه إلا إن ماتت الضمائر ولم يبق للفكر الحر مناصر، وهذه ما لا نتصوره، وهل صرختنا هذه إلا دليل على إيماننا بحياة ضمائرنا وحرية أفكارنا!

ذكرى المولد النبوي: الثورة المتجددة

محمود بوزوزو

جريدة المنار، السنة الثالثة، العدد التاسع والأربعون،
الجمعة 14 ربيع الأوّل 1373، 20 نوفمبر 1953

مولد الرسول مولد ثورة، وحياته حياة ثورة، وذكراه ذكرى ثورة. وهي قاعدة تنطبق على الرسل كلهم من أولهم إلى خاتمهم. وليس في هذا التعميم مبالغة إلا إذا عم الاصطلاح على المعنى الموضوع للثورة في قالب تمرد تصحبه نيران ودماء. وهو المعنى الغالب لأن التاريخ قلما شاهد ثورة سلمية بحيث أصبح من المعتقد – حتى في عصر الحضارة – أن كل ثورة نيران ودماء. وهكذا تتأثر معاني الأشياء بالوسائل المستعملة لتحقيقها. وكم لهذه الظاهرة من جنايات على الحقائق! ولا يهتدي إلى الصواب إلا من يميز بين حقيقة الشيء ووسائل تحقيقه ويعلم أن الأشياء بمعانيها لا بوسائل تحقيقها. فقد تظهر دعوة وتنجح بلا نيران ولا دماء وتسمى ثورة لكونها تخالف الواقع وتقلب الوضع القائم. لأن حقيقة الثورة قلب الأوضاع القائمة وتعويضها بغيرها مما يعتقد فيه الأصلحية سواء كان العوض جديدًا مبتكرًا أو قديمًا مندثرًا. هذا معنى الثورة إلا أن الوسائل المستعملة لتحقيقه – وكانت عنيفة غالبًا – أثرت فيه وغيرته. مع أن استعمال الوسائل العنيفة كان أبعد الأشياء عن أذهان أصحاب الثورات خصوصًا إن كانوا من رسل الله. والتاريخ يشهد أن الرسل كانوا يعتمدون في دعوتهم على اللين والوسائل السلمية. واللين صفة في الرسل، كانت سببًا في اعتداء الرجعيين عليهم يعبر عن ذلك أفصح تعبير محمد ﷺ حين استقبل في الطائف بالعنف فلجأ إلى الله شاكيا: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس". وليس هذا كلام رجل عنيف، وكم من رسول قتل، وقليل من سلم، وقليل من انتصر ونجحت ثورته. وكلهم استعملوا الوسائل السلمية لتحقيق ثورتهم. فمنهم من نجح بهذه الوسائل كيونس عليه الصلاة والسلام ومنهم من اضطر بعد اليأس من جدوى اللين إلى مقابلة العنف بالعنف كمحمد ﷺ. ولا عبرة بالنجاح في الحكم بصلاح الثورة وسدادها. فقد تخفق ثورة مع أنها صالحة سديدة، وقد تنجح ثورة وهي سيئة ضالة.

فإخفاق الرسل الذين قتلوا لا يدل على نقص في ثورتهم ولكن يدل على عدم استعداد الناس لها في زمانها ومكانها. ونجاح الدجالين لا يدل على سداد ثورتهم ولكن يدل على صلاح الزمان والمكان والمجتمع للتدجيل. وها نحن نرى أن البشرية في تطورها كلما تقدمت اعترفت بسداد تعاليم الأنبياء ونبذت ضلالات راسبوتين.

والثورة التي قام بها محمد ﷺ كلها سداد. وتعتبر ثورة بالنسبة للزمان والمكان والوسط. وليست ثورة في جوهرها. إذ هي ترمي إلى إحياء قديم مندثر من القيم التي جاء بها الرسل السابقون لأن الثورة التي جاءوا بها واحدة وإن كان تعددهم يوهم أن هناك ثورات، ورسالات، ونبوات، وديانات، فليس في الواقع إلا ثورة واحدة متجددة، ورسالة واحدة متكررة، ونبوة واحدة متنقلة، وديانة واحدة متكاملة، وزادها اصطباغًا بالتعدد اختلاف مدارك العقول، وتباين المصالح، وتطاحن الأغراض بين بني الإنسان في مختلف الأزمان حتى بدا الدين الواحد كأنه أديان.

ومما يفسر تعدد الرسل سنّة جارية تقضي بجور النسيان على التعاليم السامية مع قدم العهد، إذ يبتعد الناس عنها فينقادون لطباعهم وغرائزهم. وفي هذه الحال لا بد من مذكر يذكرهم وينبههم إلى الرشاد وها نحن نرى اليوم في فرنسا مثلًا كثيرًا من المفكرين يجددون الدعوة إلى تعاليم ثورة 1789 لبعد سلوك الفرنسيين عن روحها مع احتفاظهم بألفاظها مع أنه لم يمض إلا قرن ونصف قرن على تاريخها، فكيف بالتعاليم التي تمر عليها القرون... والدعوة إلى تعاليم 1789 في هذه الظروف ثورة باعتبارها إحياء قديم مندثر تقررت أصلحيته، كما أن الدعوة إلى القيم الروحية السماوية في هذا العصر ثورة بهذا الاعتبار وقد أكدت ضرورتها. وهنا ينبغي التمييز بين الثوري والثائر. فالثوري هو من يريد قلب الوضع القائم وتعويضه بوضع أصلح. والثائر هو الساخط الناقم لسبب قد يكون تافهًا دون استعداد للإصلاح ولا تفكير فيه فيتجه إلى الهدم دون تصور البناء. فالثوري يفسر بلفظ révolutionnaire والثائر بلفظ révolté وشتان ما بينهما.

فالرسول ثوري لأنه حاول قلب القيم الجارية في وسطه وتعويضها بقيم أخرى فيها خير وصلاح، وهذه القيم تعتبر جديدة عند قوم "ما أتاهم من نذير" من قبل وهم أغلبية عرب قريش وتعتبر قديمة بالنسبة لنصارى نجران الذين أقبلوا عليها كل الإقبال، ويهود خيبر الذين قاوموها لأغراض خاصة.

واجتازت الثورة المحمدية أطوارًا من السر إلى الجهر إلى الهجرة إلى النصر في ظرف ثلاث وعشرين سنة قمرية.

ومن يتأمل هذا النصر يجده في تحقيق توحيد العرب الذين كانوا متفرقين قبائل متحاربة لا أمة متماسكة وقد عانى في سبيل ذلك ما عانى، ولكنه صبر حتى انتصر وخلّف أمة متحدة استطاعت أن تبلغ رسالته إلى معظم أنحاء المعمورة، وقد عرف العالم الإسلامي عهدًا زاهرًا كان فيه منارًا مشرقًا يرسل أشعته على البشرية ولكنه تضاءل لبعده عن التعاليم الإسلامية الخالدة، التي لا نجاة له إلا بالرجوع إليها وهذا الرجوع ثورة تأكدت ضرورتها ولا يعدها رجعية إلا من يعتبر الدعوة إلى إحياء مبادئ 1789 رجعية. إن هي إلا إحياء قيم خالدة، ومن دعا إلى إحياء قيم خالدة في وسط انطمست فيه دعا إلى ثورة متجددة.

حول زيارة وزير الداخلية الفرنسي للجزائر: القضية قضية علاقة بين أمتين

محمود بوزوزو

جريدة المنار، السنة الثالثة، العدد الخمسون،
الجمعة 5 ربيع الثاني 1373، 11 ديسمبر 1953

قام وزير الداخلية للحكومة الفرنسية بزيارة للقطر الجزائري في هذه الأيام ولا شك في أنه جاء وهو يعتقد بأنه يجول في "ثلاث مقاطعات فرنسية" أو في "جزء من الاتحاد الفرنسي" كما تزعم السياسة الاستعمارية الفرنسية وهو من المزاعم التي فندت في عدة مناسبات استنادًا على الواقع، ولكن الذاكرة الاستعمارية ضعيفة جدًا في حفظ الحقائق الناصعة، والآذان الاستعمارية في صمم عن سماع صوتها الصارخ، والأعين الاستعمارية في عماء عن نورها الساطع. وهذا الموقف يحمل – لا محالة – أنصار الحق على التكرار دون ملل إثباتًا للحقائق المغفول عنها ولو استمر المخاطب في تجاهلها، لأن تجاهل الواقع لا ينفي وجود الواقع. ولا شك في أن الوزير الزائر لمس الواقع الجزائري الحقيقي لمسًا إن كان لا يعرفه إلا من خلال المزاعم الاستعمارية، وتحقق من مدى صدق المبطلين لها بالحجة والبرهان، فتحقق الوزير الزائر أنه لا يجول في مقاطعات فرنسية، إذ وجد هنا من الأوضاع ما لم يجده في المقاطعات الفرنسية: وجد واليًا عامًا مفروضًا على الجزائر فرضًا، ووجد دستورًا مفروضًا على الجزائر فرضًا، ووجد مجلسًا شبه برلمان فيه أمتان، ووجد أحوازًا ممتزجة، ووجد أمتين إحداهما حاكمة مستغِلة باسم فرنسا والأخرى محكومة مستغَلة باسم الظلم والعدوان، الأولى شرذمة من المعمرين تعززهم إدارة متعصبة، وجهاز بوليسي ضخم، وجيش سفاك، وقوانين جائرة ومحاكم زجرية قاسية والأخرى شعب مسلوب الحق مؤمن بحقه ملح في طلبه إلحاحًا جعل الأرض رطبة بدمائه، والسجون ملأى بأبنائه، وهو رغم ذلك يقاوم في ثبات وصبر مؤمنًا بالنصر ولا شك أن الوزير الزائر لاحظ عند هذا الشعب لغة غير لغته، وتاريخًا غير تاريخه، ودينًا غير دينه، وتقاليد غير تقاليده، وثقافة عريقة الصلة بالمدنية الإنسانية. هذا واقع، إن كان يجهله الوزير من قبل فإنه علمه

في جولته علم اليقين. كما علم بالاستنتاج الحتمي من هذا الواقع أن مسألة "ثلاث مقاطعات فرنسية" في الجزائر حديث خرافة، وأن "الاتحاد الفرنسي" أسطورة عند أمة لا يربطها بفرنسا إلا الإذلال والاستغلال ولا شك في أن هذه الحقائق الملموسة ستحمل الوزير على مراجعة اعتقاده فيما يخص وضعية الجزائر. ولا شك في أنه حين يبحث عن أسباب هذه الوضعية سينتهي إلى أن الأصل فيها يرجع إلى فساد العلاقة بين الأمتين الفرنسية والجزائرية، تلك العلاقة المبنية على الظلم بدل الود. وسيقتنع بأن العلاج المعقول هو في مراجعة هذه العلاقة مراجعة يخرج منها الحق ظاهرًا إلى أهله.

وقد انتهت جولة الوزير بخطاب في المجلس الجزائري شبيه بالخطب التي ألقاها أمثاله السابقون فيما يحمله من وعود وعبارات تنويمية وإن خلا من التهديدات المعهودة لأن جميع من سبقه جاء بوعد ووعيد لم يثبت منهما غير الوعيد. وتحوم وعود الوزير حول الشؤون الاقتصادية والاجتماعية ولم يلمس الشؤون السياسية إلا في النطاق الاستعماري وذلك بتوسيع الجهاز الإداري الحالي دون مراعاة لمطامح الأمة الجزائرية نحو حياة حرة كريمة، فلم يعد بإطلاق المساجين السياسيين ولا المنفيين ظلمًا وعدوانًا، ولا بزوال الوضع الاستعماري تمامًا، ولا بأي شيء سوى بقاء ما كان على ما كان.

وقد جاء في خطاب الوزير كلمة "الحب" الذي لا يستطاع بدونه بناء صرح متين، فإن من يحمل في قلبه مثقال ذرة من "حب" للإنسان لا يسدد البنادق ولا يحمل القنابل ولا يفتح أفواه المدافع ليقيم المجازر البشرية في بلاد الناس الذين لا يطلبون إلا إن يعيشوا أحرارا في أوطانهم.

إن من يحمل الحب لا يطلق الرصاص على من يطالب بحقه في حياة حرة كريمة أقرتها شريعة السماء وشرائع الأرض. هل من الحب أن تكون أول هدية أهداها الوزير إلى الجزائر حين توليه وزارة الداخلية إطلاق الرصاص على الموكب الجزائري السائر بهدوء في باريس يوم الاحتفال بعيد الحرية بمناسبة 14 يوليو 1953 دون سبب إلا أن الجزائريين "يحبون" الحرية لأمتهم؟! فهل هذه الجريمة من علامات "الحب"؟ وإذا كانت وقعت بدون علم الوزير ولا إذنه فهل طلب عقاب المجرمين؟ فما أبرع رجال السياسة الفرنسيين في السفسطة! وما أعظم جرأتهم على العبث بالكلمات المقدسة! إن مدلول كلمة "الحب" مدلول مقدس غريب عن قاموس الاستعمار. وإذا ما جرت على لسان رجاله كلمة "الحب" كان أسمى معنى لها حب الآكل للمأكول... لقد استعملها الوالي "نيجلين" في

خطبه فعرفنا معناها في أعماله...

والحقيقة التي يعرفها الخاص والعام والوزير هي أن علاقة الأمة الفرنسية بالأمة الجزائرية بعيدة عن الحب بعد السماء عن الأرض، إنها علاقة ظالم بمظلوم ويوم تنقلب إلى علاقة حبيب بحبيب يحق للساسة الفرنسيين أن يتحدثوا عن "الحب" ويومئذ يكونون صادقين.

فإذا عولجت القضية على بساط الحب كان الحل ميسورًا في أقرب وقت وحينئذ يسجل القرن العشرين بأحرف من نور: "إن فرنسا أحدثت ثورة جديدة في العالم، وذلك ببناء علاقاتها بالأمم على أساس الحب!" ويا ما أحوج العالم إلى هذه الثورة! إنها ثورة المسيح عليه الصلاة والسلام، ثورة الحق والخير والجمال، ويا ما أوكد وجوبها على "بنت الكنيسة البكر"!

وإذا اعتبر هذا من الأحلام المستحيلة في عصر أصبحت فيه الحقائق الخالدة غريبة فعسى أن يصدق حلم آخر من الأحلام الممكنة نرى فيه الأمة الجزائرية "توحد" كلمتها ويومئذ يسجل التاريخ بأحرف من نور: "إن الأمة الجزائرية استطاعت باتحادها أن تثبت للعالم أنها حقيقة بحياة الحرية والكرامة"، وعسى أن يكون ذلك في أقرب وقت. وحينئذ ندخل إلى الحياة بوجه جديد. وعسى أن يكون ذلك من الأحلام الصادقة!

ذكرى استسلام الأمير عبد القادر: معنى جهاد وعبرة استسلام

محمود بوزوزو
جريدة المنار، السنة الثالثة، العدد الواحد والخمسون،
الجمعة 26 ربيع الثاني 1373، 1 جانفي 1954

كلما أطل على الجزائر يوم 23 دجنبر أطلت معه سحب مثقلة بالذكريات والعبر الخالدة بما فيها من حقائق تاريخية منبثقة من السنن الإلهية الثابتة التي لا تحويل لها ولا تبديل. والحقائق التاريخية ليست من صنع نفسها إنها من صنع الإنسان، هو الذي يوجدها، دل على ذلك تكرارها وعدم تكرارها تبعًا لسلوك الإنسان. وبهذا الاعتبار قيل: التاريخ يعيد نفسه، وما هو إلا إقرار لسنة إلهية ثابتة تعبر عنها الفلسفة والعلم التجريبي بارتباط الأسباب بالمسببات. ومن تحصيل الحاصل أن يقال: لكل علة معلول، ولكل سبب مسبب، وكلما وجدت الأسباب وجدت المسببات، ونفس الأسباب تثمر نفس النتائج أيًا كان زمانها ومكانها. هذه الحقيقة المقررة يجتليها الملاحظ عبرة من الحوادث الماضية والجارية التي تسمى التاريخ، وهي وليدة إرادة الإنسان ومشيئة الله، ولئن كانت مشيئة الله فوق كل شيء فلإرادة الإنسان دخل كبير في صنع التاريخ وإلا بطلت مسؤوليته، فسير التاريخ في طريق السعد أو العكس تابع للاتعاظ بالحوادث الماضية والموقف من الحوادث الجارية.

ومن هنا تتجلى الحقيقة الخالدة الواردة في الآية: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ" وهي تفسر ارتباط الإرادة الإنسانية بالمشيئة الإلهية الوارد فيها: "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". فالإرادة الإنسانية تنحصر في الأخذ بالأسباب إبراءً للذمة، والمشيئة الإلهية تتعلق بوضع المسببات مع الأسباب إقرارًا للعدالة السامية التي جعلها الله من حقوق المؤمنين عليه "وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ" حين يأخذون بالأسباب "وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ"، وهو الدرس الذي يستخلص من الحوادث الماضية والجارية وعلى ضوئه يمكن خلق الظروف المرغوب فيها وتوجيه التاريخ

توجيهًا معينًا. فما هو الذي يستخلص من ذكرى 23 دجنبر؟ وما هي الظروف المرغوب فيها؟ وما هو التوجيه المراد للتاريخ؟

في 23 دجنبر 1847 استسلم الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري للمعتدين الفرنسيين الذين جاهدهم 17 سنة كاملة، ولذلك الجهاد معنى لا يفهمه إلا من تغلغلت في عروقه أنوار الإسلام القوية، أو نفذ فكره إلى أسرار الإسلام الخفية، ومن كان في غير هذين الحالين فإنه يفهمه فهمًا قد يخطئ فيه أخطاء بعيدة. والنظر المجرد يقتضي وضع العمل في الزمان والمكان مع اعتبار الروح الحافزة عليه، فالعصر الذي ظهر فيه الأمير لم يكن كعصرنا من حيث عموم الاحتلال الفرنسي في القطر الجزائري وتوغل الاستعمار في جميع أنحائه. فلم يكن على شكله الحاضر من حيث شمول النظام الإداري والنفوذ السياسي والاستحواذ الاقتصادي والاستعمار الروحي، إذ كان الاحتلال في بداية نشوب أظافره، وكان الجزائريون لا يعرفون عن الفرنسيين إلا قومًا من غير دينهم. وكانوا واثقين بالنصر عند توقع المعارك معهم. وذلك لأنهم عاشوا قرونًا طويلة في العز والسيادة في وطنهم لم يجرؤ أحد من جيرانهم على الاعتداء عليهم، وذلك جعلهم مطمئنين لقوتهم صارفين النظر من الخارج إلى الداخل من شؤون دنياهم، الأمر الذي يحدث التنافس في الحظوظ الدنيوية الباعثة للخصومات والحزازات بين الأفراد والعائلات. ولم يسلم من هذه التأثرات بعض أهل الرأي من علماء وفقهاء وقضاة. ولم يكن الأمر خاصًا بالمجتمع الجزائري بل كان عامًا في العالم الإسلامي الذي فشا فيه داء التخاذل. وإذا ما برز عبقري في مثل هذا المجتمع فلا عجب أن يجد من معاصريه في وطنه وخارج وطنه من يوجسون منه خيفة على مراكزهم وحظوظهم، الأمر الذي يدفعهم إلى الكيد له، وعرقلة سيره، وإحباط مشاريعه، وقد برز عبد القادر بن محي الدين فآتاه الله العلم الصحيح والفكر العميق يزينهما التقى والشجاعة المتزنة وهذه كلها من النعم التي تدعو إلى الغبطة، وبويع بالإمارة وهي لقب محسود صاحبه، ولكن الأمير عبد القادر لم يكن يرى في كل هذا إلا مسؤولية من أكبر المسؤوليات، كان يرى نفسه جنديًا من جنود الله يحيا للحقائق الخالدة لا المراكز البائدة، ويرى في الإمارة عنوانًا لمسؤولية حفظ مصلحة الأمة لا لقبًا يخول الاستغلال والاضطهاد. وكان يعتقد في قيامه إلى الجهاد أن الجزائر "دار إسلام" يجب أن تظل دار إسلام باعتبار الإسلام أمانة في عنق المسلمين يجب عليهم حفظها إعلاءً لكلمة الله وإعزازًا لدينه. ولم يرد في القرآن ولا في الحديث نص بغير العزة لأهل الإسلام في ديارهم. بل ورد الوعيد بالعذاب دنيا وأخرى لمن رضي بالهوان كما ورد الوصف بالكفر لمن لم يحكم بما أنزل الله، وما كان الأمير عبد القادر المتشبع بالروح الإسلامية أن يرضى بدار

الإسلام بديلًا. وقد رأيت مكتوبًا بخطه في آخر جزء من البخاري ما معناه: "ختمت قراءة هذا الجزء من صحيح البخاري يوم كذا من شهر كذا وأنا محاصر تلمسان أعادها الله دار إسلام". ورغم ما كان يتصف به من السمو الروحي والنزاهة الخالصة فإنه لم يسلم من كيد الكائدين الذين اضطروه إلى محاربتهم فكان يواجه جبهتين: داخلية وخارجية. واضطر مرارًا إلى محاربة القبائل المناوئة التي أعمتها الأغراض الخاصة عن المصلحة العامة. وكفى بهذا سببًا في ضعف شوكة الأمة خصوصًا وقت الجهاد. وقد استنجد بملك مراكش فلم ينجده. وماذا عساه أن يصنع مع هذا الخذلان. فكانت العاقبة المحتومة الاستسلام. فاستسلم مكرهًا لا طائعًا ونزل عقاب الله على الأمة التي خذلته بأن سلط عليها البلاء الاستعماري الذي عم المغرب الإسلامي. ولم يكن ذلك عقابًا للأمير وهو لم يفعل إلا الواجب، ولا لأنصاره الذين قاموا لنصرة الحق. إنما كان عقابًا لقومه الخارجين عن حدود الله المنكرين سننه وإن كان فيهم الصالحون، والفتنة إذا نزلت لا تصيب الذين ظلموا خاصة.

ولم يكن للسنن الإلهية أن تغير مجراها فتجود بالنصر للمتخاذلين ولم يكن لمشيئة الله أن تقلب وضعية العدالة فتجعل للأسباب مسببات منافية لها، ولو وقع لاختل منطق الحياة وزالت الحكمة عن واهبها، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. فلم يكن في وسع الأمير أن يغير مجرى التاريخ لأن ذلك ليس من عمل فرد في أمة متخاذلة مهما أوتي من قوة إيمان وبعد نظر. ولم يكن ذلك في وسع الثوار الذين ثاروا من بعده، لأن ثوراتهم كانت شبه فردية ولم تكن اجتماعية، فكان مجرى التاريخ حسب السنن الإلهية الثابتة التي لا تتغير.

و استمر الاستعمار في توغله حتى عم البلاد... ولكن دون أن يُخمد روح المقاومة والجهاد...

تلك هي الحقائق التاريخية التي يستمد منها المستهدى نورًا لخلق الظروف المرغوب فيها وتوجيه التاريخ توجيهًا معينًا. فالظروف الحاضرة التي تعاني فيها الأمة الجزائرية المسلمة حياة مخالفة لمقتضى الإسلام والكرامة ظروف ناتجة عن "التخاذل" في الماضي والحاضر. والظروف المرغوب فيها هي – طبعًا – حالة يطمئن فيها المسلمون على دينهم فيجدون الإسلام في جميع أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهي ظروف حققتها باكستان بعدما قضت زهاء قرنين تحت الاستعمار البريطاني كما حققتها أندونيسيا بعدما قضت ثلاثة قرون تحت الاستعمار الهولندي، وفي ذلك عبرة للمعتبر.

فالظروف التي جاهد فيها الأمير عبد القادر كانت – من الناحيتين المعنوية والمادية – كفيلة بمنع الاستسلام وضمان النصر. وذلك لقيام جهاده على عقيدة صحيحة، وتحليه بالفكر التنظيمي، وتوفر العَدد والعُدد لرد العدوان، وعدم توغل المعتدين في القطر، وسلامة الأقطار المجاورة من الاحتلال الأجنبي وإمكانها مساعدة الجزائر بمقتضى الرابطة الإسلامية والوحدة الجغرافية التي وحدت مصيرها. واجتماع كل هذه كفيل بمنع الاستسلام إن لم يؤت النصر، ولكن كان ينقص ذلك عامل حيوي ألا وهو الاتحاد والتناصر، ولا يوجدان إلا حيث توجد اليقظة وتقدير العواقب والإخلاص للصالح العام. وهي صفات لم تتوفر إلا لفئة قليلة ناصرت الأمير ولم تجد حولها إلا التخاذل والتناحر الذين يخلقان الظروف الملائمة للخيبة والاستسلام.

وليس في استسلام الأمير تكذيب للعقيدة ولا طمس للحقائق الخالدة. إنه عرض طارئ لا يمس بجوهر الحق. وهل أدل على ذلك من التجدد المستمر لروح المقاومة الجزائرية في شتى الميادين بشتى الأساليب؟ ولئن كانت هذه المقاومة لا تكتسي المعنى الديني الذي قام عليه جهاد الأمير عبد القادر فذاك المعنى لا يزال حيًا في قلوب نقية طاهرة سالمة من آثار الأوضاع الاستعمارية المضلة... تلك الأوضاع التي لم تكن برزت للوجود زمان الأمير. ولو وجدت في زمانه فهل كانت تغير جهاده. ولو بعث الأمير اليوم فهل يستوحي جهاده من غير هذا المعنى؟.. وأيًا كان المعنى الذي تحمله المقاومة اليوم فإنه لا يسوغ تغيير الحقائق التاريخية فتنسب للأمير أغراض توافق الأهواء العصرية لم يثبتها التاريخ. والحق أن المعنى الذي قام عليه جهاده لا يزال نابضًا في عروق الشعب الجزائري المسلم الذي لا يريد بالسلام بديلًا رغمًا عن جميع المحاولات المباشرة وغير المباشرة الذي يراد بها صرفه عنه، إنه معنى روحاني متصل بالله ولا يطعن في صحته عدم نصر الله لصاحبه. فإن استسلام الأمير جاء على مقتضى العدالة الإلهية الجارية على سنن ثابتة منها أن التخاذل يعقب الانكسار والتناصر يثمر الانتصار. ومن يستهن بهذه السنن يختل نظام حياته. ومن يعتبر بها يسير التاريخ طوع إرادته. ولن تجد لسنة الله تبديلا.

ملحق: محمود بوزوزو مسار نضال وقلم

محمد بوزوزو مســـار نضـــال وقـــلم

د. حميدي أبوبكر الصديق
جامعة المسيلة

الملخص :

تعتبر شخصية محمود بوزوزو من الشخصيات التي جمعت بين النضال السياسي والفكري ، وخاض معركة النضال والتجاوب مع الحركة الوطنية بالتأييد والقلم من خلال نشاطه في الصحافة المتنوعة ، وجمع بين استيعابه وفهمه للأحداث وقدرته على التنظيم من خلال انخراطه في الكشافة الإسلامية ثم قيادته لها ،أعطى للكشافة مفاهيم وقيم إنسانية وأتخذها وسيلة للتربية وغرس الروح الوطنية بين الناشئة . وكانت شخصيته المتنقلة بين ربوع الوطن لطلب العلم والرزق ونبوغه في الكشافة وعلاقاته الوثيقة مع الإصلاحيين و التيار الاستقلالي أن صقل منه مناضلا متفتحا واسع الثقافة والأفق قريبا من الجميع ، تجسدت هذه الملامح في القيم التي حملها ، والقلم الذي استوعب الواقع الوطني والمغاربي ، ساعيا لكل المشاريع الوحدوية وتوحيد الجهود لبناء الفرد فكريا وسياسيا . وقد كلفتهَ مواقفه الوطنية الكثير من الأذى: السجن والتعذيب ثم النفي في منتصف الخمسينيات. (1955)، فهاجر إلى المغرب الأقصى، ثم إلى أوروبا حيث أقام في عدة مدن حتى استقر به الأمر في مدينة جينيف في 1958 التي نذر نفسه بها لخدمة الجالية الإسلامية وتعليم اللغة العربية والتعريف بالإسلام دينا وحضارة.

حياته

ولد محمود بوزوزو بن علي في العاشر من جمادى الأولى لعام 1336 للهجرة الموافق لـ 22 فبراير 1918 في مدينة العلم بجاية .كان جده قاضيا ببجاية وعمه عبد المؤمن أغا، وعرف بأنه من عائلة لها مقاما في التربية والعلم والأخلاق العالية ، احتك مبكرا برجال الإصلاح وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله وإخوانه من جمعية العلماء. وبعد تحصيل معتبر للعم تفرّغ للتعليم في جزائر عمل الاحتلال على تجهيلها، وساهم محمود في تأسيس المساجد والمدارس الحرة لتعليم اللغة العربية.

انتقلت عائلة محمود إلى بالبليدة، وكان تواقا لتحصيل المعارف ويتطلع إلى الدراسات العالية، وكان متفوق دفعته حين انتقل للدراسة في الجزائر العاصمة سنة 1939. أنجب أربعة أبناء، وعمل مؤقتا مدرسا في مدرسة بجاية سنة 1940 .ووصف بأنه معلم منضبط ويحظى باحترام السكان، وحسب الأوساط الفرنسية أنه يقدم على مدير المدرسة و الشيخ الإصلاحي الهادي الزر وقي[1] وظل يدرس ببجاية حتى سنة 1941 ثم انتقل إلى منطقة دلس ثم إلى القليعة في سنة 1943 واعتبره محمد بن زكري مدرسا ناجحا بالمنطقة وفيها انخرط في الكشافة الإسلامية . وبقي على ارتباط مع شباب بجاية ليعود من جديد إلى القليعة وكثف من لقاءاته بالوطنيين وخلالها يتهم بالمشاركة في احتفالات الثامن ماي 1945 من قبل السلطة الفرنسية .

كان من رواد الحركة الكشفية الإسلامية في الجزائر في منتصف الأربعينيات.حتى صار مرشدا عاما لها، ساهم في تربية جيل كامل شارك بعضهم في اندلاع الثورة الجزائرية والتحق معظمهم بها واستشهد منهم الكثير. كان من رواد الصحافة الجزائرية الملتزمة من خلال مقالاته في جريدة "البصائر"، ثم مجلة "المنار" التي كان يُشرف عليها والتي كانت في بداية الخمسينيات منبرا قويا في التصدي للاحتلال الفرنسي وفضح جرائمه، وأداة فاعلة في تكوين الوعي الوطني.

كان من رواد الحركة الوطنية في الجزائر، الداعين إلى وحدة صفوفها. اعتبره المستعمر الفرنسي من الآباء الروحيين لحرب التحرير الوطني، وصنفه آنذاك – كما هو حال كل مقاوم للاحتلال – من المحرضين على التخريب والإرهاب. ولذلك كان مجل الملاحقة المستمرة وقد كلفتهَ مواقفه الوطنية الكثير من الأذى: السجن والتعذيب. وفي ظل اندلاع الثورة التحريرية وتضييق الحصار على الوطنيين وخاصة الزعماء الذين يحملون القلم والكلمة فلم يتحمل محمود بوزوزو هذا الوضع وعرف أنه يكون أول هدف للاستعمار ، وفعلا فقد تعرض للنفي في منتصف الخمسينيات. (1955)، فهاجر إلى المغرب الأقصى، ثم إلى أوروبا حيث أقام في عدة مدن حتى استقر به الأمر في مدينة جينيف في 1958 التي نذر نفسه بها لخدمة الجالية الإسلامية وتعليم اللغة العربية والتعريف بالإسلام دينا وحضارة. وقد اختيار هذه المدينة لمتابعة تطورات الأوضاع والثورات على الاستعمار، ويقول أنه لم يناضل من أجل استقلال الجزائر فحسب، بل من أجل استقلال كل أرض مستعمرة .استقر به الأمر أولا في مدينة مونترو، المشرفة على بحيرة ليمان غير بعيد عن لوزان، ثم سافر إلى ألمانيا للالتحاق بمعهد لتدريس اللغات ببرلين، تاركا وراءه زوجته وأبناءه، لكنه ما فتئ أن

عاد إلى سويسرا ، واستقر به المقام في مدينة كالفان منذ 1962. قد ألف العيش في سويسرا لأنها تدعم القضايا الإنسانية وتتميز سياساتها بالحياد وسلم تاريخها من لوثة الاستعمار.وكانت فضاء مناسبا لأهل الفكر والقلم والالتقاء مع الزعماء مما استهواه الاستقرار فيها.

عمل أستاذا للغة العربية في المهجر عقدين من الزمن فكان له دورا رائدا في خدمة اللغة العربية في سويسرا ، إذ ظل مدرسا لها في مدرسة الترجمة التحريرية والفورية ، التابعة لجامعة جنيف إلى حين تقاعده، وتخرّج على يديه أجيال من المترجمين العرب الكبار من جميع البلدان العربية ، والذين يحتلون اليوم مواقع هامة داخل المنظمات الدولية في جنيف ونيويورك وغيرها.. وكان بيته ومكتبه مفتوحَين للشباب العربي والإسلامي، فكان لهم الناصح والحريص على توعيتهم. وكان من مؤسسي المركز الإسلامي عام 1961 في جنيف الذي عمل به إماما و خطيبا و هو أول مركز في أوروبا والذي كان قد أسسه الراحل الدكتور سعيد رمضان. و لإيمانه بأهمية الكلمة والصحافة في نشر الوعي جعله ينضم إلى هيئة تحرير مجلة "المسلمون"، وساهم في تأسيس المؤسسة الثقافية الإسلامية عام 1975 ، وعمل بهما إماما وخطيبا. كما كان عضوا في مجلس أمناء مؤسسة قرطبة للحوار بين الحضارات و تبادل الثقافات حيث كان بيته أول مقر لها في عام 2002 (2). عرف بسعة باعه في الشعر والأدب، كان بوزوزو يحفظ الأشعار القديمة والحديثة وكان يقرض الشعر أيضا ، وكان كثير المطالعة في الفنون والعلوم المختلفة، وله مكتبة خاصة تقارب 10.000 كتاب.توفي في 15 رمضان 1428 هـ الموافق ل 27 سبتمبر 2007 عن عمر يناهز 89 عاما ودفن بمسقط رأسه بجاية بناء على وصيته رحمه الله .

مسيرته الحافلة في الكشافة

ظل يبحث عن فضاء يطور من خلاله وضعه المهني والنضالي وفي نفس الوقت يوسع من علاقاته مع الوطنيين وإيجاد وسائل الاتصال مع الشباب الجزائري لبث أفكاره وغرس الوعي السياسي بينهم وكانت الكشافة الإسلامية الإطار المناسب لذلك في ظل هذه الظروف. ويتضح أن مؤهلاته الفكرية والشخصية والنفسية كانت كبيرة ولكن الظروف الصعبة وفي مقدمتها الاستعمار وشظف العيش لم تتح له أن يفتق كل طاقاته .

وفي هذه المرحلة شارك في مسابقة أستاذ مدرس ، وفي 1946 وبناء على طلبه توجه إلى مليانه حيث صار مرشدا عاما للكشافة الإسلامية الجزائرية S.M.A ومن

خلال هذه الهيئة نسج ارتباطاته وعلاقات الثقة مع الوطنيين أمثال الأغا قداش، وتيجاني ...وغيرهم.

وفي جانفي 1947 أعلن مشاركته في لقاءاته مع عناصر تنشط في الحركة الوطنية وفي جوان من نفس السنة شارك في أمسية نظمتها الكشافة الإسلامية إلى جانب بعض الوطنيين لمنطقة بجاية، ويتضح أن السلطات الفرنسية كانت تتابع كل تحركاته وترى فيه شخصا خطيرا ويمثل التيار الوطني ومشبع بأفكار الكشافة الإسلامية وله اتصال مع عناصر حزب الشعب .(3)

وفي 1947 ادعت السلطات الفرنسية أنه رغب الانتقال إلى مدينة آفلو ولكن محمود بوزوزو ذكر في المنار أنه نفي إليها على غرار بعض الزعماء الجزائريين بعدما رأت فيه السلطات الفرنسية أنه يمارس عملا حثيثا لإنشاء المدارس الحرة والنوادي وتنشيط الكشافة ، وقال أن الإدارة عللت هذا النفي بامتناعه عن التصويت في انتخابات 1947 واعتبرته موقفا سياسيا معاديا للسلطة الفرنسية (4).

وبعد عودته من المنفى واصل نضاله من خلال الكتابة في الصحف العربية وقالت الأوساط الاستعمارية أنه ابتعد عن خط الإصلاح لظروف مادية وقلة عائدات الكتابة في صحافتها(5) ، لكن التفسير المرجح أن بوزوزو تبلور لديه العمل أكثر ضمن خط حزب الشعب، ورغم الطريق الجديد الذي يتوق فيه إلى التوجه الثوري والنزعة الاستقلالية فإنه حافظ على قربه من التوجه الإصلاحي في قلمه وأهدافه مع انتمائه لحزب الشعب .

وفي 1951أسس جريدة الشهرية المسماة" المنار" التي أعلن أنها مستقلة ولكنها لم تخرج عن أطار حزب الشعب وتحاول أن تستوعب كل الوطنيين فيها. وتشير المصادر أنه انتمى لحزب الشعب، وفي 1952 عينه الحزب عضوا في اللجنة الثقافية للبلدان العربية.

وكان له مقاما مميزا في مسقط رأسه بجاية بل يقدم على المفتي بوكبال محمد، والشيخ الهادي اللذان كانا ببجاية وهذا راجع لإمكاناته الفكرية ويجيد العربية وقريب من الإصلاحيين .واستطاع أن يلعب دورا مهما وخاصا أنه كان ضمن ناشطي الكشافة الإسلامية بالمنطقة . ففي إحدى أمسياته ألقى كلمة لقيت حضورا وقبولا واسعا وأعلن أن الكشافة الإسلامية هدفها إظهار النداءات العالمية التي تنادي بالوطنية، وقال أننا معجبون بالشباب الحاضر وأنهم رجال الغد(6)

وهذا الانتشار والمبادئ التي تحملها الكشافة جعل من محمود بوزوزو يعطيها أولوية وعملا توجيهيا وإرشاديا جبارا ورأى أنه الفضاء الذي يخدم الفكرة الوطنية لدى الناشئة ، وساهم هذا العمل في تكوينه السياسي إلى حد كبير . ففي أحد البيانات الصادرة عن الكشافة وإمضاء محمود بوزوزو يتجلى تشبع هذا الأخير بجدوى العمل الكشفي في تعميق الوطنية والأهداف النبيلة . فيقول أن كثيرا من الناس يتكلم عن الكشافة ولكن قليل منهم وخاصة في بلادنا ما معنى الكشافة لأنها جديدة عليهم . فكثير منهم لا يعرف إلا المظهر الخارجي منها ويحكمون عليها من خلال هذا المظهر وخاصة المنتمين إلى هيئة عسكرية الذين يرونهم يحتفلون بخطى وإيقاع في صفوف منظمة كالجنود.والبعض الآخر يفهمها على أنها مؤسسة احتفالية لرؤيتها على المسرح في المناسبات. والبعض ينظر إليها على أنها حزبا سياسيا لأنه يرى الكشافين يرددون أناشيد وطنية ،وآخرون يرونها هيئة رياضية عندما يرون أصحابها يمارسون حركات ونشاطات رياضية . إن هذه الأحكام تعتمد على المظهر الخارجي للكشافة لأنهم لا يشخصون الأشياء. لأن الكشافة هي تربية تهدف إلى تنمية القوة الفيزيولوجية والقوة الفكرية والقوة الروحية، والمظاهر السابقة الذكر ما هي إلا وسائل لتحقيق هذه القوى المتعددة .

ويضيف أن الكشافة الإسلامية جاءت كحركة خاصة بالمسلمين في الجزائر وأن فيدراليتها التي أحصت عشرة آلاف كشاف موزعة على ربوع الوطن وتعتمد مبادئ العقيدة (الإسلام) والوطن (الجزائر) والإنسانية التي تمثل مجموع الإنسانية بكل أجناسها .

وفي شرحه لهذه العناصر يؤكد أن العقيدة هي التي تفرض علينا الخطاب الأحسن لمواجهة الأسوأ والأخذ في حسباننا الواجب علينا أمام الله والأشخاص ، ويتعدى هذا إلى المحبة والتضامن مع كافة مسلمي العالم.

وبخصوص الوطنية يقول أنه يجب الانتباه والشعور بالمواطنة التي تفرض إكمال الواجبات اتجاه الوطن والشعب لإظهار الأفق الأحسن، إنه يجب أن ندفع ونضحي بالكثير من أجل الوطن والشعب نحو طريق التقدم حتى يأخذ مكانا مشرفا بين الأمم.

وأما الإنسانية فاليقظة والإحساس الإنساني يفرضان احترام الكرامة الإنسانية وتطبيق ذلك على كل بني الإنسان بغض النظر عن جنسه وعقيدته (فالتمييز هو بين أهل الخير والشر)ويتساءل بوزوزو: ما هو الذي يستهوي الكشافة الإسلامية الجزائرية

؟ ويجيب إنه الهدف الذي يحقق الرغبة الماسة للشعب الجزائري الذي يتمنى مكانا محترما بين الأمم ، وأن الكشافة تحسب أن الشعب الجزائري وحده فقط يمكن أن يحقق هدفه (7).

وقد تابعت السلطات الفرنسية من خلال مصلحة الاتصال لشمال إفريقيا والتحري عن هذه الشخصية وقالت أن بوزوزو يقول أنه لا فصل بين العقيد والسياسة ، وأن العقيدة اليوم هي أمام القهر والغدر وخدعة الاستعمار ، وهي تعيش حالة من الغموض، وأضاف أنه في الإسلام لا يوجد غموض في الجانب الروحي . فالنضال السياسي مهما يكن في سبيل حرية البلاد فإنه نزيه وضروري في المفهوم الواسع للنضال ومن صميم العقيدة (8).

مسيرته مع جريدة المنار :

و هي جريد سياسية ثقافية دينية حرة حسب واجهتها.وقال مؤسسها أنه في سنة 1950 عرض على بعض الأصدقاء من حركة الانتصار إصدار جريدة وطنية غير متحزبة هدفها بث الروح الوطنية في عموم البلاد ، فكان ميلاد جريدة المنار . وحسبه أنه اختار لها أن تكون بعيدة عن التعصب القاتل للرأي الآخر ، وتحاشي بث الخلاف الحاصل بين أبناء الوطن والسعي لجمع الكلمة نحو التحرر من الاستعمار والعمل على وحدة المغرب العربي والانتصار لقضاياه ، ومن ذلك الدفاع عن المغرب وملكه محمد الخامس وهذا الموقف هو الذي دفع السلطات الاستعمارية إلى منع دخول جريدة المنار إلى المغرب الأقصى ، كما تعرض لاستنطاق الشرطة الفرنسية لأجل ذلك . ويتضح أنه كان معارضا للتوجه الذي سلكه بورقيبة في تونس في هذه المرحلة والمتمثل في عدم ربط الكفاح الجاري في تونس بما يجري في الجزائر والاهتمام بالكفاح القطري أكثر من الكفاح المغاربي المشترك لأن الحماية في نظره أخف وأقرب زوالا من الاستعمار في الجزائر .

وكانت مقالات بوزوزو سببا في منع المنار من الدخول إلى تونس من قبل السلطة الفرنسية لما تحمله من نبرة الوحدة في الكفاح (9) أما في المجال الوطني فقد ركزت الجريدة على بث الروح الوطنية والنزعة الإسلامية وتوحيد الصفوف.وبعد أن توقفت الجريدة قال :" أنه عُرض علي إصدار جريدة متحزبة لأن المنار ذات نزعة إسلامية قوية " ولكنه آثر الانقطاع الصحفي وتوارت الجريدة عقب ديون المطابع .

ففي افتتاحية المنار من العدد الأول يقول أن جريدة المنار سياسية وللسياسة رسالة هي إقامة نظام يكفل للأفراد الأمن والكرامة ونمو المواهب بحرية. وهي ثقافة،

فالثقافة رسالة هي السير بالتفكير البشري إلى إدراك الحقائق واستغلالها لصالح الإنسان. وهي دينية ، فالدين له رسالة هي السير بالبشرية نحو الرحمة والحب وتسخير الحقائق الأرضية للحقائق السماوية، والمنار جريدة حرة حتى لا تتقيد بأحد ولا تخضع لجبروت أحد مع الوقوف عند حدود احترام حدود الآخرين.وأنها تقدس المبادئ ولا اعتبار للأشخاص إلا بقدر وقوفهم عند المبادئ.(10)

كما أن أبواب الجريدة تنوعت بين القضايا الفكرية والقضايا العربية ، وسير العالم السياسي ، والتركيز على قضية المغرب العربي سواء قضاياه الجامعة والمشتركة ، أو القطرية أو التعرض لزعمائه السياسيين والإصلاحيين إضافة للمشاكل الاجتماعية والتعليمية ، ورغم حضور بعض القضايا الحزبية الجزائرية لكن المبادرات المشتركة كان لها الحض الأوفر كجبهة الدفاع عن الحرية واحترامها، وكان للمواضيع التربوية نصيبا أيضا ، كما عرضت بعض القضايا السياسية ذات البعد الفكري" كالاتحاد في الجزائر" والذي تناولته بالتفصيل وفي أعداد متتالية مستعرضة رأي الزعماء والمفكرين والطلبة حول إمكانية نجاحه في شكل استفتاء والغرض منه توجيه هؤلاء جميعا للعمل نحو الوحدة وتكامل الجهود فيما بينهم بدل الصراع ، وجعل العدو الوحيد هو الاستعمار (11) .هذا دون أن ننسى تناول بعض القضايا الفنية والأدبية الحاضرة في التراث العربي .

ولم تعمر المنار كثيرا .إذ صدر منها في السنة الأولى 19 عددا وفي السنة الثانية 20عددا وفي الثالثة 12 عددا.وكان آخر عدد صدر في 01 جانفي 1954 لتختفي الجريدة تحت مصاعب مادية ومضايقات الاستعمار، ولكن رغم العروض المقدمة إليه لإحيائها من جديد والتي يرجح أنها من أنصار حركة الانتصار للحريات الديمقراطية إلا أنه رفض ذلك حفاظا على التنوع الفكري الذي كانت تتسم به جريدته السابقة وعدم الوقوع في الحزبية الضيقة .رغم أنه كان معجبا كثيرا بمسار حزب الشعب ثم حركة الانتصار ، ومنهم من يحسبه وجريدته على هذا التيار.

علاقته مع التيار الإصلاحي :

إن انتقال بوزوزو إلى قسنطينة للدراسة في المدرسة الرسمية هو الذي عزز علاقته مع التيار الإصلاحي ، حيث كان لهذا الأخير محطات لقاء مع زعماء هذا التيار ، وممن ذكرهم أحمد بوشمال، وعبد الحميد بن باديس الذي كان يتردد على دروسه بالجامع الأخضر ليلا وخاصة دروس التفسير ، ووثق علاقته حينها مع عدد من الطلبة والأساتذة، ثم انتقل إلى المدرسة العليا بالجزائر حيث أكمل دراسته وتخرج منها ،

ومن الوصايا التي حملتها ذاكرة بوزوزو عن عبد الحميد بن باديس أنه قال: له أتمم دراستك ثم كن مسلما .

وللإشارة أن التيار الإصلاحي كان على علاقة وثيقة مع تنظيم الكشافة الإسلامية التي انتمى إليها محمود بوزوزو . ومن ذلك المؤتمر الكشفي الذي أسست فيه فيدرالية الكشافة الإسلامية في جويلية 1939 بالحراش تحت الرئاسة الشرفية للشيخ عبد الحميد بن باديس .وكان الشعار المعتمد هو " الإسلام ديننا ، والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا "(12) . ما كان التجمع الكبير الذي ضم حوالي 500كشاف بتلمسان في جويلية 1944 قد حضره كل من الإبراهيمي وفرحات عباس . ورغم حضور ممثل التربية والشبيبة في حكومة ديغولRENE CAPITAN فقد ردد الحاضرون النشيد الرسمي للمخيم الكشفي :

من جبالنا طلع صوت الأحرار❖ ينادينا للاستقلال

ينادينا للاستقلال ❖ لاستقلال وطننا .

ومما ذكره محمود بوزوزو أيضا أنه التقى مع الشيخ العربي التبسي وقال له: " مثلك مكانه عندنا " وكان من أثر ذلك أن زار محمود مقر الجمعية ولقي الترحيب من الشيخ الإبراهيمي ، وكانت له مساهمة في العمل الصحفي والتحريري ضمن جريدة البصائر ، وفي هذه المرحلة كان مرشدا عاما للكشافة الإسلامية ، والتي كان كثير من عناصرها وأفواجها من أبناء التوجه الإصلاحي ، وكانت ميدانا لبث الوعي و الأفكار الوطنية بين الناشئة ، وكانت فرنسا ترى فيه عنصرا متطرفا ويشكل خطرا داخل مؤسسة الكشافة .ولكن انعقاد مؤتمر 1947 انجر عنه انتخابه كرئيس للكشافة . وهو ما زاده انشغالا والتفرغ لهذه المهمة والتنقل عبر الوطن لتفقد أفواج الكشافة وهذا ما جعله ينسحب من العمل الصحفي في الصحافة الإصلاحية على حد قوله (13) .وليس كما قالت التقارير الفرنسية أن عدم كفاية ما يتقاضاه من الصحافة الإصلاحية وكذلك خروجه عن خط الإبراهيمي هو السبب في انقطاعه(14).

محمود بوزوزو مدافعا عن البلدان العربية

من الطبيعي أن لا يكون بوزوزو بعيدا عن الواقع العربي ولذلك كان يتتبع معاناته ويسجل مواقفه ومن ذلك ما كتبه حول مصر أو ليبيا على سبيل المثال .

فحول مصر رصد لنا الموقف الذي سجله الطلبة الطلبة الجزائريون في مقال تحت عنوان: "الطلبة الجزائريون في مصر يوم الشهداء "بإمضاء قاسم الجزائري، تمحور

حول مشاركة الطلبة الجزائريين المقيمين في مصر، في المظاهرة الصاخبة المنظمة يوم 14 نوفمبر 1951م، للتنديد بالسياسة الاستعمارية البريطانية. وأظهر الطريقة التي انتظم بها هؤلاء رافعين الراية الجزائرية وقصدوا ساحة الخديوي إسماعيل وساهم موكبهم في المظاهرة العامة وأضاف " وبدأ الموكب الصامت الرهيب يسير وقد مثلت فيه كل هيئة وكل منظمة للشعوب العربية والإسلامية، ومثلت فيه الجزائر المكافحة أروع تمثيل. فقد سار أبناء الجزائر صامتين خاشعين واسم الجزائر على اللافتة فوق رؤوسهم يجلب الأنظار، فتنفرج شفاه بلفظ (الجزائر) وتنشرح الصدور لتأييدها، وتعجب العيون بهؤلاء الشبان لجزائريين، وقد مشوا في انتظام تحت لافتاتهم الفصيحة الصريحة، وقفتهم صادقة، وشعورهم وطني نبيل[15]

وفي ذكرى الثورة المصرية احتفلت جريدة المنار بالذكرى الأولى لثورة يوليو 1952م، فنشرت مقالا باسم "الحارث" يوم 10 جويلية سنة 1953م واعتبر ماحدث في مصر عهدا جديدا فارق فيه الشعب المصري النظام الملكي المتعفّن أيام الملك فاروق، و يتطلع إلى النظام الجمهوري الديمقراطي وكتب " ومن الأماني الغالية التي ظنّها الناس عزيزة، إزالة شبح فاروق الشخص المتهتك الخليع، الذي داس على شرف شعب بكل ما أوتي من قوة وشهوانية.

واختفى فاروق في اليوم الأول للثورة، وحمد الناس من أعماق قلوبهم للثورة هذه اليد البيضاء التي لا تنسى، ولكن رجال الثورة ينظرون إلى أبعد من هذا. ولكنهم يقدرون عامل الزمن، وعامل الظروف، هم ينظرون إلى نظام الحكم وما الشخص إلا شيء ثانوي. فمادام نظام الحكم وهو الملكية في مصر قائما فمن الجائز أن يخلق هذا النظام شخصا كفاروق، بل وربما أنكى وأدهى، فالعلة في نظام الحكم لا في الحاكم. " (16)

وحول ليبيا التي أعطاها اهتماما في جريدته لأنها كانت تمر بمرحلة حرجة من المؤامرة حيث أنه في 21 نوفمبر 1949 كان القرار الأممي القاضي باستقلال ليبيا في موعد لا يتجاوز مطلع جانفي 1952 ولكن الدول الأوربية وأمريكا كانت تتآمر على تقسيم ليبيا ، فكان زوزو يحذر من الوقوع في شرك الاستعمار ثانية ، وحين أعلن الاستقلال قال " نعم إنا بك لاحقون لأننا نؤمن بالحياة، وسنرفع هذا المغرب الجليل إلى أوج سماء العز وستهتز لأجنحته الأفلاك وسيكون لها على صفحة هذا البحر المتوسط تموجات تنسي المدهوشين بماضيه الجليل ما كان له من دوي مهيب "(17) كتب في مقال آخر : "ها هو اليوم شعب آخر يسترجع سيادته واستقلاله، وهو شعب ليبيا

الشقيق، الذي نستقبل استقلاله بمثل ما استقبلنا به استقلال الشعوب المذكورة من الابتهاج. بل إنّ ابتهاجنا باستقلاله يمتاز امتيازًا خاصًّا، وذلك لمتانة الروابط التي تربط شعوب المغرب به، والمغرب كما ذكره ابن خلدون يمتدّ إلى الإسكندرية، وعليه فليبيا تُعتبر قطرًا مغربيًّا، فهي همزة وصل طبيعية بيننا وبين الشرق العربي والإسلامي. وستدخل ليبيا في هيأة الأمم المتّحدة فيصبح للأمم العربية والإسلامية وللأمم المتحرّرة من الاستعمار وأنصار الحرية صوت زائد، كما أنّ ليبيا العربية ستنخرط في حضن الجامعة العربية فيزداد نفوذها، وستنضم ليبيا المسلمة إلى المؤتمر الإسلامي العالمي فتتعدّد مراكزه... ونبتهج ابتهاجًا خاصًّا لأنّ الاستقلال قد دخل الآن أبواب المغرب وسينتشر فيه من ليبيا إلى المحيط الأطلسي " (18).

وفي نفس المقال يعتذر محمود ويتألم لسوء الحال وقلة العون للشعب الليبي قائلا : " معذرة أيتها الشقيقة، فإنك إذ تلتفتين يمنة أو يسرة لا تجدين سوى صيحات الجهاد الذي تعرفينه في سبيل العزّ تعلو من صدور أشقائك الأباة؛ هدير النيل الفائض شرقًا، وزئير الأمازيغ المكبّلة الثائرة غربًا؛ ومع ذلك فإنهم لم يشغلهم عن الابتهاج بنصرك والاهتمام بكمال عزّك ما هم فيه من غلاب ليدخلوا مثلك في صميم الحياة؛ وإنّ هذا الابتهاج وهذا الاهتمام جهد المقلّ... فمَن المسؤول عن حالٍ لا تخوّلنا أن نمدّك إلا بالشِعر وزخرف القول، وأنتِ أغنى ما تكونين عنهما، وأحوج ما تكونين إلى غيرهما، بعد أن دخلتِ من هامش الحياة إلى صميمها، وأصبحتِ تتجاذبك مطالب وتكاليف تنوء بها الجبال!؟ "(19)

وفي الأخير فإنه يمكن أن نعتبر شخصية محمود بوزوزو قد ترعرعت في بيئة أمازيغية وتشبعت بالعروبة والوطنية في

وقت مبكر ، تأثر بنشاط الحركة الوطنية وأفكارها ولكنه كان نموذجا متميزا عن غيره حيث جمع بين النضال السياسي والفكري ، وخاض معركة النضال والتجاوب مع الحركة الوطنية بالتأييد والقلم من خلال نشاطه في الصحافة المتنوعة ، وجمع بين استيعابه وفهمه للأحداث وقدرته على التنظيم من خلال انخراطه في الكشافة الإسلامية ثم قيادته لها ،أعطى للكشافة مفاهيم وقيم إنسانية وأتخذها وسيلة للتربية وغرس الروح الوطنية بين الناشئة . وكانت شخصيته المتنقلة بين ربوع الوطن لطلب العلم والرزق ونبوغه في الكشافة وعلاقاته الوثيقة مع الإصلاحيين و التيار الاستقلالي أن صقل منه مناضلا متفتحا واسع الثقافة والأفق قريبا من الجميع ، تجسدت هذه الملامح في القيم التي حملها ، والقلم الذي استوعب الواقع الوطني و

المغاربي ، ساعيا لكل المشاريع الوحدوية وتوحيد الجهود لبناء الفرد فكريا وسياسيا . فكان هذا العطاء الفكري والقدرة على التنظيم أن كلفه الكثير من تحرش الاستعمار به وتعرضه للسجن والتعذيب ثم النفي في منتصف الخمسينيات. (1955)، لينتهي به المطاف في جنيف في 1958 وهو يتألم حسرة على مفارقة الوطن ، ولكنه نذر نفسه هناك لخدمة الجالية الإسلامية وتعليم اللغة العربية والتعريف بالإسلام دينا وحضارة وتنشيط المنظمات الإسلامية .

---

[1] -A.N.O.M, (Archives nationale d'outre mér (France),93/4257,Brahim Med ,notes individuelles,no 831,p01.

[2] - - حسب شهادة صديقه د.عباس عروة مدير مؤسسة قرطبة في تأبينية محمود بوزوزو .

[3] - A.N.O.M, 93/4257, Brahim Med, notes individuelles, no 831, p02 par le chef du service des liaisons nord africaine.7

[4]- أنظر المقدمة التي كتبها بنفسه في المنار في 25 فيفري 1982بجنيف.

[5] - - A.N.O.M, 93/4257, Brahmi Med, notes individuelles, no 831, p02 par le chef du service des liaisons nord africaine.

[6] - A.N.O.M, 93/4257, police de renseignements généraux, rapport le 10/06/1947,p 01.

[7] - A.N.O.M, 93/4257, police de renseignements généraux, rapport le 10/06/1947, p 01.

[8] - A.N.O.M, S.L.N.A, Bulletin de la presse d'Algérie (questions musulmanes).

[9] ـــ محمود بوزوزو ، " المقدمة " المنار ، ع 1 ، س 01 ، 21 جمادي الثانية 1370 ، 29 مارس 1951 ، ص1 .

[10] ـــ نفسه ، ص 02.

[11] ـــ كان يطرح تحت عنوان" استفتاء هام في قضية الاتحاد " أنظر العدد 17 ، السنة الثانية ن 23 جمادي الأولى ، 1332، 6 فيفري 1953 ، ص 01وما بعدها من الأعداد.

[12] ـــ " دور الكشافة الإسلامية الجزائرية في الحركة الوطنية والثورة التحريرية "، الكشافة الإسلامية الجزائرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ص ص 24، 52.

[13] ـــ بوزوزو ، المقدمة " المنار، مصدر سابق .

[14] - A.N.O.M, 93/4257, op. cit, p 02.

[15] ـــ قاسم الجزائري، "الطلبة الجزائريون في مصر يوم الشهداء "، المنار، ع 11، 9 ربيع الأول 1371، 8 ديسمبر 1951 ص 03.

[16] . الحارث، ' شعب أراد وحكومة نفذت " المنار، ع 45 س 03، 29 شوال 1372، 10 يوليو 1953، ص 01.

[17] ـــ . محمود بوزوزو ،"إننا بك لاحقون " المنار ، ع14 ، س 1 ، 21 ربيع الثاني 1371 . 19جانفي 1952 ، ص 1 . 4

[19] ـــ محمود بوزوزو ، ،"إننا بك لاحقون " المنار ، مقال سابق ، ص 01 .